الحكايات الشعبية لشعوب آسيا

ترجمة

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

المركز القومى للترجمة

2454



يضم هذا الكتاب مختارات من الحكايات الشعبية لدى بعض شعوب آسيا وشعوب بحر البلطيق. ونرتحل مع هذه الحكايات من دول البلطيق فى الشمال، إلى برارى روسيا وغابات أوكراينا وبيلاروسيا، ثم جبال القوقاز الساحرة، حتى نصل إلى وسط آسيا وبلاد التتر. ويشمل الكتاب حكايات شعبية غير معروفة لدى العديد من القراء، وخاصة الحكايات الكردية والغجرية والتترية ومن بلاد الشيشان وغيرها. وتتفرد كل من هذه الشعوب بخصائصها التراثية ونماذج أبطالها التى تجسدها فى الحكايات الشعبية المتنوعة، ولكنها فى الوقت نفسه تشترك معًا فى السمات الإبداعية العامة، والقواعد الأخلاقية للسرد المجازى، ومن حيث أصالتها وتعبيرها الصادق عن حياة شعوبها وأحلامها ورحلتها التاريخية الطويلة بأتراحها وأفراحها.

تصميم الغلاف: هانى الشناوى

الحكايات الشعبية لشعوب آسيا

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2454
- الحكايات الشعبية لشعوب آسيا
- عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة الحكايات الشعبية لشعوب آسيا

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الحكايات الشعبية لشعوب آسيا

ترجمة : عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسي



2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الحكايات الشعبية لشعوب آسيا
ترجمة : عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى
ط١ - القاهرة - المركز القومى للترجمة؛ ٢٠١٦
٥٢٨ ص؛ ٢٤ سم
١ - القصص الآسيوية
٢ - القصص الشعبية
(أ) الخميسى، عبد الرحمن عبد الرحمن (مترجم)
(ب) العنوان ٨٩٢,٣

رقم الإيداع ١٦٢٨٨ / ٢٠١٤
الترقيم الدولى 978-977-718-780-0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

إهـــداء

إلى روح أمى الحبيبة التى غرست لدى
مضامين الحق والخير والعطاء
فى الحياة، فكانت لى أول حكاية
شعبية تعرفت إليها..

كلمة المترجم

يعرض هذا الكتاب لنماذج من الحكايات الشعبية ليس فقط لدى بعض الشعوب الآسيوية، بل أيضا وبعض الشعوب التى تنتمى إلى القارة الأوروبية مثل شعوب بحر البلطيق فى الشمال، وهى مولدوفا وليتوانيا ولاتفيا وإستونيا. وتتمتع حكاياتها الشعبية بنوع من التميز الفلكلورى الثقافى النابع من طبيعتها الجغرافية والطبيعة العرقية لشعوبها التى تختلف عن الشعوب الأخرى. ويعود هذا الأمر إلى أن شعوب البلطيق المذكورة كانت تقع مع غيرها من الشعوب الآسيوية الأخرى ضمن دولة الاتحاد السوفيتى السابق. والعنوان الأصلى لهذا الكتاب هو: "الحكايات الشعبية عند شعوب الاتحاد السوفيتى".

ونرتحل مع هذه الحكايات من دول البلطيق فى الشمال، إلى برارى روسيا وغابات أوكرانيا وبيلاروسيا، ثم جبال القوقاز الساحرة، حتى نصل إلى وسط آسيا وبلاد التتر، ويضم الكتاب حكايات شعبية غير معروفة لدى العديد من القراء، وخاصة الحكايات الكردية والغجرية والتترية ومن بلاد الشيشان وغيرها. وتتفرد كل من هذه الشعوب بخصائصها التراثية ونماذج أبطالها التى تجسدها فى الحكايات الشعبية المتنوعة، ولكنها فى نفس الوقت تشترك معا فى السمات الإبداعية العامة، والقواعد الأخلاقية للسرد المجازى، ومن حيث أصالتها وتعبيرها الصادق عن حياة شعوبها وأحلامها ورحلتها التاريخية الطويلة بأتراحها وأفراحها. كما أن هناك العديد من التشابه فى أعراف وقوانين الحياة القائمة لدى هذه الشعوب. وقد جاء هذا التقارب بسبب الاشتراك فى النمط المعيشى لهذه الشعوب والظروف التاريخية التى تشكلت الحكايات تحت ظلالها.

ويتضافر تنوع هذه الحكايات مع وحدة المضامين الكبرى. فجميع الشعوب تتوحد فيما تراه "حقيقة"، وما تراه "زيفا أو كذبا"، وفيما تراه "جريمة وشرا"، وما تراه "عقوبة وجزاءً عادلا إزاء الشر". وتمثل هذه النظرة لدى جميع الشعوب الأساس الفكرى والبناء الموضوعى للحكايات الشعبية.

دائما ما تجسد الحكايات الشعبية الكلمات الصادقة التى يضمها الناموس الأخلاقى والشرف لدى جميع الشعوب. ولكن حكايات شعوب القوقاز على وجه الخصوص، هى الأكثر تعبيرا عن هذا الناموس. فالقسم والعهد والكلمة قوانين ملزمة واجبة النفاذ، دون اللجوء إلى القضاة أو الحكماء. ففى بعض الحكايات نرى الصياد يمنح ابنه الوحيد للمارد الشرير بعد أن تعهد له بذلك، كما يفى الملك بعهده ويمنح نصف مملكته لمنقذ ابنته... إلخ من الأمثلة الأخرى.

وتقوم الحكاية الشعبية لدى كل شعب بإبداع مفرداتها الجمالية لموضوع الحكاية، على نحو يتوافق مع التقاليد الشعبية القومية.

وتجسد موضوعات الحكايات الشعبية حول السحر التصورات الشعبية عن السعادة والشقاء، القدر والمصير، المجد والعار، العمل والكسل، النضال والاستسلام، وغيرها من المضامين الأخلاقية الأخرى. وعبر الرحلة الطويلة التى قطعتها الحكايات الشعبية لآلاف السنين، قام الرواة والساردون لها بإضافة نظرة أخرى إلى العالم لا تتناقض مع بناء الحكايات الشعبية، بل تنسجم معه فى المضمون الإنسانى الذى يعرض للخير والعطاء فى سبيل الناس والوطن.

وختاما، أرجو أن يستمتع القارئ بهذه الحكايات البديعة المتنوعة، وبما تحتويه من حكم وأمثلة وعِبر ومضامين أخلاقية وإنسانية.

* * *

حكايات شعبية من روسيا

سيفكا بوركا

كان ياما كان عجوز لديه ثلاثة من الأبناء. وقد عمل الابنان الأكبران بالتجارة، وكانا يتسمان بالفطنة والوسامة، أما الأصغر إيفان الأحمق، فكان يحب التجول فى الغابة وجمع الفطر، ثم العودة إلى البيت والجلوس أمام المدفأة طوال الوقت.

وعندما شعر العجوز بدنو ساعته، أمر أبناءه قائلا:

– عندما أفارق الدنيا عليكم الحضور إلى قبرى لثلاثة أيام متتالية، وإحضار الخبز لى فى كل مرة.

مات العجوز وقاموا بدفنه. وعندما حل المساء، كان على الشقيق الأكبر الذهاب إلى القبر، لكن الكسل والخوف تملكا منه، فقال لشقيقه الأصغر:

– فانيا(*)، أريدك أن تحل محلى فى هذه الليلة، وتذهب إلى قبر والدنا. وسوف أشترى لك كعكة.

وافق إيفان، وحمل الخبز وذهب به إلى الوالد فى قبره، ثم جلس منتظرا. وفى منتصف الليل ارتجت الأرض وانشقت، وخرج الوالد من القبر قائلا:

– من هنا؟ أأنت يا ولدى الأكبر؟ أخبرنى عما يجرى فى روسيا، أما زالت الكلاب تنبح والذئاب تعوى؟ أم أن وليدى يبكى؟.

(*) فانيا – هو اسم التدليل لإيفان فى اللغة الروسية – المترجم.

رد إيفان:

- إنه أنا ابنك يا والدى. والأمور فى روسيا على ما يرام.

أكل الوالد الخبز ورقد ثانية فى قبره. وانطلق إيفان عائدا إلى البيت، وأخذ يجمع الفطر فى طريقه. وجاء إليه الابن الأكبر يسأله:

- هل رأيت الوالد؟.

- نعم رأيته.

- وهل أكل الخبز؟.

- نعم، أكل حتى الشبع.

حلت الليلة الثانية، وجاء الدور على الشقيق الأوسط، لكن الكسل والخوف تملكا منه فقال:

- فانيا، فلتذهب بدلا منى إلى الوالد، وسوف أصنع لك كرة تلهو بها.

- حسنا.

حمل إيفان الخبز، وذهب إلى قبر والده، وجلس فى الانتظار. وفى منتصف الليل ارتجت الأرض وانشقت، وخرج الوالد من القبر قائلا:

- من هنا؟ أأنت يا ولدى الأوسط؟ أخبرنى عما يجرى فى روسيا، أما زالت الكلاب تنبح والذئاب تعوى؟ أم أن وليدى يبكى؟.

رد إيفان:

- إنه أنا ابنك يا والدى. والأمور فى روسيا على ما يرام.

أكل الوالد الخبز ورقد ثانية فى قبره. وانطلق إيفان عائدا إلى البيت وهو يجمع الفطر فى طريقه. وجاء إليه الابن الأوسط يسأله:

- هل أكل الوالد الخبز؟.

. نعم، أكل حتى الشبع.

حلت الليلة الثالثة، وجاء الدور على إيفان، فقال لشقيقيه:

. لقد ذهبت إلى القبر لليلتين، فلتذهبا الآن إلى الوالد فى قبره، كى أرتاح أنا اليوم.

لكن الشقيقين أجابا عليه:

. ما الذى تقوله يا فانيا؟ لقد أصبح المكان معروفا لديك، ومن الأفضل أن تذهب أنت.

. حسنا، سوف أذهب.

حمل إيفان الخبز وخرج به وجلس فى الانتظار. وفى منتصف الليل ارتجت الأرض وانشقت، وخرج الوالد من القبر قائلا:

. من هنا؟ أأنت يا ولدى الأصغر؟ أخبرنى عما يجرى فى روسيا، أما زالت الكلاب تنبح والذئاب تعوى؟ أم أن وليدى يبكى؟.

رد إيفان:

. إنه أنا فانيا أيها الوالد. والأمور فى روسيا على ما يرام.

أكل الوالد الخبز حتى الشبع وقاله له:

. أنت الوحيد الذى نفذت وصيتى، ولم تخش الحضور إلىّ فى القبر لثلاثة أيام. فلتخرج إلى الحقل المكشوف وتصيح قائلا: "سيفكابوركا، يا فرس النبوءة، فلتظهر أمامى مثل ورقة الشجر أمام العشب!". وسوف يركض إليك الفرس، وعندئذ عليك الدخول إلى أذنه اليمنى والخروج من اليسرى. وسوف تصبح عظيم البأس، ثم امتطِ الفرس وارحل به.

فعل إيفان ما قاله والده، وبعد ذلك قبض على لجام الفرس، وشكر والده وانطلق عائدا إلى البيت. وأثناء طريق العودة أخذ يجمع الفطر ثانية. وعندما وصل إلى البيت سأله شقيقاه:

. هل رأيت الوالد؟.

. نعم رأيته.

- وهل أكل الخبز؟.

- نعم، لقد أكل الوالد حتى الشبع، ولم يطلب الذهاب إليه ثانية.

فى ذلك الوقت أمر الملك بالنداء على جميع الفتيان الطيبين والعزاب وغير المتزوجين، للذهاب إلى قصره. فقد أمرت ابنته صاحبة الحسن والجمال غير المسبوقين، أن يقيموا لها بيتا خشبيا ينتصب فوق اثنى عشر عمودا عاليا بالطول، ومن فوقهم اثنا عشر تاجا كل منهم فوق الآخر. وقررت الابنة الجلوس فى أعلى بقعة بالبيت والانتظار هناك، حتى يتمكن أحد الرجال من الوصول إليها بقفزة فرس واحدة وتقبيل شفتيها. وسوف يزوج الملك من ينجح فى هذا الأمر بابنته ذات الحسن غير المسبوق، ويمنحه نصف مملكته، وذلك بصرف النظر عن وضعه ومقامه.

وصلت هذه الأخبار إلى الإخوة إيفانوف، فتحدثوا فيما بينهم قائلين:

- هيا بنا نجرب حظنا للحصول على هذه السعادة.

وقاموا بإطعام الأفراس القوية بالشعير، ثم أسرجوها وزينوها، وارتدوا أفضل الثياب لديهم وجملوا من هيئتهم وهندامهم. أما إيفان فجلس بجوار المدفأة وقال لهما:

- خذانى معكما كى أجرب حظى فى الحصول على السعادة.

- أيها الأحمق البليد! أنت لا تصلح إلا فى جمع الفطر من الغابة، ولا داعى أن يسخر الناس منك.

امتطى الشقيقان فرسيهما، وأحكما قبعتيهما فوق رأسيهما، وانطلقا فى طريقهما يثيران الغبار خلفهما. أما إيفان فأسرج فرسه وخرج به إلى الحقل المكشوف. وعندما وصل هناك صاح كما لقنه والده قائلا:

- سيفكابوركا، يا فرس النبوءة، فلتظهر أمامى مثل ورقة الشجر أمام العشب!.

وظهر من حيث لا يدرى أحد فرس جامح ترتج الأرض تحت حوافره، ينفث النار من منخريه، وتخرج أعمدة الدخان من أذنيه، ثم توقف أمام إيفان وسأله:

ـ بما تأمرنى؟

مسد إيفان بيده فوق رقبة الفرس، وامتطى ظهره وتسلل إلى أذنه اليمنى، ثم خرج من اليسرى وقد تبدلت هيئته وتحول إلى فتى وسيم لم تر العين مثله فى الروعة والجمال، ولم ترسمه ريشة رسام من قبل. وجلس إيفان فوق ظهر الفرس، وانطلق به إلى بلاط الملك. وأخذ سيفكابوركا ينهب الطريق نهبا والأرض ترتج تحت حوافره، يسابق الريح ونيله يتأرجح فوق الجبال والوديان.

وصل إيفان إلى فناء قصر الملك، حيث تجمع هناك حشد كبير من الناس. وهناك فى أعلى قمة بالبيت الخشبى القائم فوق اثنى عشر عمودا وفوقهم اثنا عشر تاجا، جلست خلف النافذة الأميرة صاحبة الحسن والجمال.

خرج الملك فى محفله وقال:

ـ أيها الفتيان! من منكم ينجح فى الوصول إلى النافذة بوثبة واحدة من فرسه ويقبل ابنتى فى شفتيها، سوف أزوجها به وأمنحه نصف مملكتى.

عندئذٍ بدأ الفتيان فى القفز بأفراسهم. لكن البيت كان عاليا يصعب الوصول إليه. وحاول الأخوان إيفانوف بدورهما، لكنهما لم يتجاوزا إلا منتصف المسافة فقط. وجاء الدور على إيفان.

لكز الفتى سيفكابوركا بقدميه وصاح صيحة حماسية، ووثب به وثبة هائلة، لكنه أخفق فى الوصول إلى آخر تاجين فقط. وحاول مرة ثانية القفز إليها لكنه لم يصل إلى التاج الأخير. وفى المرة الثالثة التف ودار حول نفسه، ثم دفع فرسه وقفز به مثل شعلة النار، فطار بالفرس بالقرب من النافذة، وقبل الأميرة ذات الحسن والجمال فى شفتيها الحلوتين، فدفعته الأميرة بخاتمها فى جبهته، تاركة فوقها أثر الختم من خاتمها.

وهنا صاح الحضور هاتفين فى صوت واحد:

ـ أمسكوا به، أمسكوا به.

لكن الفتى اختفى فى الحال بلا أثر.

وصل إيفان إلى الحقل المكشوف، وتسلل إلى الأذن اليسرى للفرس سيفكابوركا، ثم خرج من أذنه اليمنى ليعود إلى هيئته السابقة، هيئة إيفان الأحمق. بعد ذلك ترك الفرس لحاله، وذهب عائدا إلى البيت. وفى طريق عودته مضى يجمع الفطر كالعادة. وعندما وصل إلى البيت ربط عصابة حول جبهته ورقد نائما بجوار الفرن.

عاد شقيقاه إلى البيت وأخذا يتحدثان حول ما جرى.

ـ كان هناك العديد من الفتيان الشجعان، ولكن واحدا فقط كان أمهر من الجميع، ذلك الذى استطاع القفز بفرسه إلى الأميرة وتقبيلها فى شفتيها. وقد شاهدناه من حيث أتى، ولكننا لم نعرف إلى أين ذهب.

جلس إيفان بجوار المدفأة وقال:

ـ ألم أكن أنا ذلك الفارس هناك؟

غضب الشقيقان وصرخا فى وجهه:

ـ أحمق يتفوه بالحماقة! اجلس فوق المدفأة وكل من فطرك.

نزع إيفان العصابة من على جبهته ببطء؛ حيث تركت الأميرة أثر خاتمها الذى توهج مشرقا فى المكان مثل نيران المدفأة. فصرخ الشقيقان فى خوف قائلين:

ـ ما الذى تفعله أيها الأحمق؟ سوف تحترق جبهتك!.

فى اليوم التالى أقام الملك وليمة فاخرة، دعا إليها جميع الفرسان والنبلاء وأيضا البسطاء من الناس، والأثرياء والفقراء، والعجائز والشبان.

استعد الشقيقان إيفانوف للذهاب إلى وليمة الملك. وقال إيفان لهما:

- اصطحبانى معكما يا شقيقىّ!.

- إلى أين نصطحبك أيها الأحمق؟ أتريد أن يسخر الناس منك؟ اجلس فوق المدفأة وتمتع بتناول فطرك.

امتطى الشقيقان فرسيهما وانطلقا فى الطريق. أما إيفان، فخرج يسير على قدميه حتى وصل إلى وليمة الملك. وهناك جلس فى الطرف البعيد من الطاولة. وبدأت الأميرة صاحبة الحسن والجمال تمر أمام الضيوف واحدا بعد الآخر، وهى تحمل أقداح العسل إليهم، وتنظر نحو جبهة كل منهم تبحث عن أثر خاتمها.

وعندما انتهت من المرور أمام جميع الضيوف، اقتربت من إيفان فخفق قلبها بشدة. وعندما نظرت إليه وجدته أشعث الشعر مكسوا بالسخام، وتغطى جبهته عصابة.

سألته الأميرة صاحبة الحسن غير المسبوق:

- من أنت؟ ومن أين أتيت؟ ولماذا تغطى جبهتك؟.

- لأنى جرحتها.

قامت الأميرة بحل العصابة. وفجأة، غمر النور أرجاء القصر. فصرخت تهتف قائلة:

- هذا أثر خاتمى! هذا هو فارسى!.

اقترب الملك وصاح:

- أى فارس هذا؟! إنه أحمق مغطى بالهباب.

قال إيفان للملك:

- اسمح لى بالاستحمام يا مولاى.

سمح الملك له، فخرج إيفان إلى فناء القصر وصاح مثلما لقنه والده:

- سيفكابوركا، يا فرس النبوءة، فلتظهر أمامى مثل ورقة الشجر أمام العشب!

وانبثق من حيث لا يدرى أحد فرس جامح ترتج الأرض تحت قدميه، ينفث النار من منخريه، وتخرج أعمدة الدخان من أذنيه. وتسلل إيفان إلى أذنه اليمنى، ثم خرج من أذن الفرس اليسرى، فتبدلت هيئته وتحول إلى فتى وسيم لم تر العين مثله فى الروعة والجمال، ولم ترسمه ريشة رسام من قبل. وتعالت آهات الحضور من فرط الإعجاب بالفتى الوسيم.

لم يعد هناك الكثير لنقصه عليكم. فقد أقيمت الولائم والليالى الملاح حتى موعد الزفاف والأفراح.



الضفدعة الأميرة

كان ياما كان ملك يحكم إحدى الممالك البعيدة. وكان له ثلاثة من الأبناء، يدعى أصغرهم الأمير إيفان.

فى أحد الأيام أحضر الملك أبناءه وقال لهم:

ـ لقد كبرتم يا أبنائى الأعزاء، وأصبحتم فتيانا أشداء. وحان الوقت كى تبحثوا لأنفسكم عن عرائس لتتزوجوا بهن.

ـ لمن يمكننا التقدم من الفتيات لخطبتهن أيها الوالد؟.

ـ فليحمل كل منكم قوسا وسهما. وأطلقوا سهامكم فى اتجاهات مختلفة، ثم يطلب كل منكم الزواج بمن توجد فى المكان الذى يقع فيه السهم.

خرج الأبناء إلى فناء قصر الملك. وشد كل منهم قوسه لإطلاق سهمه.

طار سهم الابن الأكبر فى الهواء، حتى سقط فى فناء منزل أحد الفلاحين. وأمسكت ابنة الفلاح بالسهم.

وأطلق الابن الأوسط سهمه، فسقط فى فناء منزل أحد التجار الأثرياء. وعثرت ابنة التاجر على السهم وأخذته.

ولما جاء الدور على الابن الأصغر إيفان، أطلق سهمه فطار حتى سقط فى مستنقع موحل. وحملت السهم بفمها ضفدعة تعيش فى المستنقع.

خرج الشقيقان الأكبر والأوسط يبحثان عن سهميهما. وسرعان ما عثرا عليهما فى فناء منزل الفلاح وفناء بيت التاجر. أما الأمير إيفان، فظل يبحث عن سهمه طويلا. ومضى يومان وهو يسير فى الغابات والجبال. وفى اليوم الثالث وصل إلى المستنقع الموحل، فرأى ضفدعة تسبح فى مياه المستنقع، وهى تحمل بفمها سهم الأمير.

أراد الأمير مغادرة المكان والهرب من أمام المستنقع، غير أن الضفدعة صاحت تنقنق وتقول له:

- كواك كواك، اقترب أيها الأمير إيفان وخذ سهمك، وعليك الزواج بى الآن.

تملك الحزن من الأمير إيفان، وقال للضفدعة:

- كيف لى أن أتزوج بكِ؟ لو أنى فعلت هذا فسوف أصبح أضحوكة بين الناس.

- خذنى زوجة يا إيفان، ولن تندم على عملك هذا.

فكر الأمير إيفان طويلا. وعزم أمره وحمل الضفدعة، ثم وضعها فى منديل وذهب بها إلى قصر أبيه الملك.

جاء كل من الابن الأكبر والأوسط. وصارا يحكيان لأبيهما عن المكانين اللذين سقط فيهما سهماهما.

وعندما جاء دور الأمير إيفان حكى لهم ما جرى معه. فأخذ شقيقاه يضحكان ويسخران منه. أما والده فقال له:

- لا بد أن تأخذ الضفدعة زوجة لك. فهذا قدرك، ولا يمكن للمرء أن يغير قدره.

قامت الأفراح وليالى الملاح فى البلاد لزفاف الأبناء الثلاثة. الأكبر على ابنة الفلاح، والأوسط على ابنة التاجر، والأصغر على الضفدعة.

وفى اليوم التالى للزفاف، نادى الملك على أبنائه وقال لهم:

- والآن، لقد تزوجتم جميعا يا أبنائى الأعزاء، وأريد أن أختبر مهارة زوجاتكم فى إعداد الخبز والفطائر. فلتحضر لى كل منهن بعض الخبز فى صباح الغد.

انحنى الأمراء أمام الملك وغادروا مجلسه. وذهب الأمير إيفان إلى جناحه والحزن بادٍ عليه. وظل يسير منكس الرأس جيئة وذهابا. فصاحت الضفدعة تقول له:

- ما لى أراك حزينا مكروبا أيها الأمير إيفان؟ هل أسمعك والدك الملك ما لا يرضيك؟.

رد الأمير إيفان:

ـ وكيف لى ألا أحزن، وقد طلب منى والدى أن أجعلك تخبزين له الخبز والفطائر، لأقدمها له فى الصباح؟.

ـ لا تحزن أيها الأمير إيفان ولا تحمل هما، بل ارقد فى فراشك، ونم مطمئن البال. فنور العقل يشرق فى الصباح لا فى الليل.

قامت الضفدعة بوضع الأمير فى فراشه لينام. ونزعت من على جسمها جلد الضفدعة. فتحولت إلى فتاة رائعة الحسن، لا مثيل لجمالها ولا فى الحكايات. وكان اسمها فاسيليسا.

بعد ذلك أحضرت فاسيليسا الدقيق. وصارت تعجنه بمهارة كبيرة. وزينت جوانب الخبز بالنقوش الجميلة وصور المدن والقصور. ورسمت فى أعلاه الطيور المحلقة. وعلى أسفله حفرت صور الحيوانات المختلفة. وقامت بخبز العجين فى الفرن، حتى خرج الخبز بلون وردى، ناعمًا طريًا شهى المذاق.

أيقظت الضفدعة الأمير إيفان فى الصباح، وقالت:

ـ لقد حان موعد استيقاظك أيها الأمير إيفان. فهيا انهض واحمل لوالدك الخبز والفطائر.

ووضعت الضفدعة الطعام فوق صينية ذهبية. ورافقت الأمير إيفان إلى مجلس والده الملك.

بعد ذلك، حضر الشقيقان الأكبر والأوسط يحملان الخبز الذى صنعته زوجتاهما. وكان خبزا سيئا، تعاف النفس النظر إليه. فقد تركته ابنة الفلاح فى الفرن حتى احترق، وخبزته ابنة التاجر باللون الرمادى.

نظر الملك أولا إلى الخبز الذى أحضره الابن الأكبر، ثم أمر بإعطائه للخدم.

وأمسك بالخبز الذى أحضره الابن الأوسط، وقال له:

ـ هذا الخبز لا يأكله المرء إلا عندما لا يجد شيئا آخر يسد به رمقه.

وعندما جاء الدور على الأمير إيفان، أخذ منه الملك الخبز، وصاح يقول:

ـ هذا هو الخبز الذى يؤكل فى الأعياد والاحتفالات الكبيرة.

وأصدر الملك أمرا آخر لأبنائه قائلا:

- أريد أن أختبر مهارة زوجاتكم فى الحرف اليدوية. فخذوا بعضا من الحرير والذهب والفضة. ولتصنع لى زوجة كل منكم بساطا جديرا بالملوك.

عاد الشقيقان الأكبر والأوسط إلى زوجتيهما، وأخبراهما بالمطلب الجديد للملك. فأسرعت الزوجتان فى طلب الخادمات والوصيفات والفتيات، كى تصنعن لكل منهما بساطا للملك. فاجتمعت الفتيات وشرعن فى حياكة البساط. فمنهن من أمسكت بالخيوط الذهبية، وأخرى بالخيوط الفضية، وثالثة بالحرير.

أما الأمير إيفان، فذهب إلى جناحه حزينا. وظل يسير جيئة وذهابا منكس الرأس. فقالت له الضفدعة:

- لماذا أراك مهموم البال أيها الأمير إيفان؟ هل أسمعك والدك الملك ما لا يرضيك؟.

أجاب الأمير إيفان:

- وكيف لى لا أحزن؟ وقد طلب منى والدى أن أجعلك تصنعين له بساطا موشىً بالذهب والفضة، وأقدمه له فى الصباح.

- لا تحزن أيها الأمير إيفان ولا تحمل هما، بل ارقد فى فراشك ونم مطمئن البال. فنور العقل يشرق فى الصباح لا فى الليل.

وضعت الضفدعة الأمير فى فراشه لينام. ونزعت من على جسمها جلد الضفدعة. وتحولت ثانية إلى فاسيليسا بارعة الحسن والجمال، وأخذت تحيك البساط. فما إن تضع الإبرة مرة حتى تنقش بها رسما لزهرة رائعة، ثم تغرس إبرتها مرة أخرى، فتنساب منها النقوش البديعة الزاهية والطيور المحلقة.

ومع ظهور أول خيوط الفجر فى السماء، كان البساط جاهزا.

ذهب الأبناء الثلاثة إلى الملك يحمل كل منهم بساطا. فأخذ الملك بساط الابن الأكبر، وتطلع فيه قائلا:

- هذا البساط لا يصلح سوى لحماية الفرس من الوحل والمطر.

بعد ذلك أخذ الملك البساط الذى أحضره الابن الأوسط وقال له:

- وهذا لا يصلح إلا لبسطه فوق عتبة الحجرة فى الأعياد الكبيرة.

وأخيرا حمل الملك بساط الأمير إيفان، ونظر إليه فى إعجاب قائلا:

- أما هذا البساط، فسوف أضعه على أرض البهو فى الأعياد المهمة.

وهنا، أصدر الملك أوامره الجديدة لأبنائه. فطلب منهم الحضور مع زوجاتهم إلى حفل يقيمه، وذلك كى يرى أفضل من ترتدى منهن الثياب والزينة.

مضى الأمير إيفان حزينا يفكر فى نفسه : "كيف لى أن أصطحب الضفدعة إلى حفل الملك؟".

وذهب إلى جناحه مهموما، فسألته الضفدعة:

- ما لى أراك يائسا منكس الرأس مرة أخرى أيها الأمير إيفان؟ ما الذى جرى؟.

أجاب الأمير إيفان:

- وكيف لا أحزن، وقد أمر والدى بأن أرافقك غدا إلى حفله بالقصر؟.

- لا تحزن أيها الأمير إيفان، بل ارقد فى فراشك ونم مطمئن البال. فنور العقل يشرق فى الصباح لا فى الليل.

فى اليوم التالى، وعندما أزف الموعد للذهاب إلى الحفل، قالت الضفدعة للأمير:

- اذهب أنت بمفردك إلى الحفل أيها الأمير إيفان. وسوف ألحق بك بعد وقت قليل. عندما تسمع صوت دقات صاخبة فلا تخف، بل قل لهم : "إنها على الأرجح ضفدعتى، قادمة فى عربتها الذهبية".

ذهب الأمير إيفان إلى حفل الملك بمفرده، وبعد فترة قصيرة حضر الشقيقان مع زوجتيهما إلى القصر. وكانت الزوجتان ترتديان ثيابا احتفالية أنيقة مزركشة. ووقف الشقيقان بجوار الأمير إيفان يسخران منه:

ـ لماذا أتيت بدون زوجتك أيها الأخ؟ ألم يكن بوسعك أن تضعها فى منديل وتحضرها معك؟ لقد كنا نريد أن نستمع إلى نقيقها.

وفجأة، تردد فى المكان صوت دقات صاخبة. وانتفض الحاضرون جميعا من أماكنهم مذعورين يتطلعون إلى مصدر الصوت. فقال الأمير إيفان مهدئا من روع الحضور:

ـ لا تخشوا شيئا أيها الضيوف الأعزاء، فإنها على الأرجح ضفدعتى قادمة فى عربتها الذهبية.

ركض الجميع نحو النافذة يتطلعون منها. فرأوا عددا من الخدم والحراس يركضون أمام عربة ذهبية تجرها ثلاثة خيول مسرجة بالذهب والفضة.

وقفت العربة أمام البوابة، وخرجت منها فاسيليسا الجميلة. فأضاءت بنور حسنها أركان القصر. وبدت مثل الشمس الساطعة فى كبد السماء.

انبهر الجميع بجمالها، وصاروا ينظرون إليها مشدوهين بفتنتها الساحرة، حتى إنهم تسمروا فى أماكنهم، عاجزين عن النطق والكلام.

مدت فاسيليسا يدها نحو الأمير إيفان، ورافقته إلى مائدة الطعام.

بدأ الضيوف فى تناول الطعام والشراب. ومضوا فى اللهو والمرح.

كانت فاسيليسا تشرب من الكأس حتى منتصفه، ثم تلقى بما تبقى فيه خلف يدها اليسرى. وكانت تأكل قطعة من الدجاج، ثم تلقى بالعظام خلف يدها اليمنى.

وانتبهت زوجتا الشقيقين الآخرين لما تفعله فاسيليسا. وفكرت كل منهن تتساءل فى نفسها: "لماذا تلقى بالشراب خلف يدها اليسرى؟ ولماذا تلقى بالعظام خلف يدها اليمنى؟". غير أنهن لم تعرفا السر من وراء ذلك.

بعد انتهاء الضيوف من تناول الطعام، بدأت الموسيقى فى العزف. وأخذت الفتيات فى الرقص. وتقدمت فاسيليسا الحسناء من الأمير إيفان لترافقه فى الرقص. وصار الاثنان يرقصان فى رشاقة وخفة، ثم لوحت فاسيليسا بيدها اليمنى، فامتدت بجانبهم

بحيرة من الماء. ورفعت يدها اليسرى، فظهر البجع الأبيض يسبح فى مياه البحيرة. أصاب الذهول الملكَ وكل الحاضرين لما رأوه. وبعد أن انتهت الحسناء من الرقص، اختفت البحيرة والبجع.

بعد ذلك، بدأت زوجتا الشقيقين فى الرقص. وما إن لوحت كل منهن بيدها اليسرى، حتى تناثر رذاذ الشراب على الضيوف. ثم رفعت كل منهن يدها اليمنى، فانهمرت العظام فوق رءوس الحضور. وطارت عظمة بجوار عين الملك، وكادت أن تصيبها. ثار الملك من الحنق والغيظ. وأمر بطرد الزوجتين من الحفل.

عندما أشرف الحفل على الانتهاء، أسرع الأمير إيفان إلى جناحه. وبحث عن جلد الضفدعة حتى عثر عليه، ثم ألقى به فى النار.

عادت فاسيليسا إلى حجرتها، فلم تجد جلد الضفدعة. وصارت تبحث عنه فى ذعر وخوف. وظلت تبحث وتفتش فى كل ركن بلا جدوى. عندئذ، صاحت تقول للأمير إيفان:

ـ أيها الأمير إيفان، ما الذى فعلته؟ لو أنك انتظرت ثلاثة أيام فقط، لصرت ملِكا لك إلى الأبد. أما الآن فسوف أودعك وأرحل عنك. فابحث عنى فيما وراء البحار، وخلف الجبال، وفى أقصى البلاد، تحت الشمس التى يحكمها كوشيا الخالد. وعندما تبلى ثلاثة أزواج من الأحذية الحديدية، وتأكل ثلاثة أرغفة من الحديد، حينئذ فقط سوف يمكن العثور على.

قالت فاسيليسا ما قالته، ثم تحولت إلى بجعة بيضاء، وطارت محلقة من النافذة.

غمر الحزن الأمير إيفان. فأعد عدته وحمل قوسه وسهامه، وانتعل الأحذية الحديدية، ووضع فى خُرجه ثلاثة أرغفة من الخبز الحديدى. ثم خرج للبحث عن زوجته فاسيليسا الحسناء.

سار الأمير إيفان فى طريقه البعيد. وطال ترحاله وهو يقطع الجبال والغابات والأنهار. حتى أبلى زوجين من الأحذية الحديدية، وقرض بفمه رغيفين من الحديد. عندئذ صادفه رجل عجوز مسن. فقال له الأمير إيفان:

ـ مرحبا أيها الجد.

ـ مرحبا بك أيها الفتى الطيب. إلى أين مقصدك؟ وعن أى شىء تبحث؟.

قص الأمير إيفان على العجوز حكايته الحزينة، فقال له العجوز:

. يا للأسف! لماذا قمت بإحراق جلد الضفدعة أيها الأمير إيفان؟ إنه لم يكن ملكا لك، ولم تكن مضطرا للتخلص منه. لقد كانت فاسيليسا أكثر فطنة وأحسن خلقا من والدها كوشيا الخالد. وعندما ثار عليها وأراد أن يعاقبها، أمرها أن تضع جلد الضفدعة على جسمها لثلاثة أعوام بالتمام والكمال. وقد قمت بحرقه قبل انتهاء المهلة. لكن المحظور قد وقع، ولن يمكنك أن تغير بالكلمات شيئا مما جرى. فخذ هذه الكرة معك، واتبعها أينما تتدحرج أمامك.

شكر الأمير إيفان العجوز. ومضى يتبع الكرة في سيرها.

انطلقت الكرة تتدحرج فوق الجبال العالية، وفي قلب الغابات الموحشة، وعلى أرض الحقول المترامية، وفوق أسطح المستنقعات والبحيرات، وفي الأصقاع البعيدة. والأمير إيفان يسير خلفها لا يفارقها ويتبعها مثل ظلها، فلا يتوقف للراحة، ولا يلتقط أنفاسه المتقطعة.

ظل الأمير مواصلا طريقه، حتى أبلى الزوج الثالث من الأحذية الحديدية، وأكل الرغيف الحديدي الثالث. ووصل إلى أحراش كثيفة مكتظة بأشجار الصنوبر. ورأى أمامه دبا. ففكر قائلا في نفسه:

"ليس لدي شيء يؤكل، فلأقتل هذا الدب وآكل لحمه".

تحفز الأمير إيفان لقتل الدب، إلا أن الدب تحدث فجأة بصوت بشري وقال:

. لا تقتلني أيها الأمير إيفان، وسوف أصبح عونا لك في وقت من الأوقات.

أشفق الأمير إيفان على الدب ولم يقتله. ومضى يواصل طريقه.

سار الأمير في حقل مكشوف، ونظر فشاهد بطة كبيرة تطير فوقه.

جذب الأمير إيفان قوسه على الفور، وتأهب لإطلاق سهمه نحو الطائر. وفجأة صاحت البطة بصوت آدمي تقول:

. لا تقتلني أيها الأمير إيفان، وسوف أصبح عونا لك في وقت من الأوقات.

أشفق الأمير إيفان على البطة فلم يقتلها، وأعاد سهمه إلى جعبته. ومضى فى طريقه والجوع يعصف به.

وفجأة، ركض أمامه أرنب أعور العين. ففكر الأمير فى نفسه: "فلأقتل هذا الأرنب، وأشبع جوعى من لحمه".

شد الأمير قوسه مصوبا سهمه نحو الأرنب. فهتف الأرنب بصوت بشرى قائلا:

- لا تقتلنى أيها الأمير إيفان، وسوف أصبح عونا لك فى وقت من الأوقات.

رق قلب الأمير للأرنب فلم يقتله، ومضى يواصل طريقه خلف الكرة.

وصل الأمير إلى البحر الأزرق. ونظر فشاهد سمكة راقدة فوق الرمال الصفراء. ففرح الأمير إيفان، وصاح قائلا:

- والآن سوف آكل هذه السمكة، وأسد بها الجوع الذى ينهش أمعائى.

توسلت السمكة بصوت آدمى تقول:

- ارحمنى أيها الأمير إيفان، ولا تأكلنى. بل أعدنى إلى مياه البحر.

رأف الأمير بحال السمكة فلم يأكلها، ورمى بها فى مياه البحر، ثم واصل سيره على الشاطئ يتبع الكرة.

طال الزمن أم قصر، والكرة ما زالت تتدحرج، حتى دخلت بين أحراش الغابة. ووصلت إلى كوخ يدور حول نفسه على قوائمه. فصاح الأمير إيفان:

- أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى.

استدار الكوخ بظهره للغابة كما طلب منه الأمير إيفان. وجعل واجهته تقف أمامه. فدلف الأمير إلى داخل الكوخ. ونظر فشاهد الساحرة ملكة الرعب تجلس على الفرن. وساقاها النحيلتان تتدليان من فوقه. وما إن رأت الساحرة الأمير حتى هتفت تقول:

- ماذا أتى بك إلى هنا أيها الشاب الطيب؟ أجئت برغبتك أم مُكرها؟.

- آخ، أيتها الجدة ذات الساقين النحليتين. أطعميني أولا وأسقيني، ثم دعيني أغتسل لأزيل عن جسمي تراب الطريق. وبعد ذلك سوف أقص عليك حكايتي.

ردت الساحرة:

- إنك محق في قولك.

أطعمت الساحرة الأمير إيفان وروت عطشه، ثم أحضرت له الماء فاغتسل. وحكى لها حكايته مع الضفدعة فاسيليسا. عندئذ قالت الساحرة:

- إني أعرفها جيدا. وأعلم أنها الآن حبيسة لدى الشرير كوشيا الخالد. وسوف تكون مهمتك غاية في الصعوبة للإيقاع بكوشيا الخالد، فلا يوجد سهم يقتله، ولا رصاصة تصرعه، ولذلك فهو لا يخشى أحدا على الأرض.

- ألا يوجد مقتل له؟.

- إن مقتله في طرف إبرة، والإبرة داخل بيضة، والبيضة في بطن البطة، والبطة داخل الأرنب، والأرنب في زجاجة صغيرة محكمة الإغلاق، والزجاجة معلقة فوق قمة شجرة البلوط العتيقة، والشجرة في قلب الغابة البعيد.

وشرحت الساحرة للأمير إيفان الطريق إلى شجرة البلوط العتيقة. فشكرها ورحل في طريقه البعيد.

توغل الأمير إيفان طويلا في قلب الغابة. وسار عبر الدروب الضيقة والمستنقعات الموحلة، حتى وصل أخيرا إلى شجرة البلوط العتيقة. كانت قمة الشجرة شاهقة الارتفاع تناطح السحب في السماء، وتضرب بجذورها بعيدا في الأرض بعمق مئة ذراع. وتحجب أغصانها أشعة الشمس الحمراء من فرط كثافتها. وفي أعلى الشجرة تقبع الزجاجة الصغيرة المنشودة.

تطلع الأمير إيفان إلى الشجرة الباسقة وهو في حيرة من أمره، لا يدري الوسيلة التي تمكنه من الوصول إلى قمتها، ثم فكر في نفسه قائلا:

"آه، أين أنت الآن أيها الدب؟ لو أنه كان هنا لقام بمساعدتي".

ما إن فكر الأمير حتى ظهر الدب أمامه، واقتلع الشجرة الضخمة من جذورها. فسقطت الزجاجة من فوقها على الأرض، وتحطمت متناثرة إلى أجزاء صغيرة. وخرج منها الأرنب، وانطلق يركض كالسهم. فتذكر الأمير قائلا فى نفسه:

"أين أنت الآن يا أرنبى العزيز؟ لو كان هنا لاستطاع اللحاق بالأرنب الهارب".

وما إن تذكر الأمير إيفان أرنبه، حتى ظهر الأرنب أمامه بشحمه ولحمه فى الحال. وانطلق يركض بسرعة البرق حتى أدرك الأرنب الهارب، ثم مزق جسمه بأسنانه وقطعه إلى نصفين. فخرجت من أحشائه بطة، وحلقت عاليا عاليا فى السماء. ففكر الأمير قائلا:

"أين أنتِ الآن يا بطتى العزيزة؟".

فى نفس اللحظة حلقت بطة الأمير فى السماء، وأخذت تطارد البطة الهاربة حتى أدركتها. وغرست منقارها فى بطنها، وأخرجت منها البيضة. فسقطت البيضة فى مياه البحر الأزرق.

تملك الحزن من الأمير إيفان. وسار مهموما على شاطئ البحر يقول:

- أين أنتِ الآن يا سمكتى العزيزة؟ لو أنك بالجوار، لأحضرت لى البيضة من قاع البحر.

وفجأة، سبحت السمكة إلى شاطئ البحر، وهى تحمل بين أسنانها البيضة. وألقت بها على الرمال قائلة:

- خذ بيضتك أيها الأمير إيفان.

فرح الأمير فرحا كبيرا، وحطم البيضة. ثم أخرج من داخلها الإبرة، وكسر طرفها. وفى اللحظة التى انكسر فيها طرف الإبرة، مات كوشيا الخالد، ونثرت الرياح رماده فى الهواء.

بعد ذلك، ذهب الأمير إيفان إلى قصر كوشيا. فخرجت له الحسناء فاسيليسا وقالت:

- لقد نجحت أيها الأمير إيفان فى العثور على. وسوف أصبح ملكا لك من الآن وإلى أبد الدهر.

انتقى الأمير إيفان من إسطبل كوشيا أفضل فرس. وامتطاه مع الحسناء فاسيليسا. وانطلق فى طريق العودة إلى بلاده.

وعاش الاثنان معا فى سعادة ومحبة أبدية.

* * *

بيت الحيوانات الشتوى

كان ياما كان عجوز يعيش مع زوجته العجوزة. وكان الاثنان يمتلكان ثورا، وخروفا، وإوزة، وديكا وخنزيرا.

وذات يوم قال العجوز لزوجته:

- ما رأيك أيتها العجوز أن نذبح الديك فى يوم العيد؟.

- حسنا، فلنذبحه مادام هذا رأيك.

سمع الديك الحديث الذى دار بين العجوز وزوجته، فانتظر حتى هبط الليل، وفر هاربا إلى الغابة. وفى اليوم التالى بحث العجوز وبحث، لكنه لم يعثر للديك على أثر.

فى المساء قال العجوز لزوجته:

- لم أنجح فى العثور على الديك، وسوف نضطر إلى ذبح الخنزير بدلا منه.

- حسنا، فلنذبحه كما تريد يا زوجى.

سمع الخنزير حديث الزوجين، ففر إلى الغابة تحت جنح الظلام.

بحث العجوز عن الخنزير طويلا ولم يجده، فقال لزوجته:

- إذا، علينا ذبح الخروف.

- فلنذبحه مادمت ترى هذا الأمر.

سمع الخروف الحديث فقال للإوزة:

- فلنهرب إلى الغابة وإلا فسوف يذبحوننى ثم يذبحونكِ من بعدى!.

هرب الخروف مع الإوزة إلى الغابة.

وخرج العجوز إلى الفناء فلم يجد الخروف ولا الإوزة. وظل يبحث عنهما طويلا بلا جدوى، فقال لزوجته:

- ما هذه المعجزة؟ لقد اختفت جميع الحيوانات واحدا بعد الآخر، ولم يبق لدينا سوى الثور. ولم يعد أمامنا سوى ذبحه!.

- كما ترى يا زوجي، فلنذبحه.

سمع الثور حديثهما فهرب إلى الغابة.

كان الصيف في الغابة دافئا. وعاش الهاربون بلا هم يقلقهم. ولكن الصيف سرعان ما انقضى، وحلت بوادر الشتاء.

ذهب الثور إلى الخروف وقال له:

- كيف الحال أيها الرفيق؟ لقد أصبح الجو باردا، وينبغى أن نحفر مأوى لنا يحمينا من لسعة البرد.

رد الخروف عليه:

- لدى فراء من الصوف يدفئنى ويحمينى من الشتاء.

ذهب الثور إلى الخنزير وقال له:

- فلتذهب معى أيها الخنزير لنحفر مأوى لنا!.

- إنى لا أخشى البرد والصقيع، ويمكننى دفن جسمى فى الأرض دون الحاجة إلى مأوى فى الشتاء.

ذهب الثور إلى الإوزة قائلا:

- اذهبى معى أيتها الإوزة لنحفر مأوى لنا!.

- لا، لن أذهب معك، فسوف أفرد أحد جناحى فيصبح فراشا لى وأتدثر بالجناح الآخر، ولست أخشى الصقيع ولا البرد.

ذهب الثور إلى الديك وقال:

- هيا نحفر معا مأوى لنا!.

- لا، لن أذهب معك. وسوف أقضى الشتاء جالسا تحت شجرة الصنوبر.

أسقط الأمر في يد الثور، وأدرك أن الأمور تمضى بصورة سيئة. وأصبح عليه الاجتهاد بمفرده، فقال:

- حسنا، كما تريدون. سوف أشرع في بناء المأوى بنفسي.

وقام ببناء المأوى بمفرده، ثم أشعل النار في المدفأة وجلس يتلمس الدفء بجوارها.

أتى الشتاء باردا. وبدأ الثلج في الهطول بغزارة. فأخذ الخروف يركض هنا وهناك عسى أن يتدفأ، ولكن بلا جدوى؛ حيث إن البرد كان قارصا، فذهب إلى الثور وقال له بصوت مرتجف:

- ررررر! ررررر! اسمح لي بالدخول إلى المأوى!.

- لا أيها الخروف. فقد طلبت منك أن تحفر معي المأوى، ولكنك تفاخرت بأن فراءك سوف يدفئك وتقضى الشتاء به.

- إن لم تسمح لي بالدخول فسوف أحطم الباب بقرني، فيصيبك البرد أنت الآخر.

فكر الثور وفكر: "فلأسمح له بالدخول حتى لا يصيبني البرد".

- حسنا، ادخل.

دخل الخروف إلى المأوى ورقد بجوار المدفأة.

مر وقت قصير وجاء الخنزير يصيح:

- ررررر! ررررر! اسمح لي بالدخول أيها الثور كي أتدفأ!

ـ لا أيها الخنزير. فقد دعوتك لتساعدنى فى بناء المأوى لكنك قلت بأن الصقيع لن يؤثر عليك وسوف تختبئ فى باطن الأرض.

ـ إن لم تسمح لى بالدخول فسوف أحطم كوخك هذا وأجعله أثرا بعد عين!.

فكر الثور وفكر: "إن لم أسمح له بالدخول فسوف يحطم المأوى".

ـ حسنا، ادخل.

دخل الخنزير إلى الكوخ وافترش مكانا له على الأرض.

جاءت الإوزة طائرة خلف الخنزير وهى تصيح:

ـ كواك! كواك! اسمح لى أيها الثور بالدخول لأتدفأ.

ـ لا أيتها الإوزة لن أسمح لكِ! فلديكِ جناحان تفترشين أحدهما وتتدثرين بالآخر، وعلى هذا النحو يمكنك قضاء الشتاء.

ـ إن لم تسمح لى بالدخول فسوف أحطم جدران هذا الكوخ!.

فكر الثور وفكر، ثم سمح للإوزة بالدخول. ودخلت الإوزة إلى الكوخ وجلست تستمتع بالدفء.

لم يمض وقت طويل حتى حضر الديك يصيح:

ـ كوكاريكو! كوكاريكو! اسمح لى أيها الثور بالدخول إلى المأوى.

ـ لا لن أسمح لك، فلتقض الشتاء أسفل شجرة الصنوبر كما قلت.

ـ إن لم تسمح لى بالدخول فسوف أنبش الأرض تحت كوخك حتى يتهاوى سقفه ويصبح ركاما، ويتسلل الصقيع إليك.

سمح الثور للديك بالدخول، فدخل الديك إلى المأوى وجلس يتلمس الدفء.

أصبحوا يعيشون خمستهم معا. وعرف الذئب والدب بهذا الأمر. فتحدثا فيما بينهما:

ـ فلنذهب إلى المأوى ونأكل جميع من هناك، ونسكنه بدلا منهم.

ذهب الاثنان إلى الكوخ وقال الذئب للدب:

- تقدم أنت إلى الأمام حيث إنك ضخم الجثة.

- لا فإنى كسول، وأنت أمهر منى، فاذهب فى المقدمة.

تقدم الذئب نحو المأوى. وما إن دخل حتى نطحه الثور بقرنيه نطحة هائلة. وهجم الخروف بدوره وأخذ ينطح الذئب فى جنبيه. أما الخنزير فأخذ يصرخ قائلا:

- خررر! خررر! إنى أشحذ السكين وأشحذ البلطة الكبيرة لأنى أريد التهام الذئب!.

وأخذت الإوزة تقرص الذئب فى بطنه، والديك يركض حول الأعمدة الخشبية وهو يصيح:

- لقد سقط فى الفخ وأصبح لا حول له ولا قوة، فأحضروه إلىّ هنا! فالسكين قد شُحذ والقدر جاهز لسلق لحمه... سوف أذبحه هنا، وأعلقه بعد ذبحه هنا.

سمع الدب أصوات الصراخ المتعالية، ففر هاربا من الذعر. أما الذئب فاستطاع أن يتملص منهم بصعوبة بالغة، وفر هاربا حتى أدرك الدب وحكى له:

- يا لهول ما رأيت! لقد أوشكت على الموت... فقد هجموا علىّ هجمة شرسة مثل الجيش الذى يرتدى السواد، وانهالت علىّ لطماتهم وأنا ملتصق إلى الحائط، وبالإضافة إلى ضربات جنودهم انهال الآخرون على جسمى بالقرص واللسع حتى تورم، ثم قام أحدهم فى ثوبه الأبيض بنقر جسمى من الخلف. أما أصغر واحد منهم فأخذ يركض هنا وهناك مرتديا معطفه الأحمر ويصرخ قائلا: "أحضروه إلىّ هنا! فالسكين قد شُحذ والقدر جاهز لسلقه... سوف أذبحه هنا، وأعلقه بعد ذبحه هنا". كما كان هناك أحد آخر يصرخ من تحت الأرض: "إنى أشحذ السكين وأشحذ البلطة الكبيرة لأنى أريد التهامه حيا!"

ومنذ ذلك الحين لم يقترب الذئب ولا الدب من مأوى الحيوانات قط.

وعاش الثور والخروف والإوزة والديك والخنزير معا فى سلام وسعادة لا يعكر صفو بالهم شىء.

❋ ❋ ❋

الديك وحجر الرحى

كان ياما كان عجوز يعيش مع زوجته العجوزة. وكان الاثنان يعيشان فى فقر مدقع.

لم يكن لديهما ولا كسرة من الخبز. فخرج الاثنان إلى الغابة يجمعان ثمار الجوز. وأحضرا منها ما استطاعا حمله إلى البيت، وشرعا فى الأكل.

أسقطت العجوزة ثمرة جوز، فتدحرجت على الأرض، وغاصت فى حفرة تحت أرضية الكوخ.

ومر زمن قصر أم طال حتى نبتت جذور الثمرة تحت الأرض، ونمت حتى وصلت إلى أرضية الكوخ.

شاهدت الزوجة الشجيرة النامية وصاحت:

- أيها العجوز، اكسر أرض الكوخ كى تفسح المجال لشجرة الجوز حتى تنمو لأعلى. وعندما يشتد عودها وتنضج لن نضطر للخروج إلى الغابة لجمع ثمار الجوز، بل يمكننا قطفها ونحن داخل الكوخ.

قام العجوز بخلع الأرضية وإفساح المجال لشجرة الجوز. فأخذت الشجرة فى النمو والنمو، وارتفعت حتى طالت سقف الكوخ.

صاحت الزوجة قائلة مرة أخرى:

- أيها العجوز، ينبغى عليك أن تزيل السقف كى تفسح المجال للشجرة كى تنمو أعلى فأعلى.

نزع العجوز السقف مفسحا المجال للشجرة. وأخذت شجرة الجوز تنمو وترتفع أعلى فأعلى حتى وصلت إلى عنان السماء.

وعندما نفذت ثمار الجوز من البيت، حمل العجوز جوالا ومضى يتسلق الشجرة.

أخذ العجوز يتسلق ويصعد حتى وصل إلى السماء. وشاهد هناك كوخا خشبيا فدخل إليه. كان فى الكوخ ديك ذو عرف ذهبى يجلس وبجواره حجر الرحى.

لم يفكر العجوز طويلا حتى وضع حجر الرحى فى الجوال، وحمل الديك ومضى يهبط لأسفل. وعندما وصل إلى الأرض قال لزوجته:

- لقد أحضرت إليكِ أيتها العجوزة ديكا ومعه حجر الرحى أيضا.

وضعت العجوز الديك فوق الموقد، وأخذت تدير حجر الرحى. وكلما أدارته دورة واحدة خرجت منه الفطائر والكعك. فأخذت تديره وتديره والفطائر تخرج وتخرج.

امتلأ ركن الكوخ بالفطائر المحشوة باللحم والكعك. فأطعمت العجوز زوجها، وأكلت هى الأخرى حتى الشبع.

وأصبح الاثنان يعيشان فى ترف وسعادة، ومعهما الديك ذو العرف الذهبى.

وذات مرة عرف أحد الرجال بحجر الرحى السحرى. فذهب الرجل إلى العجوز وزوجته وقال:

- هل يوجد لديكما شىء يؤكل؟.

ردت الزوجة:

- ما الذى تريد أن تأكله أيها العزيز؟ هل أحضر إليك الفطائر المحشوة باللحم أم الكعك الحلو؟.

وأخذت العجوز تدير حجر الرحى وتجمع الفطائر والكعك. وأكل الرجل حتى شبع وقال:

- بَعينى أيتها الجدة حجر الرحى هذا.

- ما الذى تقوله أيها العزيز؟ إنى لا أستطيع بيعه بأى حال من الأحوال!.

عنما حل المساء ذهب العجوز وزوجته إلى النوم. أما الرجل فتسلل وسرق حجر الرحى. وعندما استيقظ العجوز مع زوجته عرفا بسرقة الحجر، وأخذا يولولان من الحزن.

صاح الديك ذو العرف الذهبى قائلا لهما:

- لا تحزنا أيها العجوز وأيتها العجوزة، فسوف أعيد إليكما حجر الرحى.

طار الديك من فوق المدفأة وخرج يبحث عن حجر الرحى. وظل يركض فى الطريق حتى صادف الثعلب الذى سأله:

- إلى أين تذهب أيها الديك ذو العرف الذهبى؟.

- إنى ذاهب خلف الرجل لإعادة حجر الرحى.

- خذنى معك!.

- ادخل إلى فمى.

دخل الثعلب إلى فم الديك الذى مضى مواصلا طريقه حتى صادف الذئب. فقال الذئب:

-- إلى أين تذهب أيها الديك ذو العرف الذهبى؟

- إنى ذاهب خلف الرجل لإعادة حجر الرحى.

- خذنى معك!.

- ادخل إلى فمى.

دخل الذئب إلى فم الديك الذى مضى مواصلا طريقه حتى صادف الدب. فقال الدب:

- إلى أين تذهب أيها الديك ذو العرف الذهبى؟.

- إنى ذاهب خلف الرجل لإعادة حجر الرحى.

- خذنى معك!.

- ادخل إلى فمى.

دخل الدب بين أسنان الديك الذى أخذ يركض حتى وصل إلى فناء بيت الرجل. فدخل من البوابة وأخذ يصيح مناديا:

ـ كوكاريكو أيها الرجل! أعد إلىَّ حجر الرحى!.

سمع الرجل الصياح. وعندما شاهد الديك من النافذة أمر خادمه قائلا:

ـ اقبض عليه وضعه فى عشة الإوز حتى يقوم الإوز بضربه كما ينبغى.

ـك الخادم بالديك وألقى به فى عشة الإوز. وعندئذ قال الديك:

ـ يها الثعلب اخرج من فمى،واقتل الإوز.

حرج الثعلب من بين أسنان الديك، وهجم على الإوز الذى فر هاربا من أمامه.

وخرج الديك مرة أخرى إلى بوابة البيت يصيح:

ـ كوكاريكو أيها الرجل! أعد إلى حجر الرحى!.

سمع الرجل الصياح فتملك الغضب منه وصرخ قائلا:

ـ أيها الخادم، أمسك هذا الديك وألق به إلى حظيرة الأبقار كى تجعله يصمت إلى الأبد!.

أمسكوا بالديك، وألقوا به إلى الأبقار. وعندئذ صاح الديك:

ـ أيها الذئب الرمادى، هيا اخرج من فمى ومزق الأبقار بأسنانك الحادة.

قفز الذئب من فم الديك، ومزق جميع الأبقار وأكل منها حتى الشبع، ثم فر هاربا.

عاد الديك ثانية إلى البوابة يهتف:

ـ كوكاريكو أيها الرجل! أعد إلى حجر الرحى!.

كاد الرجل أن يجن من شدة الغيظ وصرخ قائلا:

ـ أيها الخادم، أمسك بهذا الديك وألق به إلى إسطبل الجياد كى تدهسه.

ألقوا بالديك إلى الجياد، فنادى الديك قائلا:

ـ حسنا أيها الدب، فلتخرج من فمي وتصرع هذه الجياد.

خرج الدب من فم الديك وقتل جميع الجياد، ثم مضى إلى حال سبيله. أما الديك فصاح ثانية:

ـ كوكاريكو أيها الرجل! أعد إلى حجر الرحى!.

صرخ الرجل فى هياج من الغيظ وأخذ يدق بقبضته:

ـ ما هذا الديك؟ لقد جعلنى فى العراء بعد أن قتل كل ماشيتى وحيواناتى. فهيا اقتلوه!.

وهنا، أمسكوا بالديك وقطعوا رقبته. وقام الرجل بنتف ريشه وتحميره بنفسه، ثم التهمه واستعد للذهاب للنوم.

أما الديك ذو العرف الذهبى فأخذ يصيح من داخل معدة الرجل وينادى قائلا:

ـ كوكاريكو أيها الرجل! أعد إلى حجر الرحى!.

ارتعد الرجل من الخوف، فأمسك سيفه وقام بغرسه فى بطنه حتى مزقها.

قفز الديك ذو العرف الذهبى من بطنه، وحمل حجر الرحى وخرج به.

عاد الديك بحجر الرحى إلى العجوز وزوجته. فسعد الزوجان وفرحا. وأخذا يديران الحجر ويجمعان منه الفطائر والكعك. ومنذ ذلك الحين وهما يعيشان فى سعادة بلا هموم ولا أتراح.

أما الديك فظل يعيش معهما فى البيت.



البيــت

خرج رجل يحمل عددا من القدور الفخارية. وأسقط واحدا منها أثناء سيره فى الطريق. فحلقت ذبابة طنانة حول القدر وصاحت سائلة:

. لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

رأت الذبابة أن البيت خالٍ. فدخلت إلى القدر وعاشت بداخله.

حلقت البعوضة تئز وصاحت قائلة:

. لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

. أنا الذبابة التى تطن. ومن أنت؟.

. أنا البعوضة التى تئز.

. ادخلى لنعيش معا.

أصبحت الاثنتان تعيشان معا داخل البيت القدر.

اقترب الفأر القارض وسأل قائلا:

. لمن هذا البيت؟ وهل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

. نعم، أنا البعوضة ومعى الذبابة الطنانة نعيش هنا. ومن أنت؟.

. أنا الفأر القارض.

. انضم إلينا وعش معنا.

عاش الثلاثة معا فى البيت.

قفز الضفدع النَطاط وأخذ يسأل:

ـ لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

ـ أنا الذبابة التى تطن.

ـ وأنا البعوضة التى تئز.

ـ وأنا الفأر القارض. فمن أنت؟.

ـ أنا الضفدع النطاط.

ـ انضم إلينا وعش معنا.

عاشوا معا جميعا داخل البيت.

قفز الأرنب وهو يسأل:

ـ لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

ـ أنا الذبابة التى تطن.

ـ وأنا البعوضة التى تئز.

ـ أنا الفأر القارض.

ـ أنا الضفدع النطاط. فمن أنت؟.

ـ أنا الأرنب ذو الحوافر الملتوية، القافز فوق التلال والجبال.

ـ انضم إلينا وعش معنا.

عاشوا معا جميعا داخل البيت.

ركض الثعلب بالقرب من القدر وصاح سائلا:

ـ لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

- أنا الذبابة التى تطن.

- وأنا البعوضة التى تئز.

- أنا الفأر القارض.

- أنا الضفدع النطاط.

- أنا الأرنب ذو القوائم الملتوية القافز فوق التلال والجبال. فمن أنت؟.

- أنا الثعلب طليق اللسان فى السمر.

- انضم إلينا وعش معنا.

عاشوا جميعا معا.

ركض الذئب حول البيت يصيح:

- لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

- أنا الذبابة التى تطن.

- وأنا البعوضة التى تئز.

- أنا الفأر القارض.

- أنا الضفدع النطاط.

- أنا الأرنب ذو القوائم الملتوية القافز فوق الجبال.

- أنا الثعلب طليق اللسان فى السمر. فمن أنت؟.

- أنا الذئب الذى تراه يعوى خلف الأحراش.

- انضم إلينا وعش معنا.

عاشوا جميعا معا فى وئام وانسجام لا يعرف الهم طريقه إليهم.

جاء الدب يدق الباب:

- لمن هذا البيت؟ هل هناك أحد يعيش فى البيت؟.

- أنا الذبابة التى تطن.

- وأنا البعوضة التى تئز.

- أنا الفأر القارض.

- أنا الضفدع النطاط.

- أنا الأرنب ذو القوائم الملتوية القافز فوق التلال والجبال.

- أنا الثعلب طليق اللسان فى السمر.

- أنا الذئب الذى تراه يعوى خلف الأحراش. فمن أنت؟.

- أنا الدب الذى أتى ليطردكم جميعا.

وجلس الدب فوق القدر الفخارى الذى تحطم على الفور، وتخلص من جميع الحيوانات التى عاشت بداخله.



حكايات شعبية من أوكرانيا

الأرجوحة

كان ياما كان رجل يعيش مع زوجته. ولم يرزقهم الله أبناءً يسعدونهم. فكانا يتجرعان الحزن والأسى ويتحدثان فيما بينهما:

- من الذى سوف يرعانا عندما نشيخ ونهرم؟ ليس لدينا أطفال.

وذات يوم طلبت المرأة من زوجها:

- اخرج إلى الغابة يا زوجي، واقطع لى بعض الخشب نصنع منه أرجوحة، كى أضع بداخلها دمية أهدهدها، وأتسلى بها بدلا من الطفل.

خرج الرجل وقطع الخشب من الغابة وصنع مهدا يتأرجح. ووضعت المرأة دمية فى الأرجوحة، وأخذت تهدهدها وتغنى لها:

يا قوم يا ناس، يا مهد الأنفاس،

سلقت أوراق الكرنب لك،

سوف تكفى لإطعامك،

من رأسك حتى أخمص قدميك.

وظلت تهدهد الدمية وتغنى للأرجوحة، تهدهد وتغنى. وفى المساء رقد الزوجان للنوم. وعندما استيقظا فى الصباح وجدا الدمية وقد تحولت إلى طفل حى. فغمرتهما السعادة بما رزقهما الله به. وأطلقا على الطفل اسم ابن الأرجوحة.

كبر الطفل وترعرع، وأصبح جميل الطلعة ذا حسن بارع لا تشاهده إلا فى الأساطير والحكايات التى يتناقلها الناس.

وها هو الولد قد كبر وقال للرجل:

ـ اصنع لي زورقا ذهبيا وصنارة فضية، فسوف أصيد السمك لكما وأطعمكما منه.

صنع الرجل زورقا ذهبيا وصنارة فضية، ونزل الولد بالزورق إلى النهر، وأخذ يجدف به ويصيد السمك من الماء، ثم يطعم الرجل وزوجته من السمك الذي يصيده. وبعد ذلك ينزل إلى النهر مرة أخرى. وهكذا، ظل يعيش في النهر، بينما تحضر له الأم الطعام. وذات مرة قالت له:

ـ انتبه أيها الابن، فعندما أبدأ في الصياح بك ينبغي أن تعود إلى الشاطئ، ولو ناداك صوت غريب، فابتعد بزورقك عن الشاطئ.

وها هي الأم قد أعدت له طعام الإفطار، وذهبت به إلى الشاطئ تنادي به:

يا أرجوحتي يا لعبتي،

سلقت أوراق الكرنب لك،

سوف تكفي لإطعامك،

من رأسك حتى أخمص قدميك.

سمع ابن الأرجوحة النداء فقال:

ـ هذا صوت أمي وقد أحضرت لي طعام الإفطار!.

جدف الابن بالزورق حتى وصل إلى الشاطئ، فأكل وشرب ثم دفع زورقه الذهبي حاملا صنارة الفضية، وسار به مبتعدا في النهر لصيد السمك.

سمع الثعبان صياح الأم على ابنها، فاقترب من الشاطئ، وأخذ ينادي بصوت أجش:

يا أرجوحتي يا لعبتي،

سلقت أوراق الكرنب لك،

سوف تكفي لإطعامك،

من رأسك حتى أخمص قدميك.

سمع ابن الأرجوحة النداء فقال:

- لا، هذا ليس صوت أمى. هيا ابتعد بى أيها القارب أكثر فأكثر! ابتعد بى عن الشاطئ أكثر فأكثر!.

ابتعد القارب بالولد. أما الثعبان فظل واقفا طويلا، ثم ذهب مبتعدا عن الشاطئ لحال سبيله.

وجاءت الأم حاملة طعام الغداء إلى الشاطئ وصارت تنادى:

يا أرجوحتى يا لعبتى،

سلقت أوراق الكرنب لك،

سوف تكفى لإطعامك،

من رأسك حتى أخمص قدميك.

سمع ابن الأرجوحة النداء فقال:

- إنها أمى قد أحضرت لى طعام الغداء.

وجدف بزورقه إلى الشاطئ، فأكل وشرب وأعطى أمه السمك الذى صاده، ثم دفع زورقه ثانية إلى داخل النهر.

جاء الثعبان إلى الشاطئ وأخذ ينادى مرة أخرى بصوته الأجش:

يا أرجوحتى يا لعبتى،

سلقت أوراق الكرنب لك،

سوف تكفى لإطعامك،

من رأسك حتى أخمص قدميك.

سمع الولد النداء وأدرك أن الصوت ليس صوت أمه، فلوح بصنارته مرددا:

ـ اسبح بى بعيدا أيها الزورق! اسبح بى بعيدا أيها الزورق!.

وابتعد الزورق بالولد عن الشاطئ.

وفى كل مرة تأتى فيها الأم حاملة الطعام إلى الشاطئ وتنادى على طفلها، كان ابن الأرجوحة يعود إلى الشاطئ ملبيا النداء، وكلما يأتى الثعبان مناديا عليه، يلوح الابن بصنارته ويبتعد بزورقه داخل النهر.

وأدرك الثعبان أن محاولاته لن تجدى، فذهب إلى الحداد وقال:

ـ أيها الحداد! أيها الحداد! شكل لى صوتا رفيعا يشبه صوت أم ابن الأرجوحة!.

شكل له الحداد الصوت. وذهب الثعبان إلى الشاطئ وأخذ فى النداء:

يا أرجوحتى يا لعبتى،

سلقت أوراق الكرنب لك،

سوف تكفى لإطعامك،

من رأسك حتى أخمص قدميك.

ظن ابن الأرجوحة أنها أمه، فقال:

ـ إنها أمى وقد أحضرت الطعام!.

ومضى بزورقه إلى الشاطئ، فأمسك الثعبان به من قلب الزورق وذهب إلى بيته. وصاح الثعبان مناديا الأفعى وليفته:

ـ ألينكا، ألينكا، افتحى الباب!.

فتحت ألينكا الباب، وعادت إلى داخل البيت. وقال لها الثعبان:

ـ ألينكا، ألينكا، أريدك أن تشعلى الفرن حتى يتوهج ويذيب الصخر بداخله.

قامت ألينكا بإشعال الفرن وتسخينه إلى درجة أن الصخر يذوب بداخله. وقال لها الثعبان:

ـ ألينكا، ألينكا، أريدك أن تطهى لى ابن الأرجوحة، بينما أذهب لزيارة بعض الأصدقاء.

غادر الثعبان وقالت ألينكا:

ـ اجلس فوق هذا الجاروف يا ابن الأرجوحة، فإنى أريد معرفة وزنك، وهل أنت ثقيل الوزن أم خفيفه؟.

رد عليها الولد:

ـ أنا لا أدرى طريقة الجلوس.

قالت ألينكا:

ـ ما عليك سوى الجلوس فوق الجاروف.

وضع الولد رأسه فوق الجاروف. فقالت له:

ـ لا، ليس هكذا، بل ضع جسمك كله.

وضع الولد يدا واحدة فوق الجاروف وسألها:

ـ على هذا النحو؟.

ـ لا، ليس هكذا!.

فوضع يده الأخرى وقال:

ـ أتقصدين أن أضع يدى هكذا؟.

ـ لا، لا! بل اجلس كلك!.

ـ كيف أجلس كلى؟ ربما هكذا؟.

وضع إحدى قدميه فوق الجاروف، فصاحت ألينكا بغضب:

ـ بالطبع ليس هكذا أبدا؟.

ـ إذا، أرينى بنفسك كيفية الجلوس، فإنى لا أدرى كيف أفعلها.

وما إن جلست ألينكا فوق الجاروف، حتى قذف الولد بها إلى داخل الفرن الملتهب، وألقى بغطاء عليها، ثم أغلق باب البيت، وتسلل مختبئا داخل الغطاء السميك المصنوع من ألياف الشجر، وجلس ساكنا.

عاد الثعبان إلى البيت مناديا:

- ألينكا، ألينكا، هيا افتحى الباب!.

لم تجب ألينكا بشىء.

- ألينكا، ألينكا، افتحى الباب!.

لم تسمع ألينكا شيئا.

- يا للملعونة ألينكا، لابد أنها خرجت تلهو فى الطرقات كعادتها.

فتح الثعبان الباب بنفسه، ثم أخرج من الطعام الفرن، وأخذ يأكل منه وهو يفكر فى مذاق ابن الأرجوحة. وبعد أن أكل حتى الشبع خرج إلى الفناء يتدحرج فوق العشب مرددا:

- فلأتدحرج فوق العشب وألهو بعض الشىء بعد أن شبعت من لحم ابن الأرجوحة!

أما ابن الأرجوحة فأخذ يصيح من تحت غطائه:

- تدحرج وتمتع باللهو كما يحلو لك، بعد أن شبعت من أكل لحم ألينكا!.

سمع الثعبان وردد مرة أخرى:

- فلأتدحرج فوق العشب وألهو بعض الشىء بعد أن شبعت من لحم ابن الأرجوحة!.

وردد ابن الأرجوحة كلماته ثانية:

- تدحرج وتمتع باللهو كما يحلو لك، بعد أن شبعت من أكل لحم ألينكا!.

تطلع الثعبان لأعلى وشاهد ابن الأرجوحة. فهجم على الغطاء السميك وأخذ يعضه. وظل الثعبان يعض ويعض حتى تحطمت جميع أسنانه ولم يستطع قطع الغطاء. فأسرع إلى الحداد:

ـ أيها الحداد، أيها الحداد، اصنع لى أسنانا يمكنها قطع الغطاء السميك والتهام ابن الأرجوحة!.

صنع له الحداد أسنانا قوية. وبدأ الثعبان فى العض مرة أخرى، وعندما اقترب من تمزيق الغطاء ظهر فجأة فى السماء سرب من الإوز الطائر. فناداه ابن الأرجوحة راجيا:

يا سرب الاوز المحبوب الخفَاق،

خذونى معكم فوق الجناح البرَاق،

واذهبوا بى إلى أمى الحنون هناك،

فهى تطعمنى وتسقينى وأصيد لها الأسماك،

يا سرب الاوز لن ينقذنى أحد سواك!.

زبط[*] الإوز قائلا:

ـ فليأخذك السرب الطائر فى المنتصف!.

واصل الثعبان عضه بقسوة أشد. وجلس ابن الأرجوحة يبكى. وفجأة ظهر سرب آخر من الأوز يحلق فى السماء. فنادى الولد:

يا سرب الاوز المحبوب الخفَاق،

خذونى معكم فوق الجناح البرَاق،

واذهبوا بى إلى أمى الحنون هناك،

فهى تطعمنى وتسقينى وأصيد لها الأسماك،

يا سرب الاوز لن ينقذنى أحد سواك!.

(*) الزبط هو صوت الإوز – المترجم.

زبط السرب مجيبا:

- فليأخذك معه السرب الخلفى!.

أخذ ابن الأرجوحة فى البكاء ثانية، بينما بدأ الغطاء فى التمزق. وحل التعب على الثعبان، فخرج لشرب الماء وعاد يقرض ويعض مرة أخرى. وفجأة ظهر سرب آخر من الإوز. ففرح ابن الأرجوحة وصاح مناديا:

يا سرب الإوز المحبوب الخفَاق،

خذونى معكم فوق الجناح البرَاق،

واذهبوا بى إلى أمى الحنون هناك،

فهى تطعمنى وتسقينى وأصيد لها الأسماك،

يا سرب الإوز لن ينقذنى أحد سواك!

رد الإوز:

- فليحملك معه السرب الأخير!.

وطار السرب مبتعدا، بينما جلس ابن الأرجوحة يفكر قائلا فى نفسه: "لقد ضعت الآن إلى الأبد". وأخذ يبكى بمرارة حتى غرق فى دموعه المنهمرة، وأصبح الثعبان على وشك تمزيق الغطاء بالكامل. وفجأة ظهرت إوزة طائرة فى السماء بمفردها، وهى تطير بالكاد كى تدرك السرب. فصاح ابن الأرجوحة مناديا:

يا سرب الإوز المحبوب الخفَاق،

خذونى معكم فوق الجناح البرَاق،

واذهبوا بى إلى أمى الحنون هناك،

فهى تطعمنى وتسقينى وأصيد لها الأسماك،

يا سرب الإوز لن ينقذنى أحد سواك!

هبطت الإوزة إليه قائلة:

. هيا اجلس.

جلس ابن الأرجوحة على جناحى الإوزة. فطارت به إلى بيت أمه، وحطت به فوق المصطبة أمام البيت، ثم حلقت مرتفعة.

وها هو ابن الأرجوحة جالس فوق المصطبة، بينما أمه تخبز الفطائر، ثم تخرجها من الفرن وهى تقول:

. هذه الفطائر لك أيها الزوج، والأخرى لى!.

هتف ابن الأرجوحة من الفناء:

. وأين نصيبى؟

أخرجت الأم بعض الفطائر ثانية وقالت:

. هذه الفطائر لك والأخرى لى!.

صاح ابن الأرجوحة من مكانه ثانية:

. وأين نصيبى؟

اعترت الدهشة المرأة وقالت:

. ألا تعرف أيها الزوج صاحب الصوت الذى ينادى: "أين نصيبى؟".

رد عليها الزوج:

. لا أعرف.

. لا بد أن الصوت تراءى لى، وهو ليس صوتًا حقيقيًا.

ومضت تخرج الفطائر ثانية من الفرن قائلة:

. هذه الفطيرة لك والأخرى لى!.

أما ابن الأرجوحة فظل جالسا فوق المصطبة ينادى:

- وأين نصيبى؟.

تطلع الرجل عبر النافذة فشاهد ابن الأرجوحة! فركض مع زوجته نحوه واحتضناه، ثم حملاه إلى داخل البيت وهما فى غمرة السعادة والفرح. وقامت الأم بإطعامه وسقيه، وغسلت رأسه، وأعطته قميصا نظيفا يرتديه.

وأصبحوا جميعا يعيشون معا، ويأكلون الخبز وما تحمله لهم المائدة من الطعام والشراب. وقد كنت هناك بنفسى، وتذوقت العسل بشفتى، ولكنى لم أبتلعه بفمى.



ابن قسطين

كان ياما كان، فى إحدى ممالك الزمان، يعيش أحد الملوك العظام. وفى أحد الأيام وقع نزاع بين ملك البلاد والثعبان حاكم العالم السفلى. فقام الثعبان بسرقة الشمس والقمر والنجوم من السماء. وأخفاها تحت الأرض فى مملكته السفلية. فحزن الملك حزنا كبيرا. ولم ينجح فى العثور على بطل مقدام، يستعيد ما سرقه الثعبان.

كان يعيش فى المملكة رجل يدعى قسطين. وكان له من الأبناء ثلاثة. وكانوا جميعا من الفتيان الشجعان. وفى أحد الأيام طلب الملك خادمه وقال له:

- اذهب فى طلب الابن الأصغر لقسطين.

أحضر الخادم الابن الأصغر إلى القصر، فقال له الملك:

- هل يمكنك استعادة الشمس وكل ما سرقه الثعبان من السماء؟.

رد الفتى:

- لا يمكننى القيام بذلك يا مولاى، ربما أخى الأوسط يستطيع إنجاز هذا العمل.

طلب الملك من الأخ الأوسط القيام بالعمل، فأجابه:

- لا يمكننى القيام بذلك يا مولاى، ربما أخى الأكبر يستطيع إنجاز هذه المهمة.

وعندما جاء الأخ الأكبر أجاب على طلب الملك قائلا:

- نعم، يمكننى القيام بهذه المهمة. لكنى أحتاج إلى ثلاث أفراس أصيلة. فأمروا بإحضار ثلاثة قطعان من الجياد لأبحث بينها عن الأفراس المناسبة.

ساقوا إلى الفتى ثلاثة قطعان من الجياد. فصار الفتى يدور بينها يتفحصها. وكلما وضع يديه فوق أحد الجياد، ينطلق الجواد كالريح من أمامه. ونظر الابن الأكبر فرأى

فرسا عرجاء هزيلة البنيان ذات جناح يتيم. وما إن وضع يده عليها حتى حمحمت وخرت ساقطة على الأرض. فأشار إليها صائحا:

- هذه الفرس تصلح لأخى الأصغر. أحضروا لى ثلاثة قطعان أخرى.

ساق أتباع الملك ثلاثة قطعان أخرى من الجياد. وظل الفتى يدور بينها فتركض من أمامه. حتى وقع اختياره على آخر الأفراس. وكانت تتمتع بقائمتين وجناحين. فأشار إليها قائلا:

- أما هذه الفرس فهى لأخى الأوسط، والآن أحضروا لى ثلاثة قطعان أخرى.

وبعد أن أحضروا له القطعان، ظل الفتى يسير بينها طويلا، حتى اختار لنفسه فرسا شهباء ذات قائمة واحدة وأربعة أجنحة. وبعد أن انتهى من اختياره حمحمت الأفراس الثلاث وقالت له:

- اتركنا يا ابن قسطين لثلاثة أيام فى الخلاء، كى نرعى ونأكل العشب النضير.

ترك الفتى الأفراس لثلاثة أيام، ثم ذهب إليها بعد ذلك فوجد أجسادها النحيلة قد امتلأت، وبدت عليها إمارات القوة والنشاط.

صعد الأشقاء الثلاثة تلا مرتفعا. وأطلق كل منهم سهمه فى الهواء، ثم مضى كل منهم يبحث عن مكان سهمه. وظلوا يسيرون ويسيرون حتى وصلوا إلى قصر الثعبان. وهناك عثروا على سهم الأخ الأصغر. فدخلوا إلى القصر، حيث وجدوا مائدة عليها شتى أنواع الطعام والشراب. فأكلوا وشربوا حتى شبعوا، ثم استلقوا للراحة بعض الوقت. وجاء الدور على الأخ الأصغر للحراسة. لكنه رفض وامتنع. فقال لهما ابن قسطين:

- حسنا أيها الشقيقان، احملا هذه السياط والقفازات معكما. ولا تغفلا أعينكما عنها. فإن رأيتما الرغاوى البيضاء تخرج منها، فاتركوها على الفور. أما لو شاهدتما الدماء تسيل عليها فعليكما إطلاق الأفراس والخروج إلى نجدتى بأقصى سرعة.

كانت تلك القفازات تقبض وتضرب من تلقاء نفسها، وكانت السياط تلهب الأجساد وتمزقها من تلقاء نفسها أيضا.

قال الفتى ما قاله وخرج إلى الجسر حيث كمن مختبئا أسفله. وعندما انتصف الليل، جلجل صوت مدوى فجأة. وظهر ثعبان هائل الحجم ذو ثلاثة رءوس يسير على حصانه فوق الجسر. وأخذ الحصان يتعثر فى مشيته فصرخ فيه الثعبان:

- ما لك تتعثر فى سيرك مثل الكلب الضال؟.

- وكيف لى ألا أتعثر وابن قسطين يجلس متربصا لك أسفل الجسر؟.

- إن أمثاله لا يصلحون سوى لرعى الخنازير فى الخلاء، وإن تعرض لى فسوف تحمل الغربان عظامه وتحلق بها من هنا.

خرج ابن قسطين من مكمنه وصار فى مواجهة الثعبان وهو يهتف قائلا:

- يا لك من متفاخر أحمق أيها الوحش. لقد حانت نهايتك الآن.

انقض الفتى على الثعبان، ولم يمنحه فرصة يدافع بها عن نفسه، بل قطع رءوسه فى لمح البصر بضربة واحدة من سيفه، ثم انتزع ألسنته من داخل رءوسه المبتورة، ودسها فى جيب ملابسه. وبعد ذلك عاد إلى القصر ورأى شقيقيه يغطان فى النوم. فأيقظهما من سباتهما. ونظر إلى القفازات والسياط فوجدها جافة على حالها. ولم يخبر شقيقيه بما جرى مع الثعبان. وانطلق ثلاثتهم يبحثون عن السهم الآخر للأخ الثانى.

سرعان ما وصل الأشقاء إلى القصر الثانى، حيث عثروا على سهم الأخ الأوسط عند عتبته. فدلفوا إلى داخل القصر. ووجدوا مائدة عليها أطايب الطعام والشراب على نحو أفضل من سابقتها. فأكلوا وشربوا وخلدوا مستلقين للراحة. وجاء دور الحراسة على الأخ الأوسط. لكنه رفض وامتنع عن الخروج. فصاح ابن قسطين:

- حسنا، سوف أخرج أنا للحراسة.

وشرح لهم الفتى ما عليهما القيام به مثل المرة السابقة، ثم أردف قائلا:

- وعليكما ألا تغفلا أو تناما، فإن رأيتما الرغاوى تخرج من القفازات والسياط فاتركاها على الفور، ولو شاهدتما الدماء تسيل فاركضا إلى الخارج مسرعين لنجدتى.

قال الفتى قوله وخرج إلى الجسر جالسا أسفله. وما إن انتصف الليل حتى جلجل صوت دوى مخيف. وظهر الثعبان ذو الستة رءوس يتهادى على فرسه فوق الجسر. وأخذ الفرس يتعثر فى مشيته، فصرخ الثعبان به:

ـ ماذا بك تتعثر فى سيرك أيها الكلب الذميم؟.

ـ وكيف لى ألا أتعثر وأنا أرى ابن قسطين أسفل الجسر؟.

ـ إنه لا يصلح سوى لرعى الخنازير فى الخلاء. ولو واتته الجرأة ليظهر أمامى فسوف تحمل الغربان عظامه من هنا.

هتف ابن قسطين قائلا:

ـ لا تتفاخر بنفسك أيها الوحش الأحمق، فقد دنت ساعة هلاكك.

والتحم الاثنان فى صراع شديد. واحتدم القتال بينهما طويلا. وصارت الرغاوى البيضاء تخرج من القفازات والسياط. لكن الشقيقين كانا يغطان فى النوم، ولم ينتبها إلى ما يجرى. وفى نهاية الأمر نجح ابن قسطين فى صرع الثعبان. وانتزع ألسنته من رءوسه ودسها فى جيب قميصه. ثم ذهب إلى شقيقيه وأيقظهما من نومهما قائلا:

ـ أبهذه الطريقة تقومان بحراستى؟.

خرج الأشقاء يتجولون بعض الوقت. ثم انطلقوا يبحثون عن سهم ابن قسطين.

ساروا طويلا حتى وصلوا إلى القصر الثالث، حيث عثروا على سهم الأخ الأكبر وقد هدم نصف القصر. فدخلوا إليه حيث أكلوا وارتاحوا قليلا. وهتف الفتى قائلا:

ـ والآن أرجو ألا يغالبكما النوم مرة أخرى. وعندما تشاهدان الدماء تسيل من على القفازات عليكما الركض نحوى لنجدتى على الفور.

خرج ابن قسطين بعد ذلك إلى الجسر وجلس أسفله ينتظر. وعندما انتصف الليل، صدر صوت فرقعة مدوية. وظهر الثعبان ذو الاثنى عشر رأسا. ومضى يسير على فرسه فوق الجسر. وفجأة أخذ الفرس يتعثر فى مشيته، فصاح به الثعبان مزمجرا:

- سر مستقيما أيها الكلب ولا تتعثر.

- وكيف لى ألا أتعثر وأنا أشعر بابن قسطين كامنا أسفل الجسر؟.

- إنه لا يجرؤ على القدوم إلى هنا، وإلا ذاق الهلاك والموت الأكيد.

قفز ابن قسطين من أسفل الجسر حتى صار فى مواجهة الثعبان وصاح:

- الهلاك سوف يصبح من نصيبك أيها المتفاخر.

التحم الاثنان فى صراع مميت. وأخذ كل منهما يهاجم الآخر فى ضراوة شديدة. فصارت الرغاوى البيضاء تتدفق من القفازات. ثم بدأت الدماء تسيل من على السياط. وارتفع صوت صراخ الثعبان وهو يضرب الفتى. فصحا الشقيقان من نومهما، وتركا القفازات والسياط. واندفعا يمتطيان الجياد مسرعين لنجدة الأخ. وأمسكت القفازات برءوس الثعبان وقبضت عليها. وانهالت السياط على جسمه تمزقه تمزيقا. واستطاع ابن قسطين أن يصرعه فى نهاية الأمر. وأحرق الأشقاء جسم الوحش ونثروا رماده لتذره الرياح حتى لم يبق منه شيء يذكر.

بعد ذلك هبط الأشقاء إلى المملكة السفلية تحت الأرض. وعثروا على الشمس والقمر والنجوم وقوس قزح المسروقين، فأطلقوها فى السماء مرة أخرى، ثم امتطوا جيادهم وانطلقوا عائدين إلى الديار. وعندما قطعوا نصف الطريق توقف ابن قسطين قائلا: "لقد نسيت القفازات والسياط، وينبغى على العودة لإحضارها.." وقفل عائدا كالسهم إلى وكر الأفاعى بالقصر. فقد كان يدرك أن الأفعى زوجة الثعابين وبناتها ما زلن على قيد الحياة. وتعلل بإحضار القفازات والسياط للعودة. وعندما وصل إلى مكان الحيات تحول إلى هرة جميلة. ومضى يلهو أسفل النافذة ويموء. فشاهدته بنات الحية الصغار وصاحوا بأمهم:

- ما أجمل هذه الهرة هناك، فلنأخذها إلينا يا أمى.

- تريثوا يا بناتى، فربما تكون هذه الهرة عدونا اللدود. فهيا نلقى إليها بقطعة من الخبز المغموس بالعسل، ومعها قطعة أخرى مغموسة بسمنا. فإذا أكلت القطعة المسمومة تكون صديقة لا ضير منها. أما لو التهمت الأخرى فهى عدونا.

ألقوا إلى الهرة بالقطعتين. فركضت فى لمح البصر نحو قطعة الخبز المسمومة. وصارت تدحرجها أمامها ثم التهمتها. عندئذ هتفت الأفعى الأم:

- هذا يعنى أنها صديقة لنا.

وأخذوا الهرة إلى داخل الوكر.

وفى المساء جلست الأفعى تتحدث مع بناتها الثلاث حول الطريقة التى يمكنهن بها قتل أبناء قسطين والانتقام منهم. فقالت لأكبرهن:

- عليك أن تسبقيهم فى الطريق، وتتنكرى فى هيئة فراش وثير. وعندما يستلقون للنوم تعصرين أجسادهم عصرا.

وتوجهت إلى الوسطى وقالت: "أما أنت فتحولى إلى زلعة مملوءة بالماء البارد، وعندما يشربون من مائك يموتون بالسم فى الحال". وصاحت الأم فى أصغرهن قائلة: "أما أنت فتحولى إلى شجرة تفاح مثمرة، وما إن يأكلوا ثمارك حتى يموتوا من سمها الزعاف".

سمع ابن قسطين ما قالته الأفعى. فتحول ثانية إلى هيئته الإنسانية، ثم حمل القفازات والسياط معه، وانطلق يلحق بشقيقيه حتى أدركهما.

سار ثلاثتهم فى الطريق حتى شاهدوا أمامهم فراشا وثيرا من المخمل الناعم على العشب. ففرح الشقيقان برؤيته، واندفعا نحوه للاستلقاء فوقه. لكن ابن قسطين حال بينهما وبينه. وأخذ يعمل فيه تقطيعا بسيفه. فتدفق الدم الغزير يسيل منه. ومضى الإخوة يواصلون السير حتى رأوا زلعة من الفخار يتلألأ بداخلها الماء الصافى. وكان العطش قد ألهب حلوقهم. ولم يرشفوا قطرة ماء منذ أيام. فاندفع الشقيقان فى لهفة إلى الزلعة ليشربوا منها. لكن ابن قسطين حال بينهما وبينها مرة أخرى. وضربها بسيفه فحطمها. وخرجت من جوف الزلعة الدماء تسيل بدلا من الماء. وانطلقوا من جديد فى الطريق وقد تملك الإنهاك منهم. وفجأة، ظهرت أمامهم شجرة تفاح مثمرة. وعلى أغصانها تتدلى الثمار اليانعة. وعندما تأهب الشقيقان لقطف الثمار، منعهما ابن قسطين ثانية. وضرب الشجرة بسيفه حتى قطع جذعها، واندفعت الدماء منها تتدفق على الأرض.

عرفت الأفعى الأم بهلاك بناتها الحيات. فانطلقت مسرعة فى أثر الأشقاء. وطارت كالسهم تلاحقهم وهى فاغرة فاها حتى ارتفع أحد شدقيها إلى السماء، ووصل الآخر إلى باطن الأرض. وانحنى الأخ الأصغر فوق الأرض يتصنت بأذنيه، ثم هتف قائلا:

- يا للمصيبة أيها الإخوة، إن الأفعى العجوز تلاحقنا، وسوف تدركنا فى القريب العاجل وتقوم بابتلاعنا جميعا.

- إذن، هيا بنا نسرع بالهرب حتى لا تلحق بنا.

مضى الأشقاء ينهبون الطريق على أفراسهم وهم يسابقون الريح. لكن الأفعى كانت تندفع من خلفهم كالنار فى الهشيم، حتى أوشكت على اللحاق بهم. وشاهد الأشقاء فى الطريق دكانا للحدادة. فدلفوا إليه وأغلقوا بابه عليهم. ووصلت الأفعى إلى المكان فصاحت بفحيح مخيف:

- هاه، أتظنون أنكم تستطيعون الاختباء منى؟ سوف أقوم الآن بابتلاعكم مع دكان الحدادة بأكمله.

لكن الحدادين قالوا:

- شقى طريقك عبر الباب أيتها الأفعى، وسوف نقدمهم لك بعد أن نشويهم.

كان الحدادون قد طرقوا كلابة ضخمة من الحديد أمسكوا بها مختبئين خلف الباب. وعندما زحفت الأفعى بلسانها أطبقوا عليها الكلابة وربطوها إلى المحراث. وساروا بها يحرثون أرض الوادى حتى وصلوا إلى البحر. وصارت الأفعى تسألهم:

- هل كان لديك أب؟.

- نعم، كان لدى أب.

- وهل كان يعمل لديه أجراء لحرث الأرض؟.

- نعم.

- ألم يكن يمنحهم وقتا للراحة؟.

. نعم، كان يمنحهم.

. امنحنى إذن وقتا للراحة كى أشرب بعض الماء.

وصلت الحية إلى البحر. وهناك ظلت تعب من مائه وتشرب منه حتى انفجرت أحشاؤها وماتت.

* * *

القيثارة العجيبة

كان ياما كان ساحر يملك مطحنة للغلال. وكان لديه فتى طحان يساعده فى تعبئة الطحين ونقله. ومضى الطحان يجتهد ويعمل مع الرجل لثلاث سنوات. وبعدها قال له:

ـ أيها المعلم، أرجو أن تمنحنى بعض المال للطريق كى أسافر إلى قريتى.

أجاب المعلم قائلا:

ـ ليس لدى مال أعطيه لك، لكنى سوف أمنحك قيثارة عجيبة، ما إن تعزف عليها حتى ترى منها ما يدهشك.

أخذ الطحان القيثارة من الساحر وذهب إلى طريقه. ومضى يقطع الغابة حتى صادفه أثناء سيره بعض اللصوص، فاستوقفوه قائلين:

ـ إلى أين تذهب أيها الطحان؟.

رد الفتى: "إلى البيت".

ـ أعطنا ما معك من مال وإلا فسوف نقتلك شر قتلة.

ـ ليس لدى من المال شىء أعطيه لكم. لكنى أحمل معى قيثارة عجيبة، لو قمت بالعزف عليها لرأيتم ما يدهشكم.

ـ إذن، اعزف لنا عليها.

بدأ الطحان فى العزف على القيثارة. وصار اللصوص يرقصون على أنغامها ولا يتوقفون عن الرقص. وظلوا طويلا على هذا الحال لا يستطيعون التوقف، ثم صاحوا:

ـ كفى، نرجوك أن تتوقف أيها الفتى عن العزف حتى لا تتكسر أقدامنا. وسوف نعطيك جوالا مملوءا بالذهب.

توقف الفتى عن العزف. وأحضر اللصوص له جوالا مملوءا بالذهب. فأخذه الفتى ومضى يسير به نحو بيته. بعد ذلك جلس اللصوص يتحدثون فيما بينهم:

- يا لحماقتنا وبلادتنا. أخذنا في الرقص حتى كدنا نموت من الإنهاك والتعب. ولم نكتف بذلك، بل أعطينا الفتى جوال الذهب.

اختار اللصوص واحدا من بينهم ليبحث عن الفتى ويلحق به. وذهب اللص إلى قاضي القضاة وشكا له قائلا:

- لقد سرق مني الفتى الطحان جوالا مملوءا بالذهب.

فكر القاضي في الأمر لبرهة قصيرة. وأمر حراسه بالبحث عن الطحان وإحضاره. فتفرق الحراس في شتى الأنحاء حتى عثروا على الفتى وقبضوا عليه، ثم ذهبوا به إلى القاضي الذي سأله:

- هل سرقت جوالا مملوءا بالذهب؟.

رد الطحان:

- لا لم أسرقه، بل اللصوص منحوني إياه.

أجاب القاضي:

- هذا ليس معقولا. إن اللصوص لا يمنحون الذهب لأحد، بل يسرقونه. وبما أنك كاذب فسوف تشنق على الفور.

بدؤوا في نصب المشنقة لإعدام الطحان. وتجمع الناس ليشاهدوا شنقه. عندئذ صاح الفتى راجيا:

- أيها القوم الطيبون، أرجو أن تسمحوا لي بالعزف على قيثارتي لآخر مرة في العمر.

فهتف اللص قائلا:

- إياكم أن تسمحوا له بالعزف على هذه القيثارة.

لكن القاضي صرح قائلا:

- لا أيها الرجل، ينبغى تلبية رغبته الأخيرة قبل الموت.

وما إن شرع الطحان فى العزف حتى أخذ الجميع فى الرقص بحرارة وحماس، وحتى القطط والكلاب هى الأخرى صارت ترقص وتدور على الأرض. وظل الطحان فى عزفه بلا توقف، حتى اعترف اللص فى نهاية الأمر بالحقيقة. وصرح بأنه قد منح الطحان جوال الذهب.

حينئذ أطلقوا سراح الطحان. وقاموا بشنق اللص بدلا منه.



دهن الأرنب

فى يوم من الأيام جلس السيد فى عربته يقودها الحوذى إيفان وهما يسيران فى طريق بعيد. وظل السيد جالسا فى صمت لا يتكلم حتى أصابه الضجر. وفكر السيد بالحديث مع الحوذى. وفى هذه اللحظة ركض أرنب أمام العربة، فشرع السيد فى الحديث عن الأرانب قائلا:

ـ فى الغابة التى أقيم فيها ترعى الكثير من الأرانب البرية. لكنها ممتلئة الجسم، كبيرة الحجم، ولا تقارن بهذا الأرنب النحيل. وقد أحضرتها من خارج البلاد حتى توالدت بكثرة ووفرة. وفى أحد الأيام خرجت للصيد برفقة عشرة عداءين. ومضى العداءون يدفعون بالأرانب نحوى وأنا أصوب الطلقات نحوهم.. بوم بوم. واستطعت قتل ثلاثين أرنبا منها. وكان من بينها أرنب سمين ضخم الحجم مثل الخروف. وما إن قمت بسلخ فروته حتى رأيت قدرا هائلا من الدهن يكتنزه أسفل جلده، ولا يقل سمكه عن عشرين سنتيمترا. وهذه هى الأرانب التى أمتلكها.

جلس الحوذى يصغى لحديث السيد، ثم قال:

ـ نعم، لقد اقتربنا من الجسر، وأخشى أن يتهاوى تحت وطأة الأوهام والأكاذيب.

سمع السيد ما قاله الحوذى وصاح:

ـ على أية حال يا إيفان، فإن الأرانب بالطبع تختلف من مكان لآخر. وللحق فإن أرنبى لم يكن يكتنز من الدهن سوى عشرة سنتيمترات فقط.

أجاب إيفان:

ـ الأرنب هو الأرنب أيها السيد.

وسارا يواصلان طريقهما حتى سأل السيد الحوذى:

- ألم نقترب بعد من الجسر الذى كنت تتحدث عنه؟.

- نعم، سوف نصل إليه قريبا.

أردف السيد قائلا:

- أتعرف يا إيفان، للأمانة والحق لم يكن أرنبى يكتنز عشرة سنيمترات من الدهن، بل خمسة أو أربعة سنيمترات فقط لا غير.

رد إيفان:

- إن الأمر سيان لى أيها السيد.

وسارا لبعض الوقت فى الطريق، والسيد لا يجلس هادئا فى مجلسه، حتى صرح من جديد يقول:

- ألم نقترب بعد من هذا الجسر يا إيفان؟.

- لقد أوشكنا على بلوغه، وبمجرد أن نعبر هذا المستنقع نكون قد وصلنا إليه.

عندئذ قال السيد:

- أتعرف يا إيفان، للحق لم يكن هناك أى دهن على هذا الأرنب. وأنت تعرف جيدا أن الأرانب لا تكنز الدهن تحت جلدها أبدا.

أجاب إيفان: نعم أعرف أن الأرنب هو الأرنب.

وبعد أن عبرا المستنقع صاح السيد:

- أين الجسر الذى حدثتنى عنه؟.

رد إيفان:

- لقد ذاب هو الآخر وتبخر بدوره مثل دهن أرنبك الذى حكيت عنه.

❋ ❋ ❋

سباق الفرس والثور

فى أحد الأيام احتدم النزاع والخلاف بين الثور والفرس حول سرعة كل منهما فى الركض والعدو. فكان الفرس يصرح بأنه أسرع من الثور. لكن الثور رد قائلا:

- يمكننى العدو أسرع منك، لكنى أخشى أن تنهار الأرض تحت حوافرى من فرط قوتى الهائلة.

على الرغم مما قاله الثور، فإنهما ركضا يتسابقان فى الطريق.

ركض الثور بكل قوته حتى وصل إلى قناة عريضة فوقع فيها. وجلس فى الماء يفكر قائلا: "لقد انهارت الأرض من تحت أقدامى كما توقعت".

ومنذ ذلك الحين لم يعد الثور إلى الركض ثانية إلا عندما يضربه أحد بالعصا على جسمه.



حذاء الهر

جلس الهر حزينا مهموما عندما اقترب حلول الشتاء ولم يكن لديه حذاء ينتعله. فقرر الذهاب إلى المدينة كى يشترى حذاءً لنفسه ولزوجته الهرة. وسار فى طريقه لبعض الوقت حتى قابله الثعلب الذى سأله:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الهر؟.

رد الهر:

- إنى ذاهب إلى المدينة لشراء حذاء لى ولزوجتى الهرة. فقد صار الشتاء على الأبواب، ولم يعد مناسبا السير على الأرض حافيا.

فقال الثعلب:

- إنى أعرف ذئبا إسكافيا ماهرا فى صنع الأحذية. هيا نعرج إليه لتشترى منه ما تريد من الأحذية.

سار الثعلب فى الغابة يتقدم الهر الذى أخذ يتبعه. وقاده الثعلب إلى جحره والهر الغر يسير خلفه، ولا يدرك شيئا عن الجحور التى تعيش بها الثعالب، ذلك لأنه من سكان القرى ولم تطأ قدماه الغابة من قبل. وعندما وصلا إلى داخل الجحر صاح الثعلب قائلا:

- هيا أعطنى ما معك من المال وإلا صار الهلاك مصيرك.

رد الهر:

- ارحمنى أيها الثعلب الكريم، ودعنى أخرج حيا من هنا. وفى المقابل سوف أشترى الأحذية لك ولزوجتك ولأبنائك أيضا.

اتفق الاثنان على ما قاله الهر. وخرجا معا إلى المدينة لشراء الأحذية.

وعندما أصبح الهر والثعلب على مشارف المدينة قال الثعلب بنبرة خوف:

- إنى أخشى السير فى شوارع المدينة.

- لا تخف، فسوف أقودك إلى شارع آمن.

وسار الهر حتى وصل إلى شارع ضيق وترك الثعلب واقفا فيه. ومضى بعد ذلك إلى دكان الإسكافى ليعاين الأحذية. وسرعان ما شاهد الناس الثعلب واقفا فى الشارع. فتجمعوا حوله وحاصروه. ثم قطعوا ذيله وأوسعوه ركلا وضربا.

استطاع الثعلب أن يفر بالكاد من الحشد ناجيا بحياته. وعاد إلى بيته لا يفكر فى الأحذية، بل صار يفكر فقط فى الانتقام من الهر.

عاد الهر إلى الشارع الذى ترك فيه الثعلب، فلم ير سوى جمهرة من الناس فى مكانه.

فدخل الهر دكان الإسكافى. واشترى حذاءً لنفسه وآخر لزوجته. ثم نادى على صديقه الهر الضخم بريسكا، كى يرافقه إلى المنزل حتى لا يتعرض له الثعلب.

أما الثعلب فقد خرج إلى الطريق مع زوجته وابنيه فى انتظار ظهور الهر، وذلك كى يقتله جزاءً له على ما لحق به من ضرب وقطع لذيله. ونظر الهر فشاهد الثعلب متربصا له فصاح مناديا رفيقه بريسكا:

- ها هو مع أسرته يتربصون لى.

رد بريسكا فى شجاعة:

- لا تخش شيئا. وراقبنى وأنا ألقى التحية عليه.

اقترب الطرفان أكثر فأكثر حتى صارا فى مواجهة بعضهما البعض. فانقض بريسكا على الثعلب منشبا مخالبه فى جسمه حتى مزقه. وعندما حاول الابن الأكبر للثعلب حماية أبيه صرعه بريسكا هو الآخر على الفور. وعندئذ فرت بقية الثعالب من المكان.

تأهب بريسكا للعودة إلى بيته بعد انتهاء مهمته. لكن الهر دعاه إلى العشاء عرفانا بصنيعه.

ومنذ ذلك الحين عاش الهر حرا بلا خوف. وأصبحت الثعالب تتجنبه عندما تراه فى الغابة يتجول مع بريسكا. ولم يعترض طريقه بعد ذلك أحد من الثعالب اللصة مرة أخرى.



سمكة القرموط وسمكة الكراكى

ذات مرة أمسكت سمكة الكراكى الشرسة بسمكة القرموط وحشرتها فى زاوية. وأصبحت سمكة القرموط بلا حول ولا قوة وبلا مهرب. وأدركت أن نهايتها قد اقتربت، فصاحت قائلة:

. يا سمكة الكراكى العزيزة! أريد أن أطرح عليك سؤالا قبل التهامى، هل قمت بالاعتراف؟.

. لا.

. إذا، انتظرى حتى تعترفين أمام الكاهن، ثم يمكنك التهامى بعد ذلك.

سألتها سمكة الكراكى:

. وأين يمكنك اصطحابى لأقدم اعترافى؟.

. توجد كنيسة صغيرة بالقرب من هنا يمكننا الذهاب إليها.

استمعت سمكة الكراكى لسمكة القرموط، وسار الاثنتان معا نحو الكنيسة. وساقتها سمكة القرموط إلى سلة شبكية من سلال الصيد وقالت لها:

. هيا اتبعينى.

دخل الاثنتان إلى السلة. ولم يعد بوسع سمكة الكراكى العودة إلى الخلف، أما بالنسبة لسمكة القرموط الصغيرة فقد كان لها سبعة عشر بابا مفتوحا فى تلك السلة. واستطاعت الهروب منها بسرعة. وأخذت تركض حول السلة وهى تصيح:

. عليك بالهدوء والبقاء فى مكانك أيتها المؤمنة، حتى يأتى إليك الصياد الكاهن ليسمع اعترافك!.

* * *

الذبابة والبعوضة

كانت الذبابة تطير فى الأجواء وتنظر هنا وهناك. ورأت بعوضة جالسة فى الظل بين الأحراش. فنادت الذبابة عليها قائلة:

. طيرى معى أيتها البعوضة ورافقينى كى نلهو معا.

أجابتها البعوضة:

. إنك تستمتعين بحرارة الشمس الساطعة، بينما لا أقدر على تحمل حرارتها وأخشاها.

. ما دام الأمر هكذا فسوف أطير وحدى. وداعا أيتها البعوضة.

ردت البعوضة:

. طريق السلامة أيتها الذبابة.

وعندما هبطت الشمس نحو المغيب، حلقت البعوضة فى الأجواء وهى تطن بأغنية مرددة:

"فلأبحث عن فرس أو إنسان يسير.

كى أعضه وأتناول الطعام الوفير".

ونظرت البعوضة حولها فشاهدت الذبابة واقفة على غصن والنعاس يغالبها. فصاحت البعوضة منادية عليها:

. مرحبا أيتها الذبابة! لماذا تجلسين هكذا فى سكون؟.

. لقد حان موعد نومى كما ترين.

- هيا نطير معا ونتسامر لبعض الوقت.

- لا يمكننى ذلك، فقد أصبح الهواء باردا ولا أتحمله مثلك.

- إذن، وداعا. يبدو أن الذباب لا يمكنه أن يصاحب البعوض أبدا.

- نعم، تصبحين على خير.

طارت البعوضة بمفردها. وحكت الذبابة أرجلها الخلفية بعضها بعضا، ثم راحت فى نوم عميق.

* * *

حكايات شعبية من بيلاروسيا(*)

(*) بيلاروسيا- هي دولة روسيا البيضاء وعاصمتها "مينسك"، يبلغ عدد سكانها حوالى عشرة ملايين نسمة، تحدها روسيا من الشمال وأوكرانيا من الجنوب وبولندا إلى الغرب - المترجم.

الفتى صاحب قبعة القش
ذات الحواشى الزرقاء

كان ياما كان ملك لديه ابنة وحيدة. وفى أحد الأيام فكر الملك أن الوقت قد حان ليزوج ابنته. فهتف مناديا على الجميع وقال:

ـ سوف أزوج ابنتى وأمنح نصف مملكتى لمن يقدر على الاختباء منى فى أى بقعة من بقاع الأرض، حتى لا يمكننى العثور عليه بأى حال من الأحوال.

كان هذا الملك من السحرة الجبابرة.

مر يوم والتالى ولم يتقدم أحد ليلبى نداء الملك.

وفى اليوم الثالث جاء إلى القصر فتى جميل الطلعة يدعى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء. وقال الفتى للملك:

ـ سوف أختبئ منك أيها الملك ولن تعثر على.

رد الملك قائلا:

ـ حسنا، اذهب للاختباء ولك ثلاث مرات للمحاولة، ولو نجحت فى ذلك فسوف أمنحك ابنتى ونصف مملكتى، أما لو أخفقت فسوف تطير رأسك من على كتفيك.

خرج الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء مسرعا من بلاط الملك. وانطلق على فرسه من بوابة القصر، وسيفه يتأرجح حول خصره. ومضى يسابق الريح فوق الصخور البيضاء. ويقطع الحقول والبرارى مثل الأرنب الرمادى، حتى وصل إلى ما وراء البلاد والممالك، ثم تحول إلى زهرة فى قلب الأحراش البعيدة.

فى اليوم التالى صحا الملك من نومه مبكرا، ثم اغتسل بالماء وجلس يقرأ التعاويذ فى كتاب السحر وصاح:

ـ أيها الأتباع المخلصون الأوفياء، هيا ارحلوا سريعا إلى ما وراء البلاد والممالك. واخرجوا إلى الأحراش، واقطفوا لى كل الأزهار والورود النامية فيها، ثم أحضروها إلى هنا.

أحضر الأتباع كل الزهور إلى الملك. وانتقى الملك منهم زهرة بعينها، ثم نفخ فيها فتحولت إلى الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء.

ـ ما قولك أيها الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء؟ لقد فشلت فى الاختباء منى للمرة الأولى.

فى اليوم التالى خرج الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء مسرعا من بلاط الملك. وانطلق على فرسه من بوابة القصر، وسيفه يتأرجح حول خصره. ومضى يسابق الريح فوق الصخور البيضاء. ويقطع الحقول والبرارى مثل الأرنب الرمادى، حتى وصل إلى ما وراء البلاد والممالك، ثم تحول إلى سمكة فى قلب البركة البعيدة. وغطس فى الماء حتى وصل إلى قاع البركة.

أما الملك فأحضر كتاب السحر وجلس يقرأ فيه قائلا:

ـ أيها الأتباع المخلصون الأوفياء، هيا ارحلوا سريعا إلى ما وراء البلاد والممالك. واذهبوا إلى بركة الماء، ثم ارموا بالشباك حتى تصيدوا السمكة الراقدة فى القاع. وأحضروها إلى هنا.

أحضر الأتباع السمكة إلى الملك. فنفخ فيها حتى تحولت إلى الفتى مرة ثانية. عندئذ هتف الملك:

ـ لقد أخفقت فى الاختباء منى أيها الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء للمرة الثانية. ولم يعد أمامك سوى فرصة أخيرة. وإن لم تنجح فيها فسوف أطيح برأسك فى الحال.

فى المرة الثالثة خرج الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء مسرعا من بلاط الملك. وانطلق على فرسه من بوابة القصر، وسيفه يتأرجح حول خصره. ومضى يسابق الريح فوق الصخور البيضاء. ويقطع الحقول والبرارى مثل الأرنب الرمادى، حتى

وصل إلى ما وراء البلاد والممالك. وذهب إلى آخر مملكة هناك. وتوقف عند شجرة بلوط باسقة، جذورها ضاربة فى أعماق الأرض، وفروعها تناطح السحاب فى السماء. وتسلق الفتى شجرة البلوط. وتحول إلى إبرة صغير. ورشق نفسه أسفل لحائها.

بعد مرور وقت قليل حط طائر الرخ فوق شجرة البلوط وهتف سائلا:

- من هذا الإنسان الذى يختبئ هنا؟.

- أنا الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء.

- وما الذى جاء بك إلى هنا؟.

- لقد تقدمت للزواج من ابنة الملك. لكن الملك لن يعطى ابنته إلا لمن ينجح فى الاختباء منه. وقد فشلت فى المرتين السابقتين، ولو عثر على فى المرة الثالثة، فسوف يأمر بقتلى فى الحال.

قال طائر الرخ:

- سوف أساعدك أيها الفتى.

حول الطائر الإبرة إلى ريشة صغيرة دسها أسفل جناحه. وطار محلقا إلى الملك الساحر. وعندما خلد الملك إلى النوم، غرس الطائر الريشة فى بطن الملك.

استيقظ الملك فى الصباح. وجلس إلى كتاب السحر يقرأ فيه وقال:

- أيها الأتباع المخلصون الأوفياء، هيا ارحلوا سريعا إلى ما وراء البلاد والممالك. واذهبوا إلى أعلى شجرة من أشجار البلوط، ثم أحرقوا الشجرة من جذورها حتى فروعها. وابحثوا بين الرماد المحترق حتى تعثروا على إبرة صغيرة. وأحضروها إلى هنا.

فعل الأتباع كل ما أمرهم به الملك. غير أنهم لم ينجحوا فى العثور على الإبرة.

وعندما عرف الملك بذلك الأمر خرج إلى شرفة قصره مناديا:

- اظهر وبان أيها الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء.

أجابت الريشة الصغيرة من بطن الملك:

- لا، لن أظهر لك حتى تقيم الاحتفالات والزينة، وتضع تاج الزواج فوق رأس ابنتك، وعندئذ فقط سوف أظهر لك.

أسقط فى يد الملك الساحر، فأقام الاحتفالات، وأجلس ابنته فى عربة الخيول المزينة، ثم صاح مناديا:

- هيا اظهر. فقد فعلت كل ما طلبته.

وفجأة، طارت فى الهواء الريشة الصغيرة، وسرعان ما تحولت إلى الفتى المليح.

وهنا بدأت مراسم الزفاف، وأصبح الفتى صاحب قبعة القش ذات الحواشى الزرقاء يعيش مع زوجته الصغيرة فى رغد وهناء، ويحكم نصف المملكة.

* * *

عندما خدع الكاهن الفلاح مرة
وخدعه الفلاح مرتين

كان ياما كان فلاح فقير يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان لديه زوجة لم يرزقه الله بأبناء منها. وعاشا معا حتى ذلك الوقت الذى لم يعد لديهما فيه ما يقتاتان به. فقال الزوج:

- أخ يا زوجتى، لم يعد لدينا شىء سوى البقرة الأخيرة، وسوف أخرج بها إلى السوق لبيعها وشراء الخبز.

خرج الرجل بالبقرة إلى المدينة لبيعها، وأثناء سيره صادف كاهنا قادما من إحدى خانات المدينة. فألقى الفلاح التحية عليه:

- مرحبا أيها الكاهن!.

- مرحبا أيها العم! إلى أين أنت ذاهب بهذه العنزة؟.

- هذه بقرة وليست عنزة!.

- لا إنها عنزة وسوف يؤكد الشماس على كلامى.

قال الشماس مؤكدا:

- نعم إنها عنزة.

غضب الرجل ونصحه الكاهن قائلا:

- أيها الأخ الفلاح، بعنى هذه العنزة، وها هى ثلاثة روبلات(*) ثمنا لها!.

(*) الروبل- هو العملة الروسية المتداولة فى تلك البلاد- المترجم.

أسقط فى يد الرجل، فباع بقرته إلى الكاهن مقابل ثلاثة روبلات. وعاد إلى البيت وقال لزوجته:

. يا لك من امرأة حمقاء، لقد أعطيتنى عنزة أذهب بها إلى السوق بدلا من البقرة.

انقضت الزوجة عليه تصرخ فى غضب:

. ماذا بك؟ هل فقدت عقلك؟ إن العنزات جميعها فى البيت، والبقرة ليست هنا.

. أخ! إذا ما العمل أيتها المرأة؟ لقد بعت البقرة إلى الكاهن. ولكنى سوف أتدبر الأمر لاحقا بطريقة أو بأخرى.

حل يوم الأحد مرة أخرى. وخرج الفلاح إلى المدينة وهو يعلم أن الكاهن سوف يعرج بالحتم إلى الخان مع رجال الدين كى يتناولوا طعام الغداء. فاتفق مع صاحب الخان قائلا له:

. سوف أتناول مشروبا وبعض الطعام مقابل عشرة كوبيكات(*)، وعليك القول بأنى أكلت مقابل مئة روبل.

جلس الشمامسة مع الكاهن حول الطاولة المجاورة يتحدثون فيما بينهم:

. يا له من فلاح غريب ذلك الرجل، كيف يمكنه تناول طعام الغداء مقابل مئة روبل بينما نحن- الأربعة- لن ننفق أكثر من عشرة روبلات مهما أكلنا؟.

وأخذوا يختلسون النظرات ليرون الطريقة التى يدفع بها الفلاح مئة روبل. أما الفلاح فأخرج طاقية كبيرة يبلغ طولها مترا. وضرب الطاقية بقبضته قائلا لصاحب الخان:

. حسنا أيها الأخ، ها أنا قد دفعت مقابل الطعام.

. حسنا، وأنا قبلت.

نظر الكاهن مع رفيقيه من رجال الدين واعترتهم الدهشة.

(*) الكوبك- هو أصغر وحدة فى عملة الروبل الروسية، والتى تنقسم إلى مئة كوبك- المترجم.

وفى المرة التالية أخرج الفلاح طاقيته أيضا وضربها بقبضته مقابل الطعام قائلا:

- لينعم الله عليك بالصحة أيها الأخ!.

وفى المرة الثالثة عندما ضرب الطاقية بيده صاح به صاحب الخان:

- أحسنت أيها الفلاح، فأنت تستطيع الدفع دائما.

قال الكاهن لرفيقيه:

- ما رأيكما أيها الأخوة الشمامسة أن نشترى من الفلاح تلك الطاقية، فسوف تنفعنا فى كل رحلة نسافرها، ويصبح لدينا طعام مجانى فى الخانات. فليضع كل منكما خمسة وعشرين روبلا، وأنا سوف أضع خمسين روبلا ليصبح المجموع مئة روبل ونشترى بها الطاقية من الفلاح.

سار الفلاح إلى البيت، وأدركه الكاهن مع رفيقيه وصاح به:

- اسمع أيها الفلاح، أريدك أن تبيعنا تلك الطاقية كى تسعفنا أثناء السفر. فكم تريد ثمنا لها؟ نحن نقبل أن ندفع إليك خمسين روبلا من الفضة.

- لا أيها العم، فلا يمكننى التخلى عن ميراث أبى ومنحه إلى الغرباء. كما أنى أستعين بها عندما أتجول فى المدينة لتناول الطعام والشراب.

- اسمع أيها الفلاح، سوف أعطيك مئة روبل من الفضة.

- لا أيها العم، لو أردتم شراءها فادفعوا لى مئة وخمسين روبلا.

قال الكاهن لرفيقيه:

- ما رأيكما؟ إنى أرى أن نشتريها منه قبل أن يعرض عليه أحد آخر ثمنا أكثر مما يطلبه الآن.

فى نهاية الأمر اشتروا الطاقية مقابل مئة وخمسين روبلا. وذهب الفلاح إلى البيت وقال لزوجته:

- ما رأيك يا ربة الدار؟ لقد أمطرتنى سبابا ببيع البقرة مقابل ثلاثة روبلات، والآن بعت طاقيتى مقابل مئة وخمسين روبلا.

مضى الفلاح مع زوجته فى شراء ما يحتاجه بيته وهو سعيد، أما الكاهن فظل ينتظر حلول العيد كى يسافر إلى المدينة ويتناول الطعام بلا مقابل. وعندما حل الموعد سافر رجال الدين مع زوجاتهم وعماتهم وأطفالهم إلى المدينة بصحبة الكاهن. وطلبوا من صاحب المطعم قائلين:

- نريد طعاما وشرابا مقابل مائتى روبل.

فرح صاحب المطعم، ومضى يحضر إليهم مختلف الأطعمة والمشروبات التى تساوى مئتى روبل. وعندما انتهوا من تناول الطعام قال الرجل:

- حسنا أيها الكاهن، فلتدفع حساب الطعام!.

نهض الكاهن من خلف الطاولة وصاح:

- الآن سوف ندفع لك أيها السيد!.

أسرع الشماس قادما من الفناء حاملا الطاقية إلى الكاهن. فضربها الكاهن براحة يده وهو يصيح:

- ها هو حسابك أيها السيد صاحب المطعم!.

- ما هذا أيها الكاهن؟ هيا أعطنى مالا!.

أعطى الكاهن الطاقية إلى الشماس كى يضربها بدوره. فأخذ الشماس يضربها بقبضته ويضربها. لكن صاحب المطعم ظل يطالب بالحساب كما فى السابق. فاجتمع جميع الشمامسة يضربون الطاقية معا وصاحب المطعم مازال مصرا على طلبه:

- هيا ادفعوا لى النقود!.

أسقط فى يد الكاهن والشمامسة، فأخذوا يجمعون ما معهم من نقود واقترضوا مالا من معارفهم، ودفعوا إلى صاحب المطعم.

وعاش الفلاح عامين كاملين بما حصل عليه من نقود مقابل الطاقية، ثم قال لزوجته:

- أريدك أيتها المرأة أن ترقدى فوق الأريكة دون أن تحركى ساكنا كما لو أنك تحتضرين، وسوف أذهب إلى الكاهن وأطلب منه أن يسمع اعترافك، وأخبره أنك تحتضرين.

ذهب الفلاح إلى الكاهن الذى سأله:

- ما الذى أتى بك؟.

- أرجو أن تتعطف أيها الكاهن وتسمع اعتراف زوجتى التى تحتضر.

ذهب الكاهن مع الفلاح ودخل إلى بيته، فرأى المرأة راقدة بلا حراك كما لو أنها ميتة. وقال الفلاح:

- أريدك أن تباركنى أيها الكاهن! فلدى هراوة قديمة قدم الزمن، وسوف أضرب بها زوجتى ثلاث مرات، وبعدها سوف تبعث إلى الحياة.

- حسنا، بما أن هذه الهراوة تعود إلى أجداد أجداد أجدادنا، فسوف أباركك!.

خرج الكاهن إلى مدخل البيت والخوف يتملكه. أما الفلاح فضرب الأريكة بالهراوة ثلاث مرات. وعندئذ تحركت الزوجة ونهضت من رقدتها. فتملكت الدهشة الكاهن عندما رأى الزوجة وقد بعثت إلى الحياة، وشاهدها جالسة فوق الأريكة تؤرجح ساقيها. وحمل الفلاح إليها زلعة مملوءة بالماء البارد، وعندما شربت منها قامت متعافية تماما.

مضى الكاهن يمدح الفلاح، وعاد إلى بيته. وفى نفس اليوم جمع رفاقه من رجال الدين، وحكى لهم عن المرأة التى بعثها زوجها إلى الحياة، ثم قال:

- يا ليتنا نستطيع شراء هذه الهراوة، حيث إننا نذهب دائما إلى الجنازات، ويمكننا بعث الموتى بتلك الهراوة. فهيا نجمع المال ونشتريها من الفلاح.

- نحن موافقون، فلتذهب إليه أيها الكاهن لتساومه.

- لا، فلنذهب إليه معا.

ذهب الجميع إلى الفلاح وقالوا له:

- هل تبيعنا أيها الفلاح تلك الهراوة التى تبعث الناس إلى الحياة؟.

- أبيعها.

- وكم تريد ثمنا لها؟.

ـ فلتعطونى خمسمئة روبل أيها الإخوة.

مضى رجال الدين يتشاورون فيما بينهم. وقال الكاهن:

ـ سوف أدفع بمفردى مئتين وخمسين روبلا، وأنتم ثلاثتكم تدفعون بقية الثمن.

أعطوا النقود إلى الفلاح، وأخذوا الهراوة مقابلها. وما إن مضوا فى طريقهم إلى البيت حتى صادفهم أحد الأثرياء من التجار. وقال التاجر:

ـ أيها الكاهن، لقد ماتت زوجتى اليوم، وأريدك أن تتفضل للصلاة على جثمانها قبل الدفن.

ـ حسنا أيها السيد التاجر، سوف نذهب إليك.

سرعان ما استعد الكاهن ورجال الدين، وأخذوا معهم الهراوة. وعندما وصلوا إلى بيت التاجر كان جثمان زوجته مسجى فوق الطاولة. وقال الكاهن للشماس:

ـ هيا بنا نبعثها إلى الحياة! أيها الشماس أسرع بإحضار الهراوة!.

تملكت الدهشة من التاجر عندما شاهد الشماس يحمل الهراوة. وقام الكاهن مع رفاقه الشمامسة بضرب زوجة التاجر الميتة ثلاث مرات بالهراوة، دون أن تبعث إلى الحياة. وقام أقارب التاجر بإبلاغه عن إهانة المرأة الميتة وضربها. فقام التاجر بتقديم شكوى إلى الإدارة العليا حول ضرب الكاهن ورفاقه للميتة. وقامت الإدارة بتقديمهم إلى المحاكمة كى ينالوا عقابهم.



الشيطان والدب والأرنب

كان ياما كان عجوز يعيش مع زوجته العجوزة. وكان لديهم ثلاثة من الأبناء. وكانوا يعيشون فى فقر وعوز. وعندما حل وقت الموت للعجوز وشعر أنه يحتضر، قام بتقسيم ما يملكه بين أبنائه: فأعطى الابن الأكبر مطحنة يدوية من الحجر، والأوسط بوقا للرعاة، والأصغر كرة الألياف مع العصا الخاصة بها(*)

مات الأب العجوز، فأخذ الابن الأكبر مطحنته وخرج هائما على وجهه. وظل يسير حتى شاهد فجأة بيتا خشبيا على الطريق. فتسلل إلى سطح المنزل، ووضع مطحنته فوق المدخنة، وجلس منتظرا. وفى الليل دخل البيت بعض اللصوص. وجلسوا حول الطاولة يحصون الأموال التى سرقوها. وعندما شاهدهم الفتى أخذ يدير المطحنة فتصدر جعجعة هادرة من فوق السقف، ثم يلقى بالأحجار فى المدخنة. وتملك الخوف اللصوص، ففروا هاربين من البيت، تاركين نقودهم فوق الطاولة. وعندئذ هبط الفتى من فوق السقف وجمع كل النقود، وعاد إلى البيت ليعيش فى يسر كبير. ولم يعط شقيقيه شيئا من ماله ولا حتى كسرة خبز.

اضطر الشقيق الأوسط أن يحمل بوقه ويخرج إلى بلاد الله خلق الله. وظل يسير ويسير حتى شاهد فجأة بيتا من بيوت الحراسة عند طرف الغابة. وكان بداخل ذلك البيت دب حبيس. فجلس الفتى بالقرب من الباب وأخذ ينفخ فى البوق وينفخ حتى هاج الدب وأخذ يزأر بصوت عالٍ يزلزل أركان البيت من شدة زئيره.

فى ذلك الوقت مر بالقرب رجل يقود ترويكا(**)، فتوقف سائلا:

(*) لعبة شعبية روسية قديمة يلهو بها الصغار من خلال ضرب الكرة بالعصى المجوفة كى تطير بعيدًا- المترجم.

(**) الترويكا هى عربة الخيول التى تجرها ثلاثة جياد - المترجم.

- ما الذى تفعله هنا؟.

- أحرس الوحش.

- أرنى ذلك الوحش!.

ما إن فتح الفتى الباب ونفخ فى البوق حتى هجم الدب على الرجل ومزقه تمزيقًا. وجلس الفتى فى الترويكا وفر هاربا بها. وهكذا، استولى الفتى على الترويكا بما فيها فأصبح أغنى من شقيقه الأكبر. ولم يمنح شيئا يطعم به شقيقه الأصغر.

جلس الشقيق الأصغر حائرا. فحمل كرته، وخرج إلى الطريق حزينا إلى الغابة المظلمة. وظل يسير حتى وصل إلى المستنقع الكبير. فجلس هناك بين أغصان الغابة، وأخذ يدحرج الكرة. وعندما شاهده الشيطان خرج من قلب المستنقع سائلا:

- ما الذى تريد أن تفعله؟.

- سوف أقيم كنيسة هنا.

ارتعد الشيطان وخاف، وركض هاربا إلى أخيه الأكبر وقال له:

- هناك إنسان ما يريد بناء كنيسة فى مستنقعنا. فما العمل؟.

أمره الشقيق الأكبر قائلا:

- اذهب وأخبره أن يأخذ ما يحلو له بشرط ألا يبنى كنيسة هنا!.

ذهب الشيطان ونقل إلى الفتى ما قيل له، فرد عليه الفتى:

- ضع لى ذهبا ملء هذه الحفرة الكبيرة التى حفرتها.

وضع له الشيطانان الذهب فى الحفرة، لكنهما لم يكونا راضيين أن يأخذ ذلك الذهب. فاقترب منه الشيطان الذى يدعى "الرهيب"، وقال له:

- هيا بنا نتصارع. ومن يفز على الآخر يحصل على ذلك الذهب.

رد الفتى عليه:

- هناك أسفل شجرة الصنوبر يرقد عمى العجوز، فاذهب إليه وصارعه أولا، ثم نتصارع معا بعد ذلك!.

ذهب الشيطان إلى شجرة الصنوبر حيث كان الدب راقدا أسفلها. فقال له:

- هيا نتصارع معا!.

هجم الدب عليه، وأخذ يلطمه ويضربه بحوافره، واستطاع الشيطان الإفلات منه بالكاد وفر يجرجر أقدامه.

وذهب ثانية إلى شقيقه الأكبر يشكو إليه من قوة ذلك الإنسان الذى آلمه بشدة. وعندئذ بعث الشقيق الأكبر بشيطان آخر يدعى "السريع". فذهب السريع إلى الفتى وقال له:

- هيا بنا نتسابق فى الركض، ومن منا يسبق الآخر يحصل على الذهب.

أجابه الفتى:

- هناك أسفل شجرة الصنوبر يجلس ابنى، فاذهب إليه وتسابق معه أولا.

ذهب الشيطان إلى شجرة الصنوبر، وشاهد الأرنب جالسا هناك، فقال له:

- هيا بنا نتسابق!.

خاف الأرنب وفر هاربا. فنادى الشيطان عليه:

- انتظر حتى نبدأ فى الركض معا!.

لم يستمع الأرنب لشيء واختفى عن الأنظار.

ذهب الشيطان ثانية إلى الشقيق الأكبر يبكى ويولول بسبب فوز الإنسان عليه فى الركض، حتى إنه يختفى عن البصر عندما يركض!.

عندئذ خرج الشيطان الثالث المدعو "الصافر". وقال للفتى:

- هيا بنا نتبارى فى الصفير! فمن منا يصفر أعلى من الآخر يحصل على الذهب.

- حسنا، هيا ابدأ بالصفير!.

بدأ الشيطان يصفر حتى اهتزت أركان الغابة من شدة الصوت، أما الفتى فقال له:

ـ والآن ضع عصابة فوق عينيك أيها الأخ، لأنى عندما أصفر فسوف يخرجان من محجريهما إلى جبهتك!.

ربط الشيطان منديلا حول عينيه. وبدأ الفتى فى الصفير عبر عصا لعبة الكرة بعد أن ألصق طرفها بأذن الشيطان. فكاد الشيطان أن يقع على الأرض من فرط الألم. وقال له الفتى:

ـ دعنى أصفر لك مرة أخرى!.

ـ لا أرجوك أيها الأخ، لا تصفر ثانية، فقد خرجت عيناى بالفعل من شدة الصوت ويمكنك أن تأخذ الذهب لنفسك!.

وهنا أخذ الفتى الذهب وعاش أغنى من شقيقيه فى يسر ورغد.

اشتريت أنا عنزة من أحد الرجال، وهنا انتهت حكايتنا فى جميع الأحوال.

* * *

لماذا تخشى الذئاب الأجراس؟

عمل الثعلب خادما لدى سيد الوحوش. وكان مخلصا فى عمله للغاية. وللحق، فليس معلوما لدينا الطريقة التى كان يخدم بها، فربما قدم الدجاج إليه فى الغداء، أو قدم شيئا آخر شهى المذاق.

ذات يوم قال السيد للثعلب:

ـ اطلب منى ما شئت مقابل خدمتك لى. وأى شىء تطلبه مجاب لك.

فكر الثعلب وفكر فيما يطلبه من سيده حتى صاح وقال:

ـ أعطنى أجراسك كى أحملها وأسير بها، فيخشانى الجميع مثلما يخشون السيد المهيب.

وافق السيد، وأعطاه الأجراس وقال:

ـ انتبه حتى لا تفقدها! ولو أضعتها أو أعطيتها لأحد آخر، فسوف أسلخ فروتك من فوق جسمك!.

وعد الثعلب السيد بألا يمنح الأجراس لأحد أو يضيعها. وخرج يتجول فى بلاد الله خلق الله.

وكلما سمع أحد صوت الأجراس تجلجل، كان الخوف يتملك الجميع، فيمنحون الثعلب كل ما يطلب أو يأمر به.

شاهد الذئب الأجراس التى حصل عليها الثعلب من سيده، ورأى الجميع يخشونه، ويحصل على كل ما يرغب أو يتمنى.

فذهب إلى الثعلب وطلب منه أن يعطيه الأجراس لساعة واحدة. رفض الثعلب فى أول الأمر، لكنه رضخ لطلب الذئب بعد إلحاحه وقال له:

. حسنا، حسنا، ولكن عليك الانتباه ألا تفقدها، وإلا فسوف تدفع الثمن غاليا. فالسيد سوف يسلخ فراءك وفرائى عن جسمينا مقابل تلك الأجراس!.

أخذ الذئب الأجراس، وركض يسعى للحصول على شيء يطلبه. فذهب إلى حقل واسع، وقال لرعاة الأغنام:

. لقد أرسلنى سيد الوحوش إليكم كى تعطونى أفضل الأغنام لديكم، وإن لم تنفذوا أمره، فسوف يأتى إلى هنا بنفسه ويرسلكم إلى العالم الآخر!.

لم يصدق الرعاة كلماته، وأخذوا فى ضربه. وأطلقوا عليه الكلاب، ومضوا يكيلون له الضربات، ونزعوا الأجراس منه. وهكذا، ضاعت الأجراس.

انهمر الذئب فى البكاء، وذهب إلى الثعلب وحكى له ما جرى معه.

انهمر الثعلب فى البكاء بدوره، وأسقط فى يده بعد أن فقد أجراس السيد.

ومنذ ذلك الحين، صار الذئب كلما سمع صوت الأجراس يظن أن السيد يسير باحثا عنه، فيكاد قلبه أن ينخلع من فرط الرعب، ويفر هاربا فلا يراه الناظر.



الرجل والشيطان

كان ياما كان رجل يعيش فى هذا الزمن. كان الرجل مجدا فى عمله يعمل بالبلطة والأخشاب. وذلك يعنى أنه كان نجارا. وها هو قد قام ببناء بيت لأحد السادة. فاقترب منه رجل آخر وقال له:

- أيها الأخ! احضر إلى عندما تنتهى من عملك هنا.

كانت المسافة إلى قرية الرجل الآخر تبلغ من خمسة إلى ستة فراسخ تقريبا(*) . وعندما انتهى النجار من عمله وقبض أجره، انطلق فى الطريق إلى القرية الأخرى.

قطع الرجل حوالى ثلاثة فراسخ، وصادفه الشيطان فى الطريق فقال له:

- مرحبا أيها الرجل!.

- مرحبا أيها الغريب.

اعترت الدهشة الشيطان وقال:

- كيف تطلق علىّ اسم الغريب؟ فإن كنت غريبا عنك دعنا نتعرف على بعضنا البعض!.

سأله الرجل:

- وكيف يمكننا التعرف على بعضنا البعض؟.

- بطريقة بسيطة، وهى أن نغنى معا أغنية.

وافق الرجل قائلا:

(*) الفرسخ - مقياس قديم يساوى خمسة كيلو مترات تقريبًا - المترجم .

ـ حسنا، هيا نغنى.

بدأ الرجل فى ترديد أغنية، وأخذ الشيطان يحاول ترديدها معه، لكنه كان ينشز بصوته. فقال الرجل للشيطان:

ـ استمع لما أقوله لك، مهما غنينا معا فعلىّ اللحاق بالسيد فى القرية الأخرى. ومن الأفضل أن يغنى كل منا بمفرده، ويحمل الآخر فوق ظهره ويسير به حتى ينتهى من أغنيته!.

فكر الشيطان وفكر، ثم قال:

ـ فأغنِ أنا أولا، وتحملنى أنت فوق ظهرك!.

انحنى الرجل، وتسلق الشيطان راكبا ظهره، وما إن بدأ فى الغناء حتى أنهى أغنيته. فسأله الشيطان:

ـ هل هذه هى أغنيتك كلها؟.

ـ نعم كلها!

ـ إذا، فدورى قد حان للركوب على ظهرك!.

ركب الرجل فوق ظهر الشيطان وشرع فى الغناء: "أو، أه، إى، أه يا ليل يا عين يا ليل يا عين..."

وطال غناؤه وطال حتى سأله الشيطان وهو يلهث من التعب:

ـ هل هذه هى أغنيتك كلها؟.

رد الرجل باستغراب:

ـ بالطبع لا، فأنا لم أبدأ فى غناء المقطع الرئيسى بعد!.

تملك الخوف من الشيطان فألقى بالرجل من فوق ظهره، وفر هاربا لا يلوى على شىء.

أما الرجل فركض خلف الشيطان يصيح مناديا:

ـ أمسكوا به، أمسكوا به!.

لكن الرجل لم يلحق به؛ لأن الشيطان اختبأ خلف السحب، ومضى الرجل مواصلا طريقه بمفرده.

* * *

الذئب والخنزيرة

كان ياما كان رجل يمتلك خنزيرة. وعندما حل وقت الظهيرة لم تخرج الخنزيرة من الفناء، بل انتظرت حتى حلول المساء ثم فرت هاربة.

خرجت الخنزيرة هائمة على وجهها تسير حرة طليقة وهى تفكر فى الطريقة التى تطعم بها نفسها. قَبَعَت(*) الخنزيرة وجرجرت نيلها لأسفل، لكنها لم تجد شيئا تأكله فى الأرض، فمدت رقبتها إلى حقل الشوفان المجاور. وأخذت تسير فيه وتقتلع الشوفان من جذوره، وتبتلع الحبوب والبذور بنهم، ولا تترك سوى القش من حوله. وكان فى حقل الشعير ذئب يجلس متربصا منذ فترة. أنزلت الخنزيرة حاجبيها لأسفل، واقتربت من الذئب أكثر فأكثر. فنهض الذئب من بين عيدان الشوفان وقال:

ـ مرحبا أيتها الخنزيرة العشار يا فطساء الأنف! لماذا تسيرين هنا وتهيمين بين الشوفان وتبتلعين بذوره وتقومين بإزعاجى؟ إن الذئاب تعيش هنا، وتعيش الرمادية منها هنا أيضا كى تفترس الخراف الضالة، وهنا سوف تكون نهايتك أيتها الخنزيرة!.

ـ أخ! أرجوك لا تلتهمنى أيها الذئب وارحمنى من هذا المصير! وسوف أسوق إليك قطيعا من صغار الخنازير!.

ـ لا أيتها الخنزيرة، فحتى لو رفعت حاجبيك عاليا فلن تثنينى بوعدك هذا عن التهامك!.

قبض الذئب على الخنزيرة من ظهرها، وجلس بين الأغصان والتهمها. كما التهم جميع الخنازير الصغيرة التى كانت تحملها فى بطنها.



(*) القَبْعْ - هو صوت الخنزير الذى يرده من منخريه إلى حلقه - المترجم.

حكايات شعبية من مولدوفا

ابن الصياد فيت فروموس فى مملكة الأفاعى

يحكى أن زوجا عاش مع زوجته فى زمن من الأزمنة. وذاع صيت الرجل باعتباره صيادا عظيما لم يسبق له مثيل. ولكن فى أحد الأيام حلت بالصياد محنة قاسية، وذلك عندما خرج إلى الصيد وأحاط به قطيع من الذئاب. وعلى الرغم من نجاحه فى قتل البعض منه، فإن أعدادا كبيرة من الذئاب هجمت عليه، وقاموا بتمزيقه إلى أشلاء فى الغابة الموحشة. ولم يتركوا منه سوى عظام مبعثرة بعيدة عن بيته. وظلت الزوجة تنتظر زوجها الصياد طويلا دون أن تصلها أية أخبار منه. وطال انتظارها حتى غرقت فى بحر من الدموع وتملك الحزن منها. وظلت الزوجة تتجرع أحزانها وشوقها إلى زوجها، ومما زاد عليها الهم اقتراب موعد وضعها لوليدها المنتظر.

مضى الوقت حتى حانت ساعة ميلاد الطفل. وبزغ فى بيتها ضوء نجمة جديدة. وأنجبت المرأة ولدا. وهكذا، وجدت المرأة البائسة بعض العزاء فى وليدها، فأغدقت عليه مشاعر الحب والحنان. وأطلقت عليه اسم فيت فروموس.

مر زمن طال أم قصر، وأصبح فيت فروموس فتى يافعا جميل الطلعة. وذات يوم سأل أمه:

ـ أخبرينى يا أمى، ما العمل الذى كان يزاوله والدى كى أجد مستقرا لروحى وأعمل مثله؟.

تنهدت الأم وقالت بحزن:

ـ أخ. يا ولدى العزيز، لا يجوز أن تمارس مهنته، فهى مهنة محفوفة بالمخاطر. فلتمارس مهنة أفضل من كل المهن التى يمارسها الناس حولك.

استمع فيت فروموس لنصيحة أمه. لكنه لم ينسجم طويلا مع تلك الفكرة. وسرعان ما أخذ يلح على أمه أن تخبره حقيقة عمل والده. ولم يبق أمام الأم سوى أن تحكى له عن كل شيء. وقالت له:

. لقد احترف والدك مهنة الصيد يا ولدى العزيز. ولكن عليك ألا تعمل مثله، إذ إننى تجرعت الحزن والهم مقابل تلك المهنة.

ومثله مثل جميع الفتيان، لم يأخذ الفتى كلمات أمه مأخذ الجد. وبعد أن عرف مهنة والده، قرر على الفور أن يصبح صيادا مثله. فصنع قوسا ونبالا لنفسه. وفى اليوم التالى خرج فى الصباح الباكر للصيد فى الوادى الكبير.

وأثناء سيره للصيد وصل إلى أطراف الغابة، وقطع الأحراش الكثيفة والحقول المترامية حتى وصل إلى غابة غير مألوفة. فقد كانت الأشجار الفضية تحمل أوراقا من اللآلئ. وفى منتصف الغابة شاهد روضة لا يرى الناظر مثيلا لها فى روعتها وجمالها، حيث تكسوها الأزهار من كل لون وصنف من الورود وأزهار الخشخاش والفاونيا(*). وفى منتصف الروضة كان هناك بحيرة شطآنها من المرمر الأبيض، ومياهها رائقة مثل الدموع، حتى يمكن للناظر أن يحصى الصخور الراقدة فوق قاعها.

أشرقت الشمس ساطعة. وسكنت الريح تماما. وكانت مياه البحيرة دافئة. خفق قلب الفتى من الفرح والسعادة عندما شاهد كل تلك الروعة. فمضى يسير ببطء حول البحيرة يمتع ناظريه بما حوله. وعندما استعد للعودة سمع فجأة صوتا يتردد: "فرر! فرر!" وحط ثلاثة من الطيور عند شاطئ البحيرة. فاختبأ فيت فروموس واستعد بسهمه كى يطلقه. وفى تلك اللحظة خفقت الطيور بأجنحتها، وتحولت فى لمح البصر إلى ثلاث من الفتيات الحسان، ذات وجوه ناعمة ملساء، وشعور ذهبية اللون، وقفزن على الفور إلى مياه البحيرة وغطسن فيها. وأخذت الفتيات تسبحن فى رشاقة، لا يملك الناظر نحوهن سوى أن يصدر آهات الإعجاب. أما الفتى الخبيث فتسلل بحذر من مخبئه بين الأغصان، وعثر على أجنحة الفتيات، فوضعها داخل ملابسه. وعاد أدراجه وسار فى طريق البيت.

(*) الفاونيا – باللاتينية (paeonia)، وهى نوع من الأزهار التى تنمو فى أحراش الغابات – المترجم.

خرجت الجنيات من الماء، ولم تعثرن على أجنحتهن. وأخذن يبحثن بين الأغصان والأعشاب دون جدوى. وشاهدت أقواهن فى حدة البصر أثرا للفتى فوق العشب. فسرن معا يتبعن الأثر فوق الأرض كى يدركن الفتى. وأسرعن الخطى خلفه، وهن يقطعن الجبال والسهول. لكن الفتى كان يسير بخطوات واسعة. وعندما قطعن نصف الطريق، شاهدن فيت فروموس يلوح فى الأفق البعيد. فبدأت أكبر الجنيات عمرا تردد مغنية بصوت رقيق:

يا ورقة الريحان المنقوشة بالنور،

خفف الخطى أيها الفتى المغرور،

توقف وتلفت حولك لما يدور،

وانظر أيها الفتى لما يجرى من أمور..

أبطأ الفتى خطواته، وتلفت خلفه كى يرى الذين يتبعونه. وما إن رنا ببصره حتى "فرر! فرر!" وطار زوج من الأجنحة فى لمحة البصر من داخل ملابسه، والتصق بإحدى الجنيات التى تحولت على الفور إلى طائر، سرعان ما حلق بخفة فى أعالى السماء. وأدرك فيت فروموس الأثر السحرى للأغنية، فنكس رأسه، وشد قميصه إلى جسمه. وقرر ألا يلتفت ثانية، ومضى مواصلا طريقه. وسار لفترة قصيرة، ثم بدأت الجنية الأخرى فى ترديد أغنيتها:

يا ورقة عباد الشمس الذهبية،

يا صاحب الطلعة البهية،

أيها الفتى الذى أتى إلى غابتنا،

وأقلقت مضاجعنا ورقدتنا،

أشدو لك بهذه الأغنية،

وأقدمها إليك منى هدية،

فلا تتعجل الخطى فى سيرك،

وتوقف برهة فى دربك،

حتى تزدهر الورود والأزهار،

ويكبر الحب مع كل نهار،

فلا تتركنى أعانى الحنين،

والشوق يموج فى قلبى الحزين...

ومضت الجنية تغنى على نحو من العذوبة، حتى:

تردد حفيف أوراق الشجر فى الغابة،

وتلألأت مياه العيون والينابيع،

وأبطأت الشمس من دورانها،

وأشعلت الألماس فى قلب الأزهار.

لم يتلفت فيت فروموس خلفه، فاستمرت الجنية فى الغناء:

يا ورقة الريحان المنقوشة بالنور،

أخبرينى ماذا أفعل مع الفتى المغرور؟

أتسح دموعى كلها هباءً؟

وليس لشوقى فى القلب داء؟.

مست الأغنية أوتار قلب فيت فروموس، وسحرت لبه، حتى صار يحرك قدميه بالكاد.

وليس من العبث القول بأن قدر الشجرة منح الثمار، وقدر الأغنية أن تشعل قلوب الناس.

أدار رأسه إلى الخلف، فطار على الفور زوج آخر من الأجنحة "فرر" من داخل ملابسه. وفى لمح البصر كانت الجنية قد تحولت إلى طائر يحلق بعيدا فى السماء الزرقاء.

وقف فيت فروموس وقد اتسعت عيناه، وفاض قلبه بالحزن والغضب اللذين لم تتسع لهما روحه. وقرر الفتى ألا يترك الزوج الثالث من الأجنحة يفلت منه أبدا مهما كان الثمن.

وأسرع مرة أخرى مواصلا طريقه وهو يذرف الدمع الغزير يروى به العشب النامى حوله. وبعد أن قطع أرض الوادى، بدأت الجنية الثالثة وهى ملكة الجنيات فى الغناء بصوتها الذى أبهر كل ما حولها، فأخذ العشب يتمايل من فرط النشوة، والأغصان تهتز وتتراقص من الطرب حتى تساقطت أوراقها وكست الأرض حولها. ومضت الأغنية تنساب بسلاسة ونعومة مثل الماء الذى يترقرق وينساب من فوق التلال:

يا ورقة الجوز، أيتها الورقة الخضراء،

يا من تفيض بعصير الحياة من اللحاء،

أنت الوحيدة التى تعرف الحمل الثقيل،

ومرارة قدرى والدرب الطويل.

أتوق شوقا ليس إلى البيت والزهور،

بل إلى ذلك الغريب المغرور،

القادم من أقصى الأماكن المهجورة،

كى يرتاح بين أشجار الغابة المسحورة.

ظل الفتى يسير ويسير دون أن يلتفت إلى الوراء، بينما استمرت أغنية الجنية تتردد بعاطفة تجيش أكثر فأكثر:

يئن القلب من شدة الخفقان،

فتحولى إلى الطائر الولهان،

وطيرى نحوه طيرى.

وبكل ما استطعت من قوة أدركيه،

أدركيه وقفى أمامه فى طريق التيه،

واركعى تحت قدميه.

واحملى إليه بهذه الأغنية حزنى الدفين،

واطرقى فؤاده ليتوهج فيه نار الحب والحنين...

تصدعت الجبال من قوة هذه الأغنية، وربما لم يتحمل قلب الفتى دفقاتها، فلم يتعجل خطواته، ووقف متمهلا عند أعتاب بيته، وفتح الباب بالكاد. وما إن دلف إلى داخل البيت، حتى اندفعت الجنية ملكة الجنيات من خلفه ووقفت أمامه، حسناء ممشوقة القوام تحمل شفتاها ابتسامة ساحرة. وركعت أمام الفتى ومدت يديها نحوه. كانت أجمل من الملكة نفسها، وكانت ابنة الشمس بمعنى الكلمة، يتلألأ وجهها بأشعة مشرقة تضيء حاجبين مرسومين فوق قمر مستدير يتوج رقبتها المرنة، وخصر ممشوق فى ثوب منقوش بالزهور من روضة مزدهرة.

وقع الاثنان فى عشق بعضهما البعض. واستعدا للزواج دون الدخول فى أحاديث طويلة. وعندما امتدت موائد الطعام وتوهجت أضواء الشموع، قاموا بدعوة الكثير من الناس وجميع الأقارب والمعارف، كى يشارك الجميع فرحة العروسين. وبعد أن أقاموا مأدبة بديعة، بدأ المرح واللهو يسودان المكان. فرقصت النساء مع أزواجهن، وساد الفرح وعمت البهجة جميع الفتيان والفتيات، حتى إن الأرض أخذت تتموج من تحت أقدامهم.

مضت العروس ترقص برشاقة وخفة مثل الريشة تماما، ومضت تدور مثل الإعصار حول الجميع، حتى جعلتهم فى حالة من الإعجاب والانبهار.

نظر الناس إليها فى دهشة قائلين:

ـ أوه، أوه، هذه هى الراقصة حقا!.

ردت عليهم الجنية:

ـ يمكننى الرقص أجمل مما شاهدتم بمئة مرة لو أن زوجى أعاد لى الأجنحة.

أخذ جميع الضيوف يرجون الزوج ويلحون عليه كى يعطيها الأجنحة. وقالوا له:

ـ دعها ترقص وترقص، ولو أنها فكرت فى الطيران والهروب من هنا فسوف نستطيع الإمساك بها، وليس من المعقول ألا ننجح فى الإمساك بطائر واحد!.

ظلوا يهتفون بالزوج من جميع الأنحاء. وأسقط فى يد فيت فروموس، فأخرج الأجنحة وأعطاها لعروسه. ضمت الفتاة الجناحين إلى كتفيها ويديها وفخذيها، ودارت

حول نفسها مثل ورقة شجر فى مهب الريح. وأخذت تدور وتدور بسرعة كبيرة، حتى إن العين تكاد تبصرها. ولم يطرف أحد من الحضور نظره عنها، بينما ظلت العروس تدور مثل النحلة فى منتصف المكان حتى ارتطمت بالأرض. وفى لمح البصر تحولت إلى طائر ارتفع محلقا أعلى فأعلى. أسرع الزوج بشد قوسه ووضع سهمه وأخذ يصوب ناحية الطائر.

وعندما شعر الطائر بالخطر حلق فوق رأس الزوج وتحول إلى طائر من طيور الوقواق. عندئذ ترك الفتى قوسه من يده، إذ إن العرف السائد لدى الصيادين هو الآتى: "يمكنك صيد أى طائر كان عدا الوقواق الذى لا يمكن المساس به". تملك الحزن الفتى وقبع ساكنا فى مكانه. فهبط الوقواق نحوه وطار محلقا حوله، وقال له:

- أحسنت أيها الفتى، أحسنت، لقد أشفقت علىّ عندما شاهدتنى، فاحضر إلى القصر الذهبى الذى يقع فى قلب الغابة الذهبية.

عندما انتهى الطائر من قوله، ارتفع محلقا لأعلى، وسرعان ما اختفى عن عيون الناس فى أعالى السماء الزرقاء التى ابتلعته.

خرج فيت فروموس إلى الطريق. وظل يسير ويسير طويلا طويلا، حتى وصل إلى مكان يسوده الجفاف الشديد، وبدا كما لو أن قلب الأرض يحترق من شدة الجفاف. وعند أحد الجبال شاهد كوخا وأمامه مصطبة يجلس عليها كهل ذو لحية بدت مثل كومة القش، وجسد نحيل ووجه ممتقع، ولكنه كان رجلا حكيما.

- نهارك سعيد أيها الجد.

- أهلا ومرحبا بك أيها الفتى، اجلس بجوارى فوق المصطبة كى ترتاح من عناء الطريق، وأخبرنى ما الذى أتى بك إلى هذا المكان النائى؟ وأى عشق دفعك ولمن جعلك تمضى وتقطع هذه الدروب حتى تصل إلى أرضنا الجدباء؟.

- إنى أطوف بلاد الله خلق الله أبحث عن الغابة الذهبية التى يقع فيها القصر الذهبى.

فكر العجوز وفكر، ثم رفع كتفيه قائلا:

- لقد رأيت الكثير والكثير فى أيامى، وسمعت عن أشياء عديدة. ولكنى لم أسمع أحدا تحدث عن مثل تلك الغابة قط. ولكن بما أنك جئت إلىّ، فسوف أحاول مساعدتك، وإرشادك إلى الطريق الذى تسلكه.

نهض العجوز ووقف أمام البيت، ثم أخرج نايا من طيات ملابسه، ونفخ فيه مرة واحدة. فأحنت الجبال قممها، وأخذت الوحوش والطيور والذباب وغيرها من سكان الغابة تتجمع وتأتى من كل صوب وحدب. وظلوا يتجمعون ويحتشدون حتى لم يصبح هناك موطئ قدم لأى أحد. عندئذ صاح العجوز سائلا:

ـ يا أطفالى، أنتم تطوفون أرجاء الدنيا وأطرافها، فهل شاهد أحدكم القصر الذهبى الواقع فى الغابة الذهبية؟

ردت العنزة:

ـ لقد أتيت لتوى من هناك أيها الوالد.

ـ إذا، اصطحبى معك هذا الفتى، وأرشديه إلى الطريق.

ـ عذرا أيها الوالد، إنى أرغب فى تلبية رغبتك، لكننى لن أستطيع إرشاده إلى الطريق، فقد اجتاح الجفاف تلك البقاع، وجف العشب حتى احترق، ولا يمكن العثور فيها على قطرة ماء واحدة.

غير أن أمر العجوز كان واجب النفاذ. فمضت العنزة مع الفتى فى طريقهما. وسارت معه عبر الدروب النائية، وتسلقا الصخور الجبلية إلى قمم الجبال، حتى وصلا إلى سهل منبسط أحرقه الجفاف. وهناك قالت العنزة للفتى:

ـ والآن عليك السير للأمام فقط، فلا تحد عن ذلك الطريق حتى تقع عيناك على طرف الأرض، وعندئذ سوف تجد نفسك قد وصلت إلى القصر الذهبى الذى يقع فى الغابة الذهبية.

قالت العنزة قولها وودعت الفتى، وعادت أدراجها.

مضى فيت فروموس يسير فى طريقه الذى أرشدته إليه العنزة، حتى شاهد صحراء جرداء ليس بها أى شىء حى، وإنما مجرد حدائق ذابلة، وحقول أحرقتها الشمس. وعلى البعد لاحت شعلة متوهجة من النار. فسار الفتى مقتربا منها، وشاهد بعض رعاة الأغنام يحلبون النعاج فى قشور ثمار الجوز. فقد كانت لديهم محالب، ولكنها جفت منذ زمن بعيد، فلم يعد هناك شىء يمكن حلبه فى مثل هذا الجفاف. وأخبره الرعاة بأنه منذ ذلك الحين

الذى اختطف فيه الجنى الثعبان تلك الجنية من القصر الذهبى، تبخرت مياه جميع العيون والينابيع، وجفت مياه الأنهار والبحيرات، وتحول كل ما نما وترعرع من الاخضرار إلى الذبول والاصفرار حتى جذوره. وعندما عرفوا الطريق الذى يسلكه الفتى الغريب، أعطاه الرعاة نايا وقالوا له:

ـ خذ هذا الناى أيها الفتى، فسوف ينفعك فى طريقك الطيب.

واصل فيت فروموس طريقه مرة أخرى. وظل يسير ويسير لزمن طال أم قصر، حتى وصل إلى مملكة الأفاعى. وعندما تخطى حدود المملكة، نظر حوله فى دهشة شديدة. فقد بدا له كما لو أنه يسير فى بلاد أخرى تماما. فقد كان العشب ناميا فى نضارة، والزهور تكسو المكان مثل البساط المفروش، والأشجار باسقة مترامية الأغصان. وعندما شاهد فيت فروموس هذا الجمال من حوله، أخرج الناى وأخذ فى النفخ فيه، لتنساب منه النغمات التى تتغنى بالنعيم حوله. وفى هذه اللحظة خرج من الغابة ثلاثة ذئاب وثلاثة دببة كانت تقوم على حراسة حدود مملكة الأفاعى. وتقدموا نحو فيت فروموس كى يلتهموه. فقد كانت أوامر سيدهم تقضى بذلك. ولكن لدى سماعهم عزف الفتى، نسوا كل شىء. واستمعوا إلى الناى السحرى، وأرادوا الاستماع إلى المزيد. فأحاطت الذئاب والدببة بالفتى وقالوا له:

ـ اسمع أيها الهمام، اعزف لنا المزيد، وسوف تمضى الأمور على ما يرام، وإن لم تواصل العزف، فعد أدراجك، حيث إن لدينا أوامر بافتراس وتمزيق أى كائن يعبر حدود هذه المملكة.

فما الذى أجاب به فيت فروموس؟.

ـ لقد كنت أرغب فى العزف لكم أجمل بمئة مرة، ولكن الناى قد انكسر. ولو استطعتم مساعدتى فى نزع لب شجرة البلوط ذات المئة عام، فسوف يمكننى العزف لكم من أعماق روحى.

ذهبت الذئاب والدببة للبحث عن شجرة البلوط العملاقة، حتى عثروا عليها وأحضروها إلى الفتى. وهوى الفتى على شجرة البلوط بسيفه، فشق بها شقا كبيرا، وقال فيت فروموس:

- أمسكوا طرفى الشق من الجانبين، كى أنظر إلى لب الشجرة.

أنشبت الذئاب والدببة مخالبها فى الشق، وأخرج فيت فروموس سيفه بسرعة، ودفع جميع الوحوش إلى داخل شجرة البلوط، حتى لم يعد بوسعهم الحركة بعد أن انحشروا بداخلها. فتركهم فيت فروموس جميعا كما لو أنهم فى شرك، وذهب مواصلا طريقه. وظل يسير ويسير حتى وصل إلى حدود المملكة الأخرى. ولم يكد يقطع ثلاث خطوات حتى خرج فى مواجهته عبد أسود يحمل سيفا بتارا. وانقض عليه العبد بسيفه فقطع قدمى فيت فروموس، ثم ضربه ناحية خصره فقطع يديه. وبعد ذلك شهر سيفه ناحية رقبته كى يقطع رأسه، لكنه لم ينجح فى ذلك، ووقع فيت فروموس بالقرب من عين ماء، فلملم شتات نفسه وزحف نحوها لشرب الماء. وعندما انحنى برأسه خرج إليه ثعبان الماء. فاستجمع الفتى قواه وقبض على رأس الثعبان بأسنانه، وأخذ يعضها أقوى فأقوى حتى بدأ الثعبان فى التوسل إليه:

- اتركنى أيها الفتى المقدام، اتركنى!.

- لا، لن أتركك.

- أتركنى وسوف ألبى لك كل ما تطلب.

- إذا، فلتجعل يدىّ تنموان مرة أخرى كما كانت من قبل.

- سمعا وطاعة.

وفى لمح البصر نمت يدا فيت فروموس، وعادت كما كانت سابقا.

ومرة أخرى بدأ الثعبان فى التوسل والرجاء:

- اتركنى أيها الفتى، فإنى أكاد أموت من شدة الألم!.

- لن أتركك حتى تنمو لدى قدمان كما كانت من قبل.

- سمعا وطاعة وسوف تتحقق رغبتك!.

وسرعان ما ظهرت أقدام فيت فروموس مرة أخرى.

شد الفتى عضلاته، وارتكز بقدميه فوق الأرض، ومضى يطبق بأسنانه على رأس الثعبان أقوى من ذى قبل.

ـ ما الذى تريده أيها الفتى؟ ولماذا تذيقنى هذا العذاب؟.

ـ أخبرنى عن الوسيلة التى يمكننى بها هزيمة العبد الأسود.

ـ عليك ارتشاف ثلاث جرعات من مياه هذه العين التى تقبض علىّ فيها بأسنانك.

ارتشف فيت فروموس ثلاث جرعات من المياه لثلاث مرات كما أخبره الثعبان. فأصبح فى حالة من القوة والبأس حتى ارتجت الأرض تحت قدميه من حرارة أنفاسه.

ومضى الفتى فى طريقه، حتى خرج فى مواجهته العبد الأسود حاملا سيفه البتار مرة أخرى. فانقض عليه فيت فروموس ورفعه عاليا، وقذف به إلى الأرض. فوقع السيف من يد العبد الأسود. وظل العبد يغوص فى باطن الأرض من شدة الارتطام لثلاث ساعات.

مضى فيت فروموس يسير فى طريقه نحو قصر الأفاعى. وأخذ يقطع الغابات الظليلة والوديان المزهرة، ويعبر السهول الخضراء، ويسير فى الرياض التى يتردد فى جنباتها شدو الطيور وغناؤها، حتى اقترب من القصر الذى تجلى فى صورة من الروعة والجمال، تجعل الناظر لا يخفض جفنيه حتى لو أشرقت الشمس أمامه. وخرجت عند أعتاب القصر ملكة الجنيات الحسناء وقالت:

ـ حسنا، لقد فعلت ما رغبت فيه أيها الفتى فيت فروموس. ولكن، كان من الأفضل ألا تأتى إلى هنا؛ لأن الثعبان الكلب سوف يقتلك.

قال الفتى:

ـ على ما يبدو هناك بعض الضيوف المتعبين فى انتظارى بالبيت.

وعندما دخل إلى البيت سأله الثعبان الكلب:

ـ كيف تريد أن نتصارع أيها الفتى؟ بالأيدى أم بالسيف؟.

ـ الأمر سيان بالنسبة لى، فسوف أهزمك فى جميع الأحوال.

وأخذ الاثنان يتصارعان، وكلما يلقى الثعبان بالفتى على الأرض ترتج الأرض من تحتهما. وعندما حان دور فيت فروموس، رفع الثعبان بيديه وألقى به على الأرض حتى غاص بداخلها، ولم يبق سوى طرف نيله يتأرجح فوق الأرض. غير أن الثعبان نجح فى الخروج من الأرض وهتف صارخا:

- أيتها الذئاب، أيتها الدببة، هيا أسرعوا إلى هنا لنجدة سيدكم من محنته !.

قذف فيت فروموس بالثعبان مرة أخرى قذفة هائلة. فغاص الثعبان فى أعماق الأرض حتى لم يبق منه سوى جزء صغير من ذيله يتأرجح. فصرخ بصوت أعلى مناديا:

- أيها العبد الأسود، أين أنت؟ إن سيدك فى محنة شديدة !.

لم يستمع أحد إليه ولم يحضر أحد لنجدته، حيث إن العبد الأسود قد ابتلعته الأرض، وانحشرت الذئاب والدببة داخل شجرة البلوط. وفى المرة الثالثة التى قذف بها فيت فروموس الثعبان، ظل يغوص فى الأرض لثلاثة أيام، ولم يخرج من باطنها حتى يومنا هذا.

عادت المياه تتلألأ فى الينابيع الجافة، وكست الخضرة الحقول الذابلة، وعم الخير أرجاء الأرض.

أما فيت فروموس فدخل القصر. وما الذى بقى عليه فعله. أمسك بالحسناء ملكة الجنيات من يدها، وقام بتحويل كل أملاك الأفاعى إلى تفاحة ذهبية، وعاد أدراجه إلى البيت. وظل يعيش معها فى نعيم وهناء.



ماذا تغنى القنابر؟(*)

كان ياما كان رجل يعيش مع ملك لم يرزق سوى بابن واحد. وذات يوم مرض الوريث مرضا عضالا، فنادى الملك على الأطباء من أرجاء المملكة كافة، وأمرهم بعلاج ابنه الوحيد.

فحص الأطباء المريض، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم حول كيفية علاجه. لكنهم لم يستطيعوا تحديد نوعية المرض، ولا الدواء الذى يمكن أن يداويه. فغادروا جميعا القصر.

عندئذ بعث الملك برسالة إلى أرجاء الأرض كافة، يعلن فيها أن من ينجح فى علاج ابنه الأمير، فسوف يحصل على أثمن الهدايا وأغلى الأشياء فى العالم.

وذات يوم أتى إلى القصر مُنجم عجوز، وقام بفحص الأمير، ثم قال: "سوف يشفى الأمير فقط عندما يأكل لسان الطائر الذى هو ليس بطائر، والذى يصيده الإنسان الذى هو ليس بإنسان، وذلك بسلاح ليس هو بسلاح، ومصنوع من شجرة ليست هى بشجرة". قال العجوز كلمته وخرج من القصر دون أن يطلب أية هدية أو مقابل.

نادى الملك على رجال البلاط، وأخبرهم بكلمات العجوز، وطلب منهم النصح: ما هو الطائر الذى ليس بطائر؟ ومن هو الإنسان الذى ليس بإنسان؟ وما هو السلاح الذى ليس بسلاح؟ وما هى الشجرة المصنوع منها السلاح وليست بشجرة؟.

مضى رجال البلاط يفكرون فى لغز الملك كى يفكوا طلاسمه.

وبعد أن فكروا طويلا، صاحوا جميعا فى صوت واحد:

(*) القنابر جمع لطائر القُبرة - وهو طائر صغير يعيش فى المناطق الباردة ويعرف بصوته المرتفع وشدوه الجميل - المترجم.

ـ الطائر الذى ليس بطائر هو بالطبع طائر القُبر! فعلى الرغم من أنه يطير، فإنه يقضى أكثر وقته سائرا على الأرض. وعلى الرغم من أنه يغرد، فإنه يفعل ذلك فى السماء فقط وليس مثل بقية الطيور. وعندما ينتهى من غنائه يهبط بسرعة نحو الأرض مثل الصخرة التى تهوى تماما.

وبعد ذلك أردفوا قائلين:

ـ أما الإنسان الذى ليس بإنسان فهو بالطبع الراعى، الذى لا يعيش فى القرى مثل بقية الناس، وإنما يحيا فى الهضاب مثل الوحوش المفترسة. كما أنه لا يقضى وقتا مع الناس، وإنما يقضى كل وقته مع الأغنام. فهو إذا ليس بإنسان حقيقى.

وأضافوا قائلين:

ـ والشجرة التى ليست بشجرة هى شجرة الزيزفون، حيث إن لب هذه الشجرة طرى للغاية وغير مرن، ولا يمكن مقارنتها بالشجرة الحقيقية.

أما السلاح الذى ليس هو بسلاح فليس هناك صعوبة فى تخمينه! إنه القوس مع النبال. فإن القوس مصنوع بالكامل من اللحاء، والأوتار من الألياف.

استمع الملك إلى حديث حاشيته وصدق عليه. وقامت الحاشية بصنع قوس، وأمروا بإحضار الراعى. وقالوا له:

ـ خذ هذا القوس المصنوع من الألياف واذهب لتصيد لنا طائر القُبر الذى ليس بطائر. وسوف نقطع لسانه ونطعمه لابن الملك كى يبرأ من مرضه.

أخذ الراعى القوس وذهب لصيد طائر القُبر.

كان طائر القُبر يحلق مباشرة نحو الشمس ويغرد تغريدا بديعا، ثم يهوى لأسفل مثل الحجر، فلا تكاد عين الصياد تدركه من فرط سرعته مما أغاظ الصياد. وتعب الراعى من ملاحقة الطائر. وفجأة، حط الطائر أمامه فوق الأرض وسأله بصوت آدمى:

ـ لماذا تصوب سهمك ناحيتى وتريد قتلى؟ إننا أصدقاء منذ القدم. فأنت أول من جئت إلى التلال. وأنا دائما أشدو بأول أغنية لى عندما أشاهدك. فأنا صديقك ولا أتصور أن تصوب سهمك نحوى.

اعترف الراعى لطائر القُبر قائلا:

ـ لست أنا من أمر بقتلك، وإنما رجال البلاط. فقد قرروا فى المجلس الملكى ذلك الأمر. واعتبرونى الإنسان الذى ليس بإنسان، وقالوا إنك طائر ولست بطائر، ثم أعطونى سلاحا ليس بسلاح، وهو القوس المصنوع من لحاء الشجرة التى ليست بشجرة، وأوتاره مصنوعة من أليافها. وأمرونى بقتلك كى يقطعوا لسانك ويعطوه لابن الملك حتى يبرأ من مرضه.

قهقه طائر القُبر ضاحكا وقال:

ـ لقد خدعك رجال البلاط! فإنى طائر حقيقى ولست مزيفا، أخفق بجناحى فأحلق عاليا. وأفتح منقارى فأشدو بالأغانى. وأضع بيضى فتخرج منه الأفراخ مثل بقية الطيور. وعندما يحل الشتاء أقاوم العواصف الثلجية، وأظل باقيا فى أعشاشى، ولا أطير إلى الأراضى الغريبة. فأخبرنى، هل هناك الكثير مثل هذه الطيور فى العالم؟ وفكر حول نفسك، فهل أنت إنسان ليس بإنسان؟ أنت الذى تقوم على حراسة القطيع تحت الأمطار وفى الصقيع البارد، وترعى كل حمل منهم، ولا تبخل بجهدك وعرقك من أجل الناس. فأنت إنسان حقيقى بالفعل! أما شجرة الزيزفون فعليك تذكر أن سقف بيتك وأوانيك من أطباق وملاعق مصنوعة منها، فهى إذا شجرة حقيقية. كما أن قوسك وسهامك سلاح جيد. وكم من الأعداء استطاع هذا السلاح طردهم من الأراضى التى هجموا عليها! ولو كنت تود معرفة السلاح الذى ليس بسلاح، فهو الأنبوب المصنوع من شجرة الكرز، والذى يلهو به الصغار، ويقذفون الحبوب من داخله بالنفخ فيه. فشجرة الكرز هى شجرة ليست بشجرة، لأنها كلها طرية ومرنة، أما الناس الذين ليسوا بناس فهم الذين طلبوا منك أن تقتلنى. إنهم رجال البلاط الطفيليين البلهاء. فهم بالفعل الناس الذين ليسوا بناس؛ لأنهم لا يملكون رأسا فوق أكتافهم، بل كتلة من الحماقة!

أسفل قبعة رجل القصور،

عقل صغير أصابه ضمور،

وربما أنه منذ الولادة،

لم يحظ بعقل بل بالبلادة.

شدا طائر القُبر بأغنيته هذه، ثم طار محلقا إلى أعالى السماء مباشرة نحو الشمس.

وكانت جميع طيور القُبر كلما تلمح الراعى، تحلق عاليا عاليا فى بعض الأحيان، ثم تهبط مثل الصخرة إلى أسفل فى أحيان أخرى، لكنها فى جميع الأوقات تشدو مرددة:

أسفل قبعة رجل القصور،

عقل صغير أصابه الضمور،

وربما أنه منذ الولادة،

لم يحظ بعقل بل بالبلادة.

وما زالت طيور القُبر تشدو بهذه الأغنية حتى يومنا هذا.



من ينتظر سقوط حبات الكرز في فمه
لن يحصل على شيء أبدًا

كان ياما كان رجل كسلان يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان الرجل كسولا إلى درجة أنه يتدثر بالأسمال. وكان ينتظر أن تسقط حبات الكرز من تلقاء نفسها فى فمه، ثم ينتظر قدوم أحد كى يمضغها له. وعندما يصيب مثل هذا الكسل إنسانا، فإنه يجعل الفقر رفيقا له لا يفارقه. ولما وصل حال الرجل إلى حد الكفاف، ولم يجد كسرة خبز يأكلها، فكر الكسول قائلا فى نفسه: "فلأذهب إلى الساحرة الطيبة، كى تمنحنى قدرا آخر لا يجعلنى أعمل، بل يجعل حياتى أفراحا دائمة، وربما أعمل ليوم واحد وهو يوم زفافى".

حمل الكسلان زكيبته على عصاه، وخرج يبحث عن السعادة. وظل يسير ويسير ومضى يقطع الغابة، وصادف فى طريقه ذئبا نحيلا بلا شعر يغطيه. فسأله الذئب:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الإنسان الطيب؟.

- إنى ذاهب إلى الساحرة الطيبة كى تمنحنى قدرا آخر، وتخبرنى سبيل العثور على السعادة فى هذا العالم.

- إذا، بما أنك ذاهب إلى الساحرة الطيبة، فأرجو منك أن تسألها عما يمكننى فعله حتى ينمو الشعر فى جسمى، ذلك لأنى أعانى عدم وجود الشعر منذ ولادتى.

- حسنا أيها الذئب، سوف أسألها!.

مضى الكسول مواصلا طريقه، حتى شاهد شجرة عنب ذابلة مصفرة الأوراق. وسألته شجرة العنب بصوت آدمى:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الإنسان الطيب؟.

- إلى الساحرة الطيبة.

- ولماذا تذهب إليها؟.

- كى أطلب منها قدرا سعيدا، لا يجعلنى أعمل على الإطلاق، وأعيش مثلما يعيش رجال البلاط، ولا أفكر فى الغد.

- حسنا، بما أنك ذاهب إلى الساحرة الطيبة، فأرجو أن تسألها عما أفعله كى تنمو لدى أوراق يانعة جديدة.

رد الكسلان على الشجرة:

- حسنا، سوف أسألها، فلن يتعبنى هذا الأمر فى شىء.

واصل الرجل طريقه حتى وصل إلى النهر. فخرجت إليه من مياه النهر سمكة كبيرة ذات أسنان ضخمة، ولوحت مشيرة للرجل:

- اقترب منى أكثر أيها الرجل الطيب.

اقترب الكسلان من السمكة، فقالت له:

- إلى أين أنت ذاهب؟.

- إلى الساحرة الطيبة.

- ولماذا تذهب إليها؟.

- كى أطلب منها قدرا سعيدا، وأعرف الطريقة التى يمكننى العيش بها مستقبلا.

- بما أنك ذاهب إلى الساحرة الطيبة، فاسألها حول الوسيلة التى أعالج بها أسنانى، حيث إن أسنانى تنتفخ يوما بعد الآخر وتتورم.

- حسنا، سوف أسألها.

مضى الكسلان مواصلا طريقه حتى شاهد فى أحد ممرات الغابة ينبوع ماء تقف عنده حسناء فى ثياب بيضاء، وتضع تاجا من الزهور فوق رأسها.

-- من أنت أيها الإنسان الطيب؟.

- إنى مسافر فقير.

- وإلى أين أنت ذاهب؟.

- إلى الساحرة الطيبة.

- وهل سرت طويلا حتى عثرت علىّ؟.

- نعم، سرت طويلا.

- ومن صادفت فى طريقك؟.

- لقد شاهدت الذئب الأصلع.

- وماذا قال لك الذئب؟.

- عندما عرف بوجهتى، طلب منى معرفة الوسيلة التى يمكن لشعره بها أن ينمو.

- أخبره بأن عليه التهام قلب عاطل كسول، وحينئذ سوف ينمو الشعر لديه بغزارة. ومن صادفت غيره؟.

- شجرة العنب ذات الأوراق الذابلة. وقد طلبت منى معرفة الطريقة التى يمكن بها أن تنمو لها أوراق يانعة جديدة لا يصيبها الذبول بعد الآن.

- أخبرها بأن هناك زلعة مملوءة بالذهب مدفونة تحت جذورها منذ زمن بعيد، ولو أن أحدا قام بالحفر عند جذورها ورفع الزلعة من تحت الأرض، فسوف تنمو لها أوراق جديدة وتكسوها العناقيد اليانعة. وهل صادفت أحدا آخر؟.

- السمكة الكبيرة ذات الأسنان المنتفخة. وقد طلبت منى معرفة الوسيلة التى تخلصها من الألم.

- هناك أحجار كريمة مغروسة بين أسنانها، ولو أن أحدا شق أسنانها وأخرج الأحجار الكريمة من بينها، فسوف تشفى من الألم.

- سوف أخبرها.

ـ والآن، عد أدراجك.

ـ كيف يمكنني أن أعود أدراجي؟ فقد جئت إلى هنا باحثا عن السعادة.

ـ عد أدراجك وسر في نفس الطريق الذي سلكته إليّ، وسوف تجد السعادة أثناء طريقك. ولو كان لديك رأس فوق كتفيك فسوف تعيش سعيدا هانئا، وإن لم تكن لديك رأس فلا تلم إلا نفسك.

عاد الكسلان أدراجه. ومضى يسير ويسير في نفس الطريق حتى وصل إلى السمكة التي سألته:

ـ هل سألت الساحرة عن طلبي؟.

ـ نعم، لقد أخبرتني أن أسنانك مملوءة بالأحجار الكريمة، ولو أن أحدا شق أسنانك وأخرج الأحجار الكريمة من بينها، فسوف تشفى من الألم.

أخذت السمكة ترجو الكسلان متوسلة:

ـ أرجوك أيها الرجل الطيب، قدم العون لي وشق أسناني، وأخرج الأحجار الكريمة وخذها لنفسك هدية لك.

رد الكسلان:

ـ لا، سوف أواصل طريقي للعثور على السعادة، وأحصل على أضعاف هديتك دون مساعدتك.

وكما يقال: الكسل أقوى من الفقر.

مضى الرجل يسير ويسير حتى وصل إلى شجرة العنب التي لوحت له بأغصانها كي يتوقف.

ـ كيف الحال أيها الرجل الطيب، هل زرت الساحرة؟.

ـ نعم، زرتها! .

ـ وبماذا أخبرتك؟.

- لقد أخبرتنى أن هناك زلعة مملوءة بالذهب مدفونة أسفلك، وهى تعيق جذورك عن النمو، وهذا هو السبب فى ذبولك.

- بما أن الأمر على هذا النحو، فكن خيرا وأخرج الزلعة المملوءة بالذهب وخذها لنفسك. وهكذا فسوف تكون قد ساعدتنى وأثريت نفسك.

رد الكسلان بلهجة حاسمة:

- لا، ولماذا علىّ حفر الأرض وبذل الجهد والتعب؟ من الأفضل لى مواصلة طريقى حيث السعادة فى انتظارى، وسوف أحصل على ما أريد دون مساعدتك.

وسار الرجل فى طريقه، حتى صادف الذئب مرة أخرى.

- حسنا، هل شاهدت الساحرة؟.

- نعم، شاهدتها.

- وما الذى قالته لك؟ وكيف يمكن لشعرى أن ينمو؟.

- لقد أخبرتنى بأن عليك التهام قلب رجل عاطل كسول.

- وما الذى شاهدته وسمعته غير ذلك؟.

- لقد شاهدت الكثير. رأيت شجرة العنب الذابلة، حيث توجد أسفل جذورها زلعة مملوءة بالذهب تعيق نموها. وقد طلبت منى الحفر وأخذ الذهب لنفسى، ولكنى رفضت، حيث إن السعادة بانتظارى فى جميع الأحوال، وسوف أحصل على كل ما أريد.

- ومن شاهدت أيضا؟.

- شاهدت السمكة الكبيرة ذات الأسنان المنتفخة المحشوة بالأحجار الكريمة. وقد طلبت منى السمكة شق أسنانها وإخراج تلك الأحجار منها كى أخلصها من الألم. ولكنى كنت فى عجلة من أمرى، فواصلت طريقى وابتعدت عنها.

فكر الذئب وفكر فى هذا الكسلان الواقف أمامه حتى أدرك أنه ضئيل العقل، وقال للكسلان:

- لم أر فى حياتى أكسل أو أغبى منك، فأنت لم تبذل جهدا لتحفر وتحصل على زلعة الذهب، ولم تشق أسنان السمكة لتحصل على الأحجار الكريمة، على الرغم من أن تلك الثروة بوسعها أن تجعلك تعيش ثريا سعيدا بلا عمل طوال حياتك حتى الموت.

وانقض الذئب على الكسلان، والتهم لحمه مع عظامه.

ومنذ ذلك الحين يقولون إن من ينتظر سقوط حبات الكرز فى فمه لن يحصل على شىء أبدا.



الجرس السحرى

يحكى أنه فى قديم الزمان عاش فتى فقير، لم يكن لديه صديق أو قريب فى أرجاء العالم. فصعد الفتى إلى الجبال وأصبح راعيا للأغنام.

كان الشيء الوحيد الذى يمتلكه الفتى هو جرس سحرى. ولم يكن عليه سوى هز الجرس، فيجلجل وتستمع الأغنام إلى رنينه، وتسير فى الدرب الذى يشير إليه الفتى. وفى المساء كان يقوم بإخفاء الجرس داخل قطعة من خشب الأشجار. ويظل الجرس يجلجل من تلقاء نفسه، فلا تقوم الذئاب بالهجوم على الأغنام وافتراسها بعد أن تقع تحت تأثير الصوت السحرى للجرس.

ذات يوم لعلع البرق فى السماء. فقاد الراعى القطيع إلى داخل الزريبة، وقام بتعليق الجرس فوق غصن إحدى الأشجار، ورقد للنوم. وعندما استيقظ شاهد الشجرة وقد نمت وارتفعت إلى عنان السماء، وأصبح الوصول إلى الجرس مستحيلا. وصاح الفتى:

ـ انحنى أيتها الشجرة! أريد أخذ جرسى. فقد حان الوقت كى أسوق الأغنام إلى المرعى.

ردت الشجرة:

ـ لا، لا أريد.

فذهب الفتى إلى البلطة وقال لها:

ـ اذهبى أيتها البلطة واقطعى الشجرة التى لا تريد إعطائى الجرس.

قالت البلطة:

ـ لا، لن أذهب.

ذهب الفتى إلى الصدأ وقال له:

ـ أريدك أن تذهب إلى البلطة وتنخرها بصدئك، فهى لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائى الجرس.

رد الصدأ:

ـ لا أريد القيام بهذا الأمر.

غضب الراعى وذهب إلى النار وقال لها:

ـ أيتها النار، احرقى الصدأ، فهو لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائى الجرس.

ـ إنى أشعر بالكسل الشديد أيها الأخ، ولن أذهب.

ذهب الفتى إلى الماء:

ـ اذهب أيها الماء، واغمر النار التى لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائى الجرس.

رد الماء هادرا:

ـ لن أذهب.

فذهب إلى الثور وقال له:

ـ اذهب أيها الثور واشرب الماء، فهو لا يريد إطفاء النار، والنار لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائى الجرس.

خار الثور قائلا:

ـ لا لن أذهب، فقد شربت حتى ارتويت.

تملك الغضب من الفتى، وذهب إلى الذئب:

ـ اذهب أيها الذئب وافترس الثور، فهو لا يريد شرب الماء، والماء لا يريد إطفاء النار، والنار لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائى الجرس.

عوى الذئب قائلا:

- لا، لا أريد الاشتباك مع الثور.

ذهب الراعي إلى الصياد:

- أيها الصياد، اذهب واقتل الذئب، فهو لا يريد افتراس الثور، والثور لا يريد شرب الماء، والماء لا يريد إطفاء النار، والنار لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائي الجرس.

هتف الصياد قائلا:

- لا، لن أذهب اليوم إلى الصيد.

ذهب الفتى إلى الفأر:

- أيها الفأر، أيها الفأر، اذهب واقرض زنار الصياد الذي يحمل سلاحه، فالصياد لا يريد اصطياد الذئب، والذئب لا يريد افتراس الثور، والثور لا يريد شرب الماء، والماء لا يريد إطفاء النار، والنار لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائي الجرس.

صأصأ الفأر:

- لا لن أذهب، فأنا لست جائعا.

ذهب الفتى يتوسل إلى الهر:

- أرجوك أيها الهر أن تذهب وتأكل الفأر، فهو لا يريد قرض الزنار الذي يحمل سلاح الصياد، والصياد لا يريد اصطياد الذئب، والذئب لا يريد افتراس الثور، والثور لا يريد شرب الماء، والماء لا يريد إطفاء النار، والنار لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائي الجرس.

قال الهر وهو يموء:

- لا، لن أذهب إلى أي مكان، فإن معدتي مملوءة حتى آخرها بالفئران.

أسقط فى يد الراعى وفكر فيما يفعله، وذهب إلى الكلب.

ـ اذهب أيها الكلب وعض الهر بأنيابك، فهو لا يريد التهام الفأر، والفأر لا يريد قرض الزنار الذى يحمل سلاح الصياد، والصياد لا يريد اصطياد الذئب، والذئب لا يريد افتراس الثور، والثور لا يريد شرب الماء، والماء لا يريد إطفاء النار، والنار لا تريد حرق الصدأ، والصدأ لا يريد أن ينخر البلطة، والبلطة لا تريد قطع الشجرة، والشجرة لا تريد إعطائى الجرس. فقد ارتفعت الشمس عاليا، ولا بد لأغنامى أن تشرب وتأكل.

أشفق الكلب على الراعى بعد أن شاهد الفتى وقد أنهكه التعب ولا يجد مغيثا ينجده. فنهض متحفزا ونفض جسمه ونبح، وانقض يهجم على الهر! خاف الهر وأصابه الذعر، فهجم على الفأر، فأسرع الفأر نحو زنار الصياد وأخذ فى قرضه، فرفع الصياد سلاحه وصوبه نحو الذئب، فانقض الذئب على الفور يهجم على الثور، وخار الثور وأسرع يشرب الماء من النهر، فأخذت مياه النهر ترتفع وعلا خريرها وخرجت عن شاطئها حتى وصلت إلى النار، فتردد حسيسها وامتدت ألسنتها إلى الصدأ، فذهب الصدأ على الفور كى ينخر البلطة، فقفزت البلطة مسرعة وأخذت فى قطع الشجرة، وما إن شعرت الشجرة بالبلطة حتى انحنت نحو الفتى، واختطف الفتى جرسه وركض مسرعا كى يرعى أغنامه.

ومنذ ذلك الزمن اعتادت الكلاب أن تحيا فى المراعى، وأصبحت أصدقاء أوفياء للرعاة.



الجدى المخادع

كان ياما كان عجوز يعيش مع زوجته وبناته الثلاث. وكان لديه ثلاث عنزات وجدى ذو قرنين ولحية طويلة. كان العجوز يرعى قطيعه الصغير رعاية بالغة. ويسوقه إلى المرعى من الفجر إلى الفجر، ويسقيه من مياه الينابيع، ويحرسه من الذئاب الضارية.

مرت السنوات وخارت قوى العجوز. فنادى بناته وقال لهن:

- يا بناتى، لقد حان الوقت كى أرتاح، وجاء وقتكن لرعى العنزات والجدى.

قالت الابنة الكبرى:

- سوف أبدأ فى الخروج للرعى.

- اذهبى يا عزيزتى، وارعيهم على نحو جيد، واسقيهم فى الوقت المناسب.

- اطمئن يا والدى، فسوف أفعل كل ما هو مطلوب.

فى الصباح، خرجت مع العنزات والجدى إلى الغابة الفسيحة. فقامت برعيهم على أفضل وجه، وسقيهم كما ينبغى، وبعد ذلك جلست بجوار الجدى وصارت تمشط لحيته، ولو أن العجوز شاهدها لسكت لسانه من شدة الفرح.

وفى المساء عادت الفتاة مع القطيع إلى البيت. وخرج العجوز إلى الفناء يسأل الجدى:

- كيف قامت ابنتى برعايتكم؟ وكيف أطعمتكم وأسقتكم؟

رد الجدى مصدرا نبيبه:

- آخ أيها السيد، إنها لم تسقنا على الإطلاق، ولم تطعمنا شيئا على الإطلاق.

سرنا بين أشجار الغابة الناحلة

وقطفت أنا ورقة ذابلة

ووصلنا إلى بركة موحلة

وارتويت من مياه عكرة آسنة

استمع العجوز لحديث الجدى، فثار غضبه وطرد الابنة من البيت.

وفى اليوم التالى بعث بالابنة الوسطى قائلا لها:

- اذهبى بالعنزات والجدى إلى الغابة، وعليك رعايتهم جيدا، وإلا فسوف تلحقين بمصير شقيقتك.

- لا تقلق أيها الوالد وكن مطمئنا.

خرجت الفتاة المسكينة وقلبها يخفق من الخوف، ومضت تبحث عن العشب النضر المخضوضر، وعن المياه الرائقة، وذلك حتى لا يتكرر معها ما جرى مع الشقيقة الكبرى.

وساقت القطيع إلى الحقول الممتدة، وإلى أرض الغابة المنبسطة حتى يسهل عليهم أكل العشب، ثم ساقتهم إلى ينابيع النهر ليشربوا. وقامت بتمشيط وبرهم حتى أصبح نظيفا ناعما.

وعندما بدأت الشمس تميل للمغيب، ساقت الفتاة القطيع إلى البيت. وخرج العجوز إلى الفناء يسأل الجدى:

- هل أنتم راضين اليوم؟ وهل كان العشب جيدا والماء رائقا؟

رد الجدى مصدرا نبيبه:

- آخ أيها السيد، إننا لم نأكل شيئا ولم نشرب.

سرنا بين أشجار الغابة الناحلة

وقطفت أنا ورقة ذابلة

ووصلنا إلى بركة موحلة

وارتويت من مياه عكرة آسنة

تملك الغضب من العجوز وثار أكثر من المرة السابقة. واضطرت الابنة الوسطى لترك المنزل بدورها. وصرخ العجوز:

.كى تتعلمن السمع والطاعة.

وفى اليوم الثالث خرجت الابنة الصغرى مع العنزات والجدى.

وفكرت الفتاة فى احتمال أن أختيها راحتا فى النوم دون قصد، ولم تقوما برعاية القطيع كما ينبغى. ولكنها سوف تقوم بإطعامه وسقيه على أفضل صورة.

ظلت الفتاة تسير طوال النهار مع القطيع، ولم تسترح ولا للحظة واحدة.

. والآن لن يجرؤ أحد على القول بأنى لم أرعه جيدا.

لكن الأمر لم يمض كما ظنت الفتاة.

فى المساء خرج العجوز إلى الفناء يسأل الجدى:

. هل شبعتم؟ هل ارتويتم؟.

. آخ أيها السيد، لقد ساقتنا إلى الأحراش، وربطتنا إلى جذوع الشجر، وكدنا نهلك من العطش حتى غروب الشمس.

سرنا بين أشجار الغابة الناحلة

وقطفت أنا ورقة ذابلة

ووصلنا إلى بركة موحلة

وارتويت من مياه عكرة آسنة

هاج العجوز من شدة الغضب وصاح:

. آه أيتها الكسولة، أنت لم تتعظى مما جرى لأختيك، فهيا الحقى بهن.

وطرد الابنة الصغرى من البيت. ونادى على زوجته:

. استمعى لى جيدا أيتها العجوزة، وإياك والمزاح معى، واذهبى لرعاية العنزات.

ردت العجوزة:

- هاه، أتريد تعليمي وأنا العالمة! فكم مرة قمت برعى الغنمات من قبل!

ساقت العجوزة القطيع إلى حقل يكسوه العشب الكثيف والمواقع الظليلة. وظلت تتنقل معه من الصباح حتى المساء. وعند الغروب خرج العجوز إلى الفناء يسأل الجدى:

- كيف قامت الزوجة برعايتكم؟.

- على أسوأ نحو أيها السيد! لقد ساقتنا إلى المرعى، وربطتنا إلى إحدى الأشجار، ثم جلست بالقرب منا، وظلت حتى مغيب الشمس تبكى بناتها. فيا لنا من بؤساء، يا لنا من بؤساء!.

سرنا بين أشجار الغابة الناحلة

وقطفت أنا ورقة ذابلة

ووصلنا إلى بركة موحلة

وارتويت من مياه عكرة آسنة

تنهد العجوز وصاح لزوجته:

- أخ أيتها العجوزة، لم أنتظر منك هذا الفعل. اغربى عنى إلى الأبد، لا أريد رؤيتك بعد الآن. ما الفائدة منكن جميعا ما دمتن لم تستطعن رعى القطيع!.

فى الصباح خرج العجوز بنفسه مع عنزته والجدى. وفكر فى نفسه: "فلأجعلهم يشعرون بعطف سيدهم وتدليله". وأطعمهم من العشب النضر، وسقاهم بالمياه الرائقة، وقام بتمشيط وبرهم كما يفعلون مع الأطفال الصغار.

- أريدهم أن يتذكرونى بالخير، وكفى ما أصابهم من زوجتى وبناتى. ولأسأل الجدى عن مدى رضائه.

ورغب العجوز منتشيا فى سماع كلمات المديح له من الجدى ذى اللحية. فعاد بقطيعه إلى البيت، وذهب مسرعا إلى حجرته، وارتدى ثوبا نسائيا، ووضع على وجهه خمارا حتى لا يتعرفوا عليه. وخرج إلى الفناء يسأل الجدى:

- كيف حالكم مع العجوز؟ ألم يصبح الحال أفضل من السابق؟.

رد الجدى:

- وكيف يمكن أن يصبح أفضل؟ إن الحال أسوأ مما كان عليه مع زوجته وبناته. فقد ربطنا من قروننا منذ الصباح، وتركنا واقفين طوال اليوم تحت أشعة الشمس.

سرنا بين أشجار الغابة الناحلة

وقطفت أنا ورقة ذابلة

ووصلنا إلى بركة موحلة

وارتويت من مياه عكرة آسنة

اسود وجه العجوز مما سمعه وأدرك أن الجدى الملعون قد خدعه طوال الوقت. فأحضر سكينا وهجم به على الجدى يريد سلخ فروته. ولكنه ما إن أدار رأسه، حتى أفلت الجدى منه مصدرا نبيبه الأجش، وفر هاربا.

ظل الجدى يركض ويركض مذعورا حتى ارتطم بجحر للثعلب. ومن فرط الألم والرعب راح فى النوم داخل الجحر.

بعد مرور وقت قصير عاد الثعلب إلى جحره، وبعد أن اشتم رائحة الجدى، هتف سائلا:

- من ذلك الذى يجلس فى جحرى؟.

انتفض الجدى وأحنى قرنيه قائلا:

أنا الجدى المفترس الجسور،

عندما أغضب أصبح مرعبا مثل الثور،

ومهما كان العدو ذا مهارة

فدائما قرناى فى انتظاره.

خاف الثعلب وذهب إلى القنفذ وقال له:

ـ اذهب أيها القنفذ واطرد ذلك الشرير من جحرى. فقد تسلل إلى بيتى ولا أستطيع إخراجه. أما أنت فيمكنك التصرف مع ذلك الشيطان بأشواكك.

أسرع القنفذ إلى الجحر سائلا:

ـ من ذلك المرعب القابع فى الجحر؟.

أجاب الجدى من الداخل:

أنا الجدى المفترس الجسور،

عندما أغضب أصبح مرعبا مثل الثور،

ومهما كان العدو ذا مهارة

فدائما قرناى فى انتظاره.

كان القنفذ شجاعا لا يخشى أحدا. وانطلق إلى داخل الجحر وهجم على الجدى ليغرس أشواكه فى جسمه، ولم يترك موقعا فى جلده إلا وغرسها بداخله. وأراد الجدى أن ينطحه بقرنيه، لكن القنفذ استدار بخفة وظل ينخزه بأشواكه التى وصلت إلى عظامه.

أدرك الجدى أن معركته خاسرة، وأن الأمر سوف ينتهى بتمزيق لحمه، فقفز من داخل الجحر، وفر هاربا لا يلوى على شىء، وتدلى جلده الممزق من فوق جسمه حتى غطى رأسه، وعندما أصبح على حافة الهلاك قفز قفزة عالية طائرا فى الهواء، ثم وقع على الأرض، بوم!.

ولم يبق من الجدى سوى بعض الآثار هنا وهناك، وحتى آثاره المتبقية تلك فقد:

غسلتها المياه وجرفتها،

وأشعة الشمس جففتها،

وهبت الرياح من فوقها،

وكساها التراب ودفنها.

حكايات شعبية من جاجاوز(*)

(*) جاجاوز Gagauz- جمهورية ذات حكم ذاتي تقع في جنوب مولدافيا، تحدها من الشرق أوكراينا ومن الغرب رومانيا. ويبلغ عدد سكانها حوالي المليون نسمة، وهم خليط من المحليين والروس والبلغار والأوكرانين. واللغة الرسمية الأولى هي التي تنتمي إلى اللغات التيوركية، وتأتي بعدها اللغة الروسية - المترجم.

تشـيمانا ومانشـو

كان ياما كان فلاح فقير يعيش فى قرية بيش جيوز. وكان الفلاح يدعى ميترانى. ولم يكن لديه زوجة بعد أن ماتت زوجته ورحلت عن الدنيا، وتركت له ابنة تدعى تشيمانا وابنًا يدعى مانشو. وكانوا يعيشون فى فقر وعوز، ولكن فى مودة ووئام. فكان ميترانى يقوم بحرث الأرض، وتتولى تشيمانا أمور البيت ورعاية شقيقها الصغير. ولم تظل حياتهم على هذا النحو، بل تبدلت عندما تزوج ميترانى من امرأة أخرى. وكانت زوجة الأب الجديدة غنية وشريرة، فلم تحب أبناء ميترانى.

صارت المرأة الشريرة تُكره تشيمانا على الاستيقاظ مبكرًا والعمل حتى وقت متأخر من الليل. فتارة تجعلها تمسح أرض البيت وتغسل المُلاء وتعد الغداء، وتارة أخرى تطلب منها جمع الحطب وإطعام البقرة، وغيرها من الأعمال الأخرى. وأصبحت تشيمانا تترنح فى سيرها من شدة التعب، واكتست يداها بالكدمات والتسلخات والبقع الزرقاء، أما زوجة الأب فلم تعرف سوى شىء واحد تقوم به، وهو الوقوف أمام المرآه للتزين ووضع المساحيق، ثم الصراخ على تشيمانا وضربها أحيانًا.

ولم يكن مانشو يعيش أفضل من شقيقته. فما إن تطل الشمس بوجهها فى الغابة، حتى يخرج مانشو بالإوز والبط إلى البرك والمستنقعات. وكانت زوجة الأب تعطيه القليل من عصيدة الذرة وحفنة من الملح، ليكون طعامه طوال اليوم. وكان الجو فى الخريف شديد البرودة، حتى إن الثلج كان يغطى العُشب. وكانت يدا الصغير مانشو ترتجفان من شدة الزمهرير، وترتجف قدماه من البرودة. فكان الصغير يبكى بمرارة، ولا يجد أحدًا يشكو إليه. فيجلس مع شقيقته ليبكيا معًا، ويواسى كل منهما الآخر.

أحب مانشو الإوز الذى كان يخرج معه. وكان الإوز فى بعض الأحيان يلتف حول مانشو، ويغطى ساقيه بأجنحته كى يمنحهما الدفء فى ذلك البرد. وكان هذا ما أنقذه من البرودة. فاشتد حب مانشو للإوز. وكان يقتسم معهم عصيدة الذرة التى يأكل منها. أما زوجة الأب فكان حقدها يزداد يومًا بعد الآخر. فتظل منذ الصباح وحتى المساء تحيك الوشايات والنميمة حول الطفلين لزوجها، وتشكوهما له.

وذات يوم صاحت الزوجة الشريرة قائلة لميترانى:

ـ لم أعد أتحمل طفليك بعد الآن. ولا يمكننى العيش على هذا النحو بعد ذلك، وعليك الاختيار بينى وبينهما.

ـ وأين أذهب بهما؟ إنهما طفلاى من دمى ولحمى.

ـ هذا الأمر لا يعنينى. فلتأخذهما إلى الغابة وتتركهما هناك، وإن لم تفعل ذلك فسوف أرحل عنك.

أشفق ميترانى على الطفلين، ولكنه فى نهاية الأمر اضطر للموافقة على طلب زوجته.

وفى المساء قالت زوجة الأب للطفلين:

ـ عليكما اليوم النوم مبكرًا، لأنكما سوف تذهبان إلى الغابة فى الغد مع والدكما لجمع الحطب.

رقد الجميع للنوم.

وفكرت تشيمانا فى نفسها وهى راقدة: "ما الذى جعل زوجة أبينا تتحدث بلطف إلينا؟ لا بد أنها تدبر لنا أمرًا سيئًا".

نهضت الفتاة متسللة من فوق الفرن. وخرجت إلى الجرن، حيث جمعت حفنة من حبوب الذرة، وعادت إلى مرقدها ثانية.

ومع أول خيوط الفجر أيقظت زوجة الأب الطفلين. ووضعت لهما الطعام والشراب، ثم بعثت بهما إلى الغابة لجمع الحطب مع والدهما. مضى الأب يسير فى المقدمة ومن خلفه

يسير مانشو، ومن خلفهما تسير تشيمانا بخطوات متثاقلة. وأخذت الفتاة تلقى بحبات الذرة من خلفها على الطريق، وذلك كى ترشدها إلى طريق العودة لو تطلب الأمر. وظلوا يسيرون حتى وصلوا إلى قلب الغابة. وهناك صاح الوالد قائلًا:

. أُريد منكما أيها الطفلان أن تجمعا القش والأعواد اليابسة من هذا المكان بينما أذهب لقطع الأخشاب وجمع الحطب.

أخذت تشيمانا تجمع القش مع شقيقها مانشو. أما الأب فابتعد عنهما، وربط عصا إلى أحد الفروع بالقرب منهما، وذلك كى تدفع الريح العصا فترتطم بالشجرة مصدرة صوت: تك، تك. فيظن الطفلان أن والدهما يقطع الشجر. وبعد أن انتهى الأب من فعلته، انطلق عائدًا إلى البيت وترك طفليه.

هبط المساء. وذهب الطفلان إلى مصدر الصوت، فلم يجدا الأب، ولم يعثرا إلا على العصا.

أخذ مانشو فى البكاء وفرك عينيه بيده. أما تشيمانا فتمالكت رباطة جأشها للتفكير فيما تفعله.

ومضت الفتاة تبحث عن الحبوب التى ألقت بها على الطريق، فلم تعثر عليها. فلم تكن زوجة الأب فى واقع الأمر سوى ساحرة خبيثة. وتحولت إلى غراب أسود التقط بمنقاره جميع الحبوب التى نثرتها الفتاة.

أخذ الطفلان فى البكاء بمرارة، بعدما أدركا أن والدهما قد تخلى عنهما. لكن البكاء والدموع المريرة لن يقدما العون. فأخذ الطفلان يبحثان عن طريق العودة إلى البيت. وظلا يسيران لفترة طويلة حتى أصابهما التعب. وحل العطش بمانشو. وشاهد جُرة فرس بداخلها قليل من الماء. فقال لشقيقته:

. تشيمانا، إن العطش يحرق جوفى وأُريد الشرب من هذه الجُرة.

ردت الفتاة:

. لا تشرب منها يا شقيقى، وإلا فسوف تتحول إلى مهر صغير.

لم يستمع مانشو لنصيحة شقيقته. وما إن تلفتت تشيمانا حتى انحنى نحو الجُرة يهم بالشرب منها... وفجأة ومن حيث لا ندرى ظهرت إوزة رمادية محلقة فوق الطفل، ودفعت الجُرة بجناحها حتى نثرت المياه على الأرض. لم يسعف الوقت مانشو لإدراك ما حدث حتى كانت الإوزة قد ابتعدت فى أعالى السماء. ومضى الاثنان يواصلان السير، حتى شاهد مانشو جرة أبقار وبداخلها بعض الماء. فأخذ يرجو شقيقته ثانية:

- ألا يمكننى الشرب من هذه الجُرة يا تشيمانا؟.

- لا يا أخى، لا يمكنك الشرب منها وإلا تتحول إلى عجل صغير.

لم يستمع مانشو لنصيحة شقيقته، فقد كان العطش يعصف به. فانتظر حتى تلفتت تشيمانا، وانحنى نحو الجُرة ليشرب منها... وفجأة ومن حيث لا ندرى حلقت إوزة بيضاء من فوقه، وضربت الجُرة بجناحها فانسكب الماء منها على الأرض. ولم يسعف الوقت مانشو ليدرك ما حدث، حتى كانت الإوزة قد اختفت عن ناظريه.

ومضت تشيمانا مع شقيقها يواصلان طريقهما ويسيران باحثين عن طريق العودة، حتى شاهد مانشو جُرة خراف فوق العشب، وبداخلها قليل من الماء.

فلم يتحدث بشيء لشقيقته، بل انحنى على الفور نحو الجُرة ليشرب منها... وفجأة ومن حيث لا ندرى حلق علجوم(*) فوقه. لكنه لم يصل إلى مانشو. فقد انقض عليه صقر مثل الصخرة من السماء، وأنشب أظافره الحادة فى العلجوم كى يمنعه من سكب ماء الجُرة. وفى ذلك الوقت كان مانشو قد شرب من الجُرة. وشاهده العلجوم فصرخ محذرًا. وتلفتت تشيمانا، فشاهدت العلجوم ميتًا فوق العشب، وبجانبه شاهدت حملًا رماديا يقفز هنا وهناك.

أدركت تشيمانا أن كل ما جرى بتدبير من زوجة الأب الشريرة. فاحتضنت شقيقها العزيز الحمل، وانهمرت دموعها تسيل بمرارة. وجلس الاثنان طويلًا وهى تحتضنه حتى هبط الظلام وساد أرجاء المكان. فتسلقت تشيمانا إحدى الأشجار وراحت فى النوم، أما شقيقها الحمل فقد أخفته بين الشجيرات.

(*) العلجوم: هو ذكر البط - المترجم.

استيقظت تشيمانا فى الصباح، ونظرت أسفل الشجرة، فشاهدت أميرًا شابًا ينظر إليها من فوق حصانه. وكان الأمير يرتدى ثيابًا فاخرة موشاة بخيوط من الذهب والفضة. وكان الحصان يتراقص من تحته. وصاح الفتى مناديًا تشيمانا:

ـ أيتها الحسناء، اهبطى من فوق الشجرة، وأقسم بأنى لن أمسك بسوء.

لكن الخوف تملك تشيمانا، فتسلقت الشجرة أعلى فأعلى.

ظل الأمير يطلب منها الهبوط ويتوسل إليها، لكن تشيمانا لم تستمع إليه.

عندئذ طلب الأمير من مربيته الذهاب إلى الشجرة. وكانت المربية تحبه كثيرًا. وعندما أخبرها الأمير أن قلبه يخفق لتلك الفتاة التى شاهدها، لم تمانع فى الذهاب لمساعدته فى الحصول على الفتاة.

ذهبت المربية إلى الشجرة. وينبغى القول بأن تلك المربية كانت عجوزا للغاية، كما كانت ضريرة لا تبصر. وبعد أن وصلت إلى الشجرة قامت بإشعال النار لإعداد عصيدة الذرة. ووضعت الماء فى القدر، ثم حملت القدر بالمقلوب لتضعه فوق النار، فانسكب الماء فوق النار حتى انطفأت. وأعادت العجوز المحاولة مرة أخرى ولكنها سكبت الماء ثانية. وكانت تشيمانا تراقب العجوز من فوق الشجرة. فأشفقت عليها وصاحت:

ـ إنك تمسكين القدر بالمقلوب أيتها الجدة.

ردت العجوز متوسلة:

ـ فلتساعدينى أيتها الابنة، فإنى عجوز ضريرة.

رق قلب تشيمانا للعجوز، فهبطت من فوق الشجرة لمساعدتها. وأسرع الأمير نحو الفتاة قائلًا:

ـ اغفرى لى أيتها الحسناء هذه الوسيلة الماكرة. فقد خفق قلبى بحبك منذ شاهدتك. وأطلب منك الزواج.

لم ترفع تشيمانا عينيها عن الأمير وهو يتحدث إليها. فقد كان الأمير جميل الهيئة.

وافقت تشيمانا على الزواج من الأمير الشاب.

وذهب الاثنان معًا إلى القصر حاملين معهما الحمل شقيق الفتاة. وسرعان ما جرت مراسم الزفاف. ولم يدع الأمير تشيمانا تغيب عن عينيه، ولم يكن يفارقها قط. فكان الاثنان يتريضان فى حديقة القصر، أو يجلسان معًا فوق العشب الناعم، وهما يتحسسان بأياديهما الوبر الرقيق للحمل شقيق الفتاة. وهكذا، عاشا معا فى دعة وسلام.

وذات يوم حضرت عجوز إلى القصر وهى تنادى متوسلة:

- إن قدمىّ لا تقويان على السير من شدة الجوع والمرض، فساعدنى أيها الأمير.

أشفق الأمير على العجوز، فجعلها تعيش فى حجرة بالقرب من تشيمانا. وقامت الفتاة بمنحها الطعام والشراب والثياب.

فى اليوم التالى ودع الأمير زوجته الشابة بعد أن قرر الخروج إلى الصيد. فقد كان مولعًا بالصيد منذ طفولته. وكانت العجوز تسرى عن تشيمانا، فتقص عليها الحكايات والحواديت. وذات مرة قالت لها:

- ألا تريدين أيتها الحسناء الذهاب إلى البحيرة للتريض عند شاطئها؟

وافقت تشيمانا. وذهبت مع العجوز إلى شاطئ البحيرة. وهناك صاحت العجوز فجأة:

- انظرى انظرى إلى هذا الجمال الرائع والمنظر البديع.

جعلت العجوز تشيمانا ترفع رأسها لتنظر نحو السماء، بينما كانت تدفعها نحو الجرف. وعندما وصلت الفتاة إلى حافة الجرف دفعتها العجوز إلى أسفل، لتسقط فى قلب البحيرة.

لم تكن تلك العجوز شحاذة كما تدعى، بل كانت هى الساحرة زوجة الأب بعينها. وعندما عرفت أن تشيمانا ومانشو يعيشان فى سعادة، قررت قتلهما والتخلص منهما.

وها هى قد ألقت بتشيمانا فى البحيرة، ثم وضعت الحمل الشقيق فى زريبة مظلمة معتمة. وأغلقت بابها بتسعة مزاليج. وبعد ذلك رقدت فوق فراشها وهى تتظاهر بالمرض.

عاد الأمير فى المساء ووجد الحزن يلف القصر، والعجوز تنوح وتصرخ:

. يا للمصيبة، يا للمصيبة! لقد غرقت الحسناء تشيمانا فى مياه البحيرة، على الرغم من محاولاتى وتوسلاتى لها بعدم الذهاب إلى البحيرة، لكنها لم تستمع إلى...

أظلمت الدنيا أمام الأمير، واسودت فى عينيه. وأخذت دموعه تنهمر بمرارة. ومر يوم ثم يومان وهو مازال يبكى. لكن البكاء لم يزحزح الحزن من داخل روحه. فطلب الأمير جميع الحكماء كى يلتمس النصح لديهم، وسألهم جميعًا: "ألا توجد وسيلة لإنقاذ تشيمانا وانتشالها من قاع البحيرة؟". وفكر الحكماء طويلًا، ولكنهم لم يصلوا إلى وسيلة لإنقاذ الفتاة. وعندئذ جاءت العجوز الشريرة تقول:

. أيها الأمير، إنى أعرف الوسيلة التى يمكن بها إنقاذ تشيمانا. ولكنى أظن أنك لن تقبل بها...

رد الأمير فى لهفة:

. سوف أقبل بأى شيء يمكنه إنقاذ تشيمانا.

. فى قلب الغابة الموحشة يعيش عجوز حكيم عليم بكل أمور الدنيا. وقد ذاع صيته فى أرجاء العالم. وينبغى الذهاب إلى ذلك الحكيم. لكنه لن يقبل نظير مساعدته سوى الحمل الصغير. فعليك ذبح الحمل شقيق تشيمانا، وتقديمه إلى ذلك العجوز.

فكر الأمير وفكر. وأشفق على الحمل شقيق تشيمانا، وتردد فى قتله. لكنه لم يجد وسيلة أخرى كى ينقذ بها زوجته المحبوبة. فحزم أمره فى النهاية. ونادى على خادمه وأمره بذبح الحمل.

ذهب الخادم إلى الزريبة، وقص على الحمل كل ما جرى.

بكى الحمل بشدة، وتوسل إلى الخادم ألا يذبحه فى التو، ويتركه يعيش حتى الصباح. وكان الخادم طيب القلب، فاستجاب لطلب الحمل.

وما إن رحل الخادم، حتى جاء من حيث لا ندرى سرب من الإوز محلقًا فوق سقف الزريبة، ثم حط عليها. وأخذ الإوز يحطم بمناقيره قرميد السقف. وبعد ذلك هبط أكبر طيور الإوز إلى الحظيرة، وحمل فوقه الحمل الصغير.

أسرع الحمل نحو البحيرة. وتوقف عند شاطئها. وأخذ يصيح ويغنى بصوت حاد رقيق مناديًا شقيقته:

- تشيمانا يا شقيقتى العزيزة! أخرجى إلى سطح الماء. فإن شقيقك يمر بمحنة، والأشرار يشحذون السكاكين لذبحى، ويريدون قتلى.

سمعت تشيمانا كلمات شقيقها، فاستجابت له قائلة:

- مانشو يا شقيقى الحبيب! كم يسعدنى إنقاذك من الموت، ولكن ليس لدى أى قوة لفعل ذلك، بعد أن ابتلعتنى سمكة القرموط الكبيرة، وليس بوسعى الخروج من بطنها.

كان الأمير قريبًا من المكان فى هذا الوقت. وسمع كل ما قيل. فأسرع إلى الصيادين، وأمرهم بإلقاء شبكة كبيرة فى مياه البحيرة، واصطياد سمكة القرموط.

ألقى الصيادون بالشبكة، وأخذوا يحاولون سحبها. ومضوا يسعون بكل قوتهم إلى سحبها من الماء دون جدوى. واستجمعوا كل قواهم، حتى نجحوا فى سحب الشبكة إلى الشاطئ. وشاهدوا بداخلها سمكة القرموط الضخمة التى لم يروا فى ضخامتها سمكة من قبل. فقد بدت السمكة مثل الجبل! وعندما شقوا بطن القرموط، خرجت تشيمانا من جوفها سليمة معفية. فاحتضنها الأمير بين ذراعيه. وعجز فمه عن النطق من شدة السعادة.

حكت له تشيمانا عن خداع العجوز الشريرة وما قامت به.

تملك الغضب من الأمير، فأمر بالقبض على العجوز. وأمسك بها حراسه، وربطوها إلى ذيل فرس جامحة. وأطلقوا تلك الفرس لتركض فى الوادى الفسيح.

انطلقت الفرس تسابق الريح وهى تجر العجوز خلفها. وحيث تحطمت رأس العجوز ارتفعت الجبال مكانها، أما المكان الذى تحطمت فيه ساقا العجوز، فامتدت الوديان والسهول. ومنذ ذلك الحين توجد على الأرض الجبال والوديان.

أما الحمل شقيق الفتاة، فقد عاد إلى هيئته البشرية مرة أخرى بعد موت الساحرة الشريرة. وعاشوا جميعًا فى هناء وسعادة. وامتد بهم العمر لسنوات مديدة طويلة.



الدبُّ الحديدي

لقد جرت هذه الحكاية في سالف العصر والزمان. عاش عجوز مع زوجته العجوزة في بيت صغير من الطين، يقع في قرية نائية من قرى جاجاوز التي تمتد أسفل الجبل. وكان لديهما ابنة صغيرة تدعى سانديكا. لم يكن العجوز وزوجته من الأثرياء، لكنهما عاشا في وئام وسعادة. فكان العجوز يقضي أيامًا بأكملها يعمل في الحقل، فيقوم بزرع القمح والذرة والشعير، بينما تتولى زوجته كل شئون البيت. فقد كان لديهم بستان بجوار البيت يزرعون فيه الطماطم والباذنجان والكوسة والفلفل، كما تنمو به بعض أشجار البرقوق والسفرجل والمشمش والعنب. وهذه كانت كل أملاكهم.

كان العجوز يخرج في الصباح الباكر إلى الحقل، بينما تقوم زوجته بفلاحة البستان وإطعام العنزة، ووضع الحبوب للدجاج. فكانت الزوجة العجوزة تجد دائمًا ما يشغلها من أعمال في البيت المتواضع.

وكانت سانديكا صغيرة. ولم يكن لديها عمل تقوم به، سوى الجلوس وجمع المزق وقطع الثياب القديمة، ومحاولة صنع الدمى منها. ولم يكن لديها دمية حقيقية؛ لأن المال كان شحيحًا لدى والديها الفقيرين. وكانت أمها العجوزة تنظر إلى الابنة بعطف وأسى. ولكن، ما باليد حيلة.

وذات يوم خرجت سانديكا مع والدها وأمها إلى السوق في القرية المجاورة. وكان السوق مكتظًا بشتى أنواع اللعب والدمى الجميلة. وعندما شاهدت سانديكا تلك اللعب المعروضة، أخذت ترجو والدها وتلح قائلة: "أرجوك يا والدي أن تشتري لي لعبة أو عروسة ألهو بها، حتى ولو كانت صغيرة أو قبيحة". أُسقط في يد العجوز، فلم يكن لديه مال لإرضاء رغبة طفلته، ولم يكن لديه حتى ولا "لي"(*) واحد.

(*) "لي" هي وحدة العملة الرومانية، والتي تستخدم منذ عام ١٨٦٧ - المترجم.

عادوا أدراجهم إلى البيت. وسارت ساندیكا وهی تبكی بمرارة وحزن. وكاد قلب والدها العجوز أن ينفطر من الألم لحزنها. فقال لها برقة:

- لا تبكی يا ابنتی الحبيبة. فعندما نصل إلى البيت، سوف أصنع لك دمية ليس لها نظير فی العالم بأسره.

صاحت ساندیكا فی لهفة:

- أی دمية؟.

- لا، لن أخبرك، بل سوف ترينها بنفسك.

توقفت ساندیكا عن البكاء.

وعندما وصلوا إلى البيت تناولوا طعام العشاء، ورقدوا للنوم. وراحت ساندیكا فی سبات عميق. أما والدها العجوز فنهض من فراشه متسللًا إلى الحجرة المجاورة. وشرع فی صناعة اللعبة. فجمع قطعًا من الحديد القديم، وصنع منها دمية على شكل دُب. كان العجوز ماهرًا يمتلك أيادی ذهبية. فاستطاع أن يصنع الدُب كما الحقيقی تمامًا. وعندما انتهى من صنعه كانت حوافر الدمية تتحرك، ورأسها تدور وتتلفت، حتى إن عينيه كانت تنفتحان وتنغلقان. فعندما تضعه قائما فوق قدميه تتفتح عيناه، ولو وضعته على ظهره أو على بطنه تنغلق عيناه. كما كان يفتح فاه أيضًا. لقد كان تحفة جميلة وليس مجرد لعبة.

استيقظت ساندیكا فی الصباح، وشاهدت الدُب الدمية جالسًا على طرف الأريكة بجانبها. فهتفت الفتاة من السعادة، وقفزت تحتضن دميتها من شدة الفرح. ومنذ ذلك اليوم لم تفترق الصغيرة عن دُبها ولا للحظة واحدة.

وذات يوم كانت تلهو مع دُبها. وأخذت تلهو وتلعب معه طويلًا، وفجأة وعن غير قصد نفخت فی فمه الحديدی. وما إن دخل الهواء فمه حتى بُعث إلى الحياة. وأخذ دُبها ينمو ويكبر أمام عينيها. وظل يكبر ويكبر حتى أصبح دُبا هائل الحجم، مثله مثل الدببة التی تعيش فی الغابة، مع الفارق أنه كان من الحديد.

زمجر الدُب بصوت حديدی رهيب. وهجم على العجوز وزوجته العجوزة والتهمهما، أما ساندیكا فتركها لنفسه كی تقوم على خدمته وإطعامه.

ظلت ساندیکا المسكينة تعمل ليل نهار على خدمة الدُب. فقد كان يشرب في اليوم الواحد عشر جرار من الماء. وكان الماء يقع في بئر عميق عند أطراف القرية. واضطرت الفتاة الصغيرة للذهاب إلى البئر وملء الجرة منه والعودة إلى البيت عشر مرات. وكانت الجرة ثقيلة الوزن. فكانت ساندیکا تسير بين ممرات الغابة نحو البئر وهي تبكي بمرارة. أما في طريق العودة فكانت ترسم الابتسامة على وجهها بالكاد حتى ترضى الدُب. فقد كانت تخشى غضبه وشره الذي يزداد عندما يرى دموعها.

وفوق جبل عالٍ بالقرب من القرية عاش نسر قوى هائل الحجم. وشاهد النسر ذات مرة ساندیکا وهی تسكب دموعها فسألها:

- أيتها الفتاة الصغيرة! ما الذي يبكيك على هذا النحو؟ ومن الذي أغضبك حتى تنهمر دموعك؟.

ردت عليه ساندیکا:

- وكيف لي ألا أبكي أيها النسر؟ فإني يتيمة وحيدة في هذا العالم. وقد التهم الدُب الحديدى أبي وأمي، ويكرهني على القيام بخدمته طوال اليوم.

فكر النسر طويلًا، ثم قال:

- اجلسي فوقي أيتها الصغيرة، وسوف أخلصك من هذا الأسر.

جلست ساندیکا فوق ظهر النسر. وصعد النسر بها محلقًا في السماء. وما إن شاهده الدُب حتى ثار من الغضب، وأخذ يدق الأرض بحوافره الحديدية. وملأ صدره بالهواء، ثم نفخه نحو النسر بقوة هائلة. واختل توازن النسر، فسقط فوق الأرض. وأسرع الدُب نحوه، وهجم عليه، ثم أنشب أظافره وأنيابه في جسمه ومزقه إربًا. أما ساندیکا فجعلها تعمل أكثر من ذي قبل.

ساءت أحوال الفتاة الصغيرة وحل بها البؤس. فكانت تعمل منذ الصباح وحتى الليل، وتقوم بما يقوم به خمسة أشخاص، دون أن تتلقى ثناءً أو كلمة طيبة. وذات مرة خرجت ساندیکا من أجل الماء ثانية. وصادفها في الطريق عجل ذو جبهة بيضاء. وعندما شاهد العجل ساندیکا وهی تبکی سألها:

ـ ما الذى يبكيك أيتها الصغيرة على هذا النحو؟ ومن الذى أغضب صغيرة مثلك؟ ومن الذى جرؤ ورفع يديه ليضربك؟.

حكت سانديكا للعجل قصتها الحزينة. فهز العجل رأسه قائلًا:

ـ إن أمورك سيئة حقًا أيتها الصغيرة. ولكنى أستطيع مساعدتك ورفع الحزن عنك.

ـكيف تستطيع مساعدتى أيها العجل؟ لقد كان النسر قويًا جسورًا. لكن الدُب الحديدى استطاع قتله.

ـ لا تقلقى. فليست القوة هى التى تنتصر دائمًا، والعقل يستطيع هزيمتها. وأُريدك عند حلول المساء أن تحضرى زلعة مملوءة بالماء، وصخرة، وإبرة، وكذلك سكينًا. وعندما يهبط الليل اذهبى إلى البئر، وسوف أكون بانتظارك هنا.

فعلت سانديكا ما طلبه العجل منها. وجلست فى انتظار هبوط الليل.

مالت الشمس إلى المغيب حتى اختفت وراء الجبل. وتلألأت النجوم فى السماء مثل جمرات الفحم الملتهبة.

نهضت سانديكا من فراشها، وتسللت بحذر خارج الحجرة. وأخذت معها الصخرة والإبرة والسكين وزلعة الماء، وذهبت بهم إلى البئر. وأجلسها العجل فوق ظهره. وانطلق يركض فى الوادى المكشوف. وظل يركض طويلًا حاملًا الفتاة فوق ظهره، حتى ارتفع القمر عاليًا فى السماء. وحل التعب بالعجل، فتوقف مع الفتاة أسفل شجرة التوت. ورقد الاثنان وراحا فى النوم. وما إن أشرقت الشمس من خلف التلال، حتى استيقظا مرة أخرى. واغتسلا من ماء العين وشربا حتى ارتويا، ثم واصلا الركض. وفجأة تردد صوت خطوات الدُب خلفهما، وأخذت الأرض تهتز من تحتهما. فتملك الخوف من سانديكا وصاحت:

ـ لقد ضعنا يا عجلى العزيز. فهذا هو صوت الدُب الحديدى وقد أدركنا.

قال العجل للفتاة:

ـ لا تخشى شيئًا يا صغيرتى! وَألقى بالصخرة من خلفك بسرعة.

ألقت سانديكا بالصخرة وراء ظهرها. وفى لمح البصر انبثق جبل عال من ورائهما. ومضى العجل مواصلًا الفرار مع الصغيرة. وظل الاثنان يركضان طويلًا، حتى تردد صوت الدُب ثانية خلفهما. فارتعدت سانديكا من الخوف. لكن العجل أخذ يهدأ من روعها وقال:

ـ اطمئنى وألقى بالإبرة خلف ظهرك.

استمعت سانديكا لأمر العجل. وألقت بالإبرة خلفها، فنمت على الفور غابة من الإبر. ولم يكن الاثنان يتوقعان أن ينجح الدُب الحديدى فى العبور إليهما. لكن الدُب اخترق غابة الإبر كما لو أنها مجرد شجيرات عادية. ومضى يطارد العجل والفتاة حتى كاد أن يدركهما. فصاح العجل على سانديكا:

ـ هيا ألقى بالسكين بسرعة.

ألقت الصغيرة بالسكين فاكتسى الوادى من خلفهما بالسكاكين الحادة. لكن تلك السكاكين لم تستطع بدورها منع الدُب الحديدى من مواصلة المطاردة. فصاحت سانديكا وهى ترتجف من الرعب:

ـ ها هو قد أصبح على مقربة منا، وسوف يدركنا.

ـ لكنه لم يدركنا بعد، فهيا ألقى بزلعة الماء خلف ظهرك.

ألقت سانديكا على الفور بزلعة الماء. وفجأة ارتفعت خلفهم بحيرة هائلة، وعلت مياهها وهدرت أمواجها. وتوقف الدُب أمام البحيرة. وغاصت حوافره فى الأرض من شدة الغضب وأخذ يزمجر بصوت مخيف:

ـ لن يمكنك الفرار منى، ولن تنجحين فى الهرب منى!.

وأخذ الدُب يشرب ماء البحيرة ويعب منه، ومضى يشرب ويشرب، حتى امتلأت معدته الحديدية بالماء وانتفخت، وأصبح من الصعب عليه شرب الماء واقفًا. وأراد أن

يرقد حتى يستطيع شرب المزيد من الماء، لكن ثقل معدته جعله يفقد توازنه. فسقط فى ماء البحيرة حتى غرق فيها وهلك.

كان هناك دُب حديدى لكنه غرق.

أما ساندیكا فظلت حية مع العجل. ويقال إنها تعيش معه فى صداقة حتى يومنا هذا.

* * *

إيفانيتش الطيب

كان ياما كان فلاح فقير يعيش فى قرية نائية من قرى جاجاوز. ولم يكن لديه شىء من الثروة والأملاك سوى ثلاثة من الأبناء. وكان الفلاح يسعى ويكدح باحثًا عن الرزق. وكدح معه أبناؤه الثلاثة باحثين عن الرزق دون جدوى. فظلوا فقراء معدمين حتى جاء يوم قال فيه الشقيق الأكبر:

ـ من الأفضل لنا أيها الإخوة أن نخرج إلى بلاد الله خلق الله، ونبحث عن السعادة والرزق. فلدينا سواعد قوية وصحة موفورة. وسوف نجد مكانا لنا على الأرض.

لم يوافق شقيقاه على الأمر طويلًا. لكنهما قررا فى نهاية الأمر أن يذهبا معه للبحث عن السعادة، والخروج إلى بلاد الله خلق الله.

وعندما خرج والدهم لوداعهم على الطريق، أعطى الشقيق الأكبر عصا تنتهى بخطاف من ذلك النوع الذى يستخدمه رعاة الأغنام، وأعطى الشقيق الأوسط جوالاً قديما، أما الشقيق الأصغر إيفانيتش فمنحه بعض الجذور العشبية العلاجية التى ورثها عن جده. وقال الفلاح فى وداع أبنائه:

ـ ليس لدى شىء آخر أمنحه لكم يا أبنائى سوى هذه الأغراض.

مضى الأشقاء الثلاثة يهيمون على وجه الأرض طويلًا، دون أن ينجحوا فى العثور على السعادة، حتى جاء يوم خرجوا فيه من الغابة إلى الطريق الكبير، وصادفهم عجوز غريب. فألقوا عليه التحية:

ـ سلام عليك أيها الوالد.

ـ وعليكم السلام والحمد لله. إلى أين أنتم ذاهبون أيها الفتيان؟

صمت الشقيقان الأكبر، وقال إيفانيتش:

ـ نحن نطوف أرض الله أيها الجد، باحثين عن السعادة والرزق. ولكننا حتى الآن لا نستطيع العثور على شيء. ويبدو أن سعادتنا لا توجد على هذه الأرض.

رد العجوز:

ـ لقد بدأتم للتو فى البحث عنها، ولن تسقط فى أياديكم على الفور.

واصل الأشقاء طريقهم. وسار العجوز معهم.

ظلوا يسيرون لفترة طالت أم قصرت، حتى شاهدوا فجأة مجموعة كبيرة من الغربان تجلس فى الحقل. فهتف الشقيق الأكبر قائلًا:

ـ لو أن سرب الغربان هذا أصبح قطيعًا من الأغنام أمتلكه، لأطعمت جميع العابرين والغرباء من اللحم وتصدقت على جميع المحتاجين.

ابتسم العجوز قائلًا:

ـ ولما لا؟ هذا شيء يمكنه الحدوث.

ما إن نطق العجوز بكلماته، حتى تحولت جميع الغربان إلى أغنام...

ظل الشقيق الأكبر مع أغنامه، بينما واصل شقيقاه طريقهما مع العجوز. وظلوا فى سيرهم حتى وصلوا إلى نهر تتدفق مياهه فى تيار سريع. فصاح الشقيق الأوسط:

ـ لو كان لدى طاحونة مياه هنا، لقمت بإطعام جميع العابرين والسائلين بالخبز الأبيض.

ضحك العجوز قائلًا مرة أخرى:

ـ وهذا شيء يمكن حدوثه أيضا.

وفى الحال ظهرت طاحونة كبيرة أمام شاطئ النهر. وبقى الشقيق الأوسط بجانبها، بينما واصل الشقيق الأصغر طريقه مع العجوز.

ظل الاثنان يسيران طويلاً، حتى سأل العجوز الفتى فى النهاية وقال:

ـ ما لك لا تطلب شيئًا حتى الآن؟ لقد عثر شقيقاك على سعادتهما، وأنت ما زلت تلتزم الصمت والهدوء حتى الآن.

رد إيفانيتش:

- إني أُريد الزواج أيها الجد، لكني أُريد عروسًا لديها قلب مثل قلبي تمامًا، ومطابق له في كل شيء.

استغرق العجوز في التفكير، ثم قال:

- هناك فتاة واحدة في هذا العالم ينطبق عليها قولك، لكن خطبتها قد تمت بالفعل. وفي الغد سوف يتم زفافها. فهيا بنا نسرع الخطى أيها الابن، وربما ندركها قبل إتمام الزفاف.

وها هما الاثنان قد وصلا إلى القرية. وهناك تعالت أصوات الأغاني وعزفت الموسيقى، والجميع في فرح وصخب يستعدون لمراسم الزفاف. وقام السكان بدعوة العابرين للانضمام إليهم والمرح معهم. وقال العجوز:

- شكرًا لكم أيها الناس الطيبون لترحابكم بنا ومودتكم. وسوف نشارككم المرح والفرح بشرط واحد، وهو أن تمنحوا العروس لهذا الفتى الطيب.

قال العجوز قوله مشيرًا إلى إيفانيتش. وعندئذ تملك الغضب الشديد من الفتيان الحاضرين نحو العجوز لكلماته وطلبه الغريب. وخرج العريس عن طوره، وأرادوا طرد العابرين. وهنا تدخل الكبار من الحضور وقالوا ساخرين:

- اهدؤوا جميعًا، فسوف نمنح عروسنا لفتاك أيها العجوز، ولكن قبل حصوله على سعادته نريدك أن تنظر إلى القدور فوق النار وبداخلها الديكة والدجاج الذي نسلقه، فلو أن تلك الديكة طارت من قلب القدور وأخذت تغني لنا، وقفز الدجاج من القدور الأخرى إلى الطاولات يلتقط الحب منها، فسوف نلبي طلبك ونمنحك ما تريد.

وما إن انتهى الكبار من حديثهم، حتى طارت الديكة من القدور المغلية، وأخذت تصيح وتغني: «كوكاريكو، كوكاريكو»، وقفز الدجاج من داخل القدور يجمع الحبوب ويلتقطها من فوق الطاولات. فتملك الذهول من الحضور، وفغروا أفواهم صامتين مما يجرى حولهم. وبعد ذلك صاح الجميع قائلين:

- يبدو أن هذه هي سعادتهم حقا.

قام العجوز بوداع الفتى، وذهب إلى حال سبيله.

مر زمن طال أم قصر لا يعرف أحد. وقرر العجوز ذات مرة أن يذهب لزيارة الأشقاء وتفقد أحوالهم. فذهب إلى الطاحونة المائية، وشاهد العمل يجرى على قدم وساق. فالبعض يزن الدقيق، والآخر يحمل الأجولة الممتلئة بالدقيق، والثالث يحصى النقود، بينما يسير بينهم الشقيق الأوسط سيد المكان وهو يفرك يديه متمخطرًا. فسأله العجوز:

- أرجوك أيها الابن العزيز أن تمنحنى كسرة من الخبز. فقد تملكنى الجوع وحل بى التعب.

رد سيد المكان قائلًا:

- يا لأعدادكم الغفيرة هنا أيها العاطلون، فلو أنى منحت كل شحاذ منكم قطعة من الخبز، لن يتبقى شيء من طاحونتى.

نظر العجوز إلى الفتى وقال:

- وهذا شيء يمكن الحدوث.

وعلى الفور هبت رياح عاتية وهبط سيل من السماء. فارتفعت مياه النهر حتى ابتلعت الطاحونة بما فيها.

واصل العجوز سيره حتى شاهد قطيع الأغنام يرعى العشب. وكان هناك بعض الرعاة يسوقون الأغنام، وآخرون يصنعون الجبن، والبعض يقوم بتمليح اللحم، وغيرهم يجزون الصوف ويجمعونه. أما الشقيق الأكبر فكان يسير بين الرعاة يصرخ فيهم تارة ويعنفهم تارة أخرى. فاقترب العجوز منه وسأله:

- أرجوك أيها الابن العزيز أن تعطينى قطعة من الجبن؛ لأنى متعب للغاية وأتضور جوعًا.

غضب الشقيق وصرخ فى وجه العجوز:

- كم من المتسولين يهيمون هنا على وجوههم! ولو أنى أطعمت كل السائلين مثلك، فلن يبقى لى سوى عصا الرعاة هذه.

نظر العجوز إليه، وتحسس ذقنه بيده قائلًا:

ـ وهذا شيء يمكن حدوثه.

فى لمح البصر تحولت الأغنام إلى غربان كما كانت فى الماضى، وحلقت مبتعدة فى السماء.

وذهب العجوز إلى الشقيق الأصغر. وظل يسير ويسير حتى وصل إلى بيت الفتى. وتصنع العجوز المرض والتعب. فخرجت إليه زوجة إيفانيتش الشابة. وعندما شاهدت العجوز دعته للدخول إلى حجرة الضيوف. وقالت له:

ـ تفضل أيها الجد وكن ضيفًا علينا.

رفض العجوز قائلًا:

ـ أخشى أن يوبخك زوجك بدعوتك هذه أيتها الشابة.

وهنا، خرج إيفانيتش من بوابة البيت، وأمسك بالعجوز من يديه، واصطحبه إلى حجرة الضيوف، ووضعه فوق فراش وثير، ثم سأله برفق:

ـ ماذا بك أيها الجد؟

ـ إنى مريض للغاية يا ولدى. ويبدو أنى أحتضر، ولن ينقذنى شيء سوى بعض الجذور الطبية التى أخبرنى عنها بعض الناس الطيبين. وأظن أنك لن تستطيع الحصول عليها.

رد عليه إيفانيتش:

ـ اطمئن أيها الجد. فسوف أحصل لك على هذه الجذور.

خرج إيفانيتش مسرعًا إلى الحجرة الأخرى. وبحث فى صندوقه عن الجذور التى أعطاها له والده حتى عثر عليها. وذهب بها إلى العجوز قائلًا:

ـ ها هى الجذور أيها الجد. وسوف تشفيك سريعًا من مرضك.

وهنا، نهض العجوز من الفراش، واحتضن إيفانيتش قائلًا:

ـ أنت إنسان رائع الطيبة يا إيفانيتش، تتمتع بقلب ذهبى رحيم. فلتعش فى سعادة وهناء طوال العمر. ورفع العجوز يده اليسرى، فتناثرت منها قطع كثيرة من الفضة، ثم رفع يده اليمنى فخرج منها الكثير من القطع الذهبية حتى فاضت بها الحجرة. وقال العجوز:

ـ فلتكن حياتكما سعيدة مديدة أيها الناس الطيبون.

قال العجوز جملته واختفى.

وهذه هى كل الحكاية. ولا يعرف أحد إن كان بها الكثير من الحقيقة أو من الخيال. ولكن، بما أن الناس يقصونها، فلا بد أن بها الكثير من الحقيقة.



الدجاجة منزوعة الريش

في يوم باكر من أيام الربيع، خرج بلاكير مع والده إلى الغابة لقطع الأخشاب وجمع الحطب، وذلك لأجل إشعال الفرن والتدفئة. وشاهدا بالقرب منهما حقلًا واسعًا يقوم فيه أحد الأغنياء بحرث الأرض. وكان ذلك الرجل الثرى بخيلًا لا يوجد أحد فى العالم ينافسه فى بخله وتقتيره. وكان لديه عدد من الجياد القوية الرائعة. ونظر بلاكير نحو الجياد الجميلة وقال لوالده:

- ليس من العدل فى شيء يا والدى أن يمتلك مثل ذلك البخيل كل هذه الجياد الرائعة. وينبغى انتزاعها منه، حيث إنه لا يستحقها.

- وكيف يمكنك أخذها منه يا ولدى العزيز؟.

- إنه أمر غاية فى البساطة. وسوف آخذها منه بمنتهى السهولة. وما عليك سوى الجلوس هنا فى انتظارى. وسوف ترى ما أفعله.

قال الفتى كلماته، وأسرع إلى قريته.

وصل الابن إلى البيت، وأمسك بدجاجة من الحظيرة، ثم عاد أدراجه مسرعًا. وعندما وصل إلى والده، جلس بجواره وبدأ فى نزع الريش عن الدجاجة. وعندما انتهى من نزع ريشها كله تقريبًا، أطلقها نحو الحقل الذى يحرثه الثرى صاحب الجياد. وأخذت الدجاجة تركض صوب الرجل الثرى مباشرة. وما إن شاهدها الرجل حتى جحظت عيناه من الدهشة وهتف قائلًا: « ما هذه الطريدة الغريبة؟». وأراد الرجل الإمساك بها. لكنه كان ممسكًا بحبل جياده. وعندما بدأ يفكر فى البحث عن أحد كى يمسك الحبل بدلًا منه، ظهر له بلاكير كما لو أن الأرض قد انشقت عنه. وعندما شاهده الثرى هتف مناديًا:

- أنت أيها العابر! أيها العابر! ألا يمكنك أن تمسك بالجياد لفترة قليلة؟.

أسرع بلاكير نحو الرجل. وأمسك بحبل الجياد بدلًا منه، بينما أطلق الثرى ساقيه للريح يطارد الدجاجة منزوعة الريش. لم يفكر بلاكير طويلًا، فقفز فوق جواد منها، وأعطى والده جوادًا آخر يمتطيه، وساق بقية الجياد إلى السوق لبيعها. وقال بلاكير لوالده:

- أرأيت أيها الوالد! هذه هى نتيجة البخل. فقد أسرع الثرى البخيل يطارد دجاجة، وفى المقابل فقد جياده. وهذا ما يستحقه، فهذا البخيل لم يحصل على الجياد بفضل عمله، ولا بالعرق الذى بذله.



حكايات شعبية غجرية

اليتيمة المسحورة

كان ياما كان فتاة غجرية يتيمة تعيش مع ساحرة عجوز فى كوخ ريفى ينتصب قائما فوق سيقان الدجاج. كانت الساحرة فى غاية السعادة والابتهاج بالفتاة. فقد كانت الفتاة تتمتع بروح طيبة، وتفعل كل ما تطلبه منها الساحرة. ولم يكن يحزن الساحرة شيء سوى أن اليتيمة كانت شحيحة الجمال، مثل الزهرة البرية. وشاهدت الساحرة أن الفتاة تعانى من هذا الأمر، ومن هيئتها القبيحة، فقررت مساعدتها. وأتت بتعويذة قرأتها على الفتاة، ووضعت زمردتين محل عينيها، ومرجانا بدلا من الشفتين، ثم قالت لها:

- والآن استديرى يا عزيزتى المحبوبة.

استدارت اليتيمة، وإذا بها قد تحولت إلى حسناء رائعة لا تجد وصفا لها ولا فى الحكايات، ولا رسما يمكن أن يصور حسنها. وأصبحت اليتيمة أثيرة لدى قلب الساحرة، حتى إنها فكرت أن تعلمها مهنة السحر. لكن الساحرة انتظرت حتى تكبر الفتاة.

وقد جرى فى ذلك الوقت أن أميرا مر بالقرب من الكوخ القائم على سيقان الدجاج. ونظر الأمير فشاهد الفتاة أمام باب الكوخ، فتسمرت عيناه على حسنها الرائع. وصاح الأمير:

- أيتها الحسناء، احضرى لى ماء من البيت كى أروى عطشى.

أسرعت اليتيمة إلى داخل البيت وملأت الزلعة بالماء وحملتها إلى الأمير. وهنا لاحظ الأمير أن الفتاة ترتدى ملابس رثة، وأن هيئتها غير مهندمة من الفقر، ورغم ذلك فالعين لا تريد الابتعاد عنها. وقال الأمير:

- أيتها الفتاة الرقيقة، ما رأيك لو أمنحك ثيابا وحذاءً؟.

ردت الفتاة بصوت ناعم:

- شكرا لك أيها الرجل الطيب، وشكرا لرقتك واهتمامك، ولكننى لا أحتاج إلى شىء.

لكن الأمير لم يستسلم وقال:

- إذا، ألا تريدين أن تتنزهى معى فى الترويكا.

نظرت الفتاة إلى عربة الأمير الجميلة، ولم تستطع الرفض. فقالت للأمير راجية:

- حسنا، ولتكن النزهة لوقت قصير، فسوف تعود خالتى قريبا، وإن لم تجدنى فسوف يعتريها القلق وتبحث عنى.

ضرب الحوذى الجياد بالسوط، فأسرعت الجياد تسابق الريح نحو قصر الأمير. وعندما شاهدت الفتاة حجم الثراء والفخامة فى القصر، نسيت على الفور كل شىء عن الساحرة، وعن الكوخ القائم فوق سيقان الدجاج، بل إنها نسيت كل ما كان عن حياتها التى عاشتها حتى تلك الحين. وسرعان ما التف حول الفتاة الخدم والحشم والمربيات، وأخذوا فى رعايتها والعناية بها. فقاموا بإعداد الماء المعطر لاستحمامها، ثم مشطوا شعرها وألبسوها ثيابا فاخرة، حتى صارت أكثر جمالا وحسنا مما كانت عليه. وصاح الأمير منبهرا:

- سوف تكون الفتاة الابنة المحبوبة لدى.

فوجئت الساحرة بغياب الغجرية اليتيمة. وأخذت تنادى وتنادى وتصرخ دون جدوى. فبدأت الساحرة فى قراءة الطالع والتنجيم، حتى عرفت أن أميرا قد مر بالقرب من الكوخ القائم على سيقان الدجاج، واصطحب الغجرية إلى بيته. فغضبت الساحرة وقررت الذهاب إلى الأمير. ووقفت أمام بوابة القصر تطرقها. لكن البوابة ظلت مغلقة فصاحت تنادى الخدم، لكنهم لم يسمحوا لها بالدخول وقالوا:

- إلى أين تريدين الذهاب أيتها العجوز الشمطاء؟ هل سمع أحد من قبل أن الشحاذ يذهب إلى الأمير؟

- لقد أخذ الأمير فتاتى اليتيمة واختطفها من بيتى.

ـ هل فقدت عقلك أيتها العجوز؟ لو سمع أحد كلماتك هذه فسوف يعلقونك من رقبتك. فاغربى عن هنا قبل أن تفقدى رأسك.

وهكذا، رحلت العجوز بخفى حنين. ومضت وقد تملك الغضب منها.

مر زمن ونضجت الفتاة اليتيمة، وصارت مثل زهرة السوسن. وأصبحت فتاة بارعة الجمال. وعندما نظر إليها الأمير وقع فى حبها. فاتخذها زوجة له. وأحبها الأمير حبا كبيرا لجمالها وحسن أخلاقها. وعاش الاثنان فى وئام وهناء وسعادة وسلام. ومر عام، وأنجبت اليتيمة ابنا للأمير. وقرر الأمير إقامة وليمة كبيرة ابتهاجا بالمولود. ودعا إليها ضيوفه المرموقين والأغنياء من الأرجاء كافة. فقد أراد الأمير التباهى بوريثه أمام الحضور.

عرفت الساحرة بأمر الوليمة. وما أن أسدل الليل ستره، حتى أعدت الساحرة تعويذة جعلتها تتحول إلى جميلة من وراء البحار. وخرجت الساحرة من كوخها القائم فوق سيقان الدجاج، وأطلقت صفيرا جعل الغربان تتحول إلى جياد تجر عربة الترويكا. وتسللت الساحرة إلى المأدبة. وكانت الوليمة فى ذروتها. فالضيوف يحتسون المشروبات ويمرحون، والأمير يتفاخر مبتهجا بوريثه الصغير أمام الحضور.

وعندما اقتربت المأدبة من نهايتها، حل التعب على اليتيمة من كثرة الضجيج والمرح، فخرجت من القصر إلى البركة التى اعتادت الجلوس عندها فى المساء. واقتربت منها الساحرة قائلة:

ـ هل تعبتِ من حرارة الجو أيتها الحسناء؟ هيا اغطسى فى مياه البركة كى تخففى عنك الشعور بالحرارة.

استمعت اليتيمة إلى نصيحة الساحرة، فنزعت عينيها الزمردتين وشفتيها المرجانيتين كى لا تفقدها فى الماء.

لم تكن الساحرة تريد شيئا سوى هذا الأمر. وأسرعت باختطاف العينين الزمردتين والشفتين المرجانيتين. ودارت حول نفسها فعادت إلى سابق هيئتها، وإلى صورة الساحرة العجوز. وعندما خرجت اليتيمة من الماء لم تجد عينيها الزمردتين وشفتيها المرجانيتين. ونظرت اليتيمة إلى ماء البركة فأصابها الذهول لما شاهدت صورتها فى الماء. فقد طالعها وجهها القبيح القديم. وبكت الفتاة تنتحب:

ـ كيف يمكننى الظهور أمام عينى الأمير الآن؟ إنه لن يتعرف على وأنا بهذه الهيئة، وحتى لو تعرف على فلن يحبنى ثانية.

صاحت الساحرة العجوز:

ـ لا تبكى يا يتيمتى العزيزة، واذهبى معى.

وهنا تذكرت اليتيمة أنها شاهدت هذه المرأة العجوز فى وقت من الأوقات. فسارت خلفها تتبعها إلى البيت. واصطحبتها الساحرة إلى داخل الكوخ القائم فوق سيقان الدجاج.

بحث الأمير عن زوجته فلم يجد لها أثرا. وضاعت كما لو أن الأرض قد انشقت وابتلعتها. فنادى على الخدم الذين ركضوا فى كل الأرجاء يبحثون عن زوجة الأمير دون جدوى. وبعث الأمير برسله إلى كل أطراف الأرض للبحث عن زوجته، وأعلن عن مكافأة ضخمة لمن يعثر عليها. لكن جميع الرسل والباحثين عادوا بخفى حنين. عندئذ ذهب الأمير إلى ساحر مشهور وحكى له عن مصيبته وقال له:

ـ لو استطعت مساعدتى فسوف أجزل لك العطاء، بما يكفيك أنت وأبناءك وأحفادك.

رد الساحر:

ـ أيها الأمير، سوف أعطيك كرة من خيوط الصوف تلقيها أمامك. وسوف ينفك عنها الخيط ويمتد فتتبعه وتسير خلفه. وسوف تقودك الكرة إلى نفس المكان الذى توجد به زوجتك.

أخذ الأمير الكرة من يد الساحر، وانطلق فى طريقه. وتدحرجت الكرة وتدحرجت، وانفك الخيط الصوفى عنها يمتد إلى الأمام والأمير يتبعه ويسير خلفه لا يتخلف عنه. ومرت الكرة عبر الحقل والأمير خلفها، ثم عبرت الغابة والأمير يلاحقها، وبعد ذلك مضت الكرة تعبر النهر، فسبح الأمير وراءها. ونزع الأمير حذاءه ومضى يسير حافيا حتى سالت الدماء من قدميه، والكرة ما زالت تتدحرج وتتدحرج. وعندما انفك الخيط تماما عن الكرة ركض الأمير عبر روضة، وشاهد أمامه كوخا قائما فوق سيقان الدجاج. وهنا سقط الأمير ميتا من شدة التعب والإنهاك.

خرجت الساحرة واليتيمة مسرعتين من الكوخ. وما إن شاهدت اليتيمة الأمير، حتى انهمرت دموعها بمرارة، وأدركت أنه يبحث عنها. فسقطت اليتيمة أمام الساحرة تتوسل إليها:

- أيتها الجدة، اتركينى أعود إلى زوجى، فإنى أعشقه أكثر من الحياة، وأعيدينى إلى هيئتى السابقة كى يحبنى، ولن أنساكِ أبدا.

أشفقت الساحرة على الفتاة اليتيمة، فربطت وجهها ووضعت مكان عينيها الزمردتين، ومرجانا مكان شفتيها، وتمتمت بتعويذة قائلة:

- هيا استقروا فى أماكنكم!.

استقرت العينان والشفتان الجديدتان فى وجه اليتيمة. وصاحت الساحرة:

- والآن، دورى يا فتاتى مرتين.

دارت الفتاة ثم توقفت، وقد أصبحت أجمل وأروع مما كانت عليه. وكانت ثيابها مرصعة بالذهب، والأساور تحيط ذراعيها، والأقراط الثمينة تزين أذنيها.

ورشت الساحرة الماء الحى على الأمير، فنهض واقفا سليما معافىً. ونظر الأمير حوله فشاهد زوجته تقف أمامه. وعانق كل منهما الآخر وقد نسى كل شىء على الأرض. وهكذا، ذهب الاثنان إلى البيت وهما فى عناق وحب، دون أن ينطق أحدهما بكلمة شكر إلى الساحرة. وغضبت الساحرة غضبا شديدا فى هذه المرة. فقرأت تعويذة سوداء كى تصيبهما اللعنة.

عاش الأمير مع زوجته فى سعادة وهناء. وأخذ الابن يكبر تدريجيا والأمور تسير على نحو طيب. وجاء يوم مرضت فيه زوجة الأمير. فأحضر الأمير أفضل الحكماء من جميع الأنحاء. ولكن أحدا منهم لم يستطع شفاءها. فقد أصابتها اللعنة السوداء التى أطلقتها الساحرة، حتى ماتت الزوجة. وقالت الساحرة:

- لم ترغبى فى الحياة معى، وسوف أذهب لزيارتك الآن وأنت جثة هامدة.

ظل الأمير يتجرع أحزانه لفترة طويلة، ويسكب الدمع المرير على فراق زوجته، دون أن يخفف ذلك مصيبته. وشيد لزوجته ضريحا من البللور، حيث وضع بداخله التابوت،

وعلقه فوق سلاسل ذهبية. وعندما يعصف به الشوق إلى زوجته، كان يذهب إلى ضريحها، ويظل جالسا بجوار جثمانها يناجيه. وكانت الزوجة الميتة تبدو فى رقدتها حية، كما لو أنها راحت فى سبات لفترة وجيزة، وسوف تنهض ثانية من رقادها ويمضى كل شىء كما كان الحال عليه سابقا. لكن الوقت أخذ يمر واليتيمة لا تستيقظ.

كان ابن الأمير واليتيمة صغيرا بعد، فلم يسمح له الأمير بالذهاب إلى ضريحها والنظر إلى الأم، ولكن جان الوقت الذى لم يستطع فيه الأمير منع الصبى الذى أراد إلقاء ولو نظرة واحدة على الأم. وكانت جميع طلبات الصبى مجابة فى قصر والده الأمير. وكان الأمير يعاقب المربية والخدم لو أنهم خالفوا أوامره. وليأخذ الصبى كل ما يطلب.

وذات مرة ذهب الصبى إلى المطبخ، وشاهد هناك سلة مملوءة بالبيض. وبدأ يلهو بالبيض حتى كسره كله عدا بيضة واحدة فقط. وكانت هذه البيضة تتوهج وتتلألأ مثل البللور. وعندما عصف الشوق بالصبى قال لوالده:

- يا والدى، أريد الذهاب لرؤية أمى.

لم يعد بوسع الأمير سوى الموافقة على طلب ابنه. فأمر بإعداد فرسين، ومضى مع الصبى فى الطريق إلى الضريح. وعندما وصلا إلى هناك، فتح الأمير الباب البللورى، فأسرع الصبى على الفور إلى أمه التى بدت حية لم تمت. وأخذ الصبى يدحرج البيضة البللورية فوق وجه أمه، فما إن يدحرجها فوق إحدى عينيها حتى يرتفع جفناها وتفتحها، ولما تصل البيضة إلى العين الأخرى تفتحها بدورها، ثم يدحرج البيضة فوق يديها فترفعهما، ويمررها فوق قلبها فيخفق. وأخيرا نهضت اليتيمة من تابوتها كما لو أنها لم ترقد بداخله ميتة طيلة تلك السنوات المنصرمة.

وهكذا، تحطمت اللعنة السوداء التى أطلقتها الساحرة العجوز. وهنا، صاحت الساحرة تعلن بنفسها:

- حسنا يا ابنتى، لن أقوم بتعذيبك أكثر بعد الآن، وبما أن ابنك قد عثر عليك فلتعيشى كما عشتِ من قبل.

خرت اليتيمة على قدميها أمام الساحرة وقالت:

- اغفرى لى أيتها الجدة، فأنا المذنبة؛ لأننى فى غمرة سعادتى نسيتك طوال تلك الفترة، والآن لن يتكرر هذا الأمر مرة أخرى.

أقام الأمير الاحتفالات فى كل أطراف الدنيا.

وتم دعوة الأمراء والملوك من كل أرجاء العالم، ومعهم الساحرة التى خصصوا لها أفضل وأفخم مجلس. وحتى لا تخيف الحضور بهيئتها، دارت الساحرة العجوز حول نفسها مرتين، فتحولت إلى حسناء بارعة الجمال من وراء البحار. ومن فرط جمالها قام الملك بنفسه بالترحيب بها وضيافتها.

احتفل الجميع واحتفلوا، ثم تفرقوا بعد انتهاء الاحتفال. وعاش الأمير مع زوجته وابنه عمرا مديدا. وجعلوا الساحرة العجوز تعيش معهم، ولم يسمحوا لها بالعودة ثانية إلى الكوخ القائم فوق سيقان الدجاج .

* * *

الغجرى والعجوز وأجلاب الحظ الحسن

كان ياما كان غجرى عجوز يعيش مع زوجته وابنه. وفى أحد الأيام الرائعة ضرب الغجرى خيمته وقال لزوجته:

ـ سوف أذهب إلى سوق المدينة لأبيع الجياد.

حمل الغجرى سوطه وانطلق فى طريقه يسوق الجياد أمامه. وفجأة عندما وصل إلى أطراف الغابة، شاهد ستة صبية صغار وست فتيات صغيرات يركضون فى مواجهته. وكانوا جميعا يرتدون سراويل زرقاء تزينها رسومات لشجيرات صغيرة، وقمصانا حمراء وأحزمة محبوكة أسفل الخصر. وصاح الأطفال قائلين:

ـ قف! إلى أين أنت ذاهب؟.

أجابهم الغجرى:

ـ إنى ذاهب لمقايضة الجياد.

ـ حسنا، اذهب فى طريقك، وليحالفك الحظ.

اعترت الدهشة الغجرى لذلك الحوار، ولكنه لم يبد اهتماما كبيرا، ولكز جياده مواصلا طريقه حتى وصل إلى المدينة.

وفى ذلك اليوم أقيم فى المدينة سوق لم يشهد الغجرى له مثيلا من قبل. وحالف الحظ الغجرى على نحو لم يحدث معه قط. وعاد إلى بيته بالمال الوفير. وعندما اقترب من نفس المكان الذى قابل فيه الأطفال الصغار، وجدهم فى انتظاره. وسألوه قائلين:

ـ هيا أخبرنا، هل قايضت الجياد بصورة جيدة؟.

- نعم، وعلى أحسن صورة، فشكرا لكم. ويمكنكم طلب أى شىء منى ألبيه لكم، ولن أبخل به عليكم.

- نحن لا نريد شيئا أيها العم! ويمكنك انتظارنا اليوم فسوف نحل عليك ضيوفا. ولكن عليك أن تنتبه كى لا يرانا أحد على الإطلاق.

وما إن أسدل الليل أستاره حتى كان الأطفال فى خيمة الغجرى العجوز. وقالوا له سائلين:

- نرجو أن تعد لنا مكانا يخفينا عن عيون الناس.

رد الغجرى:

- هيا ادخلوا، فقد أعددت لكم بالفعل كل شىء.

كان هناك صندوق كبير يتوسط خيمة الغجرى. وقد أعده الغجرى للأطفال أجلاب الحظ كى يبيتوا بداخله. فوضع بداخله الحشية والوسائد وكل ما يلزم للراحة. فقال له الأطفال:

- أحضر لنا أيها العم مرآة وفرشاة شعر، وأحمر شفاه ومسحوق تنضير الخدود وصبغة.

أحضر الغجرى كل ما طلبه أجلاب الحظ. ومنذ ذلك الحين رفرفت السعادة حوله على نحو غير مسبوق، وأصبح الحظ يحالفه فى كل ما يفعله، ويلازمه التوفيق فى كل عمل يقوم به.

وفى كل صباح، وعندما كانت أسرة الغجرى تستيقظ من نومها، يقول أجلاب الحظ للعجوز محذرين:

- أنت رجل طيب أيها العم، ونحن نحبك، ولكن عليك توخى الحذر كى لا يعرف أحد ولا أية روح حية أننا نعيش معك.

مر زمن قصر أم طال، وفى يوم من الأيام اقتربت إحدى الغجريات من خيمة الغجرى العجوز. وكانت تريد الحصول على جمرة كى تشعل نارا بخيمتها. وكان أجلاب الحظ أثناء

الليل يمرحون ويلهون فى صخب. ويظلون فى صندوقهم على هذا الحال حتى مطلع الفجر وتردد صياح الديكة. وسمعت الغجرية الضوضاء الصادرة من خيمة الغجرى العجوز فأخذت تطلق السباب:

- ما هذا الذى يجرى؟ لقد أوشك الفجر على الطلوع والجميع نيام بعد وهم يرقصون ويلهون، ولا يتركون الآخرين ينعمون بالنوم! فلتحل عليكم اللعنة!.

ما إن نطقت الغجرية بلعنتها حتى اختفى أجلاب الحظ على الفور. ونهض الغجرى العجوز من نومه قبل شروق الشمس، واقترب من الصندوق فى الخيمة فلم يسمع الضجيج المألوف. فصاح سائلا:

- هل أنتم بالداخل؟.

لم يتلق العجوز ردا، ففتح الصندوق ولم يجد أحدا بداخله. وفكر بدهشة: "ما هذا الأمر؟ كيف يمكنهم الرحيل دون تحذير ولا وداع؟".

وهكذا، مر اليوم. وبعد منتصف الليل خرج الغجرى العجوز إلى الطريق، ومضى ينادى الصغار أجلاب الحظ. ولكن نداءه ظل يتردد فى طول الغابة وعرضها بلا جدوى. ولم يظهر له أحد منهم.

مرت بضعة أيام. وذات مرة خرج الغجرى العجوز لقضاء بعض الأعمال فى المدينة. وعندما وصل إلى نفس المكان الذى صادفهم فيه من قبل، خرج إليه أجلاب الحظ مرة أخرى، وركضوا نحوه قائلين:

- أيها العم، لقد كنا نرغب فى العيش معك، ولكن فى معسكرك توجد امرأة سيئة صبت اللعنة علينا وسبتنا بكلمات شريرة. ولم يعد بوسعنا الآن الإقامة لديك أيها العم.

- لقد كانت أحوالى جيدة معكم أيها الأطفال الأعزاء، ولكن بما أن الأمور سارت على هذا النحو فليوفقكم الله فى طريقكم يا أحبائى.

ورحل أجلاب الحظ قائلين إنهم فى جميع الأحوال سوف يظلون على مساعدتهم للغجرى العجوز فى أعماله، وقالوا:

ـ سوف تجدنا هنا دائما عندما تسافر إلى المدينة. ولكن القدر يمنعنا من العيش معك.

ومنذ ذلك الحين صار العجوز كلما خرج إلى المدينة يقابل دائما أجلاب الحظ الصغار في نفس المكان المعهود.

مر أسبوع وتلاه الثانى فالأسبوع الثالث. وذات يوم قال أجلاب الحظ للغجرى العجوز:

ـ احترس أيها العم، فتلك الغجرية ذاتها التى لعنتنا، تريد بك السوء. فأنت سوف تشترى اليوم حصانا، وبعد ذلك سوف تأخذ الغجرية ابنك إلى مكان مجهول لا يعلمه أحد.

تملك الخوف من الغجرى العجوز وقال:

ـ وما الذى علىّ فعله؟ أخبرونى.

ـ لا يمكنك فعل شىء بمفردك، فتلك الغجرية امرأة ساحرة. ونحن فقط نستطيع مساعدتك، فلا تحزن ولا تبك على ابنك، وسوف نخلصه من هذه المحنة. وأخبره أننا عندما نعيده إلى البيت، عليه أن يستجمع كل قواه ويظهر كل مهارته على حصانه. وكل ما عليه أن يدور حول المعسكر ثلاث مرات كى يستمع الحصان إليه كالطفل المطيع.

كان هذا ما جرى كما قال أجلاب الحظ. فقد أحضر الغجرى العجوز إلى البيت حصانا اشتراه من السوق. وقرر ابن الغجرى الترويض على الحصان. فأسرجه وامتطاه. وهنا أسرعت تلك الغجرية التى لعنت جالبى الحظ الصغار، وضربت الحصان بعود كالسوط، فأجفل الحصان وانطلق مثل السهم فى قلب الغابة حتى اختفى عن الأنظار.

ومر يوم بعد الآخر حتى مضى ستة أسابيع. ولم يعد بوسع الغجرى العجوز أن يتمالك نفسه. وعلى الرغم من ثقته فى أجلاب الحظ، فإن روحه ظلت قلقة على الابن. وفى نهاية الأسبوع السادس سمع الغجرى العجوز فى الفجر صهيل خيل ووقع حوافره، فخرج مسرعا من خيمته. ونظر فشاهد فرسا يخرج من الغابة غير ذلك الحصان الذى اشتراه لابنه. وكان فرسا حقيقيا رائع الجمال يمتطيه ابنه وهو يمسك اللجام بالكاد من فرط التعب، ومن خلفه يركض أجلاب الحظ يدفعون الفرس. وتذكر الغجرى العجوز نصيحة أجلاب الحظ له، فصرخ مناديا:

- يا ولدى العزيز، أرى قواك وقد بدأت تخور، فاستجمع ما بقى منها، وأظهر مهارة الغجر لديك، ودر بفرسك حول المعسكر ثلاث مرات.

استجمع ابن الغجرى العجوز آخر ما بقى من شتات قوته، وقبض على اللجام بقوة أكثر، وساق الفرس ليدور حول معسكر الغجر. وبعد أن أنهى أول دورة خفف الفرس من سرعته. وعندما انتهى من الدورة الثانية صار الفرس يثب بخطوات رشيقة. ولما انتهى من دورته الثالثة توقف الفرس أمام خيمة الغجرى العجوز. ولم يستطع الابن الترجل من فوق الفرس، بل وقع حيا بالكاد حيث تلقفته يدا الغجرى العجوز. ولم يسترد وعيه إلا فى اليوم الثالث فقط.

ومنذ ذلك الحين عاد الحظ السعيد يحالف الغجرى العجوز. أما الغجرية الشريرة فاختفت من معسكر الغجر، ولم يشاهدها أحد بعد ذلك قط.



الملك القاسى

كان ياما كان ملك قاسى القلب متحجر المشاعر. فكان يأمر بقطع رؤوس الناس لكل ذنب صغير يقترفونه، أو حتى لمجرد بعض اللهو الذى يقومون به. ولم يرحم الملك القاسى أحدا قط. وكان الغجر الذين يعيشون عند الأطراف هم أكثر من تعرض لبطشه. وذات يوم أمسك الحراس بفتى غجرى صغير، وذلك بعد أن اتهموه ظلما بنية سرقة الجياد. وأمر الملك بقطع رأس الفتى. ولم يكتف بذلك الأمر الظالم، بل أمر بإحضار جميع الغجر كى يشاهدوا إعدامه.

حضر الجميع والتفوا حول الفتى. وأعطى الملك الإشارة إلى السياف الذى رفع بلطته فى الهواء ليقطع بها الرأس. وهنا تردد صوت صراخ من بين الحضور: "توقفوا!". وخرجت من بين الحشود حسناء غجرية، وخرت ساجدة على قدميها أمام الملك.

- أتوسل إليك بحق السماء أيها الملك أن تأمر بقطع رأسى بدلا منه، وارحم هذا الفتى الصغير.

رد الملك:

- حسنا، سوف أرحمه، ولكن عليكِ الرقص من أجلى، وإن لم يعجبنى رقصك فسوف أقتلكما معا.

عزفت الموسيقى الصاخبة، وبدأت الفتاة الغجرية تهز كتفيها وتعقد يديها وتحركهما فى الهواء، وتدور حول نفسها وهى ترفع قدميها حتى خصرها. وأخذ بقية الغجر يغنون حولها.

انتهت الرقصة الجميلة. وارتفعت آهات الإعجاب بين الحشود فى الميدان. وأعجب الجميع برقص الغجرية. أما الملك الشرير القاسى فسخر منها، وأمر بقطع رأسها ورأس الفتى.

وما إن تهاوت رأس الغجرية والغجرى، حتى هبت زوبعة مخيفة على المكان. فتهدمت المنصة الملكية، وانهارت فوق الملك الشرير حتى هرسته.

* * *

الاثنا عشر سكينًا

غادر بعض الغجر راحلين إلى السوق، وحل عليهم الظلام أثناء عودتهم. وهبت الريح وتساقط المطر. ولم يعد هناك مكان لنصب الخيمة. فبحثوا عن ملجأ يأويهم. ولاحت أمامهم قرية صغيرة. فتقدم الغجر إلى أحد البيوت وطرقوا بابه. فخرجت إليهم ربة البيت.

- ما الذى تريدونه أيها الغجر فى مثل هذا الوقت المتأخر؟.

- نريد منك أيتها السيدة السماح لنا بالمبيت لديكِ.

- تفضلوا إن واتتكم الشجاعة!.

- نحن لا نخشى أحدا إنسًا كان أم شيطانا. فماذا تقصدين بقولك هذا؟.

- أقصد حماتى القبيحة الشمطاء، فما إن يهبط الليل حتى تتسلل خارجة من البيت، وتتحول إلى كلب لا يسمح لأحد بالعبور أو السير، ولو نظرتم إلى البيوت فسوف تجدونها كلها وقد أوصدت أبوابها؛ لأن الناس يخشون تلك الساحرة.

ضحك الغجر وسخروا من كلمات المرأة، ودخلوا البيت وهم يعدون أنفسهم للمبيت بداخله. وصعد فتى غجرى منهم فوق المدفأة ونظر، فشاهد عجوزا شعثاء رمادية الشعر تنام هناك. فتحت العجوز إحدى عينيها ورمقت الغجرى بنظرة شريرة مثل الريح التى تعصف فجأة.

قالت ربة البيت:

- كما ترون، فتلك العجوز تنام طوال النهار، وعندما ينتصف الليل تخرج من الكوخ عبر المدخنة كى تمارس أفعالها السحرية.

استمع الغجر لما قالته، وفرشوا التبن فوق الأرض، ورقدوا فوقه بعد أن وضعوا أحذيتهم تحت رؤوسهم، وراحوا فى النوم. لكن فتى غجريا واحدا منهم جافاه النوم. فقد أثرت فى روحه نظرة العجوز التى رمقته بها. فرقد الغجرى على الأرض متصنعا النوم، وقد أغلق عينيه نصف إغلاقة، وهو يتابع ما سوف تفعله العجوز. وبعد أن انتصف الليل صعدت العجوز فوق المدفأة، وأشعلت النار بداخلها، ثم تسللت إلى داخلها واختفت عن الأنظار. أسرع الغجرى إلى الخارج ووقف عند عتبة البيت، وشاهد الشرارات تتطاير من قلب المدخنة، ثم قفزت من داخلها العجوز. وأخذت الساحرة تزمجر وتهمهم. وهبطت إلى الأرض، وقذفت باثنى عشر سكينا رشقتهم فى الأرض، ومضت تسير بينهم. وتحولت على الفور إلى كلب. وارتفع نباح الساحرة واختفت من فناء البيت.

فكر الفتى الغجرى فى نفسه: "سوف ألقنك درسا أيتها العجوز". وانتزع الغجرى الاثنى عشر سكينا من الأرض.

فى الصباح صاحت سيدة الدار تقول:

.لقد ضاعت حماتى. فقد كانت تعود كل يوم فى الصباح، وفجأة ها هى اختفت.

ونظرت ربة البيت إلى الفناء، فشاهدت كلبا أسود يركض وينبح طالبا الدخول إلى البيت. فاعترت الدهشة السيدة. وحكى لها الفتى الغجرى كل ما جرى فى الليلة السابقة. وقال:

. ولهذا السبب فقد انتزعت هذه السكاكين من الأرض كى لا تلحق تلك العجوز الأذى بأحد بعد. ولندعها تعش فى صورة كلب ما دامت عاشت فى صورة كلب من قبل.



عصفور الجنة

كان ياما كان غجرية عجوز تعيش فى بلاد الله خلق الله. وكانت هرمة إلى درجة أنها لم تستطع الترحال مثل الغجر، وظلت تعيش فى القرية. ولم يكن لديها مال، ولذلك كانت تنام فوق أريكة أسفل السقف. وعاش مع العجوز ابنها الأحمق. وفى كل صباح كانت الغجرية تخرج بحثا عن الرزق، فتطلب الخبز من البعض، وتقرأ الطالع للآخرين. وعلى هذا النحو كانت تعيش. أما الابن الأحمق فيظل جالسا بالبيت يلهو ويعبث فيما لا يجدى. وعندما تعود العجوز إلى البيت، تُخرج كل ما جمعته من طعام خلال يومها، وتقوم بتعليقه خلف النافذة، وذلك كى يظل محفوظا فى الهواء ولا تفسده حرارة البيت. وكانت عصافير الجنة تقيم عشا لها أسفل سقف البيت. ومن المعروف أن عصافير الجنة التى تعيش بالبيوت هى طيور مقدسة. وإن– لا قدر الله– قام أحد بهدم عش عصافير الجنة، فسوف تخبو الحياة داخل البيت وتنطفئ. وهنا، سارت الأوضاع على هذا النحو. فكانت طيور عصافير الجنة تنقر طعام الغجرية العجوز وتأكله. فما العمل مع الطيور؟ صبرت العجوز وطال صبرها حتى نفد. وفكرت فى نفسها قائلة: "لا يمكن أن تمضى الأمور على هذا الحال. فأنا أبذل كل ما بقى من جهدى للحصول على هذا الطعام، ثم تأتى هذه الطيور العقيمة لتأكله!". وأخذت العجوز عصا، وحطمت بها عش عصافير الجنة.

وفى صباح اليوم التالى. وعندما استعدت العجوز للخروج من القرية، طار أحد عصافير الجنة محلقا فوق السقف، وسقط على الأرض وتحول إلى إنسان صغير الحجم. واقترب من العجوز قائلا:

- أنتِ أيتها العجوز، أعيدى هذا العش إلى مكانه، وإلا فلن تعد لكِ حياة فى هذا العالم!.

تملك الخوف الغجرية العجوز، وغطت عينيها بيديها، ثم فتحتها ونظرت فلم تر أحدا. ونادت العجوز على ابنها الأحمق:

ـ يا ولدى، لقد حدث كذا وكذا، فأرجوك أن تعيد عش عصافير الجنة إلى مكانه. ضحك الأحمق ولم يصدق كلمات أمه، ولم يقم بتعليق العش فى مكانه. وفى صباح اليوم التالى تكرر ما حدث. فحط عصفور الجنة من السقف، وارتطم متحولا إلى إنسان صغير، وصرخ يقول:

ـ ألم أخبرك أيتها العجوز أن تعيدى العش إلى مكانه؟ لماذا لم تفعلى ما طلبته؟.

ـ أيها العزيز، لقد طلبت من ابنى أن يعلقه، لكنه لم يستمع إلىّ. فأرجو أن تغفر لذلك الأحمق.

ـ حسنا، ولكنى أحذرك لآخر مرة، وإن لم تقومى بتعليق العش فى مكانه فسوف تسوء أمورك.

قال الإنسان الصغير ما قاله واختفى على الفور.

حملت العجوز العش، وحاولت تعليقه بنفسها إلى السقف، ولكن توازنها اختل وكادت أن تسقط من فوق السقف. فوقع العش من يديها، وارتطم بالأرض وتحطم.

وفى الصباح التالى حلق عصفور الجنة مرة أخرى، وتحول ثانية إلى إنسان صغير وقال:

ـ لقد حذرتك من قبل أيتها العجوز، ولم تطيعى كلامى. والآن ينبغى عليك معرفة أن حياتك فى الدنيا لم يبق منها سوى أسبوع واحد.

وكان هذا ما جرى. وماتت الغجرية العجوز بعد أسبوع.

* * *

الخيارة

يحكى أن امرأة شابة تعيش مع أسرتها. وكانت تهوى الرقص والغناء والمرح. وكان لدى المرأة رضيع صغير. وكانت كثيرا ما تتركه وتذهب إلى الرقص والمرح مع الفتيات والصديقات. وذات مرة تغيبت لفترة طويلة عن البيت. وعندما عادت بدأت فى إرضاع صغيرها من ثديها.

كان الرضيع غاضبا، فقام بعض ثدى أمه. فغضبت الأم وصبت على الرضيع لعنة تجعله لا يتزوج بأى امرأة، حتى يختار لنفسه زوجة من بين ثمار الخيار.

كبر الصغير وأصبح فتى يافعا جميلا. ومضى يبحث عن عروس يتزوجها، لكنه لم ينجح فى الأمر فى كل مكان يذهب إليه. وفكر فى السبب الذى يعيق زواجه. وعندئذ أخبره عجوز باللعنة التى صبتها عليه أمه، والتى تجعله لا يتزوج إلا من الخيار. وسأل الفتى الرجل العجوز:

- وكيف يمكن لى الزواج من خيارة؟.

أخبره العجوز بأن عليه الذهاب إلى الغابة، خيث توجد هناك امرأة عجوزة للغاية إلى درجة أنها لا تتذكر عمرها، وأن يطلب منها معرفة الوسيلة التى تجعله يتزوج من خيارة.

فعل الفتى ما أخبره به العجوز. وقالت له المرأة العجوزة:

- خذ هذه التفاحة ودحرجها أمامك. واتبعها إلى حيث تقودك.

مضى الفتى يسير خلف التفاحة حتى توقفت بالقرب من سور كبير. وهناك امتد حقل مزروع بالخيار. وقد أخبرته العجوز بأن عليه قطف خيارتين من الحقل، وأن يقطع إحدى الخيارتين إلى نصفين، وعندما يسمع صوت صراخ "ماء، ماء"، فعليه أن يلقى بالخيارة فى النهر.

كان هذا ما فعله الفتى. فقطع الخيارة إلى نصفين، وصدر صوت منهما "ماء، ماء"، لكنه من شدة الخوف نسى إلقاء الخيارة فى النهر، ثم قطع الخيارة الثانية، وعندما سمع صوت يصرخ "ماء، ماء"، ألقى بها فى النهر. فما الذى حدث؟.

خرجت من قلب النهر حسناء بارعة الجمال يتدلى شعرها الطويل حول كتفيها. فنادى عليها الفتى:

- اخرجى أيتها الفتاة من النهر.

قالت الفتاة له:

- كيف لى أن أخرج من النهر وأنا عارية؟.

عندئذ ألقى إليها بغطاء تدثر به نفسها، فخرجت من النهر.

أمسك الفتى بيدها وقال:

- ينبغى عليك أن تصبحى زوجة لى، وسوف أذهب إلى البيت وأحضر إليك ثيابا لائقة، وأزفك إلى بيتى. فاجلسى فوق هذه الصفصافة حتى أعود.

رحل الفتى، وتسلقت الفتاة الصفصافة وجلست فى انتظاره.

وفى مكان قريب كانت تقع قرية صغيرة. وفى تلك القرية عاشت فتاة قبيحة إلى درجة أن أحدا لم يرغب فى الزواج بها. وكانوا يطلقون عليها اسم السوداء. وخرجت هذه الفتاة لجلب الماء. وكان البئر يقع أسفل الصفصافة التى جلست فوقها الحسناء التى خرجت من الخيارة. وعندما انحنت القبيحة تملأ الزلعة بالماء من البئر، شاهدت صورة الحسناء يعكسها الماء، فظنتها صورتها وقالت:

- يقول الجميع إننى قبيحة، ولكن صورتى آية فى الجمال.

وألقت القبيحة بالزلعة من الغضب فحطمتها. وضحكت الفتاة الجالسة فوق الصفصافة وقالت:

- تعالى هنا إلىّ فى الأعلى، ويمكننا أن نمرح ونضحك معا.

تسلقت الفتاة القبيحة الشجرة. وجلست الاثنتان تتحدثان وتضحكان. ونزعت القبيحة خصلة من شعرها، وغرستها فى شعر الحسناء. فتحولت الحسناء إلى طائر حلق مبتعدا فى السماء. وعندما عاد الفتى ونظر نحو الشجرة، تملك الخوف منه لما وقعت عيناه عليها. فقد تحولت الحسناء المشرقة مثل الشمس إلى ليل أسود حالك. فسألها فى دهشة:

- ما الذى جرى لكِ؟!.

ردت عليه القبيحة:

- لقد أخذت أضرب وجهى وأقول لنفسى: "أوه، أوه متى يعود إلىّ؟ أوه، أوه متى يعود إلىّ؟". ولهذا فقد انتفخت شفتايا.

فكر الفتى فيما يفعله، ثم قرر أنه فى جميع الأحوال لن يجد زوجة أخرى له فى أى مكان. فأخذ القبيحة واصطحبها إلى البيت. لكنه ظل حزينا مهموما.

مر عام والفتى ما زال يتجرع الحزن. وكان فى أعماق روحه لا يصدق أن هذه القبيحة هى ذاتها الفتاة الحسناء التى خرجت من الخيارة.

وفى مساء أحد الأيام خرج الفتى إلى الفناء. فشاهد كل ثمار التفاح تغطيها الثقوب. ففكر فى نفسه: "ما الذى حدث للثمار؟ لا بد أنه طير من الطيور، وينبغى الإمساك به".

اختبأ الفتى خلف الشجرة، وكمن مترقبا. وسرعان ما شاهد طيرا يحط فوق شجرة التفاح. وكان الطائر بديعا رائع الجمال. فقفز الفتى مسرعا وأمسك بالطائر فى يده. وما إن قبض عليه حتى سقطت خصلة الشجر من فوق رأس الطائر. وفى الحال تحول الطائر إلى تلك الحسناء التى خرجت من الخيارة. وغمرت الفرحة والسعادة الفتى بالعثور على فتاته. ومن شدة فرحه لم يقم بسوء نحو القبيحة ذات الوجه الأسود، بل طلب منها الرحيل إلى حيث لا تقع عيناه عليها أبدا.

* * *

حكايات شعبية من ليتوانيا

الملكة البجعة

كان ياما كان عجوزان يعيشان معا فى بلاد الله خلق الله. وكانا فى كل صباح يخرجان لتنظيف الفناء من المخلفات. وما إن يخرجا حتى تحط فى بيتهما بجعة بيضاء، تقوم بنزع جناحيها، وتتحول إلى فتاة حسناء. وبعد ذلك تشعل الفتاة الفرن وتعد طعام الغداء، ثم تنظف البيت وتطير مرة أخرى مغادرة المكان.

لم يصبح على العجوزين الاهتمام بشىء. فعند عودتهما يجدان كل شىء مرتبا ونظيفا.

وكانت الدهشة تعتريهما ويتساءلان: من الذى يقوم بهذا العمل الطيب؟.

ذات يوم ظل العجوز بمفرده بالبيت، واختبأ أسفل برميل ينتظر ويترقب ما سوف يجرى. فشاهد البجعة تحط داخل البيت، ثم تنزع جناحيها وتتحول إلى فتاة حسناء. وبعد ذلك خرجت الفتاة لجلب الماء. فأسرع العجوز وقام بحرق جناحيها. وعادت الفتاة تحمل دلوا مملوءا بالماء، وتلفتت حولها فلم تر أثرا لجناحيها. فانهمرت الدموع من عينى الفتاة، ودفعها الحنين إلى التفكير بأبيها وأمها وصديقها العزيز. وهكذا، ظلت الفتاة تعيش لدى العجوزين.

وذات مرة خرج الملك بنفسه للصيد فى الغابة. وعندما شاهد الفتاة وقع فى حبها على الفور، وقال للعجوزين:

- سوف أمنحكما مليون قطعة نقدية من المال وآخذ الفتاة مقابل ذلك.

أسقط فى يد العجوزين ومنحا الفتاة للملك. فاصطحبها الملك إلى قصره وتزوجها. وبعد مرور بعض الوقت وضعت له طفلا.

وذات يوم خرجت الفتاة الملكة مع طفلها إلى الحديقة. وهناك شاهدت سربا يطير من البجع. وفى مقدمته كان والدها يطير وهو يغنى مرددا:

أشاهدها هناك فى الحديقة الزهراء،

ابنتى العزيزة البجعة البيضاء،

تهدهد طفلها على الأريكة المرمرية.

وهو يلهو بالخواتم الذهبية،

وتقرأ له فى الكتاب الذهبى،

وتغطى وجهه بالمنديل الحريرى.

سوف ألقى إليك يا ابنتى بالجناحين،

وتتركين طفلك ليصبح يتيما فى العالمين.

خفق قلب الملكة، وانهمرت الدموع من عينيها، ورددت تغنى تجيب على والدها:

لا تلق إلىّ بالكرب والحنين،

فلن أترك طفلى ليصبح يتيما.

جاء الملك إلى زوجته وسألها:

- ما الذى يبكيك يا أميرتى؟.

ردت الملكة:

- كان الطفل يبكى فبكيت بدورى.

فى اليوم التالى طارت تحلق فوق الفتاة أمها البجعة، ورددت نفس الأغنية. وبعد ذلك طار شقيقها وشقيقتها من البجع وأخذا يرددان نفس الأغنية. لكن الملكة لم تستمع إليهما. وأخيرا شاهدت صديقها الحبيب يحلق فوقها ويغنى:

أشاهدها هناك فى الحديقة الزهراء،

صديقتى العزيزة البجعة البيضاء،

تهدهد طفلها على الأريكة المرمرية.

وهو يلهو بالخواتم الذهبية،

وتقرأ له فى الكتاب الذهبى،

وتغطى وجهه بالمنديل الحريرى.

سألقى إليك يا صديقتى بالجناحين،

وتتركين طفلك يبكى فى العالمين.

لم تتمالك الفتاة نفسها، فرددت تجيب:

ألق إلى بالأجنحة أيها الصديق،

وليعصف بابنى الحزن والضيق.

ألقى طائر البجع بالجناحين إلى الفتاة وسرعان ما طارت محلقة معه.

لم يمر وقت طويل حتى مات صديقها طائر البجع، وصار الحنين يعصف بها مرة أخرى.

أما الملك فلم ينتظرها طويلا، وتزوج من الساحرة الشمطاء لاومى. لم تكن زوجة الأب تحب الطفل، وكرهته كرها شديدا. وصارت البجعة تحط فى فناء القصر فى الليل، ثم تنزع جناحيها، وتقوم بتنظيف طفلها وتهدهده، وتحلق وهى تغنى:

ربة المنزل نائمة،

ورب البيت نائم،

والحراس فى سبات،

والحارسات نائمات،

ولكن طوال الليل والنهار

تنهمر دموع طفلى كالأنهار.

كانت تهدهد طفلها فيظل نائما نوما عميقا حتى تعود إليه الأم مرة أخرى.

اعترت الدهشة الملك وتساءل:

- ما السبب الذى يجعل ابنى ينام لفترة طويلة؟.

ذات مرة شاهد البجعة تحط فى القصر وتتحول إلى الأميرة، وسمعها تهدهد الطفل، ثم تطير محلقة بعد أن تتحول إلى بجعة ثانية.

فكر الملك وفكر فى الطريقة التى تجعله يمسك بالبجعة. وذات يوم جاء عجوز إلى القصر. فسأله الملك عن الوسيلة التى تساعده فى الإمساك بالبجعة. ورد عليه العجوز:

- عليك معرفة النافذة التى تخرج منها وتطير، ثم تقوم بوضع الصمغ فوق إطار تلك النافذة. وعندئذ سوف يلتصق جناحاها وساقاها بالنافذة، ويمكنك أن تقبض عليها بيدك اليسرى، ثم تنزع جناحيها بيدك اليمنى، فتعود وتتحول إلى ملكتك مرة أخرى.

فعل الملك ما قاله العجوز، ودهن إطار النافذة بالصمغ. وعندما التصق جناحا وساقا البجعة بالنافذة، أمسك بها بيده اليسرى، ونزع جناحيها بيده اليمنى. فتحولت البجعة إلى زوجته الملكة ثانية. وقام الملك بقتل الساحرة لاومى. وبعد مرور ثلاثة أيام أقام الاحتفالات فى جميع أرجاء الدنيا.

وقد كنت بنفسى هناك فى تلك المأدبة، حيث أكلت من العسل الذى كسا شاربى ولم يدخل فمى، وشربت من الجعة التى لم تدخل جوفى.

* * *

ضيعة الماء والمناشف والسياط

كان ياما كان رجل يعيش مع ابنته إلينيتا. كانت أم الفتاة قد ماتت منذ زمن بعيد. وبعد مرور بعض الوقت رحل والدها عن الدنيا هو الآخر.

ظلت الفتاة إلينيتا وحيدة تماما تعانى الحزن والوحدة. فخرجت بعد الليلة الأولى لموت والدها إلى قبره تبكى بدموع مريرة. وهنا نهض الأب من القبر وأعطى ابنته حزمة من الضباب، وفستانا من النجوم وحذاءً من النجيمات، وعربة وجيادا. وفى مساء الليلة التالية جاءت إلينيتا مرة أخرى إلى القبر. فخرج إليها والدها وأعطاها فستانا قمريا، وعربة قمرية، وجيادا وسوطا. فى المرة الثالثة أعطاها الوالد فستانا شمسيا، وعربة شمسية، وجيادا وحوذيا، وقال لها:

- هناك فى الطريق توجد شجرة بلوط عالية، فاذهبى إليها وغنى لها:

يا شجرة البلوط الباسقة العريقة،
افتحى لى جذعك ليخفى الحقيقة!.

- وعندئذ سوف تنشق شجرة البلوط وتفتح جذعها لك، وعليك إخفاء كل أغراضك الثمينة بداخلها. وعندما يقومون بملاحقتك، ويريدون مشاهدة المكان الذى تخفين فيه أغراضك، قومى بحل حزمة الضباب.

فعلت إلينيتا ما قاله والدها. وأخفت داخل شجرة البلوط الفستان والجياد والحوذى والعربة، ثم مضت تبحث عن عمل تقوم به. ووصلت إلى قصر الملك، حيث أخذوها للعمل فى إطعام الخنازير.

وذات يوم أقام ملك المملكة المجاورة حفلا كبيرا، ودعا إليه ابن الملك الذى تعمل لديه إلينيتا فى إطعام الخنازير. واستعد الأمير ابن الملك للذهاب إلى مأدبة الحفل. وعندما أراد الاغتسال لم يجد ماءً، فصاح مناديا:

- أحضروا الماء بسرعة إلىّ!.

أسرعت إلينيتا تركض وهى تحمل زلعة كبيرة مملوءة بالماء.

لكن الأمير صرخ فى وجهها:

- ما هذه القاذورات التى تحيط بقدميك؟.

وزمجر الأمير من شدة الغيظ، وألقى بالماء كله فى وجه الفتاة غاضبا.

انتهت إلينيتا من إطعام الخنازير، وخرجت عند الشفق إلى الغابة. وذهبت إلى شجرة البلوط تغنى لها:

يا شجرة البلوط الباسقة العريقة،

افتحى لى جذعك ليخفى الحقيقة!.

انشقت الشجرة. وأخذت إلينيتا من داخلها فستان النجوم، وتزينت وجلست فى عربة النجوم، وأمرت الحوذى أن يذهب بها إلى حفل الملك.

وعندما ظهرت الفتاة فى القصر أشرق المكان بنورها. وأخذ الحضور يحزرون ويتساءلون فى دهشة: من أين أتت هذه الحسناء؟ وكان الأمير ابن الملك أكثر الحضور إعجابا بالفتاة. وأراد التعرف إليها عن قرب، وبعث بالخدم يسألون عن موطنها وأصلها. فأجابتهم إلينيتا بأنها أتت من ضيعة الماء.

وقبل صياح الديكة وطلوع الفجر، جلست إلينيتا فى عربتها، وأمرت الحوذى بالانطلاق. وخرج ابن الأمير يحاول اللحاق بها، فقامت إلينيتا بحل حزمة الضباب حتى أصبح المكان مظلما، ولم يستطع أحد أن يشاهد موقع اختفائها. وفى نفس الوقت وصلت إلينيتا إلى الغابة حيث تقع شجرة البلوط. ومضت تغنى لها:

يا شجرة البلوط الباسقة العريقة،

افتحى لى جذعك ليخفى الحقيقة!.

انشقت شجرة البلوط، ووضعت إلينيتا بداخلها الفستان والعربة والجياد، ثم ارتدت ثيابها القديمة وانتعلت حذاءها. وذهبت إلى حظيرة الخنازير فى قصر الملك تواصل عملها.

لم يمر وقت طويل حتى استعد ابن الملك ثانية للذهاب إلى أحد الحفلات. واغتسل ثم انتظر حتى يأتون إليه بالمنشفة. وعندما طال انتظاره صرخ مناديا:

- إليّ بالمنشفة!.

لم يسمع الخدم نداءه. فأسرعت إلينيتا إلى الأمير تحمل المنشفة. فما إن شاهدها حتى صرخ فى وجهها:

- ما الذى جاء بك أيتها القذرة؟ ألا تنظفين قدميك أبدا؟.

ما إن هبط الليل حتى ذهبت إلينيتا إلى شجرة البلوط وغنت لها:

يا شجرة البلوط الباسقة العريقة،

افتحى لى جذعك ليخفى الحقيقة!.

انشقت شجرة البلوط، فأخذت الفتاة منها الفستان القمرى والحلى والزينة، ثم جلست فى العربة القمرية، وذهبت إلى الحفل. وعندما وصلت إلى القصر أشرق المكان بنورها على الفور. ولم يستطع ابن الملك أن يعرف المكان الذى أتت منه هذه الحسناء. وأرسل إليها خدمه يسألونها، فردت عليهم إلينيتا بأنها جاءت من ضيعة المناشف.

لم يتردد صياح الديكة بعد، وكانت إلينيتا قد أصبحت فى عربتها. وأمرت الحوذى بالانطلاق فى طريق العودة. وأراد الأمير معرفة الاتجاه الذى سارت فيه الحسناء. لكن إلينيتا حلت حزمة الضباب الذى سرعان ما ارتفع وأصبح كثيفا. ولم يستطع أحد معرفة الطريق الذى سارت فيه. ووصلت إلى شجرة البلوط، حيث أخفت بداخلها الفستان القمرى والجياد والعربة، ثم ذهبت إلى الحظيرة الملكية لإطعام الخنازير.

فى المرة الثالثة استعد الأمير للذهاب إلى الحفل، فارتدى ثيابه واغتسل ثم امتطى فرسه ولم يجد السوط. فصرخ مناديا:

- هيا، أحضروا إليّ السوط!.

أسرعت إلينيتا نحو الأمير تحمل السوط إليه. فصرخ الأمير فى وجهها:

- ما الذى أتى بك أيتها القذرة؟ إن القاذورات تغطى قدميك!.

وضربها الأمير بالسوط وغادر المكان.

هبط الليل، وذهبت إلينيتا مرة أخرى إلى شجرة البلوط. وأخرجت منها الفستان الشمسى، والعربة الشمسية والجياد، وانطلقت إلى الحفل. وعندما دخلت إلى القصر أشرق المكان بنورها، ولم يستطع أحد النظر إليها كما لو أنها الشمس. وأرسل الأمير خدمه يسأل الحوذى عن موطن الحسناء وأصلها. فأجابه الحوذى قائلا:

- إنها من ضيعة السياط.

عندئذ أحضر الأمير بعض الصمغ ، ووضعه فوق عتبة القصر.

لم يتعال صياح الديك بعد، حين كانت إلينيتا تسرع فى طريق العودة. وعندما خرجت مسرعة من القصر التصقت فردة من حذائها بعتبته، ولم تلحظ إلينيتا ذلك الأمر. وقفزت إلى العربة ومضت فى طريقها.

عندئذ بعث الأمير برسله فى أرجاء الأرض كافة يبحثون عن ضيعة الماء وضيعة المناشف وضيعة السياط. لكن أحدا منهم لم يعثر على مثل تلك الضياع، فلم يشاهدها أحد، ولم يسمع أحد عنها من قبل. وبدأ الأمير يطلب من جميع الفتيات فى مملكته أن ينتعلن فردة الحذاء فى أقدامهن، وذلك للعثور على صاحبة الحذاء المفقود. فكانت الأميرات أول من جربن الحذاء، ثم أتت بعدهن بناتهن، وبعد ذلك الفتيات العاديات من عامة الشعب. لكن فردة الحذاء لم تناسب ولا واحدة منهن.

وأخيرا طلب الأمير حضور جميع الخادمات. وأمرهن بقياس الحذاء. لكن أقدامهن جميعا لم تناسب الحذاء. وهنا تذكر الأمير أن والده قد أحضر خادمة قذرة لإطعام الخنازير. فصاح مناديا:

- هيا، أنت أيتها القذرة، ربما عليك أن تقيسى الحذاء الشمسى بدورك!

وضعت إلينيتا قدمها فى الحذاء. ونظر الأمير مذهولا إلى الحذاء الذى بدا أنه قد صُنع من أجلها تماما. وعندئذ نزعت إلينيتا من قدمها الأخرى النعل الخشبى، وشاهد الجميع أنها تضع أسفله فردة الحذاء الشمسية الأخرى، وتملكت الدهشة ابن الملك الذى صاح:

- آه يا فتاتى القذرة!.

وهنا حكت إلينيتا للأمير عن كل شيء. فركع الأمير على قدميه أمامها طالبا المغفرة منها عن سلوكه الفظ ومعاملته القاسية لها.

ولم يمض وقت طويل، حتى تزوج الأمير ابن الملك من إلينيتا. وجرت مراسم الزفاف في بهجة عمت أرجاء المملكة.

* * *

ملك الطيور

يحكى أنه فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان، اجتمعت جميع الطيور ذات مرة فى مرج كبير، وذلك كى يختاروا ملكا على الطيور من بينها. فكان هناك النسر، واللقلق، والشحرور، وأبو فصادة، والبجعة، والقنبر، والغراب وغيرها، وكذلك أصغر طائر على الإطلاق.

أراد كل طير أن يصبح ملكا على الطيور. وظلوا يتحاورون ويتجادلون طويلا حول الأقدر منهم. وفكر اللقلق فى أن جناحيه هما الأقوى فقال:

- من منا يستطيع التحليق أعلى من الجميع، يصبح ملكا على الطيور.

وافقت جميع الطيور على اقتراح اللقلق.

وضرب اللقلق الأرض بمنقاره علامة للانطلاق. فانطلقت جميع الطيور لتبدأ التحليق. ولم يستطع الكروان الارتفاع عاليا، وسرعان ما هبط إلى الأرض، وكذلك الدجاجة التى حاولت الطيران وكادت أن تكسر ساقيها. وطارت بقية الطيور وحلقت إلى الأعلى بكل قوتها. ولكن التعب سرعان ما أصابها، فبدؤوا يهبطون واحدا بعد الآخر.

لم يبق سوى اللقلق والنسر اللذان حلقا لأعلى حتى صارت العين تبصرهما بالكاد. وحل التعب على اللقلق فى النهاية. وظل النسر بمفرده فى أعالى السماء. وصاح منتشيا:

- أنا الملك! أنا الملك! لا أحد يستطيع التحليق أعلى منى!.

انطلق صفير أصغر الطيور أسفل أذن النسر يصيح:

- أنا أستطيع الفوز عليك! وأنا الملك!.

وحط ذلك الطائر الصغير للغاية فوق ظهر النسر منتظرا أن يحل التعب بالنسر.

وحاول النسر أن يطرد الطائر من فوق ظهره بلا جدوى. وعندما حل التعب به تركه الطائر الصغير، ولم يستطع النسر اللحاق به لأعلى.

وهكذا، خدع الطائر الصغير للغاية جميع الطيور الأخرى، وأصبح ملكا عليها. لكن الخجل أصابه بسبب خداعه لها. ومنذ ذلك الحين وهو يختبئ بين أغصان الأشجار. وكانت بقية الطيور كلما تشاهده تحسده.وهى تصيح:

- هذا الصغير هو الملك! هذا الصغير هو الملك!.

* * *

الوقواق

عندما كان بيركوناس(*) ملكا على الوحوش والطيور، حدد لكل منها المكان الذى عليه أن يعيش فيه: اللقلق فوق الشجر العالى، البط والإوز والبط البحرى فى الماء، والزقزاق بين الشُجيرات، أما طائر القُبر ففى الأبراج، وطائر سن المنجل والوقواق والهدهد فى الغابة، وطائر القعقع بين شُجيرات الصفصاف، وطيور الدُرسة والعصافير والكروان تعيش بين الشُجيرات الكثيفة، أما عصافير الجنة والدورى فتعيش تحت الأسقف. واستقرت كل الطيور فى الأماكن المخصصة لها، عدا طائر الوقواق الذى تذمر قائلًا:

ـ إن المكان مكشوف على نحو مزعج فوق الأشجار العالية، وفى الماء تسود البرودة والرطوبة، وفى قلب الشُجيرات لا يوجد سوى الوحدة والضجر، والمناخ موحش فى الأبراج، وفى الغابة يسيطر الخوف والرعب، وأسفل الأسقف الجو خانق... أريد مكانًا يغرقه الضياء والدفء، ويسوده المرح ويسهل الوصول إليه ولا يتسم بالخطورة...

غضب بيركوناس وصرخ فى وجه الوقواق:

ـ بما أنك تتذمر على هذا النحو، فسوف تعيش بلا بيت يأويك، ولن تجد مكانًا لك على وجه الأرض.

هكذا، وحتى يومنا هذا لا يجد الوقواق مكانًا له يسكنه. وعندما يستقر فى أحد الأمكنة، لا يعيش فيه أكثر من صيف واحد. ويقضى كل ليلة فوق شجرة مختلفة، ولذلك لا

(*) باللاتينية (Perkūnas) – هو رب الهواء فى البلطيق، وراعى العدالة، وأحد أهم الآلهة القديمة فى لاتفيا–المترجم.

يصنع لنفسه عشًا، ولا يرقد فوق بيضه، بل يضع بيضه فى أعشاش غريبة. ويجعل الطيور الأخرى ترقد فوق بيضه، وتقوم بتربية صغاره بدلا منه.

وهكذا، يعيش طائر الوقواق بلا بيت ولا أسرة، ويظل دائما يبحث عن شيء ما، ويظل يتألم وينوح شاكيًا باكيًا.

* * *

طائر القُبر والضفدع البرى

عندما استعد الرب لخلق طائر القُبر، قبض على حفنة من الطين وألقى بها عاليًا. فتحولت حفنة الطين إلى طائر يحلق فى السماء ويغرد فوق الأرض. وكان الشيطان جالسًا فوق صخرة يشاهد كل ما جرى. وأراد أن يخلق بدوره طائرًا. فحمل حفنة من القاذورات وألقى بها عاليًا. فسقطت حفنة القاذورات على الأرض أسفل الصخرة تمامًا، وأخذت تنقنق وأصبحت الضفدع البرى.



الضفادع والشمس

ذات مرة عرفت الضفادع أن الشمس تنوى الزواج. فاجتمعت جميعها وأخذت تتناقش حول هذا الأمر:

ـ هل عرفتم بالخبر المشئوم؟ أحوالنا سوف تسوء! إن الشمس الآن فى وقت الصيف تجفف بحرارتها الكثير من المستنقعات وعيون الماء، وعندما تتزوج وتنجب الأطفال فسوف يقومون جميعًا بالمزيد من الإحراق والتجفيف، ولن يكتفوا بالمستنقعات والعيون، بل سوف يجففون جميع الأنهار والبحيرات. وينبغى علينا الذهاب إلى الرب للتظلم من هذا الأمر!.

وهكذا، قررت الضفادع وحزمت أمرها وهى تنقنق كواك، كواك! وذهبت جميعها إلى الرب، ولكنها لم تعثر عليه فى ذلك الوقت.

علمت الشمس بذهاب الضفادع لتقديم الشكوى ضدها، فثارت من شدة الغضب وصاحت قائلة:

ـ سوف أسخن كل شىء على وجه الأرض وألهبه، ولكن حرارتى ودفء أشعتى لن يصلا إلى الضفادع الأوغاد!.

وشعرت الضفادع بدورها أنها لم تفعل الصواب. فأصبحت تخشى الشمس وتخجل منها. وظلت حتى يومنا هذا تنقنق فقط عندما تغرب الشمس، ولا تتمتع بأى قسط من دفء الشمس.



الذئب ذو الأصل النبيل

كان الذئب يتباهى بأن أصله يعود إلى عروق النبالة. وكان الكلب يلقبه بالرجل. وذات مرة أحضر الذئب شهادات موثقة تفيد بأنه ليس برجل وإنما هو من النبلاء، وأمر الكلب بقراءتها.

لكن الكلب كان أميا لا يعرف القراءة، فذهب بالشهادات إلى الهرة. كانت الهرة فى ذلك الوقت منهمكة فى بعض الأمور، فوضعت الشهادات فوق الفرن، وكانت الشهادات متسخة ببقايا الأطعمة فعثر عليها الفأر، وقام بقرضها حتى تمزقت.

جاء الذئب إلى الكلب وطلب منه أن يعيد له الشهادات. فذهب الكلب إلى الهرة. وقفزت الهرة فوق الفرن، فلم تجد من الشهادات سوى مزق مبعثرة. وهجمت الهرة على الفأر، وانقض الكلب خلف الهرة، وكلما قابل الذئب الكلب صار يطالبه بإعادة شهادات النبالة.

وهكذا، ظلوا حتى يومنا هذا لا يجتمعون معًا أبدا. فأقسمت الهرة أن تلتهم الفأر فى أى مكان تشاهده به. وظل الكلب يهاجم الهرة كلما رآها حتى وقتنا هذا، وظلت الهرة تخشى الكلب وتفر منه، ويظل الجميع يبحثون عن شهادات النبالة.



الذئب والثعلب

فى يوم من الأيام ركض الذئب والثعلب معًا فى الغابة. ومرا بالقرب من إوزة تقف أمام جحرها. كان الاثنان يتضوران من الجوع. لكن الثعلب لم يطرف بعينه تاحية الإوزة، ولم يعرها اهتمامًا. فسأله الذئب:

ـ لماذا لا تكترث بما حولنا؟ ألا ترى الإوزة؟.

رد الثعلب قائلًا:

ـ إنى ألتزم بفترة الصيام.

تذكر الذئب أنه لا يلتزم بفترات الصيام، بل يأكل اللحم عندما يعثر عليه. فهجم على الإوزة وأخذ فى التهامها.

عندئذ اقترب الثعلب بشجاعة من الإوزة، وأخذ بدوره فى التهامها حتى عظامها وصاح الذئب على الثعلب:

ـ أرى أنك لا تلتزم بالصيام الآن.

رد الثعلب:

ـ إن الصيام واجب على كل من لا يستطيع أن يطأ الأرض بأقدامه.

* * *

نزاع الأرنب والذئب

ذات يوم خرج الأرنب من وليمة دُعى إليها، ومضى يسير وهو يصرخ ويصيح من الجوع:

- يا إلهى، لن أصل إلى البيت من شدة الجوع!.

خرج الذئب من بين الأشجار وقال:

- يا لك من لعين! لقد أخفتنى من شدة صياحك، والآن سوف ألتهمك!.

توسل الأرنب قائلًا:

- لا تأكلنى أيها السيد المحترم، وسامحنى لأنى كنت مخمورًا، ولم أدرك ما حولى.

- مادام الأمر هكذا فلن ألتهمك ولنذهب غدًا إلى القضاة ليفصلوا فى النزاع بيننا.

أسرع الأرنب يبحث عن شهود يناصرونه. وظل يبحث ويبحث دون أن ينجح فى العثور على أحد. ودخل إلى حقل مزروع بالكرنب ليأكل منه، فشاهد هرة بالحقل. وأخذ يتوسل إلى الهرة للذهاب معه كشاهدة. فوافقت الهرة. وسار الأرنب مع شاهدته حتى قابل الديك. وطلب الأرنب من الديك أن يذهب للشهادة معه. فوافق الديك. ومضى الأرنب والهرة والديك يواصلون طريقهم حتى شاهدوا جديا عند طرف الغابة يأكل العشب. فسأل الجدى الأرنب:

- إلى أين تركض أيها الأرنب؟.

- إنى ذاهب إلى القاضى مع الذئب. وقد عثرت على الشهود، وها نحن ذاهبون معًا إلى القاضى.

صاح الجدى:

- خذنى معك شاهدًا أنا الآخر.

- حسنًا، فلنذهب معًا.

وانطلقوا جميعًا فى الطريق إلى القاضى.

فى ذلك الوقت طلب الذئب من الدب أن يتسلق الشجرة ليخبره عن وصول الأرنب. فتسلق الدب أعلى الشجرة، ثم صاح من مكانه:

- ها هم قادمون! إنهم يحملون المناجل والسكاكين والبلطات، كما يجرون حزمًا من العيدان الطويلة. وسوف يضربوننا حتى الموت. وأظن أنه من الأفضل لى أن أظل قابعًا فوق الشجرة.

صاح الذئب يسأل:

- وأين يمكننى الاختباء؟.

- اختبئ داخل كومة الأغصان هناك، واجلس ساكنًا حتى يبتعدوا.

اختبأ الذئب بين الأغصان، ورقد ساكنًا. ووصل الأرنب ومعه الهرة والديك والجدى إلى المحكمة، ولم يشاهدوا أحدًا هناك. فصاحت الهرة:

- فلنبحث عنه!.

صاح الديك بصوت عالٍ:

- ولن نستسلم، لن نستسلم!.

وثأثأ الجدى:

- يظهرون ثم يختفون، وفجأة يظهرون ثم يختفون!.

تطلعت الهرة وشاهدت حركة بين الأغصان. فظنت أن هناك فأرا، فلم تصبر وغرست حوافرها فى نيل الذئب. وقفز الذئب من شدة الذعر قفزة هائلة فى الهواء. وتملك الذعر الديك فطار فوق الشجرة حيث كان الدب مختبئا. وظن الدب أن وحشًا مفترسا جاء لقتله، فألقى بنفسه من فوق الشجرة إلى أسفلها، وتهشم جسمه حتى مات.

وعندما لم ير الأرنب أثرًا للذئب بعد أن فر فى قلب الغابة، وشاهد الدب ميتًا قال:

- هذا هو حكم المحكمة العادل.

وعاد الأرنب مع شهوده إلى بيوتهم.

* * *

السـرطـان والـغـراب

فى يوم من الأيام حلق الغراب الجائع فوق البحيرة، واستطاع الإمساك بمنقاره بالسرطان. وأدرك السرطان أن نهايته اقتربت، فأخذ يكيل المديح للغراب:

ـ يا لك من غراب بديع الحسن لم أُشاهد طائرًا جميلًا مثلك من قبل فى حياتى!.

ظل الغراب صامتًا لا يجيب بشيء. وواصل السرطان كلمات المديح:

ـ لابد أن صوتك هو أعذب الأصوات وأروعها، أليس كذلك؟.

تملكت النشوة من الغراب لكلمات المديح، لكنه لم ينطق بكلمة. وبعد مرور وقت قصير أخذ السرطان يمدحه ثانية:

ـ فى حقيقة الأمر وبمنتهى الأمانة ينبغى عليك أن تصبح ملك الطيور جميعها، أليس كذلك؟.

ـ نعم!.

وما إن نطق الغراب بالرد حتى سقط السرطان فى الماء وسبح فيه آمنًا. وطار الغراب بمفرده خاوى المنقار.



حكاية الذئب الذى حاول خَبز الدقيق

فى أحد الأيام قابل الذئب رجلًا فى الغابة وسأله قائلًا:

. أعطنى بعض الخبز!.

منحه الرجل خبزًا. فأكله الذئب وسال لعابه من حلاوة الخبز، فقال للرجل:

. ما الذى يمكننى فعله كى يصبح لدى دائمًا مثل هذا الخبز؟ هل يمكنك تعليمى صناعته؟.

. حسنًا، سوف أعلمك.

بدأ الرجل يعلم الذئب وقال له:

. أولًا، ينبغى عليك أن تحرث الأرض.

. وعندما أحرثها أيمكننى تناول الخبز؟.

. بالطبع لا، بل عليك أن تغرس البذور بعد الحرث.

. وعندما أغرسها أيمكننى أكل الخبز؟.

. ليس بعد، بل عليك الانتظار حتى تنبت وتنمو.

. وعندما تنمو هل يمكننى أكلها؟.

. ليس بعد، فعليك أولًا جمعها.

. وبعد جمعها هل يمكننى أكلها؟.

. ليس بعد، بل يجب طحنها.

- وبعد طحنها أيمكنني أكلها؟.

- ليس بعد، بل عليك خبزها.

- وبعد أن أخبزها هل يمكنني أكلها؟.

- نعم يمكنك.

فكر الذئب قليلاً وفكر، ثم قال:

- أظن من الأفضل ألا أقوم بالخَبز حتى لا أنتظر كل هذه الفترة الطويلة. فقد عشت حتى الآن دون تناول الخبز، ويبدو أني سوف أعيش مستقبلاً دون حاجة إلى الخبز.

❊ ❊ ❊

حكايات شعبية من لاتفيا

باستاريس

كان ياما كان صياد يعيش فى بلاد الله خلق الله. وقد حدث أن مات جميع أبنائه عدا أصغرهم، والذى أطلق عليه الوالد اسم باستاريس.

وفى يوم من الأيام كان الصياد يقف عند شاطئ البحر مع باستاريس يصيدان الأسماك. وفجأه ظهر أمامهما مركب ضخم هائل الحجم. وأخذ المركب يقترب من الشاطئ حتى رسا عنده. ولم يظهر أحد على سطح المركب، حتى خرج فجأة من داخله مارد مخيف الهيئة. وكان المارد هو الشيطان بعينه. وصاح المارد مناديًا الصياد:

- هيا أحضر لى ابنك باستاريس إلىّ هنا!.

رد عليه الصياد:

- لا، لن أُحضر إليك ابنى، ولن أعطيه لك!.

ما إن سمع المارد كلمات الصياد حتى قفز فى قلب الماء، وخرج إلى الشاطئ حيث قبض على باستاريس وحمله إلى المركب، واختفى فى لمح البصر. وقبل حلول المساء أصبح المركب فى قلب البحر عند قصر المارد، وحمل المارد باستاريس إلى داخل القصر، ووضعه فى حجرة منفصلة، ثم أمره قائلًا:

- عندما تسمع أصواتًا أثناء الليل فلا تنظر نحوها ولا تشعل النار مهما حدث!.

وهكذا، ظل باستاريس وحيدًا فى حجرته. وأخذ يتجرع الحزن ويفكر فى نفسه: "ما الذى سوف يحدث لى يا ترى؟ ما على سوى الانتظار كى أرى ما سوف يحدث".

بعد حلول الليل رقد الفتى للنوم، لكن النُعاس جافاه. وبعد أن ساد الظلام المكان تردد صوت حفيف فى أرجاء الحجرة. وفكر باستاريس فى نفسه: "ما هذه الأصوات التى تتردد

حولى؟ لقد أمرنى المارد بعدم إشعال النار، وحتى لو لم يأمرنى فلا يوجد شىء أستخدمه لإشعالها!".

وهكذا، مرت الليلة الأولى، وتكرر نفس الأمر فى الليلة الثانية. وفى الليلة الثالثة فكر باستاريس: "يا للعجب! ما هذه الأصوات التى تتردد مثل الحفيف طوال الوقت؟ سوف أطلب فى الغد من المارد أن يذهب بى لزيارة أبى. وعندما يفعل ذلك سوف أطلب من أبى فتيلًا لأشعل به النار. وهذا هو السبيل الوحيد كى أشاهد ما يجرى حولى!".

فى الصباح التالى طلب باستاريس من المارد أن يذهب به لزيارة والده ليوم واحد. فأجابه المارد:

- ولما لا؟ ولكن عليك عندما تعود ألا تأخذ أو تحمل معك شيئًا من بيت والدك. وهناك أمر آخر، سوف أنتظرك فوق سطح المركب، وعند حلول المساء سوف أصيح عليك فتقوم بتوديع أهلك وتخرج من البيت، وعندما أنادى عليك للمرة الثانية ينبغى أن تكون قد قطعت نصف المسافة، وعندما أصرخ مناديًا فى المرة الثالثة ينبغى أن تصبح فوق سطح المركب.

وهكذا، ذهب باستاريس فى اليوم التالى إلى والده، وقص عليه كل ما جرى معه، وسبب زيارته له. وأخذ الوالد يفكر فى الوسيلة التى يمكن بها إعطاء باستاريس ثقابًا وفتيلاً كى يشعل بهما النار خفية عن المارد، لكنه لم يتوصل إلى الطريقة، حتى قال له باستاريس:

- يمكن إخفاء الفتيل والثقاب خلف بطانة سترتى، ولن يستطيع المارد معرفة ذلك.

وهكذا، قام الوالد بالأمر. وقبل حلول المساء تردد صوت الصرخة الأولى التى أطلقها المارد، فقام باستاريس بتوديع أهله وغادر البيت. ومضى مسرعًا فى طريق العودة. وما إن قطع نصف الطريق حتى ارتجت الأرض من شدة الصرخة الثانية للمارد. وبعد أن وصل الفتى إلى الشاطئ ارتفعت أمواج البحر هادرة من شدة الصرخة الثالثة، واعتلى الفتى سطح المركب حيث سأله المارد:

- هل أحضرت شيئًا معك من البيت؟.

أجاب باستاريس قائلًا:

- أنت ترى بنفسك جيدًا أنى لم أُحضر شيئًا!.

- حسنًا، فلنبحر!.

انطلق المركب يسابق الريح، ولم يمر وقت طويل حتى أصبحا فى قصر المارد.

وفى المساء رقد باستاريس فى فراشه، لكنه لم ينم. وبعد أن لف الظلام المكان، بدأ صوت الحفيف يتردد مرة أخرى. فأخرج باستاريس الثقاب والفتيل من طيات ملابسه وأشعل النار، فشاهد فتاة حسناء. وعندما شاهدت الفتاة النار التى أشعلها أصابها الخوف، وفرت هاربة.

وفى الصباح جاء المارد إلى باستاريس وصرخ فى وجهه:

- يا لك من خبيث مخادع، لقد أشعلت النار وخالفت أوامرى، والآن فلتذهب معى!.

سار باستاريس مع المارد الذى حمله ومضى به خلف البحر، ووضعه فوق قمة جبل عالٍ. وتركه المارد هناك بمفرده ثم اختفى.

ظل باستاريس فوق قمة الجبل حتى مر عليه يوم، ثم يومان. وفكر فى نفسه: "إلى متى سوف أظل هنا؟ فلأهبط من فوق هذا الجبل إلى الأرض". وأخذ باستاريس يهبط الجبل الشاهق، ونزل من فوق الصخور المتعرجة بصعوبة شديدة حتى استطاع فى نهاية الأمر الوصول إلى أسفل الجبل فى اليوم الثالث، وقد أثخنت الجروح يديه وقدميه وغطتها الدماء وتمزقت ملابسه. لكنه هتف فى سعادة: "الحمد لله أنى استطعت الهبوط إلى أسفل الجبل فى نهاية الأمر". وواصل باستاريس طريقه على غير هدى. وسار عبر أطراف الغابة حتى شاهد فرسًا مقتولًا وقد انغرس سيف فى بطنه. والتف حوله أربعة محاربين بدا عليهم الجوع. وأراد باستاريس المرور بجانبهم، إلا أنهم منعوه قائلين:

- لن تمر من هنا أيها الفتى! لقد قتلنا نحن الأربعة هذا الحصان، وعليك أن تقوم بتقسيمه بالتساوى بيننا! فأحدنا هو سيد الوحوش، والآخر سيد الطيور، والثالث سيد الأسماك، والرابع سيد النمل. ولو نجحت فى تقسيمه علينا بالعدل والقسطاص فسوف نجزل لك العطاء ونكافئك!.

بدأ باستاريس فى تقسيم الفرس. فمنح سيد الوحوش الفخذين الخلفيين، ومنح سيد الطيور الكتفين الأماميين، ولسيد الأسماك البطن، وأعطى سيد النمل الرأس. وبعد أن قطع باستاريس الفرس بالسيف، أعاد السيف إلى غمده وهم بالانصراف. لكن المحاربين لم يسمحوا له وقالوا:

- لقد نجحت فى تقسيمه علينا بالعدل، وسوف نكافئك. فخذ هذه الخصلة من سيد الوحوش، وعندما تقع فى محنة فعليك فركها بأصابعك وذكر اسم المحارب. وعندئذ فسوف تتضاعف قوتك، وتصبح أقوى من سيد الوحوش نفسه. وخذ أيضًا هذه الريشة من سيد الطيور. وعندما تقع فى ضائقة، فاضغط عليها بأصابعك، وعندئذ يمكنك الركض والطيران أسرع من سيد الطيور نفسه. كما نمنحك هذه الحرفشة من سيد الأسماك، وعندما تقع فى محنة فعليك أن تفركها بيدك وتذكر سيد الأسماك، فتمنحك على الفور القدرة على السباحة أفضل وأسرع من سيد الأسماك نفسه بتسع مرات. كما نعطيك أيضًا من سيد النمل ساق النملة هذه، وعندما تقع فى محنة، قم بفركها بأصابعك وتذكر اسم سيد النمل، وعلى الفور سوف تصبح قادرًا على الغوص فى باطن الأرض أعمق مما يستطيع سيد النمل نفسه بتسع مرات.

شكر باستاريس المحاربين، ومضى مواصلًا طريقه.

وعند حلول المساء ارتجت الأرض، وعلت أمواج البحر هادرة، وظهر المارد يسأل غاضبًا:

- من سمح لك بالهبوط من فوق الجبل إلى سفحه على الأرض؟

- باستاريس هو الذى سمح.

صرخ المارد غاضبًا:

- هكذا إذًا! بما أن باستاريس هو الذى سمح فسوف يذهب إلى الطريق الذى لا يعود منه أحد.

وهجم المارد على باستاريس فى الحال. لكن باستاريس أسرع بفرك خصلة شعر سيد الوحوش، وذكر اسمه. فتملكته قوة هائلة. فهجم على المارد وطرحه أرضًا. وهوى المارد

مثل لوح الخشب فوق الأرض. وحاول النهوض وهو يزمجر ويصرخ مثل الرعد، لكنه لم يستطع مقاومة باستاريس الذى أطبق عليه وشلَ حركته. وفى النهاية قال باستاريس للمارد:

ـ أخبرنى عن المكان الذى تقع فيه روحك، وإلا فسوف أُقيدك إلى هذه الصخرة بقوة شديدة، ولن يمكنك الفكاك أبدًا. وسوف تموت جوعًا مثل الكلب، وتنهش الغربان جثتك!

توسل المارد إلى الفتى أن يرأف بحاله من العار، ووعده أن يخبره بما يريد. فقال له باستاريس:

ـ إذن، أخبرنى عن مكان روحك وسوف أطلق سراحك!.

ـ حسنًا، سوف أُخبرك يا باستاريس. عليك الذهاب إلى ذلك القصر الذى يقع عند الجانب الآخر من البحر، حيث اصطحبتك معى فى المرة الأولى. وفى فناء القصر يوجد عمود كبير، لو أنك ضربت عليه بخنصرك فسوف يخرج من داخله سيف. ولو خرجت إلى الغابة القريبة حاملًا ذلك السيف، فسوف يصادفك ثعبان ضخم فى هذه الغابة. ولو أنك قطعت رأس الثعبان بالسيف، فسوف يخرج أرنب من رأسه. وعندما تقبض على الأرنب وتذبحه، فسوف يخرج من جوفه حمامة. ولو أمسكت بالحمامة وقمت بذبحها، فسوف تخرج منها بيضة. وفى داخل تلك البيضة توجد روحى. ولكنك يا باستاريس؛ وعلى الرغم من كل قوتك الهائلة، لن يمكنك فعل شىء؛ لأن تلك البيضة سوف تغوص فى باطن الأرض لعشرة أمتار، ولن يمكنك اللحاق بها.

قال باستاريس:

ـ حسنًا، يمكنك الذهاب الآن!.

ترك باستاريس المارد، وذهب إلى شاطئ البحر. وهناك قام بفرك حرفشة سيد الأسماك، وذكر اسمه. وعلى الفور غاص فى قلب البحر وسبح بسرعة هائلة حتى وصل إلى القصر. ودخل إلى فناء القصر وشاهد العمود الضخم. فدق عليه بخنصره حتى خرج

السيف من بطن العمود ووقع على الأرض. وقبض الفتى على السيف وأسرع إلى الغابة خلف الثعبان حتى عثر عليه. وحاول الثعبان الهجوم على باستاريس، لكن الفتى ضربه بالسيف، فقطع رأسه الذى تدحرج على الأرض. وفى لمح البصر خرج أرنب من الرأس وفر مثل السهم فى قلب الغابة. فقام باستاريس بفرك ريشة سيد الطيور بيده وذكر اسمه، واستطاع اللحاق بالأرنب والإمساك به، وعندما حاول الأرنب التملص من قبضة الفتى، ضربه باستاريس بالسيف حتى قطع رأسه الذى تدحرج، وخرج منه حمامة طارت محلقة خلف السحاب. فقام باستاريس بفرك ريشة سيد الطيور مرة أخرى. وطار بسرعة مذهلة فى السماء حتى أمسك بالحمامة. وبعد أن ذبح الحمامة خرجت منها بيضة تدحرجت فوق الأرض، وسرعان ما غاصت فى باطنها. وجاء دور ساق النملة، وقام باستاريس بفركها وذكر اسم سيد النمل. واستطاع الغوص فى باطن الأرض خلف البيضة. وبعد أن حصل على البيضة، أسرع بها إلى القصر حيث شاهد المارد واقفًا هناك. فقال له باستاريس:

ـ الآن أقبض على روحك فى يدى، وقد حانت نهايتك.

وألقى الفتى بالبيضة فى وجه المارد، فارتطمت بجبهته وتكسرت. وفى الحال سقط المارد ميتًا بعد أن ماتت روحه.

أصبح باستاريس حرا بعد أن تحرر من لعنة المارد. وتذكر فى قرارة نفسه تلك الحسناء التى شاهدها فى محبسه عندما أشعل النار فى الظلام. وفكر باستاريس: " أين يمكنها أن توجد الآن؟ وفى أى مكان بالقصر؟ ينبغى علىّ الذهاب والبحث عنها" .

دخل الفتى إلى القصر يبحث عنها، فوجد الحسناء جالسة هناك تتجرع الأحزان. فصاح باستاريس عليها:

ـ ما الذى يحزنك؟ ينبغى عليك الشعور بالفرح والسعادة بعد أن حلت نهاية المارد، وبعد أن قمت بقتله.

هتفت الفتاة فى دهشة:

ـ أحقًا ما تقول؟ كيف يمكننى رد جميلك أيها الفتى نظير ما فعلته؟

رد باستاريس:

- كونى عروسًا لى. وهكذا تردين الجميل.

- حسنًا، وأنا طوع أمرك!.

واصطحب باستاريس عروسه الحسناء إلى بيت والده. وهناك قامت الأفراح بزواجه منها.

* * *

عروس الثعبان

ذات يوم، وفى أحد أيام الصيف الحارة، خرجت فى الظهيرة ثلاث فتيات للسباحة فى البحر. وصاحت إحداهن وهن يسبحن:

- هيا نحاول معرفة الطالع كى نعرف أول من تتزوج منا!.

ردت فتاة أخرى:

- أول من تتزوج هى الأجمل من بيننا!.

أما الفتاة الثالثة فلم تنطق بشىء. ومر بعض الوقت وخرجت الفتاة الثالثة من الماء قبل الفتاتين، واستعدت لارتداء ملابسها. وعندما همت بارتداء قميصها الداخلى أصابها الذعر والخوف. فقد شاهدت ثعبانًا راقدا فوق القميص. كان هذا الثعبان هو ملك البحار. وعندما طلبت منه الفتاة أن ينصرف، أجابها قائلاً:

- عليك أن تصبحى عروسًا لى، وتقبلى الزواج منى، وعندئذ سوف أنصرف!.

ابتسمت الفتاة ضاحكة:

- ولما لا؟ ولكن عليك الانصراف والابتعاد عن قميصى!.

لكن الثعبان لم ينصرف، وقال:

- إذا، فلتعطينى خاتمك.

نزعت الفتاة خاتمها وأعطته للثعبان. وفى لمح البصر اختفى الثعبان مع الخاتم فى قلب البحر. ومضت الفتيات فى طريق العودة إلى البيت، بينما أخذت الفتاة الثالثة تبكى حظها، وأخذت الأخريان تحاولان التخفيف عنها ومواساتها: "كيف يمكن أن يطلب الثعبان عروسًا له أو يتعرف عليها؟".

مر ثلاثة أسابيع، وجاء الثعبان للحصول على عروسه. فخرج من قلب البحر فى موكب ضخم، وجلس فى عربة ذهبية تجرها الخيول المسرجة بأسرجة مزينة بالألماس، واضعًا فوق رأسه تاجًا من الذهب، تحيط به الحاشية والعازفون الذين يعزفون على الناى ويضربون الطبل.

شاهدت الفتاة العروس هذا الموكب فسألت والديها:

- يا والدى ويا أمى! ما الذى يمكننى فعله الآن؟ ها هو الثعبان قد جاء من أجلى!.

تملك الخوف الوالدين، ولم يعرفا ما الذى ينبغى فعله. ولكن عجوزًا أرشدتهما قائلة:

- إن الثعبان لا يعرف عروسه. ويمكنكما إعطاءه إوزة أو أى حيوان، وسوف يصبح راضيًا ويعود إلى بيته.

أعطى الوالدان للثعبان إوزة بدلاً من الابنة. فأخذ الثعبان الإوزة ومضى إلى سبيله راضيًا. وفى الطريق أخذ سن المنجل يشدو مرددًا:

ها هو الثعبان يسير،

حاملًا معه الإوزة والخير!.

اغتاظ الثعبان بعد أن أدرك أنهم قد خدعوه.

وبعد مرور ثلاثة أسابيع، ذهب إلى عروسه مرة ثانية. وجاء فى هذه المرة متجهمًا، وطلب فى صرامة منحه العروس. فقامت العجوز بتقديم النصح مرة أخرى قائلة:

- من أين له أن يعرف عروسه؟ أعطوه ولو جديًا، وسوف يصبح راضيا ويعود إلى بيته.

أعطى الوالدان للثعبان جديًا بدلًا من الابنة. فأخذ الثعبان الجدى، ومضى فى طريق العودة راضيًا. وفى الطريق أخذ طائر سن المنجل يشدو مرددًا:

ها هو الثعبان يسير،

ومعه الجدى والخير،

ومعه الجدى والخير!.

تملك الغضب من الثعبان بعد أن أدرك خداع الوالدين له.

وبعد مرور ثلاثة أسابيع، جاء الثعبان للمرة الثالثة يطلب عروسه. وحضر فى هذه المرة غاضبًا ثائرا. وصرخ بصوت مثل الرعد كى لا يسخروا منه ثانية وإلا فسوف يتعرضون إلى ما لا يرضون به.

أسقط فى يد الوالدين، واضطرا لمنحه ابنتهما. فأخذ الثعبان عروسه، ومضى يسير فى طريق العودة راضيًا. وفى الطريق أخذ طائر سن المنجل يشدو مرددًا:

ها هو الثعبان يسير،

ومعه عروسه الحسناء والخير!.

وسرعان ما اختفى الموكب الكبير مع العروس فى قلب البحر.

مر عام، وجاءت أم العروس إلى البحر تسأل:

ـ ابنتى الحبيبة، أخبرينى عن أحوالك وكيف تسير حياتك؟.

خرج ضفدع من البحر وقال:

ـ إن ابنتك تعيش بصورة طيبة، وتقيم فى قصر رائع بديع، وهى تهدهد وليدها الصغير.

فرحت الأم بذلك الخبر السعيد، وعادت أدراجها إلى البيت.

وفى العام التالى ذهبت أم العروس إلى البحر، ونادت سائلة:

ـ ابنتى الحبيبة، أخبرينى عن أحوالك وكيف تسير حياتك؟.

خرج السرطان من قلب البحر وقال:

ـ إن ابنتك تعيش بصورة طيبة، وتقيم فى قصر رائع بديع، وهى تهدهد وليدتها الصغيرة.

فى العام الثالث ذهبت أم العروس إلى البحر ونادت:

ـ ابنتى الحبيبة، أخبرينى عن أحوالك وكيف تسير حياتك؟.

سمعت الفتاة زوجة الثعبان صوت أمها، فاحتضنت الثعبان وتوسلت إليه أن يسمح لها بزيارة أمها مع طفليها. وعلى الرغم من أن الثعبان لم يرغب فى فراقها، فإنه سمح لها بالذهاب لثلاثة أسابيع.

حملت عروس الثعبان طفليها وذهبت إلى أمها. ومضت فى عربة يجرها ضفدعان، وبدلًا من الحوذى جلست سمكة الكراكى تقود العربة. واستقبلت الأم ابنتها وطفليها بمشاعر الحفاوة وبالأعناق.

ومرت ثلاثة أسابيع على زيارة زوجة الثعبان لبيتها، وبعد ذلك عادت مرة أخرى إلى قلب البحر.



الطعام الوهمى والعمل الوهمى

أخذ أحد الملاك برميلاً من حساء القمح، وذهب به إلى الحصادين الذين يعملون لديه فى الحقل. وكان البرميل مثقوبًا، والحساء يتساقط منه دون أن يلاحظ الرجل هذا الأمر. وعندما وصل إلى الحقل كان البرميل قد أصبح خاليًا من الحساء. فنظر الرجل صاحب الحقل إلى البرميل ونادى على الحصادين:

ـ هيا كلوا أيها الإخوة، تصنعوا الأكل من هذا الطعام الوهمى، فقد تسرب الحساء كله وسقط أثناء سيرى فى الطريق!.

أُسقط فى يد الحصادين، فتصنعوا الأكل من البرميل الخاوى. وعندما حل موعد عودتهم إلى الحصاد مرة أخرى، حمل الرجال المناجل فى أياديهم وأخذوا يلوحون بها فى الهواء. فصاح عليهم مالك الحقل:

ـ لماذا لا تحصدون؟.

رد عليه الحصادون:

ـ مثلما تصنعنا الأكل ولم نأكل شيئًا، فنحن نتصنع الحصد ولن نحصد شيئًا!.

* * *

كيف حفرت الحيوانات نهر الداوجاف؟

لقد جرى هذا الأمر منذ قديم الزمان، وذلك عندما اجتمعت كل الحيوانات والطيور، كى تحفر نهر الداوجاف، عدا طائر الصفرية الذى لم يحضر معها، وقال:

- إن المياه التى تسقط من السماء تكفينى، ولا حاجة لى لتلك المياه التى تنساب على الأرض.

تملك الغيظ من الوحوش، وقررت معاقبة طائر الصفرية، وعدم السماح له بالشرب من تلك المياه التى تجرى على الأرض، وليكتفى بقطرات المطر التى تهبط من السماء.

لهذا، فإن طائر الصفرية يظل حتى يومنا هذا يصرخ من شدة العطش فى الأوقات الحارة مرددًا:

- ألن ترخ السماء بعد؟ ألن ترخ السماء بعد؟ هل اقترب موعد المطر؟.

استعدت الحيوانات للعمل. فنادت على الأرنب كى يركض أمامهم، ويشير إليهم نحو المسار الذى ينبغى على نهر الداوجاف أن يسير فيه. ومن المعروف أن الأرنب يركض على نحو متعرج وفى طريق ملتوٍ. ولهذا نجد نهر الداوجاف يسير فى تعاريج ومنحنيات أثناء جريانه.

وخلف الأرنب انطلق على الفور حيوان الخُلد الذى حفر أول أُخدود للنهر. ويُقال إن حيوان الخُلد قد كُوفئ مقابل عمله بمنحه الفراء الأسود اللامع الذى يكسو جسمه الآن.



طائر السُبد(*) والبلبل

قام نزاع بين البلبل وطائر السُبد حول الآتى: من منهما يتمتع بصوت أجمل من الآخر؟ فقال طائر السُبد:

- إن صوتى أجمل وأعزب من صوتك بكثير.

أجاب البلبل:

- لا، بل صوتى هو الأجمل.

وظل الاثنان يتجادلان من الصباح حتى المساء. وعندئذ فكر البلبل فى وسيلة لحل النزاع بينهما. فقال لطائر السُبد:

- إنك تستطيع الغناء، ولن أُجادلك فى هذا الأمر، لذلك فلنضع شرطًا يفوز بمقتضاه الذى يستيقظ أولا فى الصباح ويبدأ بالغناء. ويصبح هو صاحب الصوت الأجمل.

رد طائر السُبد:

- حسنًا، وأنا أقبل بهذا الشرط.

هبط الليل ورقد طائر السُبد للنوم، أما البلبل فلم ينم، بل ظل يشدو ويغنى. واستمر على هذا الحال حتى منتصف الليل، ثم غفا قليلا، وبعد ذلك واصل غناءه. ومع

(*) باللاتينية (Caprimulgus europaeus) طائر ليلى يعيش فى مناطق خطوط العرض المعتدلة من أوراسيا، وفى شمال غرب أفريقيا – المترجم.

شروق الفجر خرج الفلاح إلى حقله والبلبل يغني له. كما خرج الراعي يسوق قطيعه والبلبل يشدو له.

واستيقظ طائر السُبد في الصباح، واكتشف أنه قد تأخر في الغناء. ومن شدة غيظه لم يردد سوى صوت واحد: "تر، تر!".

* * *

حكاية الرجل الذى هزم الذئب

صادف عجوز ذئبًا ضخمًا فى الغابة. وكان الذئب جائعًا فصرخ على العجوز:

. استعد للموت، فقد أزعجت نومى وأنا راقد بين أشجار العرعر. وما زال رأسى يؤلمنى من الجلبة التى أحدثتها.

. سامحنى أيها العزيز الرمادى! فأنا لم أفعل شيئًا سوى أننى تمخضت.

. سوف تموت فى جميع الأحوال، فاستعد أيها الرجل!.

تمتم العجوز متوسلًا للذئب:

. إن الأقوى هو المُحق دائما، فاسمح لى قبل الموت أن أقوم بقياس طول نيلك.

وافق الذئب. وقام العجوز بقطع خشبة طويلة على هيئة هراوة. وبدأ يلف نيل الذئب حول يده، وأمسك الهراوة باليد الأخرى، وأخذ يضرب بها الذئب على جسمه مرددًا:

. الأقوى هو المُحق، وهو الذى يتمتع بحضور البديهة.

وفى نهاية الأمر انقطع نيل الذئب، وضحك العجوز مقهقهًا. وألقى بالذئب المضروب بين الشجيرات.

ابتعد الذئب وهو يعوى من شدة الألم. واجتمع حوله قطيع من الذئاب لدى سماعهم عوائه. واستطاع العجوز بالكاد أن يتسلق أعلى شجرة الصنوبر. وظلت الذئاب تفكر طويلًا فى الوسيلة التى تصل بها إلى العجوز، حتى قرروا أن يقف كل منهم فوق الآخر حتى يصلوا إلى قمة شجرة الصنوبر.

راقت الفكرة للذئب المضروب وأعجبته. فوقف أسفل شجرة الصنوبر، وأمر بقية الذئاب أن تقف فوقه واحدًا بعد الآخر. وسرعان ما نجحت الذئاب فى الوصول لأعلى الشجرة. وقفز الذئب الأخير إلى قمة الشجرة، وأراد الهجوم على العجوز. لكن العجوز همس فى أذنه:

- اسمع أيها الأخ، أنصحك أن تأكلنى بمفردك قبل وصول الآخرين إلى هنا عند قمة الشجرة. وسوف أمسك بهذا الفرع من الشجرة وأتدلى منه، بينما أنت تعض وتأكل من جسمى كما يحلو لك. ولكن أسمح لى قبل ذلك أن أقيس طول ذيلك.

وافق الذئب. فأخرج العجوز سكينه وقطع به الذيل، وألقى به إلى الأسفل مرددًا بصوت عالٍ:

- أنت أيها الذئب المضروب! خذ، ها هو ذيلك.

صدق الذئب المضروب كلمات الرجل، وأسرع نحو الذيل كى يستعيده. لكنه ما إن قفز من مكانه أسفل الشجرة، حتى سقطت بقية الذئاب على الأرض. وفرت جميعها وهى تئن مذعورة بعد أن تكسرت رقابها. ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا وأعناق الذئاب لا تنحنى.



حاصد العُشب والذئب

خرج الرجل إلى طرف الغابة لحصد العُشب والدريس. وكان هناك ذئب يعيش فى تلك المنطقة. وعندما شاهد الرجل فكر فى الهجوم عليه وافتراسه. لكنه خاف المنجل الذى يحمله الرجل فى يده. فقرر أن يُخيف الرجل حتى يتمكن منه. وابتعد لمسافة فى الغابة، وأخذ يعوى. وعندما سمع الرجل العواء أخذ فى الضحك.

عاد الذئب وظل يراقب الرجل. فتوقف الرجل وصاح على الذئب:

. تعال هُنا أيها الصديق كى ندخن التبغ معًا.

شاهد الذئب المنجل فوق الأرض، فاقترب من الرجل. ولاحظ الرجل أن عينى الذئب قد احمرتا مثل جمرة النار، وأن وبر فرائه قد شب منتصبًا فوق ظهره. وهذا يعنى أن الوحش غاضب متحفز. فحمل الرجل جمرة من النار وضرب بها وجه الذئب. وسقطت شرارات الجمرة فى عينى الذئب الذى خاف وقفز مذعورًا، وفر فى قلب الغابة. ومنذ ذلك الحين ظلت عيون الذئاب تلمع وتضىء فى الليل.



حكاية الثُعالة (*) التى قامت برعى البط

كان ياما كان عجوز تعيش بمفردها. وكان لديها ثلاث بطات. وذات يوم خرجت تبحث عن راعٍ للبطات. وظلت تسير وتسير حتى صادفت الذئب. وسألها الذئب:

ـ إلى أين تذهبين أيتها الجدة؟.

أبحث عن راع لبطاتى.

قال الذئب:

ـ خذينى راعيًا لبطاتك.

ـ وهل تستطيع الغناء؟.

ـ نعم، أستطيع.

ـ إذًا، غن لى.

أخذ الذئب يعوى:

ـ عو، عو.

ـ أُوف، أُوف، لا، إنك لا تصلح ولن آخذك حتى لا تخيف بطاتى بصوتك الأجش.

مضت العجوز تواصل طريقها حتى صادفت الثُعالة. فسألتها الثُعالة:

ـ إلى أين تذهبين أيتها الجدة؟.

(*) الثُعالة هى أنثى الثعلب – المترجم.

أبحث عن راع لبطاتى.

قالت الثُعالة:

- خذينى راعية لبطاتك.

- وهل تستطيعين الغناء؟.

- نعم، أستطيع.

- إذًا، غنى لى.

بدأت الثُعالة فى الغناء:

كيرليو، كيرليو كيريلى..

أسوق البطات من فوق الجبال إلى الوادى..

- أوه، إن صوتك جيد حقا... وسوف آخذك راعية لبطاتى.

ذهبت العجوز مع الثُعالة إلى البيت. وقامت بإطعامها وأعدت لها فراشًا للنوم.

فى الصباح استيقظت الثُعالة مبكرًا. وبدأت فى تنظيف البيت، بينما أشعلت العجوز الفرن. وقامت الثُعالة بتنظيف أرضية البيت وقالت:

- أيتها الجدة، لقد حان موعد خروجى إلى المرعى، وأُريدك أن تعدى لى بعض البيض مع الخبز، حتى آكل قبل خروجى.

أكلت الثُعالة حتى شبعت. وعندما انتهت من تنظيف البيت، خرجت مع البطات تسوقها إلى المرعى. وحل الجوع بالثُعالة، فأخذت تغنى مرددة:

كيرليو، كيرليو كيريلى..

أسوق البطات من فوق الجبال إلى الوادى..

أسرعت البطات إلى أسفل، ونزلت إلى بركة من الماء. وأمسكت الثُعالة بواحدة منهن والتهمتها.

وعادت إلى البيت مع البطتين المتبقيتين.

سألت العجوز الثُعالة:

- أين بطتى الثالثة؟.

- أخ أيتها الجدة، لقد أخذت أصرخ وأصرخ، وأُنادى وأزعق دون جدوى. وهجم الذئب عليها وفر بها.

فى الصباح التالى أكلت الثُعالة البيض والخبز مرة أخرى. وعندما انتهت من تنظيف البيت، ساقت البطتين إلى المرعى. وشعرت الثُعالة بالجوع ثانية. فساقت البطتين إلى البركة. والتهمت واحدة منهما، ثم عادت بالأخرى إلى البيت.

سألت العجوز:

- أين اختفت بطتى؟.

- أخ أيتها الجدة، لقد أخذت أصرخ وأصرخ، وأُنادى وأزعق دون جدوى. وهجم الذئب عليها وفر بها.

فى الصباح الثالث أكلت الثُعالة البيض من جديد. وبعد أن انتهت من تنظيف البيت خرجت مع البطة إلى المرعى.

شعرت الثُعالة بالجوع، فقادت البطة إلى أسفل الجبل، ثم إلى البركة والتهمتها. وعادت إلى البيت بمفردها.

حزنت العجوز حزنًا شديدًا بعد أن فقدت بطاتها الثلاث. أما الثُعالة فقالت:

- لم يكن بوسعنا فعل شىء بعد أن خطفها الذئب.

فى اليوم الرابع قامت الثُعالة بتنظيف البيت، وطلبت العجوز منها أن تعد الحمام وتسخن المياه.

أعدت الثُعالة الحمام وملأت البانيوّ بالماء الساخن، وذهبت مع العجوز للاستحمام معها.

جلست الثُعالة فى الماء الساخن والبخار يتصاعد من حولها وهى تغنى:

لقد أطعمتنى أيتها العجوز البيض والخبز،

وبعد أن أكلت بيضك وخبزك، التهمت بطاقتك الثلاث،

وكل هذا الطعام فى معدتى الآن.

تملك الغضب من العجوز عندما سمعت غناء الثُّعالة. فأمسكت بالمكنسة وهوت بها فوق الثُّعالة، فوقعت ضربتها فوق الذيل تمامًا، ومنذ ذلك الحين أصبح نيل الثُّعالة طويلاً كثيفًا.

* * *

القنفذ

ذات يوم عثر القنفذ على قرش. وفى نلك الوقت مر فتى بالقرب منه. فنظر إليه القنفذ وقال له:

- إن هذا الفتى لا يملك ما أمتلكه !.

سأل الفتى بدهشة:

- يا للعجب! ما هذا الذى لديك على وجه الخصوص؟.

لوح القنفذ بالقرش للفتى. فغضب الفتى وانتزع القرش منه. فقال القنفذ ساخرًا:

- لو كان لديك ما لدى لما أخذت ما لدى.

ثار غضب الفتى أكثر من ذى قبل. فألقى بالقرش على الأرض، وأخذ القنفذ يضحك مقهقهًا وقال:

- حقا، حقا، ها هو قد خاف منى وألقى بالقرش! وأدرك الفتى أنه لن يستطيع الإمساك بالقنفذ بيديه العاريتين. فجلس فى عربته التى تجرها الخيول. ومضى فى طريقه يكاد ينفجر من الغيظ.

* * *

العجوز والعجانة والحيوانات

كان ياما كان عجوز يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان العجوز يقوم بصنع العجانات. ولم يكن هذا العمل يكفيه للحصول على الخبز. وخاصة أن عجزه لم يسمح له بالحصول على الكثير. وذات يوم قال الجار للعجوز:

- اصنع لى عجانة جديدة، وسوف أُعطيك خبزًا مقابلها.

- حسنًا.

قام العجوز بصنع عجانة جيدة. وحملها وذهب بها إلى بيت الجار. كانت الحرارة شديدة فى ذلك اليوم، والحمل ثقيلاً على العجوز الذى شحت قواه. وفى نهاية الأمر أصابه التعب والإرهاق. ولحسن حظه صادف العجوز شجرة بلوط أثناء سيره فى الغابة. فجلس تحت ظلالها كى ينال قسطا من الراحة. وأخذ يجفف العرق المتصبب فوق جبهته وهو يفكر: " أظن أنى أستطيع النوم قليلًا" .

ولما لا؟ رقد العجوز أسفل الشجرة. وقام بإخفاء العجانة بوازع الحذر.

غفا العجوز. وقفز الأرنب وجلس فوق العجانة قائلًا فى دهشة:

- يا لها من طاولة بديعة، لكنها خاوية من الطعام.

جاء الثعلب بعد ذلك، وجلس بدوره بالقرب من الأرنب، وهتف فى دهشة:

- يا لها من طاولة بديعة، لكنها خاوية من الطعام.

لم يمر وقت طويل حتى جاء الذئب، وجلس فوق العجانة بجانب الثعلب، وصاح فى دهشة:

- يا لها من طاولة بديعة، لكنها خاوية من الطعام.

مر وقت قصير وجاء الدُب، وجلس بالقرب من الثعلب، وقال فى دهشة:

- يا لها من طاولة بديعة، لكنها خاوية من الطعام.

ظلوا جميعا جالسين لفترة، ثم قالوا:

- لماذا نجلس فوق الطاولة على هذا النحو هباءً؟ ينبغى علينا أن نتناول الطعام.

هتف الدب:

- إنى أعرف تجويف شجرة فى الغابة به الكثير من أقراص العسل. وسوف أذهب لإحضار البعض منها.

وقال الذئب:

- لقد شاهدت خروفًا سمينًا فى المرعى المجاور. وسوف أذهب لإحضاره.

وصاح الثعلب:

- وأنا أيضًا رأيت إوزة سمينة.

وقال الأرنب:

- وأنا أعرف حقلا قريبا به الكثير من الكرنب الكبير. وسوف أُحضر كرنبة منه.

انطلق كل منهم لإحضار الطعام. ولم يمض وقت طويل حتى عاد الدُب حاملًا أقراص العسل، ووضعها فوق العجانة. كما عاد الذئب بالخروف، ثم جاء الثعلب بالإوزة. وأخيرًا حضر الأرنب حاملًا معه الكرنب.

وهكذا، اكتظت العجانة بالطعام. وفى تلك الوقت رفع العجوز العجانة فوق ظهره ونهض واقفًا بها. فصرخ الدُب:

- من هذا الذى يرج الطاولة؟

لم يعرف أحد منهم السبب، فجلسوا لتناول الطعام. وسرعان ما تحرك العجوز بالعجانة مرة أخرى. فصاح الذئب:

- أخ! من هذا الذى يرج الطاولة؟.

لم ينطق أحد. فجلسوا ثانية حول الطعام. وتحرك العجوز من جديد. فهتف الثعلب:

ـ أوب! من الذى يهز الطاولة؟.

لم يُجب أحد بشىء، وجلسوا حول الطعام.

واستجمع العجوز قواه، ومضى يسير بالعجانة فى طريقه. فهتف الأرنب:

ـ أرر! من الذى يرج الطاولة؟ هناك شىء ينذر بالخطر أيها الرفاق، فلنسرع بالهرب!.

أسرعت الحيوانات بالفرار وهى لا تلوى على شىء. أما العجوز فقد حصل على العسل، واللحم والكرنب. وبالإضافة إلى كل ذلك فقد منحه الجار الكثير من الخبز مقابل العجانة. فأصبح لدى العجوز وفرة من الطعام.

❊ ❊ ❊

حكاية الثعلب الذى تعلم الطيران من اللقلق

كان الثعلب عارفًا بسبل المكر والدهاء. لكنه لم يستطع الطيران. فذهب إلى اللقلق كي يتعلم منه هذه المهارة. وافق اللقلق على تعليمه، وأمسك بالثعلب من منقاره، وارتفع محلقًا به فى الهواء.

فكر الثعلب فى نفسه: "والآن يمكننى الطيران بنفسى". وصاح على اللقلق:

- كفى أيها اللقلق! اتركنى الآن.

ترك اللقلق الثعلب وحرره من منقاره. فهوى الثعلب إلى أسفل وهو يعوى، وشاهد جذع شجرة وهو يسقط، فصرخ الثعلب على الجذع:

- ابتعد عنى أيها الأحمق!.

لم يستمع الجذع له، فسقط الثعلب فوقه. وظل راقدًا يتأوه من الألم وانثنى ذيله.

ومنذ ذلك الحين لم يفكر ثعلب آخر أن يطير قط. وظلت الثعالب حتى الآن تركض وذيولها منثنية.



الثعلب والإوز

ذات يوم سار الثعلب بالقرب من أحد البيوت. وشاهد فى فناء البيت عددا من الإوز يجول ويتناول الطعام. فرح الثعلب وفكر فى نفسه: "لقد جئت فى الوقت المناسب". وبدأ فى مطاردة الإوز. فتعالت بطبطة الإوز وهو يتوسل طالبًا الرحمة. ولو أن الثعلب قد فهم لغة الإوز، لأشفق عليهم حتى البُكاء. لكن المحنة تمثلت فى أن الإوز لم يتحدث باللغة اللتوانية، بل كان يتحدث بلغة الإوز التى لم يعرفها الثعلب.

ولكن لحسن الحظ كانت هناك إوزة عجوز من بين السرب تجيد معرفة اللغة اللتوانية. واستطاعت الحديث مع الثعلب، وأخبرته بأن الإوز لديه عادة الغناء قبل الموت. فرد الثعلب:

. حسنًا، دعيهم يغنون. ولكن عليهم أن يسرعوا بذلك.

وما إن ارتفع غناء أول إوزة: "كاكاكا"، حتى مضى بقية الإوز يرددون خلفها: "كاكاكا". وعلا صوت الجميع: كا، كا، كا. واضطر الثعلب إلى الانتظار. ووصلت الأصوات إلى صاحب البيت. ونحن بالطبع ندرك ما الذى جرى لاحقًا للثعلب.

* * *

حكايات شعبية من إستونيا

الحطاب الطيب

يحكى أنه فى قديم الزمان خرج حطاب فقير إلى الغابة لقطع الخشب وجمع الحطب. فاقترب من شجرة البريوز(*)، ورفع بلطته لقطعها. وعندئذ تحدثت الشجرة بصوت آدمى رقيق:

- لا تحرمنى الحياة! فإنى ما زلت شجرة شابة، ولدى الكثير من الأبناء. فكيف يمكنهم العيش من دونى؟.

أشفق الحطاب على شجرة البريوز، وذهب إلى شجرة البلوط لقطعها. وعندما شاهدت شجرة البلوط البلطة فى يد الرجل، صاحت متوسلة:

- لا تحرمنى الحياة! فإنى ما زلت حُبلى بالثمار. ولم تنضج ثمار الجوز التى أحملها بعد. وسوف تضيع تلك الثمار هباءً وتموت لو أنك قتلتنى.

لم يمس الحطاب شجرة البلوط بسوء، وذهب إلى شجرة الدردار(**). وعندما هم بقطعها ببلطته صاحت شجرة الدردار تتوسل راجية:

- أرجوك! لا تحرمنى حياتى! فبالأمس فقط خطبت عروسًا. فما الذى سوف يجرى معها لو أنك قطعتنى؟.

(*) شجرة البريوز: باللاتينية Bétula، وهى نوع من الأشجار الورقية من فصيلة Betulaceae والتى تنتشر على نحو واسع فى نصف الكرة الشمالى، وفى بعض البلدان الواقعة فى تلك المناطق، وخاصة فى روسيا يصنعون من لحائها عصيرا يسمى باسمها - المترجم.

(**) شجرة الدردار: باللاتينية Fraxinus، وهى نوع من الأشجار الورقية من فصيلة Oleaceae ، والتى تنتشر على نحو واسع فى نصف الكرة الشمالى - المترجم.

رق قلب الحطاب لشجرة الدردار، فتركها وذهب إلى شجرة القيقب(*). وعندما استعد لقطعها، صاحت شجرة القيقب باكية:

- أرجوك أن تتركنى حية! إن أطفالى مازالوا صغارًا، ولم يتعلموا بعد سبل الحياة فى الغابة، وسوف يضيعون بدونى.

ترك الرجل شجرة القيقب بعد أن مسد بيده على جذعها برفق، وذهب إلى شجرة الحور. وعندما شاهدت شجرة الحور البلطة فى يد الرجل وهو يهم بقطعها، صاحت متوسلة:

- اتركنى أعش! ففى هذا الوقت من السنة أُطعم بحليبى حشرات الغابة الصغيرة. فما الذى سوف يحدث لها لو أنك قطعتنى؟.

أشفق الحطاب على شجرة الحور، وذهب إلى شجرة الرجراج(**). وأراد قطعها، لكن شجرة الرجراج أخذت تتوسل باكية:

- اتركنى على قيد الحياة! لقد خُلقت كى تصدر أوراقى حفيفًا مع هبوب الريح، فتخيف الغرباء الأشرار القادمين من الخارج أثناء الليل وتمنع شرورهم عن الأخيار، ولو أنك قطعتنى، فما الذى سوف يحدث للناس الطيبين؟.

رق قلب الرجل لشجرة الرجراج، وذهب إلى شجرة الكرز حاملاً بلطته. وعندما شاهدت شجرة الكرز البلطة فى يد الرجل، توسلت إليه بصوت حزين:

- لا تحرمنى الحياة! فإنى فى أوج ازدهارى. وتأتى البلابل وتحط فوق أغصانى لتشدو بغنائها الجميل. وإن لم أكن هنا، فسوف تفر جميع الطيور هاربة، ولن يستمع الناس إلى غنائها بعد ذلك.

(*) شجرة القيقب: باللاتينية Ácer، وهى نوع من الأشجار الورقية من فصيلة Sapindaceae. تتمتع بالصلابة والمتانة، وأوراقها تتشكل على صورة قلوب تمنحها هيئة جميلة الشكل - المترجم.

(**) شجرة الرجراج: باللاتينية Pópulus trémula، وهى نوع من الأشجار الورقية التى تنتشر على نحو واسع فى المناطق الباردة فى أوروبا وآسيا - المترجم.

أشفق الرجل على شجرة الكرز، وذهب إلى شجرة الغبيراء(*) لقطعها. لكن الغبيراء صاحت تتوسل بدورها:

. لا تحرمنى الحياة. فقد ازدهرت لتوى. وسوف تنضج عناقيد التوت فوق أغصانى. وتصبح فى الخريف والشتاء طعامًا للطيور كى تأكل منها. ولو أنك قطعتنى، فما هو مصير تلك الطيور البائسة؟.

ترك الحطاب شجرة الغبيراء، وفكر فى نفسه:« إن الأشجار المورقة يصعب قطعها والمساس بها، ومن الأفضل أن أذهب نحو الأشجار الصنوبرية». ذهب الرجل إلى شجرة التنوب(**) لقطعها. وعندما شاهدت الشجرة البلطة يحملها الرجل، صاحت متوسلة:

. لا تحرمنى الحياة أرجوك! فسوف أنمو، وأمنح الناس الألواح الخشبية الجيدة التى يكسون بها أرض بيوتهم. كما أنى أخضر فى الشتاء وفى الصيف، وأسعد الناس باخضرارى.

استمع الرجل لرجاء الشجرة، وتركها وذهب إلى الصنوبرة.

وعندما هم بقطعها صاحت الصنوبرة وهى تبكى:

. لا تحرمنى الحياة! فما زلت شابة وقوية، وعلى أغصانى أن تخضر فى الشتاء والصيف جنبًا إلى جنب شجرة التنوب. وسوف يحزن الناس كثيرًا لو أنك قطعتنى.

ترك الحطاب الشجرة، وانطلق نحو شجرة العرعر(***) لقطعها.

لكن شجرة العرعر أخذت ترجو الرجل قائلة هى الأخرى:

(*) شجرة الغبيراء: باللاتينية Sórbus، وهى نوع من الأشجار المزهرة التى يصل ارتفاعها إلى ١٥ مترا – المترجم.

(**) شجرة التنوب: باللاتينية Pícea، وهى نوع من الأشجار الصنوبرية التى تتعدد أنواعها إلى ٣٥ نوعا، ويصل ارتفاعها إلى ٣٠ مترا، وهى دائمة الاخضرار، وتشتهر باسم شجرة عيد الميلاد أو الكريسماس – المترجم.

(***) شجرة العرعر: باللاتينية Juníperus، وهى نوع من الأشجار الصنوبرية دائمة الاخضرار، وتشتهر بخواصها العلاجية لأمراض الجهاز البولى والهضمى والتهاب المفاصل وغيرها من الأمراض الأخرى – المترجم.

- لا تحرمنى الحياة! فإنى أكثر الأشجار التى تحتاجها الغابة. فأنا أجلب السعادة للجميع، وتعالج أوراقى تسعة وتسعين مرضًا وداءً. فما الذى سوف يحدث للناس والحيوانات لو أنك قطعتنى؟.

جلس الحطاب فوق كومة من الحشائش يفكر فى نفسه: «ما هذه المعجزة؟ إن جميع الأشجار تتمتع بالقدرة على الكلام، وتتوسل إلى كى لا أقطعها. يا إلهى! ما الذى على فعله لو لم أعثر فى الغابة على شجرة واحدة صامتة لا تتكلم، وتتركنى أقطعها؟ إن قلبى ليس بحجر ولا يمكنه عدم الإصغاء لتوسلات الأشجار. ولكنى لو تركت الغابة بأيد خاوية، فما الذى سوف تقوله زوجتى؟».

رفع الحطاب رأسه، فشاهد عجوزًا ذا لحية رمادية طويلة يخرج إليه من بين الأحراش. وكان العجوز يرتدى قميصا مصنوعا من اللحاء، ومعطفا من لحاء شجرة التنوب. واقترب العجوز من الحطاب وقال له:

- ما لك تجلس حزينًا أيها الرفيق؟ وما هى المحنة التى ألمت بك؟.

- وما الذى يمكن أن يفرحنى؟ لقد حملت بلطتى وخرجت إلى الغابة لقطع الخشب وجمع الحطب والذهاب به إلى البيت. وعندما وصلت إلى هنا شاهدت العجب. ووجدت الغابة كلها حية، وكل شجرة فيها تتمتع بالعقل وتستطيع التحدث بأصوات البشر. وقد كاد قلبى ينفطر حزنًا لتوسلاتها وبكائها. وليحدث ما يحدث، ولكنى لا أستطيع قتل هذه الأشجار الحية.

نظر العجوز إلى الحطاب بعينين حانيتين وقال له:

- أشكرك لأنك لم تصم أذنيك عن توسلات أطفالى، ولم تقم بإراقة دمائهم. وسوف أكافئك وأجعلك سعيدًا. ومن الآن فصاعدًا لن تحتاج إلى الخشب من الغابة ولا من أى مكان آخر. كما أن قلبك الطيب سوف يمنح الخير للآخرين. ولكن عليك ألا تصبح بخيلاً، وعليك تربية زوجتك وأطفالك، وإنزال العقاب بهم عندما تتجاوز رغباتهم الحدود العاقلة، وإلا فسوف تنقلب السعادة إلى بؤس وشقاء. فخذ هذا الغصن الذهبى، واحفظه أفضل من قرة عينيك!.

أعطى العجوز للحطاب غصنًا ذهبيًا طويلاً للغاية، ولا يتجاوز سمكه سمك إبرة الحياكة، وشرح له وسيلة استخدام الغصن قائلاً:

ـ عندما تريد بناء شونة أو زريبة، فاذهب إلى عش النمل، ولوح فوقه بالغصن ثلاث مرات. ولكن عليك الانتباه كى لا تدهس العش وتؤذى النمل. وأمر بعد ذلك النمل ببناء أى شيء تريده. وسوف تنهض فى الصباح وتجد ما طلبته جاهزًا قائمًا. وعندما تحتاج إلى الطعام، فما عليك سوى أن تأمر القِدر الموجود ببيتك بما تريده. وعندما تريد حلو الطعام المسكر، فلوح بالغصن الذهبى أمام النحل، وسوف تجد فوق طاولتك أقراص العسل والحلوى الشهية. وعندما تذهب إلى شجر البريوز حاملاً الغصن معك، فسوف تحصل على العصير الحلو للشجرة. كما أن شجرة الحور سوف تمنحك الحليب، وتمنحك شجرة العرعر الصحة والعافية. وليس عليك صيد الحيوانات، فسوف يقوم القِدر بنفسه بإعداد السمك واللحم بأى كمية تريدها. وسوف تقوم العناكب بغزل الصوف والحرير لك عندما تأمرها بذلك. وكل هذا الذى سوف تحصل عليه، إنما هو نظير رأفتك بأطفالى من الأشجار، فأنا أبو الغابة، وسيد جميع الأشجار والمخلوقات البرية.

وهنا قام العجوز بوداع الحطاب، واختفى من أمامه.

كانت زوجة الحطاب شريرة سيئة الطباع مثل الكلب المسعور. وعندما شاهدت زوجها عائدًا بأيد خاوية، ركضت نحوه فى الفناء وهى تصرخ وتولول:

ـ أين الخشب والحطب الذى أرسلتك لإحضارهما؟.

ابتسم الرجل وقال لزوجته:

ـ لقد تركتهم فى الغابة كى يعيشوا ويترعرعوا.

تملك الغضب من المرأة وصرخت فى وجه الزوج:

ـ ينبغى إحضار حزمة من أغصان البريوز اليابسة وضربك بها أيها الكسول!.

همس الرجل خلسة لغصنه الذهبى دون أن تسمع زوجته، وقال له:

ـ فلتتحقق هذه الرغبة، ولكن على زوجتى!.

وفجأة، أخذت الزوجة تركض فى أرجاء الفناء وهى تصرخ وتتأوه: أى، أى، إنى أتألم! ارحمونى، ارحمونى!.

أخذت حزمة الأغصان تضربها فى كل جزء من جسمها، والمرأة تحاول الفرار دون جدوى.

وعندما شاهد الزوج أن زوجته قد نالت كفايتها، أمر غصنه الذهبى أن يكف عنها. وأدرك القوة الكبيرة التى منحها له أبو الغابة ووضعها فى يديه. وعرف الوسيلة التى يمكنه بها ترويض زوجته المتمردة.

وفى نفس اليوم، أراد الزوج تجربة الغصن على النمل. وقد كان لديه فى الفناء شونة متهالكة قديمة. وقرر الرجل تبديلها. فخرج إلى الغابة، حتى عثر على عش للنمل. ولوح بغصنه الذهبى فوق العش ثلاث مرات قائلاً:

ـ أريدكم أن تبنوا لى شونة جديدة فى الفناء.

فى الصباح التالى خرج الرجل من بيته، فشاهد شونة جديدة كبيرة تقف فى الفناء.

ولم يعد فى كل أرجاء المنطقة رجل أسعد من حطابنا الطيب. ولم تعد به حاجة للتفكير فى الطعام. فكان القِدر يعد له كل ما تتوق إليه نفسه من أطايب الطعام، ويجده على مائدته. ولم يكن عليه سوى تناول ما يطلبه. وكانت العناكب تغزل له النسيج والقماش والأبسطة التى تكسو أرض بيته. وكان النمل يزرع له الأرض، ويجمع له محصولها. وعندما كانت الزوجة تتمرد على زوجها، كان يعيدها إلى صوابها بالغصن الذهبى. فكانت هى أول من يعانى من سوء طباعها. واليوم عندما تقرأ هذه الحكاية على أى أحد كان فى العالم، فسوف يتنهد قائلاً: «يا إلهى! لو أننى أستطيع الحصول على مثل هذا الغصن!:».

وعاش صاحب الغصن الذهبى عمرًا مديدًا وحياة سعيدة دائمًا، وذلك لأنه لم يطلب المستحيل قط، ولم تتجاوز أحلامه حدود القناعة والرضا. وقد أوصى قبل موته بمنح

الغصن لأولاده. وأمرهم بكل ما أخبره به أبو الغابة. وكان أكثر ما شدد عليه الحطاب قبل موته، هو عدم تجاوز الرغبات أرض الواقع. وقام أبناؤه بتنفيذ وصية الوالد بمنتهى الدقة. فعاشوا حياة سعيدة بدورهم.

وبعد ذلك، وفى الجيل الثالث، حدث أن وقعت هبة السعادة فى يد وريث لا يتسم بالحكمة ولا بالعقل. ولم يطلب السعادة طبقًا لتوصيات والده، بل طلب الكثير من الهراء والعديد من الأشياء التافهة التى أرهق بها الغصن الذهبى هباءً. وكان الرجل يصر على تنفيذ رغباته الجوفاء.

وذات مرة طلب الرجل الأحمق من الغصن الذهبى طلبًا غير معقول. فقد أراد أن تهبط الشمس إليه، وتقوم بتدفئة ظهره وقام الغصن الذهبى بتنفيذ أمر سيده. لكن الشمس لم تستطع الهبوط فوق الأرض، بل أرسلت بكريات ساخنة ملتهبة فوق ظهر الرجل. فأحرقته هو وجميع أملاكه. وظلت كرات النار تهبط من الشمس حتى لم تبق من دياره شيئًا، وأصبحت أثرًا بعد عين. واحترق الغصن الذهبى هو الآخر وانصهر فى قلب النار، وحتى لو لم ينصهر، ففى جميع الأحوال لم يستطع أحد معرفة مكانه. وفى ذلك اليوم أصاب الذعر جميع الأشجار من حبات الشمس الملتهبة، حتى فقدت هبة الكلام إلى الأبد، ولم تعد الأشجار تتحدث بلغة الناس حتى يومنا هذا.

* * *

حكاية العفريت القزم
الذى يسكن أسفل الفرن

أمر السيد طباخه بإعداد طعام شهى له ولأصدقائه.

وضع الطاهى قِدرًا كبيرًا فوق النار، وألقى بداخله الكثير من لحم الضأن، ثم جلس ينفخ فى النار.

وفجأة، خرج من تحت الأرض، ومن أسفل الفرن عفريت قزم صاح متوسلاً:

- أعطنى أيها العزيز بعض اللحم! فإنى أتضور جوعًا.

رد الطاهى:

- لا أستطيع، فلدينا الكثير من الضيوف اليوم.

قال العفريت:

- فلتعطنى إذًا بعض مرق اللحم!.

- هذا طلب معقول، ويمكننى إعطاؤك.

أعطى الطاهى مغرفة من المرق إلى العفريت. فحملها العفريت فى يده. ولم يكد الطاهى يلتفت حتى كان النهم الصغير قد أخذ كل اللحم من القدر، واختفى فى لمح البصر.

تملك الخوف من الطاهى لهذه المزحة. وذهب إلى سيده، وقص عليه ما جرى مع العفريت. ولم يصدقه سيده، ولكن الطاهى أقسم بروحه على صدق كلامه. فلوح السيد بيده، وأمره بوضع المزيد من لحم الضأن فى القدر مرة أخرى. وقال له:

ـ لو ظهر لك هذا العفريت ثانية، فاضربه فوق رأسه بالمغرفة.

ذهب الطاهى ووضع اللحم فى القِدر، ثم جلس ينفخ فى النار.

وفجأة خرج من تحت الأرض، من أسفل الفرن العفريت القزم، وطلب من الطاهى مغرفة من المرق. فقال له الطاهى:

ـ لا أستطيع، فقد أمرونى أن أضربك بالمغرفة فوق رأسك.

توسل العفريت قائلاً:

ـ أرجوك، لا تضربنى، وكن رحيمًا بزوجتى، فهى تعانى المرض الشديد، ولا يوجد أحد يمكنه إعداد الغداء أو إحضار الماء. فخذ هذا الكيس الصغير، واملأه لى بالمرق. وهو كما ترى صغير للغاية، وذلك كى أحمله إلى زوجتى لتشفى من مرضها.

صدق الطاهى كلمات العفريت، وظن أنه لن يخدعه فى المرة الثانية، وأن ضميره لن يسمح بذلك. كما أن من العيب أن يبخل عليه ببعض قطرات المرق فى ذلك الكيس الصغير. وأعطى الكيس المملوء بالمرق إلى العفريت كى يذهب به إلى زوجته.

وها قد حدث العجب، واختفى اللحم بأكمله من داخل القدر وانتقل إلى الكيس الصغير. واختفى القزم معه.

يا للمصيبة!.

ذهب الطاهى باكيًا إلى سيده. وتملك الغيظ والغضب من السيد، حتى خرج عن طوره. لكنه فى نهاية الأمر أمر الطاهى بوضع اللحم مرة ثالثة، وحذره من الطرد فى حال تكرار ذلك الأمر. وقال له:

ـ ادهسه بقدميك لو ظهر لك هذا المحتال ثانية.

وضع الطاهى اللحم فى القِدر مرة أخرى، وظهر القزم له من جديد.

وأمسك الطاهى بالمغرفة فى يده صارخًا:

ـ اذهب من هنا! لقد أمرونى أن أدهسك بقدمى مثل الحشرة!.

ـ لا تقتلنى أيها العزيز، فربما يحين الوقت الذى تعصف بك فيه محنة مثلى، وعندئذ سوف تتذكرنى. فقد ماتت زوجتى المسكينة، وطفلى يصرخ من الجوع. ولا نجد أحدا يطعمنا. فأعطنى ولو نصف مغرفة من المرق كى أطعم بها صغيرى.

كان الطاهى يتمتع بقلب طيب كبير. فرق قلبه لطفل العفريت. وفكر فى نفسه: «إن ذلك الصغير لا يطلب الكثير لأكله».

وأعطى الطاهى مغرفة من المرق إلى العفريت.

وفى لمح البصر اختفى اللحم من القدر للمرة الثالثة، وتبخر العفريت معه.

أُسقط فى يد الطاهى المسكين ولم يبق أمامه سوى مواجهة مصيره. فذهب إلى السيد مرتجفًا وقال:

ـ لقد سرق العفريت كل شىء مرة أخرى.

صرخ السيد فى وجهه بغيظ شديد:

ـ أُغرب عن وجهى أيها الفاشل. وأمنحك مهلة حتى صباح الغد كى ترحل عنى بكل مزقك وأسمالك! ولو لم تكن طاهيًا جيدًا، لما تركتك حتى الصباح!.

بعد ذلك نادى السيد على رئيس الخدم وقال له:

ـ أُريدك أن تعد لى حساءً ساخنًا! ولو ظهر لك العفريت فادهسه بقدميك فى مكانه!.

رد رئيس الخدم:

ـ حسنًا، لا تقلق يا سمو السيد.

وذهب الرجل لوضع القدر وإعداد الحساء.

وبالطبع خرج العفريت من أسفل الفرن، وطلب من رئيس الخدم بعض المرق. فزمجر رئيس الخدم قائلاً:

- أتريد مغرفة أيها المحتال؟ خذ، ها هى.

وضرب الرجل العفريت ضربة قوية بالمغرفة فوق رأسه. فتدحرج العفريت المسكين مثل الكرة أسفل الفرن.

وهكذا، أعد رئيس الخدم الحساء وذهب به إلى سيده قائلاً:

- لقد لقنت ذلك الخبيث درسا قاسيا، ولن يظهر هناك بعد الآن.

أما الطاهى فقد جمع أغراضه فى الصباح. ووضعها فى جوال فوق ظهره. واستعد للمضى فى طريقه.

ومن تحت الأرض، ومن أسفل الفرن قفز العفريت وقد لف رأسه بمنشفة. وصاح على الطاهى مناديًا:

- أيها الرفيق! ألا تريد وداعى قبل ذهابك؟ لقد أحضرت لك شيئًا ينفعك أثناء الطريق. فتعال إلى بيتى وخذه.

زحف الطاهى أسفل الفرن ولم يدرك الوسيلة التى استطاع بها الزحف، لكنه وجد نفسه داخل بيت العفريت. وشاهد حجرات البيت المليئة بالتحف الثمينة والنفيسة.

سار الاثنان عبر الممرات والحجرات حتى وصلا إلى حجرة الخزين. وأحضر العفريت صندوقًا صغيرًا من فوق الرف وقال للطاهى:

- خذ هذا الصندوق أيها الرجل العزيز. إنه مكافأة لك نظير طيبتك ورقة قلبك وعندما تحتاج لأى شىء، عليك أن تنقر الصندوق بأصابعك وتخبره بما تريد. وسوف يتحقق لك ما تطلبه فى الحال.

شكر الطاهى العفريت وأخذ الصندوق. وعاد إلى المطبخ بعد ذلك. وكان رئيس الخدم هناك فى ذلك الوقت.

حمل الطاهى الصندوق ونقر عليه بأصابعه قائلاً:

ـ أُريدك أيها العزيز أن تعد لى طعامًا للطريق!.

ومن حيث لا ندرى ظهرت حقيبة سفر مملوءة بجميع أطايب الطعام. فرح الطاهى بهذا الأمر وطلب بعض الأشياء الأخرى التى قام الصندوق بتلبيتها له على الفور. وفغر رئيس الخدم فاه مبهورًا وهو يقول:

ـ يا له من صندوق عجيب! من أين حصلت عليه؟.

أخبر الطاهى رئيس الخدم بالمكان. ورحل بعد ذلك إلى حال سبيله، بينما فكر رئيس الخدم:

«أُريد مثل هذا الصندوق! وينبغى علىّ التودد إلى ذلك العفريت للتكفير عن ذنبى! وسوف أعد له اللحم على وجه السرعة!».

قام رئيس الخد بإعداد اللحم، ثم جلس فى انتظار ظهور العفريت. لكن العفريت لم يظهر له. فأخذ الرجل ينادى متوددًا:

ـ أيها الساكن أسفل الفرن! احضر أيها العزيز لزيارتى!.

سمع العفريت النداء فخرج إلى الرجل، وقال له:

ـ ما الذى تريده؟ إن لدى الكثير من الطعام الذى منحه لى الطاهى، ويكفينى لأسبوع على الأقل.

أخذ رئيس الخدم يحاول إقناع العفريت:

ـ ربما يعجبك هذا الطعام الطازج أكثر من طعامك القديم!.

تذوق العفريت من الطعام، ثم قال:

ـ شكرًا لك، إنه طيب حقا. فلتذهب معى كى أكافئك.

تسلل الاثنان أسفل الفرن. ومنح العفريت رئيس الخدم صندوقًا. فأخذه الرجل وعاد به مسرعًا إلى المطبخ، حتى إنه لم يشكر العفريت من فرط العجلة. وهرع إلى سيده متباهيًا أمامه بأنه يستطيع الآن توفير كل ما يريدون. وبدأ بالنقر فوق الصندوق بأصابعه.

وما إن رفع أصابعه من فوق الصندوق حتى قفز من داخله العفريت حاملاً عصا حديدية فى يده. وانقض على رئيس الخدم وسيده يضربهما بالعصا دون رحمة ولا شفقة.

وبعد أن انتهى العفريت من ضربهما، اختفى مع صندوقه دون أن يترك أثرا خلفه، سوى أثر الضرب على جسدى الرجلين.

* * *

العروس الحسناء

يُحكى أن فلاحا عاش فى بلاد الله خلق الله. وكان لديه من الأبناء ثلاثة. اثنان منهما يتمتعان بالذكاء والفطنة، أما الثالث فكان شحيح العقل، بل يمكن تسميته بالأحمق.

حل العجز بالوالد الفلاح، وحان الوقت لتقسيم أملاكه بين أبنائه. واحتار العجوز فى من يمنحه البيت من بين أبنائه. فقد كان يحبهم جميعًا، لكنه كان يخص أصغرهم الأحمق بالعطف الأكثر. وكان الشقيقان الأكبران ينظران إلى الأصغر باعتباره بليدا. أما الأب فكان يحبه كثيرًا لطيبته وأمانته.

نادى الأب على أبنائه وقال لهم:

- أُريد تقسيم أملاكى بينكم، وذلك حتى لا تتنازعون بعد موتى.

فرح الشقيقان الأكبران. فقد انتظرا تلك اللحظة منذ زمن طويل. وقال الوالد:

- وكى لا أظلم أحدا منكم، أُريدكم أن تذهبوا، ويحضر كل منكم قميصًا لى. ومن يحضر لى أجمل القمصان فسوف أمنحه البيت. فهل توافقون على ذلك؟

قال الثلاثة فى صوت واحد:

- موافقون.

خرج ثلاثتهم لإحضار القميص المطلوب. فذهب الشقيقان الأكبران إلى المدينة، حيث يصنعون هناك القمصان الأنيقة. أما الأحمق فلم ينهج نهجهم، بل انطلق إلى الغابة. ومضى

يسير فى نفس الطريق الذى يرعى فيه قطيع الماشية. وظل يسير ويسير حتى وصل إلى قلب الغابة. ومضى عبر درب ضيق للغاية غير مُمهد. وأخيرًا وصل إلى بيت كبير يماثل فى حجمه حجم الكنيسة. ومن حول البيت لم يكن هناك شىء سوى أشجار الغابة والسكون، وذلك كما هو الحال فى المقابر.

اقترب الفتى الأحمق من البيت، وشاهد الباب غير مُوصد، فدلف إلى الداخل.

لم يكن هناك نفس يتردد. لكن المكان كان نظيفًا ومرتبًا فى كل أركانه. ودخل إلى إحدى الغرف، فشاهد مائدة طويلة تكسوها كل الأطعمة الشهية كما المأدبة. وكان الجوع قد حل بالأحمق من طول سيره. فلم يفكر طويلاً، بل جلس إلى المائدة، وأخذ يتناول الطعام والشراب مثله مثل الضيوف والمدعوين. وعندما شبع وارتوى مضى يتفقد البيت. فسار عبر جميع الحجرات، وأخذ يحصيها. لكنه أخطأ فى عددها.

وفجأة، تردد صوت من خلف أحد الأبواب. ففكر الفتى فى نفسه:

«آه! لا بد أن أحدًا قد وصل. وسوف أتعرف الآن على ذلك السيد الذى يعيش هنا».

فتح الأحمق ذلك الباب، ودخل إلى الحجرة. وما إن نظر إلى الداخل حتى تجمد من الرعب. فقد شاهد مقعدًا فى ركن من الحجرة تجلس عليه حية نحاسية ضخمة. ورفعت الحية رأسها، وركزت بصرها نحو الضيف القادم.

أراد الأحمق أن يتراجع ويخرج من الغرفة، لكن الحية تحدثت إليه بصوت آدمى:

- لا تخش شيئًا أيها الأحمق! فلن أمسك بسوء.

استمع الأحمق إليها، وظل باقيًا فى مكانه، بينما أخذ جسده يرتعد من الخوف ويرتجف مثل ورقة شجر فى مهب الريح. وقالت الحية:

- كيف وصلت إلى هنا؟

حكى الأحمق حكايته لها. فقالت الحية:

ـ سوف تحصل على أجمل قميص فى العالم. ولكن عليك أن تقوم على خدمتى لعام. ويمكنك تناول الطعام والشراب كيفما يحلو لك. والعمل المطلوب منك أن تقوم بتنظيفى فى المغطس مرة كل يوم، ثم تحملنى وتضعنى فوق المقعد ثانية.

فكر الأحمق قليلاً، ثم قال:

ـ حسنًا، وأنا موافق! فالمهم لدى الحصول على القميص، أما العمل فلا أمتنع عنه مهما كان.

كان الفتى الأحمق يحب جميع الحيوانات من الجراء الصغيرة إلى المهرة والأفراس وحتى الحيات أيضًا. وكانت الحية تعد له الطعام الشهى، بينما يقوم هو بتنظيفها فى المغطس مرة كل يوم، ثم يعيدها إلى مقعدها بالحجرة. وسرعان ما مر العام، وبعد ذلك قال الفتى للحية:

ـ لقد قمت على رعايتك كما اتفقنا! وحان وقت عودتى إلى والدى.

قالت الحية للفتى:

ـ حسنًا، لقد قمت حقا بما عليك. فافتح هذه الخزانة وسوف تجد بها أجمل القمصان على الإطلاق.

أخذ الأحمق القميص، وشكر الحية، ومضى فى طريق العودة.

عاد الفتى إلى البيت، وكان شقيقاه قد وصلا قبله، وكلاهما أحضر قميصًا جميلاً. لكن قميص الأحمق كان هو الأروع على الإطلاق. وعندما شاهد والده ذلك القميص، أعلن الأحمق وريثًا له. وعندئذ صرخ الشقيقان الأكبران:

ـ لا، هذا ليس عدلاً! فلتجعلنا نجرب شيئًا آخر أيها الوالد.

قال الوالد:

- حسنًا، سوف أمنحكم مهلة عام آخر، وذلك كى تحضروا لى أشهى رغيف خبز. ومن منكم يحضر لى أطيب رغيف، فسوف يحصل على البيت. فهل توافقون؟.

رد الثلاثة فى صوت واحد:

- موافقون.

وخرجوا جميعًا للبحث عن أشهى رغيف خبز فى العالم.

وبالطبع ذهب الشقيقان الأكبران إلى المدينة، أما الأصغر فانطلق إلى الغابة مرة أخرى. وهناك عثر على دربه المهجور. وظل يسير به حتى وصل إلى البيت الكبير. وذهب مسرعًا إلى الحية. وعندما نظر إليها وجد لونها قد تغير من النحاسى إلى الفضى. وقص عليها الأحمق ما جرى مع والده وما يحتاجه. فأجابته الحية:

- سوف تحصل على أشهى رغيف خبز فى العالم، ولكن عليك أن تقوم على خدمتى لعام. ويمكنك تناول الطعام والشراب كيفما يحلو لك. والعمل المطلوب منك أن تقوم بتنظيفى فى المغطس مرة كل يوم، ثم تحملنى وتضعنى فوق المقعد ثانية.

فكر الأحمق فى نفسه «أنا لا أخشى أى عمل كان، والمهم لدى هو الحصول على رغيف الخبز». وظل يعيش فى بيت الحية ويقوم على رعايتها.

وعاش حياة طيبة لمدة عام، حيث كان العمل قليلاً والطعام وفيرًا شهيا.

وبعد مرور العام قال الأحمق للحية:

- لقد مر العام وحان موعد عودتى إلى والدى.

ردت الحية:

- حسنًا، لقد قمت بما عليك فعله. فافتح هذه الخزانة، وسوف تجد بداخلها قِدرًا، بداخله رغيف الخبز الذى لا يوجد نظير لمذاقه الطيب.

أخذ الفتى الرغيف وشكر الحية. وأسرع منطلقًا فى طريق العودة.

حصل الوالد على ثلاثة أرغفة من أبنائه. وكان أطيبها على الإطلاق هو ذلك الرغيف الذى أحضره ابنه الأحمق. فصاح الوالد:

- إن أصغركم هو وريثى الذى أحضر لى أشهى رغيف، وذلك كما اتفقنا.

صرخ الشقيقان الأكبران:

- لا أيها الوالد، فهذا ليس بعدل! فلتجعلنا نجرب حظنا لمرة أخرى! ولتكن المرة الثالثة هى الأخيرة، ولن نُجادلك بعد ذلك حول الفائز بيننا أيما كان.

رد الوالد:

- حسنًا، سوف أمنحكم فرصة أخيرة، وعامًا آخر من المهلة، وذلك كى يعثر كل منكم على عروس له. ومن منكم يحصل على العروس الأجمل، فسوف أمنحه البيت. فهل توافقون؟.

رد ثلاثتهم فى صوت واحد:

- موافقون!.

فرح الشقيقان الأكبران فرحًا كبيرًا وهما يفكران: «لن توافق أى فتاة جميلة على الزواج من شقيقنا الأصغر الأحمق أبدًا!».

خرجوا جميعًا يبحثون عن حظهم. فمضى الشقيقان الأكبران إلى المدينة كعادتهم، وانطلق الأصغر إلى الغابة كعادته.

سار الفتى الأحمق حتى وصل إلى البيت الكبير. وعندما دخل إليه شاهد الحية، وقد تغير لونها من الفضى إلى الذهبى. فحكى لها عما يريده فى هذه المرة. وقال:

- إن الفتاة الجميلة لن تقبل الزواج بى، وسوف يسخر منى الشقيقان الأكبران.

قالت الحية:

- لا، سوف تقبل بك. وما عليك سوى القيام برعايتى لمدة عام، ولن أبخل عليك بالطعام كما تعرف. ولن أثقل عليك بالعمل. وما عليك سوى القيام بتنظيفى فى المغطس مرة فى اليوم، ثم وضعى فوق مقعدى ثانية.

رد الأحمق:

ـ وأنا أُوافق بكل الرضا.

ظل الفتى فى بيت الحية وهو فى قرارة نفسه لا يصدق أن الحية سوف تمنحه ما يريد فى هذه المرة.

انقضى عام، وذهب الأحمق إلى الحية يستأذنها الرحيل. فأجابته الحية:

ـ حسنًا، لقد فعلت ما عليك القيام به. وسوف أُلبى وعدى لك. ولكن فى البداية عليك أن تُشعل الفرن فى المطبخ حتى تتوهج ناره وتتقد. وبعد ذلك تعود إلىّ وتحملنى فوق يديك إلى المطبخ، ثم تُلقى بى فى قلب النار. وعندئذ سوف أصرخ بك أن تنتشلنى من النار، وأُنذرك بعبارات التهديد والوعيد، ثم أرجو وأتوسل إليك أن تخرجنى من الفرن، وعليك ألا تستمع إلى وإلا فسوف تهلك.

أشعل الأحمق الفرن حتى توهج، ثم ألقى بالحية فى قلب النار وأغلق عليها باب الفرن ويا لهول ما جرى! صرخت الحية بصوت رهيب، وأخذت تصدر زئيرًا مرعبًا يزلزل أرجاء المكان. وعلى الرغم من تهديدها وتوسلاتها للأحمق، فإنه لم يستمع إليها، ولم يخرجها من الفرن.

مر وقت طال أم قصر، ثم ساد الهدوء. ففتح الأحمق باب الفرن، ولم يجد أثرًا للحية. ولم يعثر على رماد أو فحم متبق.

فكر الفتى فى نفسه: «يا للمعجزة!». وخرج بعد ذلك من المطبخ. وأخذ يبحث فى شتى أرجاء البيت، ولم يجد أثرًا للحية. فظن أنها خدعته واحترقت.

مضى يبحث فى آخر الحجرات. وكانت حجرة مظلمة ليس بها إلا ضوء شحيح. ونظر بداخلها فوجد جدرانها مغطاة بستائر حريرية، وفى منتصف الحجرة فراش حريرى ترقد عليه فتاة رائعة الحسن والجمال. وما إن شاهدته الفتاة حتى صاحت:

- شكرًا لك أيها الفتى الأحمق لرعايتك المخلصة لى. فقد أصابنى الساحر الشرير بلعنته، وحولنى إلى حية لرفضى الزواج بابنه اللعين. ولم أكن أستطيع التخلص من لعنته الشريرة، حتى يأتى إلىّ أحد ما، ويوافق على رعايتى لثلاثة أعوام، وينفذ جميع رغباتى. ولو لم تحضر إلىّ لظللت فى هيئة حية حبيسة اللعنة طوال العمر، ويتبدل لونى من النحاسى إلى الفضى إلى الذهبى مع كل عام تقضيه على خدمتى. وأنا أوافق على الزواج بك لو أن هيئتى تعجبك.

أمسك كلاهما بيد الآخر، وخرجا معًا إلى فناء البيت وهناك تبدل كل شيء، حيث كست الزهور الفناء وما حوله، وامتدت الحقول المنبسطة والحدائق بدلاً من أشجار الغابة. وتوقفت عند أبواب البيت عربة أنيقة تجرها الجياد.

جلس الاثنان معًا فى العربة، وانطلقا إلى بيت والد الفتى. كان الشقيقان الأكبران قد عثرا على عروسين تتمتعان بالحسن. لكن عروس الأحمق لم يكن لها نظير فى الجمال. فقد كانت عروسا شقيقيه مثل القمر، وكانت عروسه مثل الشمس. واضطر الشقيقان الأكبران إلى الاستسلام، ولم يجرؤ أحد منهما على الاعتراض على رغبة الوالد فى هذه المرة. لكن الشقيق الأصغر لم يرغب فى شيء يرثه، وقال:

- لا أُريد أن أرث شيئًا من والدى فلدى أكثر مما أحتاج، بل أكثر مما يوجد لدى الأمراء. وليأخذ شقيقاى كل شيء.

جرت مراسم زفاف الأشقاء الثلاثة فى نفس الوقت. وقام الشقيق الأصغر الأحمق بتوزيع الهدايا الثمينة على الجميع، بما فيهم والده وشقيقاه الذكيان. وبعد ذلك انتقل إلى بيت عروسه جميلة الجميلات. وعاش معها فى سعادة وهناء.

* * *

العقد السحرية

فى يوم من الأيام خرج الصنيادون إلى جزيرة هيوام(*) لصيد السمك. وهبت رياح عاصفة دفعتهم بسرعة حتى وصلوا إلى الجزيرة المنشودة. وهناك استطاعوا صيد الكثير من الأسماك. وبعد ذلك تأهبوا للعودة إلى ديارهم.

أدار الصيادون مراكبهم. وقاموا بتوجيه دفاتها نحو الأرض الكبيرة. وشرعوا جميعًا بالتجديف. وفجأة، هبت ريح عاتية قذفت بمراكب الصيادين إلى جزيرة هيوام مرة أخرى. وظلت الريح تهب وتعصف، ولم يبد أنها سوف تهدأ أبدًا.

هبط الصيادون إلى شاطىء الجزيرة. وهناك شاهدوا بيتا خشبيا. وكان بالبيت عجوز يسكنه. فطلب الصيادون منه السماح لهم بالمبيت داخل البيت. فسألهم العجوز:

ـ من أين أتيتم؟ وإلى أين تذهبون؟.

أجاب الصيادون:

ـ لقد أتينا من الأرض الكبيرة. وقد اصطدنا الأسماك عند شاطئ هيوام. وعندما رغبنا فى العودة إلى ديارنا، واجهتنا رياح عاتية، ودفعتنا نحو الجزيرة مرة أخرى، ولا تجعلنا هذه الرياح نفكر فى العودة من شدة قوتها.

قال العجوز:

(*) جزيرة هيوام هى إحدى جزر بحر البلطيق التابعة لإستونيا، وتبلغ مساحتها حوالى ٩٦٥ كم مربعًا، ويصل ارتفاعها إلى ٥٤ مترًا فوق سطح البحر – المترجم.

ـ يمكنني مساعدتكم في العودة لو أنكم تتمسكون بالكلمة وتلتزمون بالعهد.

رد الصيادون:

ـ سوف نتمسك بالكلمة لو أنك ساعدتنا.

عندئذ أخذ العجوز حبلاً طويلاً معلقًا فوق الحائط. وكان الحبل معقودًا بثلاث عقد. وأعطى الحبل للصيادين قائلاً:

ـ اذهبوا وأعدوا مراكبكم. وعندما تستعدون للإبحار عليكم حل أول عقدة في هذا الحبل. وعلى الفور سوف تهب رياح معاكسة تدفعكم نحو أرضكم الكبرى. وفي لمح البصر سوف تحملكم هذه الرياح بعيدًا عن الجزيرة. وعند منتصف الطريق عليكم حل العقدة الثانية. أما العقدة الثالثة فعليكم حلها فقط عندما تصلون إلى الشاطئ. ولا تحلوها أبدًا وأنتم في البحر.

أخذ الصيادون الحبل، وشكروا العجوز. وقرروا الإبحار في الصباح الباكر.

وجلسوا في مراكبهم في الصباح وهم غير مصدقين لكلمات العجوز بعد. وأخذوا يتساءلون:

ـ هل يمكن لهذا الحبل أن يساعدنا حقا؟!.

صاح أصغر الصيادين قائلاً:

ـ أظن أن هذا العجوز هو رجل حكيم، وسوف يتحقق ما أخبرنا به.

قرر الصيادون تجربة قوة العقدة. فأبحروا بمراكبهم، وحلوا العقدة الأولى. وها هي المعجزة قد حدثت! فهبت رياح قوية لا يدري أحد مصدرها، ودفعت بالمراكب تشق عباب الماء، وتخلف الأمواج من ورائها.

وفي منتصف الطريق قام الصيادون بحل العقدة الثانية. فأسرعت المراكب تخترق الماء أسرع من ذي قبل. وسرعان ما لاحت أطراف الأرض الكبيرة على مرمى البصر.

وعند مقربة من الشاطئ قرر الصيادون حل العقدة الأخيرة من الحبل. لكن الصياد الصغير هتف محذرًا:

ـ انتظروا! ألم يأمركم العجوز ساكن جزيرة هيوام بأن تحلوا العقدة الثالثة عندما تصلون إلى الشاطئ وإلا فالعواقب وخيمة؟.

لم يستمع الصيادون الآخرون لنصيحة رفيقهم الصغير، وقالوا:

ـ ما الذى يمكن أن يحدث لنا بعد أن أصبح الشاطئ على مرمى البصر؟.

وقام الصيادون بحل العقدة الثالثة.

وفى لمح البصر تبدل اتجاه الرياح، ودفعت بالصيادين نحو الجزيرة مرة أخرى.

أخذ الصيادون يجدفون بكل قوتهم وهم يقاومون تلك الرياح دون جدوى.

وبعد أن قطعوا الطريق من جزيرة هيوام إلى شاطئهم فى لحظات معدودة، أصبحوا يصارعون الرياح العاتية حتى مغيب الشمس. وفى النهاية نجحوا بصعوبة شديدة فى الوصول إلى الشاطئ الذى كان على مرمى البصر فى أول الأمر.

وندم الصيادون على عدم إصغائهم لنصيحة الحكيم، ولكن بما ينفع الندم بعد أن خالفوا نصحه؟.

* * *

زوج عروس البحر

كان لدى أحد الفلاحين اثنان من الأبناء. كان أكبرهما يتمتع بالذكاء والفطنة فى أى عمل يقوم به. أما الأصغر فكان يتبع أهواءه، ولا يجد عملاً يجذبه للقيام به. فكان يقضى أياما عديدة يتجول ويهيم فى الغابة، ويسير على شاطئ البحر يعزف على الناى. وأراد والده تعليمه مهنة الرعى والخروج بالقطيع إلى المراعى، لكنه لم يفلح فى ذلك الأمر. وكان الفتى الكسول يطلق العنان للأبقار كى تأكل بنفسها من الخبز أو الشوفان. وعندئذ أرسله والده ليرعى الخنازير، ولكنه لم يفلح فى هذا الأمر أيضًا، وترك الخنازير تهيم على وجهها، وتكاسل عن بذل أى جهد معها. وفى نهاية الأمر طرد الوالد ابنه الكسلان من البيت.

حلت الأيام العصيبة بالفتى، فلا سقف يغطيه، ولا خبز يطعمه. ومضى هائمًا على وجهه حاملاً خرجه الخاوى من الطعام. واستمر على هذا الحال يسير على شاطئ البحر لبضعة أيام، ثم قفز فى قلب الماء.

سبحت نحوه عروس البحر فى الماء، وحملت الفتى فوق يديها. ومضت سابحة معه حتى وصلت به إلى جزيرة مهجورة. وبعد أن أنقذت الفتى قالت له:

- أريدك أن تنفذ لى طلبًا نظير إنقاذى لك.

رد الفتى:

- ليس لدى شىء يمكننى القيام به لك.

- إذًا، فلتمنحنى نفسك، وتصبح زوجًا لى.

لم يستطع الفتى أن يجيب بشيء، بل فكر في نفسه: «كيف يمكن الزواج من عروس البحر؟». وطلب مُهلة لثلاثة أيام كي يفكر في الأمر. فأحنت عروس البحر رأسها واختفت من أمامه.

ظل الفتى بمفرده في الجزيرة المهجورة. واشتد به الجوع. وكانت ملابسه مبتلة ولا يوجد مكان يحتمي به سوى السماء، ولا ركن يلتمس الدفء به. وظل الفتى متماسكًا ليومين. وفي اليوم الثالث تملكه الندم على أنه لم يقبل على الفور الزواج من عروس البحر. وهنا ظهرت عروس البحر وسألته:

- كيف الحال؟ هل قررت الزواج مني؟.

وافق الفتى على الزواج من عروس البحر في الحال. وفي لمح البصر تبدل كل شيء حوله. وانبثق أمامه قصر بديع الهيئة لم يشهد أحد مثيلاً له من قبل فوق الجزيرة المهجورة. وكان القصر يحتوي على الأرائك المريحة والطاولات رائعة الجمال. وكانت أرضه ناعمة ملساء حتى يصعب السير فوقها. وعلى طاولة مستديرة وضعت أشهى المأكولات والمشروبات والنبيذ. ووضع الخدم مقعدين حول الطاولة للزوج وعروسه. وظهر حشد من الناس لا يدري أحد من أين أتوا، وجلسوا بدورهم حول الطاولة. وكان أولئك الناس هم أتباع عروس البحر. وقاموا جميعا بزف العروس إلى زوجها.

وحل وقت الأيام الرغدة للفتى. ولم يكن عليه فعل أي شيء سوى قضاء أيامه في العزف على الناي. لكن الفتى لاحظ أن زوجته تختفي أيام الخميس من كل أسبوع. وفي بداية الأمر لم يبح لها بشيء حول هذا الأمر. وبعد ذلك سأل زوجته عن المكان الذي تذهب إليه كل خميس. ولم تفسر له عروس البحر سبب غيابها والمكان الذي تذهب إليه. والأكثر من ذلك أنها أمرته بصرامة وحزم قائلة:

- إياك وأن تتبعني وتراقبني، وإلا فلن يُسمح لك بالعيش هنا، وسوف أقضي بقية حياتي أتجرع الحزن إلى الأبد.

في بداية الأمر استمع الفتى إلى تحذير زوجته بعدم مراقبتها. لكن القلق بدأ يعتريه وتملكه الفضول بعد ذلك. وأراد معرفة المكان الذى تذهب إليه وما تفعله هناك.

حل يوم الخميس، ودخلت الزوجة إلى إحدى الحجرات، وأوصدت الباب عليها مع وصيفاتها. وعندما شاهد الفتى ذلك الأمر دفعه الفضول إلى التلصص عليها.

قام الفتى بثقب حفرة صغيرة في الحائط. وأخذ يتطلع عبر الثقب إلى داخل الحجرة. ولم يكن هناك شيء غير عادي. فقد توسط الحجرة مغطس ذهبي حيث تقوم الوصيفات بتنظيف جسد زوجته بداخله، ولا شيء أكثر من ذلك. وفكر الزوج: «يا للعجب! ما الذى يجرى هنا؟».

ظهرت الزوجة في المساء وهى ترتدى ثياب الحداد السوداء، ويلفها الحزن والاستياء، وقالت:

- ما الذى فعلته؟ ولماذا لم تصغ إلىّ؟ لم يعد مسموحًا لك العيش هنا الآن. وسوف أظل للأبد أتجرع الحزن لفراقك. فهيا ارحل!.

وعلى الرغم من توسلات الزوج لعروس البحر أن تسمح له بالبقاء ولو حتى إلى الصباح، فإن الزوجه لم تقبل توسلاته.

لم يكد الفتى يفيق من الصدمة، حتى اختفى القصر السحرى. ووجد نفسه فوق الجزيرة المهجورة بمفرده يرتدى أسمال الراعى. وقامت عروس البحر بحمله، وسبحت به إلى الشاطئ الذى كان يتجول فوق رماله سابقًا، ثم اختفت بعد ذلك.

وجد الفتى نفسه على الشاطئ، ولم يدرك شيئًا مما جرى. وظل جالسًا عند البحر لفترة طويلة، ثم ذهب إلى البيت. وعندما وصل إلى موقع منزله وجد البيوت كلها قد تبدلت، وأن الناس أيضًا قد تغيروا. وعندما سأل عن والده ووالدته، لم يستطع أحد أن يجيب عليه بشيء حولهما. فلم يسمع عنهما أحد من قبل. وعندما بدأوا في البحث عن أسمائهما في المخطوطات الكنسية القديمة، تبين أن والديه قد فارقا الحياة وغادرا الدنيا منذ ثلاثمئة عام مضت. وما إن سمع الفتى بهذا الأمر، حتى مات على الفور وتناثر جسده إلى غبار وتراب.

* * *

البعوضة والحصان

كان الحصان يرعى فى الحقل عندما حطت فوقه بعوضة. فلم يلحظها الحصان ولم يشعر بها. وعندئذ هتفت البعوضة متسائلة:

- ألا ترانى أيها الحصان؟ إنى البعوضة التى حطت عليك.

قال الحصان:

- الآن أراكِ.

بدأت البعوضة تتفقد الحصان من ذيله إلى ظهره، ومن حوافره حتى رقبته وأذنيه. وعندما انتهت من النظر إليه لوحت برأسها قائلة:

- إنك تتمتع بالقوة والعافية حقا أيها الأخ!.

هز الحصان عرفه وقال:

- نعم، فإنى لست بصغير مثلك.

- نعم، أنا أصغر منك.

- أصغر بكثير!.

- وهل تكفيك قوتك؟.

- نعم، تكفينى.

- وهل يستطيع الذُباب أن يتمكن منك؟.

. لا يستطيع، فأين هو؟.

. وماذا عن ذُباب الخيل؟.

. هو أيضًا لا يستطيع أن يتمكن منى.

. وهل هذا الأمر ينطبق أيضًا على حشرات النعرة؟ وهل لا يمكنها هزيمتك؟.

. لا، لا يمكنها هزيمتى.

أُعجبت البعوضة بقوة هذا الحصان. وفكرت فى نفسها: «إنى أقوى منه». ونفخت البعوضة صدرها متباهية وقالت:

. على الرغم من كبر جسمك وقوتك، فإننا– معشر البعوض– أشد منك قوة، ولو قمنا بالهجوم عليك فلن نترك بجسدك موقعا حيا، وننتصر عليك.

قال حصان:

. لا، لن تنتصروا!.

. أنت واهم أيها الأخ، وسوف ننتصر عليك!.

. قلت لكِ لا، لن تنتصروا.

وظل الاثنان يتجادلان لساعة ثم لساعتين دون أن يتراجع أحدهما عن موقفه. وعندئذ صاح الحصان:

. لماذا نضيع وقتنا هباءً فى الجدل؟ أليس من الأفضل أن نتصارع على أرض الواقع.

فرحت البعوضة وهتفت:

. نعم، هيا بنا!.

حلقت البعوضة فوق الحصان تُنادى وتصيح بصوت حاد رفيع:

. يا معشر البعوض! هيا حلقوا إلى هنا!.

سرعان ما أتت محلقة أسراب البعوض من كل حد وصوب! من فوق أشجار البريوز، ومن أعلى أشجار الصنوبر، ومن البرك والمستنقعات وحتى من الأنهار... وانقضت جميعها فوق الحصان، حتى كست جسد المسكين تمامًا. وعندئذ سأل الحصان:

ـ أهذا كل شيء؟ وهل أتى الجميع؟.

قالت البعوضة المشاكسة:

ـ نعم، ها هم جميعًا.

ـ وهل وجد الجميع أماكن لهم؟.

ـ نعم، لقد وجدوا أماكنهم.

عندئذ صاح الحصان قائلاً:

ـ تمسكوا جيدا!.

وانقلب الحصان على ظهره ورفع حوافره إلى الأعلى. وأخذ يدحرج جنبًا بعد الآخر فوق الأرض. ولم تمر دقيقة واحدة حتى كان الحصان قد هرس جميع البعوض وكتائب المستنقعات كلها.

أما البعوضة المشاكسة فقد جلست جانبًا تراقب المعركة. فالمشاكس دائمًا هو من يشعل الشجار، ثم يختبئ جانبًا بعيدًا عن المعركة.

ولم يبق من قوات البعوض سوى جندى جريح، استطاع بالكاد أن يفر بحياته من فوق جنب الحصان عندما هرس بقية رفاقه. فطار إلى البعوضة المشاكسة، ورفع تقريره إليها كما لو أنها جنرال الحرب، وقال:

ـ لقد استطعنا أن نصرع العدو! ولكن للأسف ينقصنا أربعة جنود، وإلا كنا قد نجحنا فى الهجوم على حوافر العدو، وسلخنا جلده عن جسمه.

صاحت البعوضة المشاكسة وهى تمدح الجندى:

ـ أحسنتم أيها الرفاق!.

وأسرعت محلقة فى الغابة، كى تذيع على الجميع من الحشرات الطنانة الصغيرة منها والكبيرة أخبار النصر العظيم. أهذه مزحة أم حقيقة؟ لقد انتصرت قبيلة البعوض على الحصان! إن قبيلة البعوض هى حقا أعظم وأعتى القبائل على وجه الأرض!.

* * *

حكاية الغراب الذى تقدم لخطبة العصفورة

ذات يوم أراد الغراب التقدم لخطبة العصفورة بعد أن أُعجب بها، وبعد أن أُعجبت به. فدعته العصفورة إلى زيارتها لتناول الطعام. وسألها الغراب:

- لماذا أنتِ صغيرة إلى هذا الحد؟.

ردت العصفورة:

- لأنى لم أكبر بعد.

فرح الغراب وقال:

- إذًا أنتِ لم تكبرى بعد؟ وهذا الأمر يعنى أنك سوف تكبرين بعد ذلك؟

- بالطبع سوف أكبر! كيف لا تعرف هذا الأمر؟.

تناول الاثنان الطعام والمشروبات، وشعرت العروس بالضجر حتى إنها بدأت تشدو وتغنى، ثم قالت للغراب:

- احك لى شيئًا ما، وليكن مسليًا حتى لا أغفو وأنام وأنا جالسة معك.

قال الغراب متباهيًا:

- إنى أعرف الكثير من الحكايات المسلية. فهناك قرية تقع خلف غابتنا. وكان عمى يطير إلى هذه القرية حين شاهد ذات مرة شجرة فاصوليا عالية شاهقة الارتفاع، إلى درجة أن الحلزون عندما يتسلقها، يمكنه الوصول إلى السحب فى السماء، والاحتماء بها من حرارة الشمس.

قالت العصفورة:

- نعم، نعم، فمنذ عامين شاهدت شجرة بازلاء عالية إلى درجة أن الصرصور عندما يتسلقها يمكنه الوصول إلى أعالى السماء، وإشعال غليونه من الشمس.

أراد الغراب أن يتذكر شيئًا أكثر طرافة وإثارة، فقال:

- نعم، نعم، لقد تذكرت حكاية أخرى! فمنذ ثلاثة أعوام، وفى نفس تلك القرية الواقعة خلف غابتنا، هبت رياح عاصفة عاتية جعلت الناس يسيرون على أربعة من شدة قوتها. وظلوا على هذا الحال لعام وهم لا يستطيعون التخلص من هذا الوضع.

قالت العصفورة:

- نعم، نعم، فمنذ خمسة أعوام هبت رياح لم يسبق لها مثيل، وجعلت طواحين الهواء تدور بسرعة كبيرة إلى درجة تجعلك لا تستطيع مشاهدة أجنحتها.

أراد الغراب أن يتذكر شيئًا أكثر طرافة مما حكته العصفورة، فقال:

- نعم، نعم، لقد تذكرت حكاية أخرى، فمنذ عشرة أعوام ضرب صقيع حاد كل الأرجاء فى الغابة، حتى إن أشجار الصنوبر تشققت جميعها من أعلاها إلى أدناها.

لم تستسلم العصفورة وقالت:

- نعم، نعم، فمنذ عشرين عامًا مضت، وذلك عندما كنت ألهو مع شقيقاتى من الأفراخ، ضرب أرجاء الغابة صقيع لم يسبق له مثيل، حتى إن أيادى النساء تجمدت فوق العجين وهن يحضرن الخبز، وصارت القدور وهى فوق النار تغلى من جانب والجليد يغطيها من الجانب الآخر.

وهنا تملك الندم الغراب على مشروع زواجه، وتنهد بحسرة قائلاً:

- نعم، نعم، إن جميع الأشياء الغريبة تحدث فى الماضى البعيد...

ابتلع الغراب ريقه، ثم تنهد المسكين وطلب الخروج للحظات قليلة. وبعد ذلك فر هاربًا من المكان، وحلق مبتعدًا عن العصفورة.

من يدرى؟ فربما حقا قد وُجدت شجرة الفاصوليا التى يُحكى عنها وشجزة البازلاء، وربما حقا ضرب ذلك الصقيع. ولكن فى جميع الأحوال فإن العصفورة بالنسبة إلى الغراب تُعد عجوزًا للغاية لو أنها فى حقيقة الأمر شاهدت وعاصرت كل ما حكت عنه.

* * *

الفأر والغراب

ذات يوم شعر الفأر بوعكة صحية، وبأنه يحتاج إلى استنشاق الهواء العليل. ولم يكن ذلك الهواء موجودًا في الكرار الذي يعيش فيه الفأر. فأسرع الفأر إلى صديقه القديم الغراب، وذلك كي يلتمس النصح لديه. وقال له:

- أشعر بأن صدري ينطبق فوق ضلوعي في الكرار الذي أعيش فيه، حيث إن الهواء العليل لا يدخله. وأظن أن علي ترك حراسة الكرار، والاشتغال بعمل آخر.

اقترح الغراب على صديقه قائلاً:

- ما رأيك لو قمنا بحرث الأرض وزرعها.

فرح الفأر وصاح:

- إني أوافق بالطبع! هيا بنا!.

وقام الاثنان بحرث الحقل وزرع الشعير بها، ثم جلسا بانتظار نمو المحصول.

وسرعان ما نمت أغصان الشعير، وتلألأت سنابله الممتلئة بالحبوب، وارتفعت متلاصقة مثل أشجار الغابة. وقام الفأر بحصد الشعير، أمّا الغراب فقام بدرسه، حتى أصبح لديهم جبل من حبوب الشعير الذهبية الكبيرة. ولم يبق سوى تقسيم المحصول بينهما بالعدل والقسطاس.

وقاما بتقسيم المحصول حبة فحبة، حيث وضع الفأر نصيب كلٍّ منهما في كومتين متجاورتين، بينما جلس الغراب يراقب صديقه. وفي نهاية الأمر حصل كل منهما على نصيب يكفي لملء عنبر بأكمله.

لكن حبة شعير واحدة ظلت فائضة عن القسمة العادلة. فقال الفأر:

ـ سوف آخذ هذه الحبة الأخيرة لي.

اغتاظ الغراب وصاح معترضًا:

ـ ولماذا تأخذها لنفسك؟.

رد الفأر:

ـ سوف آخذها مقابل حصادى، فأنا الذى قمت بالحصاد!.

لم يتراجع الغراب عن موقفه وقال:

ـ وأنا الذى قمت بدرسه، أم أنك تظن أن الأمر كان سهلاً بالنسبة لى! إن عظام جسمى كلها ما زالت تؤلمنى حتى الآن.

صاح الفأر مُحتجًا:

ـ يا للحجة الواهية! إنى لم أقم بالحصد فقط، بل قمت أيضًا بجمع الحبوب ورصها. وهذه الحبة من حقى أنا!.

ـ لا، بل من حقى أنا! إن رص الحب ليس بالأمر الصعب، فقد قمت بمراقبتك أثناء ذلك.

وظل الاثنان يتجادلان ويتنازعان لسبعة أيام، دون أن يصلا إلى حل للنزاع. وعندئذ قررا الذهاب إلى القاضى الدُب ليفصل بينهما.

كان الدُب سيدًا رصينًا. فجلس فى عربته الزاحفة، وذهب ليفصل بين الصديقين القديمين. وفى أول الأمر استمع إلى كل ما حدث، ثم طلب مُهلة من الوقت للتفكير وإصدار الحكم. وبعد ذلك صعد بين أغصان شجرة الحور كى يبتعد عن حرارة الجو. وقضى طوال اليوم هناك حتى يفكر فى الأمر. وتردد شخيره عاليًا قويا، حتى إن الشجيرات اهتزت من قوة الشخير. وفى المساء استيقظ أعوج الساقين وقد توصل إلى قراره، وقال:

- كل شيء ينبغى أن يسير بالعدل والقسطاس، ولذلك ينبغى عليكما تقسيم هذه الحبة الزائدة من الشعير بينكما مناصفة. أما بقية المحصول فعليكما حمله إلى عربتى كى آخذه معى. فقد بذلت الكثير من الجهد لحل النزاع بينكما حتى وصلت إلى قرارى العادل.

تمالك الفأر والغراب نفسيهما من الصدمة. ولم يعترضا على حكم القاضى. وقاما بنقل المحصول إلى عربة الدُب. ولم يحتفظا لأنفسهما سوى بالحبة الوحيدة المتبقية.

لم يقم الاثنان بعد ذلك بحرث الأرض أو زراعتها أبدا. لكنهما احتفظا بالصداقة بينهما. وكان الغراب كلما قابل صديقه الفأر يسأله قائلاً:

- هل تتذكر أيها الفأر محصول الشعير الذى كان لدينا؟.

ويجيب الفأر متحسرًا:

- أخ، وكيف لى أن أنساه! وهل تتذكر الحكم العادل الذى قرره الدُب؟.

تنهد الغراب بحسرة قائلاً:

- أخ، وكيف لى أن أنسى حكمه العادل!.

* * *

الذئب والأيل

كان الأيل يتريض فى الغابة عندما سمع فجأة صوت استغاثة. فذهب إلى مصدر الصوت، وشاهد أن الريح قد هبت فوق جذع كبير لشجرة صنوبر، ووقع ذلك الجذع فوق الذئب. كان الذئب راقدًا أسفل الجذع بلا حول ولا قوة له. فلا يمكنه الحراك من تحته، بل فقط يعوى مستغيثًا.

هز الأيل رأسه سائلاً:

- كيف وقع فوقك هذا الجذع؟.

- أخ، لا تسألنى أيها العزيز، وانظر إلى ما حل بجسمى حتى صارت روحى تكاد أن تفارقنى، ومن الأفضل أن تسرع برفع ذلك الجذع بقرنيك.

قال الأيل مترددًا:

- أود مساعدتك بكل الرضا، لكن جذع شجرة الصنوبر هذا سميك للغاية، وأخشى ألا يمكننى رفعه.

توسل الذئب راجيًا:

- أرجوك فلتجرب ذلك.

وافق الأيل وقال:

- حسنًا، سوف أُجرب، فربما أستطيع رفع الجذع بقرنىّ.

استجمع الأيل كل قواه وبدأ فى رفع الجذع الثقيل. وها هو فى النهاية استطاع تخليص الذئب منه بالكاد. وتحرر الذئب من فخه غير مصدق نجاته. وفرح الأيل وقال فى نفسه:

«إننى حقا قوى!».

نفض الذئب فراءه، ووقف فوق حوافره وهو يتفحص جسمه ليقدر ما حل به من جروح. لكن جلده كان سليمًا لم يمسه أى سوء. وعندئذ تذكر الذئب الأيل. فهجم على الفور نحو الأيل وهو يزمجر متحفزًا ويرفس الأرض بحافريه. وعندما شاهد الأيل يدير ظهره مبتعدًا هتف يقول:

- قف! إلى أين أنت ذاهب؟.

سأل الأيل:

- سوف أعود أدراجى، فلماذا تسألنى؟.

- لا تتحرك من مكانك! فينبغى على التهامك. فالأيائل هى دائمًا طرائدى المفضلة.

- كيف تقول هذا وقد أنقذتك للتو من الموت؟.

- إنقاذك لى أمر آخر.

- كيف هذا؟ ألا تخجل من نفسك أيها الغادر؟.

- ولما أخجل من نفسى، وقد أخبرتك أنك الطريدة المفضلة؟.

طال النقاش بينهما ولم يستطع الأيل القبول بكلمات الذئب. وظل الاثنان يتنازعان دون أن يصلا إلى حل يرضى الطرفين. وعندئذ اقترح الأيل:

- فليفصل بيننا أحد ما كى نعرف المحق منا.

فرح الذئب قائلاً:

ـ موافق!

وفكر الذئب فى نفسه: «سوف يصبح الأمر أفضل بالنسبة لى؛ لأنى سوف ألتهم الأيل ومن بعده القاضى!».

ظل الاثنان يبحثان طوال اليوم عن أحد يفصل بينهما، حتى عثرا عليه عند المساء. وكان هو الدُب العجوز. كان الدُب يسير فى القرية للحصول على بعض أقراص العسل من أجل صغيره. واستمع بصبر إلى حكاية الذئب والأيل. وبعد أن انتهى من سماع حكايتهما، وضع يده داخل فمه مفكرًا فيما يحكم به، لكنه لم يصل إلى قرار. فقال:

ـ لا أدرى كيف يمكن الفصل بينكما. ولكنى أظن بضرورة الذهاب إلى المكان الذى وقعت به الأحداث.

ذهب الذئب والأيل مع الدُب إلى شجرة الصنوبر. فدار الدُب حولها وهو يفكر، ثم صاح قائلاً:

ـ إذا، أريدك أيها الأيل أن ترفع الجذع بقرنيك؛ لأنى لا أصدق أنك استطعت فعل هذا الأمر بمفردك.

غضب الأيل وصاح:

ـ لقد فعلت ذلك بالطبع! وسوف أفعلها ثانية.

ورفع الأيل الجذع بقرنيه. وعندئذ قال الدُب:

ـ وأنت أيها الذئب! أريدك أن ترقد أسفل الجذع، وذلك كى أصدق أنك استطعت التخلص منه بعد أن رفعه الأيل.

غضب الذئب وصاح:

ـ سوف أُريك أنى كنت راقدًا أسفله.

ورقد الذئب أسفل جذع شجرة الصنوبر. وعندئذ صاح الدُب:

ـ حسنًا، اترك الجذع أيها الأيل فى مكانه السابق.

ترك الأيل جذع الشجرة، فأصبح الذئب فى الحال حبيسًا فى فخه مرة ثانية.

وظل الذئب واقعًا فى ذلك الفخ كما كان سابقًا. ويا تُرى هل سوف يأتى أحد آخر لمساعدة ذلك الخائن؟

* * *

حكايات شعبية من بلاد التتر

الشيطان وبناته

كان ياما كان رجل يعيش فى الدنيا يدعى صفاء. وذات يوم فكر أن يطوف بلاد الله خلق الله، فقال لزوجته:

- سوف أرحل لأعرف كيف يعيش الناس فى بقاع الأرض.

خرج الرجل وظل يسير فى طريقه لزمن طال أم قصر، حتى وصل إلى أطراف الغابة. وهناك شاهد عجوزًا شريرة مصاصة دماء، تهجم على بجعة وتريد قتلها. وأخذت البجعة تئن وتصرخ محاولة الإفلات والفرار دون جدوى. فقد كانت مصاصة الدماء قوية، وأحكمت الإمساك بها.

أشفق صفاء على البجعة البيضاء. وانطلق نحوها لمساعدتها. وعندما شاهدته مصاصة الدماء الشريرة، تملكها الخوف وفرت هاربة تاركة البجعة.

شكرت البجعة صفاء على نجدته لها وقالت:

- تعيش خلف هذه الغابة عند البحيرة شقيقاتى الثلاث. وأود أن أعرفك عليهن. فاجلس فوقى، ولنذهب لزيارتهن!

جلس صفاء فوق ظهر البجعة. وطارت البجعة محلقة به.

حطت البجعة عند شقيقتها الكبرى، وقالت لها:

- لقد أنقذنى هذا الرجل من الموت المحقق. وأريدك أن تقدمى له هدية مقابل ما فعله.

قالت الشقيقة الكبرى:

- فلتمنحه الهدية تلك التى قام بنجدتها، فأنا لن أعطيه شيئًا!.

غضبت البجعة ولم تنطق بكلمة واحدة. وطلبت من صفاء الجلوس فوق ظهرها ثانية، ثم طارت نحو شقيقتها الوسطى. وحكت لها عما فعله صفاء، وإنقاذها من الموت المحقق، ثم طلبت منها أن تمنحه هدية مقابل صنيعه. لكن الشقيقة الوسطى أجابت قائلة:

ـ فلتمنحه الهدية تلك التى أنقذها!.

صمتت البجعة ولم تنطق بشيء. وأجلست صفاء فوق ظهرها، وحملته إلى شقيقتها الصغرى.

فرحت الشقيقة الصغرى بالضيفين. واستقبلتهما بالحفاوة والسرور. وقدمت لهما الطعام والشاى. وعندما عرفت أن صفاء قد أنقذ شقيقتها من الموت، قامت بشكره وأعطته صندوقًا هدية له، ثم قالت محذرة:

ـ احترس! ولا تفكر فى فتح هذا الصندوق وأنت فى الطريق! ولو قمت بفتحه فسوف تصبح تعيسًا! فلا تفتحه أبدًا إلا عند وصولك إلى البيت.

أمضى صفاء وقت ضيافته لدى الشقيقة الصغرى للبجعة، ثم خرج منطلقًا إلى بيته. وأخذ يسير وهو يفكر فى نفسه: "ما الذى يمكن أن يوجد فى هذا الصندوق؟ ولماذا لا ينبغى على فتحه أثناء الطريق...؟".

ظل صفاء يسير ويسير، حتى تملك الفضول منه ولم يستطع كبح جماح فضوله. فتوقف وفتح الصندوق. وفى نفس هذه اللحظة ظهر أمامه دكان مكتظ بأفخر السلع وأثمنها. ومن مختلف الأنحاء يركض الزبائن إلى الدكان يساومون فى الشراء، ثم يدفعون المال لصفاء... ودفعوا كميات كبيرة من الذهب لم يستطع صفاء حملها! احتار صفاء وارتبك لا يعرف ما الذى عليه فعله وهو واقف فى منتصف الطريق. وكلما حاول إغلاق الصندوق لم يفلح قط.

جلس الرجل يتنهد حزينًا ويسب نفسه قائلاً: "لماذا لم أستمع لنصيحة شقيقة البجعة؟ ولماذا فتحت الصندوق أثناء الطريق؟".

وهنا ظهر أمامه فجأة عجوز ذو لحية رمادية، كما لو أن الأرض قد انشقت عنه، وسأله العجوز:

- ما الذى تريده؟.

حكى صفاء للعجوز عما جرى له، فقال العجوز:

- سوف أساعدك فى محنتك بشرط واحد، وهو أن تمنحنى ما لديك فى البيت ولا تعرف شيئًا عنه، وذلك بعد خمسة عشر عامًا.

أخذ صفاء يفكر فى ذلك الشىء الذى لديه فى البيت ولا يعرف شيئًا عنه. وفكر طويلاً ولم يحزر ذلك الشىء، فقال للعجوز:

- حسنًا، سوف أعطيك ما لدى فى البيت ولا أعرف شيئًا عنه، ولكن ساعدنى الآن.

رد العجوز:

- حسنا، فلتتذكر اتفاقنا! ولو خدعتنى فسوف ترى ما لا يرضيك!.

بهذه الكلمات أغلق العجوز غطاء الصندوق. فاختفى على الفور الدكان والسلع الثمينة والمال فى داخل الصندوق.

حمل صفاء صندوقه، ومضى مواصلاً طريقه. أما العجوز ذو اللحية الرمادية، فاختفى كما لو أنه غاص فى باطن الأرض.

كان ذلك العجوز هو الشيطان بعينه. ولم يطلب من صفاء منحه شيئًا بسيطًا، بل طلب منه ابنه. فعندما غادر صفاء البيت ليرتحل، كانت زوجته حاملاً منه وهو لا يعرف، وها هى قد وضعت طفلاً قويا جميلاً. وعاد صفاء إلى البيت فشاهد زوجته تحمل طفله الصغير.

أخذ الرجل يعانق طفله ويقبله وهو يبكى بدموع مريرة، وذلك بعد أن أدرك ما الذى وعد به العجوز ذو اللحية الرمادية.

وهكذا، مرت الأعوام الخمسة عشر. وعندما حان الموعد المحدد، قال صفاء لولده:

- لقد حان موعد الفراق يا ولدى!.

وحكى له كل ما جرى فى السابق عن الصندوق، وعن العجوز، وحول الوعد الذى قطعه. فقال الابن:

ـ لا تهتم يا والدى، ولابد أن تنفذ الوعد الذى قطعته.

ودع الفتى أمه، وعانق والده ورحل فى طريقه.

ظل الفتى يسير طويلاً طويلاً حتى وصل إلى البحيرة التى عليه أن يلتقى الشيطان عندها.

وجلس الفتى عند شاطئ البحيرة ينتظر مقدم الشيطان.

وفجأة تردد صوت تحليق فى السماء، وحط سرب من البجع الأبيض عند البحيرة. ولم يلاحظ البجع الفتى، فهبط فوق الشاطئ، وأخذت طيور البجع تستحم فى الماء.

أعجب الفتى بالبجع، فاختبأ وأمسك بواحدة منها. وصرخت البجعات وطارت مبتعدة، عدا البجعة التى أمسك بها الفتى. وعندئذ صاحت البجعة بصوت آدمى قائلة:

ـ اتركنى أيها الفتى وأطلق سراحى!.

رد الفتى:

ـ لا، لن أتركك!.

وهنا خفقت البجعة بجناحيها، وتحولت إلى فتاة حسناء.

اعترت الدهشة الفتى وسألها:

ـ من أنت؟.

ـ أنا ابنة الشيطان الذى وعده والدك أن يمنحه إياك. فوالدى من آكلى البشر، وهو يريد التهامك! ولكن لو أنك أطلقت سراحى فسوف أنقذك من ذلك المصير. وعندما يهم الشيطان بالتهامك صح وأخبره قائلاً: "أعطنى عملاً أقوم به!" والآن حان موعد ذهابى إلى البيت...

وبعد أن انتهت الفتاة الحسناء من حديثها، لوحت بيديها فتحولت إلى بجعة بيضاء، وطارت محلقة فى السماء.

وما إن ابتعدت عن ناظرى الفتى، حتى ظهر عند شاطئ البحيرة الشيطان. وشاهد الفتى ففرح، وذهب به إلى البيت. وعندما وصلا هناك قال الفتى:

- لا يمكننى العيش دون أن أفعل شيئًا، فأعطنى عملاً أقوم به!.

قال الشيطان:

- حسنًا، سوف أعطيك عملاً. أريدك أثناء الليل أن تقطع كل أشجار هذه الغابة، ثم تقوم بتقطيع الأشجار إلى قطع صغيرة تحملها إلى مخزن البيت. وفى نفس هذه الليلة تقوم ببيع الأخشاب، وتشترى بثمنها شعيرًا تقوم بزرعه فى أرض الغابة الخالية من الأشجار، وفى نفس هذه الليلة تقوم بجمع المحصول ودرسه، ثم تنقل الحبوب إلى الشونة فى منزلى. وإن لم تستطع القيام بهذا الأمر، فسوف تفارق الحياة!.

قال الشيطان ما قاله ورحل تاركًا الفتى الذى جلس يفكر: "كيف يمكننى فعل كل هذا فى ليلة واحدة؟"... وعند حلول المساء جاءت الفتاة الحسناء ابنة الشيطان إلى الفتى، وسألته عن العمل الذى كلفه به الشيطان. وبعد أن أخبرها قالت الفتاة:

- لا تحزن، فسوف أدبر هذا الأمر بنفسى، وما عليك سوى النوم فى هدوء حتى الصباح!.

استمع الفتى إلى الحسناء ورقد للنوم.

وفى منتصف الليل صعدت الفتاة الحسناء إلى سطح البيت، وأخذت تطلق صفيرًا ناعمًا. فاجتمعت الجنيات على صفيرها وسألن:

- ما الذى تأمرين به؟.

أخبرت الفتاة الجنيات بالعمل المطلوب. فشرعت الجنيات فى العمل. وفى لمح البصر استطعن القيام بما طلبته الفتاة.

وما إن أطلق الديك صياحه فى الصباح، حتى اختفت الجنيات كما لو أنهن لم تظهرن من قبل.

جاء الشيطان فى الصباح، فشاهد أن العمل قد جرى كما طلب تمامًا. فتملكت الدهشة الشيطان وفكر فى نفسه: "ياللغرابة! إن هذا الفتى ليس إنسانا عاديا!".

وأثنى على ما فعله الفتى وقال له:

- لقد استطعت القيام بهذا العمل، وسوف أعطيك الآن عملاً آخر تقوم به. أريدك أن تنقل مياه البحيرة إلى مكان آخر خلال هذه الليلة باستخدام هذا الغربال!.

وعندما رحل الشيطان جاءت الفتاة الحسناء إلى الفتى، وسألته عن العمل الذى طلبه الشيطان. فأجاب الفتى:

- لقد أمرنى أن أقوم خلال هذه الليلة، بنقل مياه البحيرة إلى مكان آخر باستخدام هذا الغربال.

قالت الفتاة:

- سوف ننفذ ما طلبه! فاذهب للنوم فى هدوء حتى الصباح!.

وقامت الفتاة مرة أخرى بالنداء على الجنيات، وأمرتهن بنقل الماء.

وقبل شروق الشمس استطاعت الجنيات نقل كل المياه إلى مكان آخر، ثم اختفت الجنيات عند صياح الديكة.

جاء الشيطان فى الصباح إلى الفتى الذى قال له:

- لقد تم تنفيذ ما طلبته منى!.

أدرك الشيطان أن الفتى لا يعجز عن القيام بشىء، ويقوم بتنفيذ ما يطلب منه مهما كان. ففكر قليلاً ثم قال:

- لدى فرس جامح قوى. وسوف أمنح ابنتى المحبوبة زوجة لمن يستطيع أن يلجمه ولا يخشى أن يمتطيه. ألا تريد أن تجرب حظك للحصول على هذه السعادة؟.

- حسنا، وإنى موافق! فمتى تريدنى أن أمتطى فرسك هذا؟.

- فى صباح الغد.

ذهب الفتى إلى ابنة الشيطان، وقص عليها كل ما جرى. فقالت الفتاة:

- إن ذلك الفرس ما هو إلا الشيطان نفسه بعد أن يتنكر فى هيئته. ويمكنك أن تكبح جماحه وتلجمه بعد أن تحصل من الحداد على سوط يزن خمسمائة كيلو جرام، وتحصل من السروجى على سرج يزن خمسمائة كيلوجرام.

انطلق الفتى على الفور إلى الحداد ومن بعده إلى السروجى، وطلب منهما سوطًا يزن خمسمائة كيلوجرام، وسرجًا يزن خمسمائة كيلوجرام.

وعندما انتهى الحداد والسروجى من صنع السوط والسرج المطلوبين، ذهب الفتى إلى الإسطبل. وكان باب الإسطبل موصدًا بعشرين مزلاجًا. وفتح الفتى العشرين مزلاجًا، ودخل الإسطبل، فشاهد فرسًا جامحًا يخرج اللهب من منخريه، ويحرك عرفه يمينًا ويسارًا بسرعة كبيرة، ويرفس الأرض بحوافره حتى تهتز من تحتها، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منه.

استطاع الفتى أن يغافل الفرس، وضربه بالسوط الثقيل فوق رأسه. فهدأ الفرس على الفور وتوقف عن هز عرفه ورفس الأرض بحوافره. فأسرع الفتى بوضع السرج الثقيل فوقه، وساقه إلى خارج الإسطبل، وبعد ذلك قفز الفتى فوق ظهر الفرس ولكزه فى جانبيه فأخذ الفرس يقفز هائجًا، وهو يهز عرفه بشدة وينفث الهواء الساخن ويصهل بصوت مثل الزئير يريد إلقاء الفارس من فوق ظهره. لكن الفتى تمسك بظهر الفرس ملتصقًا به لا يميل ولا يتحرك. وكان أثناء ذلك يضرب الفرس بالسوط الثقيل فوق ضلوعه وصدره.

ظل الفرس يقفز حاملاً الفتى لفترة طويلة، حتى أصابه الإنهاك والتعب، وأخيرًا عاد يسير به إلى الإسطبل. وهناك تركه الفتى، وأغلق عليه باب الإسطبل بالعشرين مزلاجًا. وأسرع إلى الفتاة يقص عليها كل ما جرى. فاستمعت إليه ثم قالت له:

- غدًا سوف يقوم الشيطان بتحويل كل بناته إلى سرب من اليمام. وسوف يطلب منك التعرف علىّ من بين ذلك السرب. فعليك أن تشير إلى تلك اليمامة التى سوف تحلق بالقرب منك.

فى الصباح التالى نادى الشيطان على الفتى. وعرض أمامه سربًا كبيرًا من اليمام، ثم قال:

ـ أترى هذا السرب من اليمام؟ إن ابنتى الصغيرة هى واحدة من هذا السرب. ولو استطعت التعرف إليها، فسوف أمنحها زوجة لك!.

أخذ الفتى ينظر إلى اليمام. وعندما طارت يمامة من السرب بالقرب منه، أشار الفتى نحوها قائلاً:

ـ هذه هى ابنتك الصغرى!.

غضب الشيطان وكاد أن ينفجر من الغيظ وهو يفكر فى نفسه: "لا بد أنها أخبرته بنفسها عن الوسيلة التى يمكنه بها التعرف إليها من بين اليمام".

وفى المساء جاءت ابنة الشيطان الصغرى إلى الفتى وقالت له:

ـ غدًا سوف يطلب منك والدى مرة أخرى التعرف إلىّ من بين شقيقاتى. وسوف نجلس جميعًا ونعزف على آلة الكوبيز(*) وعندما نبدأ فى العزف، فعليك أن تبدأ فى الرقص. وبعد أن ترقص لفترة سوف تبدأ الموسيقى فى الخفوت. وسوف ينظر والدى ومعه جميع شقيقاتى نحو ساقيك وأنت ترقص، بينما آخذ فى عزف موسيقى راقصة جديدة فيمكنك التعرف علىّ.

فى اليوم التالى نادى الشيطان على الفتى، وعرض أمامه بناته الأربعين، ثم قال:
ـ لو استطعت التعرف على ابنتى الصغرى من بين تلك الفتيات، فسوف تأخذها زوجة لك! ولو فشلت فى ذلك فلن تظل بين الأحياء!.

كانت الفتيات يرتدين ثيابًا متماثلة، وكل منهن تحمل الكوبيز بين يديها.

أعطى الشيطان إشارته فبدأت الفتيات فى العزف على آلات الكوبيز. وعندئذ سأل الشيطان الفتى:

ـ أى واحدة من الفتيات هى ابنتى الصغرى؟.

(*) الكوبيز هى آلة شعبية وترية تنتشر فى بشكيريا وبلاد التتار – المترجم.

لم يجب الفتى بشىء على سؤال الشيطان بل أخذ فى الرقص. فأخذت الفتيات تنظرن نحوه، وتوقفن عن العزف، عدا آلة واحدة من الكوبيز بدأت فى عزف مقطوعة موسيقية جديدة راقصة. ورمق الفتى بعينيه الفتاة التى تعزف دون أن يلاحظه أحد، وظل مستمرًا فى الرقص.

وعندما انتهى من الرقص سأله الشيطان مرة أخرى:

ـ أين ابنتى الصغرى من بين الفتيات؟.

اقترب الفتى من الفتاة قائلاً:

ـ ها هى ابنتك الصغرى!.

صرخ الشيطان من شدة الغيظ:

ـ لا يمكن أن تكون قد نجحت فى التعرف إليها بنفسك! ولا بد أنها ساعدتك فى هذا الأمر! وسوف ألقنكما درسًا لخداعكما لى!.

وأمر الشيطان بإلقاء الفتى مع ابنته فى الزنزانة.

وفى المساء تحولت الفتاة إلى ذبابة وطارت من الزنزانة. وبعد ذلك عادت إلى هيئتها ثانية. وأسرعت إلى الجرن، حيث أخذت حزمتين كبيرتين من الأغصان، وحملتهما إلى الزنزانة. لم يكن الحارس موجودًا فى هذا الوقت، ولم يشاهد الفتاة وهى تحمل الحزمتين.

وضعت الفتاة الحزمتين على أرض الزنزانة، وغطتهما بملابسها، ثم قامت ببصق لعابها فوقهما. وبعد ذلك قالت للفتى:

ـ لم يعد لدينا وقت للانتظار، وحان وقت الفرار.

وقامت الفتاة بتحويل نفسها مع الفتى إلى ذبابتين. وطار الاثنان هاربين من الزنزانة.

وبعد أن ابتعدا عن الزنزانة، عادا إلى هيئتهما السابقة، وفرا هاربين.

فى الصباح جاء السياف إلى الزنزانة كى يوقظ السجينين. ووقف خلف باب الزنزانة يصيح مناديًا:

- هل ما زلتما تغطان فى النوم بعد؟.

رد اللعاب من فوق الحزمتين:

- نحن ما زلنا نائمين!.

- ألا تعرفان أن رأسيكما سوف تطيران قريبًا؟.

- نعم نعرف!.

واستمر الحوار بينهما حتى جف اللعاب فوق الحزمتين. وواصل السياف حديثه، لكنه لم يتلق إجابات بعد ذلك. فصرخ قائلاً:

- ماذا بكما؟ هل رحتما فى النوم؟ سوف أدخل الآن وأجعلكما تستيقظان!.

دخل السياف إلى الزنزانة، ورفع الثياب التى تغطى الحزمتين فلم يجد أثرًا للسجينين. وأدرك السياف حقيقة الأمر. فأسرع إلى الشيطان وأخبره باختفاء السجينين وفرارهما، والحزمتين اللتين وجدهما هناك.

ثار غضب الشيطان بعد معرفته بهروب ابنته مع الفتى، وأمر على الفور رسوله بمطاردتهما.

كان الفتى قد نجح فى الابتعاد إلى مسافة بعيدة مع فتاته الحسناء. لكن الفتاة سرعان ما سمعت دبيب حوافر الجياد، فقالت:

- إن أتباع الشيطان يطاردوننا! ويمكننى رؤيتهم على البعد!.

وتحولت الفتاة إلى جامع صغير، وحولت الفتى إلى مؤذن عجوز.

وصل أتباع الشيطان إلى المكان وصاحوا قائلين:

- أنت أيها المؤذن! ألم تر شابًا ومعه فتاة حسناء؟.

رد المؤذن:

ـ لا، فإنى هنا منذ سنوات عديدة لا أفارق هذا الجامع، ولم أر قط شابًا ولا فتاة حسناء.

عاد أتباع الشيطان أدراجهم إلى البيت، وأخبروه بأنهم لم يعثروا على الهاربين، بل شاهدا فقط الجامع والمؤذن العجوز.

ثار الشيطان من الغضب وأخذ يوبخ أتباعه ويسبهم قائلاً:

ـ أيها الحمقى! إن ذلك الجامع وهذا المؤذن هما الهاربان بعينهما! فأسرعوا إلى هناك ثانية، واقبضوا على المؤذن وحطموا الجامع!.

أسرع الخدم إلى المكان الذى به الجامع، ولكنهم لم يجدوا الجامع ولا المؤذن. فانطلقوا يواصلون المطاردة.

سمعت الفتاة دبيب حوافر الخيل فقالت للفتى:

ـ إن أتباع الشيطان قد أصبحوا على مقربة منا!.

وقامت بتحويل الفتى إلى راع عجوز، وحولت نفسها إلى قطيع من الغنم.

وصل أتباع الشيطان وصاحوا:

ـ أنت أيها الراعى! ألم تر فى الطريق شابًا وفتاة حسناء؟.

أجاب الراعى:

ـ إنى أقوم برعى الغنم هنا منذ زمن طويل، ولم أشاهد شابًا ولا فتاة قط، ولا بد أنهما يسيران فى طريق آخر!.

عاد أتباع الشيطان مرة أخرى بأيد خاوية. وحكوا للشيطان أنهم لم يعثروا على أحد فى الطريق، ولم يشاهدوا سوى الراعى وقطيع الغنم.

ثار الشيطان من الغضب أكثر من ذى قبل، ومضى يسب ويلعن أتباعه، وقفز بنفسه على ظهر حصانه، وانطلق يطارد الهاربين.

عادت الفتاة والفتى إلى هيئتهما السابقة، وانطلقا يواصلان الفرار.

اقترب الشيطان منهما وشاهدهما، فأسرع بأقصى سرعته على حصانه للحاق بهما حتى اقترب منهما وأوشك على الإمساك بهما.

وعندما شاهدت الفتاة اقتراب الشيطان، تحولت إلى بحر، وحولت الفتى إلى سمكة ذهبية.

قفز الشيطان إلى البحر وهو يصرخ مناديًا:

- والآن لن يمكنكما الإفلات منى!.

وأخذ يسبح ويسبح، ثم غطس فى الماء يطارد السمكة الذهبية.

ولم يستطع الإمساك بالسمكة، وغرق فى الماء حتى هلك.

عندئذ عادت الفتاة والفتى إلى هيئتهما العادية. وامتطيا حصان الشيطلن. وذهبا به إلى أهل الفتى. وهناك تزوجا وعاشا معًا فى سعادة ووئام.



الفتاة الحكيمة

كان ياما كان أمير لديه ابن وحيد يدعى عبد الله.

كان ابن الأمير يتمتع بحماقة وغباء ليس لهما نظير فى العالم، مما جعل والده فى غاية الحزن والأسى.

أحضر الأمير لابنه عبد الله أفضل المعلمين والحكماء، وأرسله للدراسة فى أقصى البلاد. لكن شيئًا من ذلك لم يساعد الابن الأحمق.

وذات يوم جاء رجل إلى الأمير وقال له:

- أريد تقديم النصح لك ومساعدتك. فعليك العثور على زوجة لابنك يمكنها أن تحزر جميع الألغاز الصعبة. فتصبح الحياة أسهل بالنسبة إليه عندما يعيش مع زوجة حكيمة ذكية.

وافق الأمير على نصيحة الرجل. وبدأ فى البحث عن زوجة حكيمة لابنه. وفى هذه البلاد كان يعيش عجوز لديه ابنة تدعى مغفورة. وكانت الفتاة تساعد والدها فى كل شىء. وقد ذاع صيت جمالها وذكائها فى كل مكان. وعلى الرغم من أن مغفورة كانت ابنة لرجل بسيط، فإن الأمير أرسل وزيره إلى والدها، بعد أن قرر تجربة حكمة مغفورة بنفسه. فأمر بحضور والدها إلى القصر.

حضر العجوز وانحنى أمام الأمير قائلاً:

- لقد حضرت كما أمرتنى يا سمو الأمير. بماذا تأمرنى؟.

قال الأمير:

- خذ هذا القماش من الكتان والذى يبلغ طوله عشرين مترًا. وأخبر ابنتك أن تحيك منه قمصانًا تكفى لجنود جيشى بأكمله. كما عليها أيضًا أن تصنع لهم جوارب تكفيهم.

عاد العجوز إلى بيته حزينًا مهمومًا. فخرجت إليه مغفورة تسأله:

ـ ما الذى يحزنك على هذا النحو يا والدى؟.

حكى العجوز لابنته عن طلب الأمير الغريب.

ردت مغفورة:

ـ لا تحزن أيها الوالد، واذهب إلى الأمير، واطلب منه أن يصنع لى أولاً من جذع هذه الشجرة قصرًا أقيم به كى أحيك له القمصان، كما عليه أن يبقى من الجذع حطبًا يكفى للفرن والتدفئة.

حمل العجوز الجذع وذهب به إلى الأمير وقال له:

ـ إن ابنتى تطلب من سموك أن تبنى لها قصرًا من ذلك الجذع، على أن يتبقى منه حطب يكفى للتدفئة. وسوف تلبى مغفورة طلبك عندما تقوم سموك بهذه المهمة.

استمع الأمير لطلب العجوز، وتملكته الدهشة لحكمة الفتاة. فجمع وزراءه، وقرروا زواج عبد الله من مغفورة. ولم ترغب مغفورة فى الزواج من عبد الله الأحمق، لكن الأمير هدد والدها بالموت حتى قبلت الفتاة. وقاموا بدعوة الضيوف من الأرجاء كافة فى البلاد. وأقيمت الأفراح وليالى الملاح وتم زفاف العروسين.

وذات يوم قرر الأمير السفر وتفقد أملاكه. واصطحب معه ابنه عبد الله وعندما طال الطريق وأصاب الملل الأمير، قرر أن يجرب فطنة ابنه، فقال له:

ـ أريدك أن تجعل الطريق أقصر، حيث إن الملل قد أصابنى.

ترجل عبد الله من فوق فرسه، وأخذ معولاً ومضى يحفر به الطريق. فأخذ الوزير يضحك ويسخر منه، أما الأمير فغضب وخجل من ابنه الذى لم يدرك ولم يفهم طلب أبيه. وصاح قائلاً لابنه:

ـ أمامك مهلة حتى صباح الغد كى تتوصل إلى وسيلة تقصر بها الطريق علىّ، وإلا فسوف أعاقبك بشدة!.

عاد عبد الله حزينًا. وعندما شاهدته مغفورة سألته:

- ما الذى يجعلك حزينًا على هذا النحو يا عبد الله؟.

رد عبد الله على زوجته:

- إن والدى يتوعدنى بالعقاب إن لم أتوصل إلى وسيلة تجعل الطريق قصيرًا عليه.

أجابته مغفورة قائلة:

- لا تحزن، فهذه ليست بالمحنة الكبيرة. واذهب لوالدك فى الغد وأخبره أن عليه الحديث مع رفيقه كى يقصر الطريق الممل. ولو كان رفيقه من العارفين فعليه أن يحكى له حول الدول والممالك، وحول المعارك وقادة الجيوش العظام. ولو كان رفيقه من البسطاء فعليه أن يحكى له حول الحرف والمهن المختلفة. وعندئذ فسوف تبدو له كل الطرق الطويلة كما لو أنها قصيرة للغاية.

فى صباح اليوم التالى طلب الأمير ابنه وسأله:

- هل فكرت فى الوسيلة التى تجعل الطريق الطويل قصيرًا؟.

أجابه عبد الله بما أخبرته به الزوجة.

وأدرك الأمير أن مغفورة قد لقنت عبد الله تلك الإجابة. فابتسم ولم ينطق بشىء.

مر زمن حتى هرم الأمير ومات. ولم يصبح عبد الله حاكما بدلاً منه، بل قامت زوجته مغفورة بحكم البلاد.

* * *

جول تشيتشك

يحكى أنه فى قديم الزمان، عاشت عجوز مصاصة دماء فى قلب الغابة المعتمة. وكانت العجوز شريرة للغاية تلحق الأذى بالناس طوال حياتها. وكان لدى مصاصة الدماء ابن وحيد. وذات مرة خرج ابنها إلى القرية، حيث شاهد هناك فتاة حسناء تدعى جول تشيتشك. وأعجب الابن بها، فقام باختطافها أثناء الليل من بيتها، وحملها إلى قلب الغابة المعتمة. وصاروا يعيشون جميعًا معًا.

وذات يوم خرج ابن العجوز مصاصة الدماء فى سفر بعيد.

وظلت جول تشيتشك مع العجوز الشريرة فى الغابة. وعندما اشتد بها الشوق والحنين إلى بيتها طلبت من العجوز قائلة:

- اسمحى لى بالذهاب لزيارة أهلى وبيتى! فقد تملك الشوق منى لرؤيتهم.

لم تسمح لها مصاصة الدماء وقالت:

- لن أتركك تذهبين إلى أى مكان، وعليك البقاء والعيش معى هنا!.

كانت العجوز كلما تخرج من البيت، توصد بابه على جول تشيتشك بالمزلاج.

وحدث ذات مرة أن خرجت مصاصة الدماء إلى الغابة لقضاء الليل، وأغفلت إغلاق الباب بالمزلاج.

وشاهدت جول تشيتشك الباب مفتوحًا، ففرحت واستعدت للخروج إلى الطريق وهى تغنى مرددة:

أشرق النور فى الغابة الظلماء،

وبزغ القمر فى كبد السماء.

أخذت من الفرن الفطائر الشهية،

وأذهب لزيارة بيتى فى العشية!.

أخرجت جول تشيتشك الفطائر من الفرن ووضعتها فى منديلها. وأسرعت فى الطريق نحو بيتها الواقع فى قريتها.

عادت العجوز إلى البيت، ونظرت فلم تجد أثرًا لجول تشيتشك ولا للفطائر.

ثارت مصاصة الدماء من الغضب وتحولت إلى ذئب رمادى. وانطلقت تطارد جول تشيتشك فى الطريق.

أخذت تركض وتركض وهى تنهب الطريق نهبًا، وتقتفى أثر الفتاة، وتعوى بصوت أجش وتغنى:

ذيلى الجميل مثل حزمة الشعير،

أحرك ذيلى وأعوى بصوتى الجهير،

أعيدى إلىّ فطائرى فى الحال،

وإلا فسوف أمزقك أشلاءً،

وإلا فسوف أمزقك أشلاءً!.

سمعت جول تشيتشك أغنية العجوز مصاصة الدماء، فتملكها الخوف. وكانت ترغب فى إعادة الفطائر للعجوز، لكن الوقت قد تأخر للقيام بذلك بعد أن أكلتها جول تشيتشك.

وتلفتت الفتاة حولها، ونظرت يمنى ويسرى، فشاهدت بالقرب منها شجرة الدردار العجوز التى تمتد فروعها فوق الأرجاء كافة. وركضت جول تشيتشك نحو الشجرة تغنى لها:

يا شجرة الدردار يا شجرة الأيك(*)،

يا شجرة الدردار الظليلة لبيك!

مصاصة الدماء تطاردنى كالإعصار.

أخفينى سريعًا يا شجرة الدردار!

أخفينى سريعًا يا شجرة الدردار!.

أشفقت شجرة الدردار العجوز على جول تشيتشك، فانشق جذعها حيث يقوم السنجاب بتخزين الجوز بداخله، وحيث ترتاح البومة فى جوفه. وقفزت جول تشيتشك إلى جوف الجذع الذى انغلق عليها.

وصلت مصاصة الدماء إلى شجرة الدردار. وأخذت تنبش الأرض بحوافرها، ثم مضت فى العواء بصوت مخيف. وظلت طوال الليل بجانب شجرة الدردار، بينما جلست جول تشيتشك فى جوف الشجرة دون أن تصدر صوتًا ولا همسًا.

وعندما بدأت الشمس فى الشروق، خافت مصاصة الدماء من انبلاج النور(**)، وفرت عائدة إلى بيتها.

خرجت جول تشيتشك من جوف الشجرة، وشكرتها على المأوى الذى وفرته لها، ثم مضت تركض مواصلة طريقها.

أما مصاصة الدماء فانتظرت حتى حلول المساء. وتحولت ثانية إلى ذئب رمادى. وانطلقت تطارد جول تشيتشك. وأخذت تقتفى أثر الفتاة وهى تغنى مرددة:

ذيلى الجميل مثل حزمة الشعير،

أحرك ذيلى وأعوى بصوتى الجهير،

(*) الأيك – الشجر الملتف كثيف الأغصان – المترجم.

(**) من المعروف أن شخصيات مصاصى الدماء الخرافية لا يمكنها الظهور أثناء النهار حتى لا تحرقها أشعة الشمس، وهى تخرج أثناء الليل فقط– المترجم.

أعيدى إلىّ فطائرى فى الحال،

وإلا فسوف أمزقك أشلاءً،

وإلا فسوف أمزقك أشلاءً!.

سمعت جول تشيتشك صوت مصاصة الدماء، فتملكها الرعب وأخذت تتلفت حولها، حتى شاهدت بالقرب منها حقلاً صغيرًا تتوسطه بحيرة صغيرة. فأخذت جول تشيتشك تغنى راجية:

أيتها البحيرة ذات المياه الفضية!

مصاصة الدماء تطاردنى والغابة مرئية.

أخفينى أيتها البحيرة سريعًا!

أخفينى أيتها البحيرة سريعًا!.

أشفقت البحيرة على جول تشيتشك. فهدرت مياهها وخرجت عن شواطئها تنساب حول جول تشيتشك وتحيط بها، حتى صنعت حاجزًا من المياه العميقة بين الفتاة وبين مصاصة الدماء.

ظلت العجوز الشريرة تعوى طوال الليل، كما ظلت طوال الليل تنبش الصخور على شاطئ البحيرة بحوافرها دون أن تنجح فى الوصول إلى جول تشيتشك.

ومع بزوغ أول خيوط الفجر، أسرعت مصاصة الدماء بالفرار من شاطئ البحيرة إلى قلب الغابة المعتمة.

عندئذ تراجعت مياه البحيرة وعادت إلى مكانها السابق. وخرجت جول تشيتشك إلى اليابسة.

شكرت الفتاة البحيرة على المأوى الذى وفرته لها. ومضت تواصل طريقها.

وظلت الفتاة تسير وتسير حتى انقضى الصباح وخفت ضوء النهار، وبدأ حلول الظلام مرة أخرى. وخرجت جول تشيتشك إلى أطراف الغابة، حيث أصبحت قريتها على مرمى

البصر. وفكرت جول تشيتشك بأن محنتها قد زالت، لكن ظنها خاب، ولم يمض الأمر كما ظنت!.

تحولت مصاصة الدماء إلى ذئب مرة أخرى. وركضت بأقصى سرعتها حتى أدركت الفتاة، وأوشكت على الإمساك بها وهى تغنى:

ذيلى الجميل مثل حزمة الشعير،

أحرك ذيلى وأعوى بصوتى الجهير،

أعيدى إلىّ فطائرى فى الحال،

وإلا فسوف أمزقك أشلاءً،

وإلا فسوف أمزقك أشلاءً!.

تملك الرعب جول تشيتشك وهى تبحث عن ملجأ تحتمى به. وتلفتت حولها هنا وهناك حتى شاهدت عند أطراف الحقل شجرة بريوز عالية. فأسرعت بتسلق الشجرة حتى بلغت قمتها، فجلست بين أغصانها ساكنة.

أما مصاصة الدماء فقد وصلت إلى الشجرة، وأخذت تنبش جذورها بحوافرها وهى تعوى وتزمجر من شدة الغضب والشر.

وفكرت المسكينة جول تشيتشك فى نفسها: "يا إلهى! أترى أن مصاصة الدماء العجوز الشريرة سوف تقتلنى؟ أترى لن أرى أمى وأبى بعد الآن؟".

عندئذ حلق طائر الزرزور فوق قمة شجرة البريوز وحط عليها. فأخذت جول تشيتشك تغنى له متوسلة:

يا طائر الزرزور ذا العينين السوداوين،

يا طائر الزرزور ذا الجناحين السوداوين!

خذ خصلة من شعرى واحملها إلى أهلى فى الدار،

احملها سريعًا يا طائر الزرزور قبل طلوع النهار!.

نزعت جول تشيتشك خصلتين من ضفائرها، وأعطتهما إلى طائر الزرزور. فأمسك الطائر بالخصلتين، وطار محلقًا إلى بيت جول تشيتشك، حيث تعيش أمها ووالدها. وعندما وصل إلى هناك، ترك الخصلتين معلقتين عند بوابة البيت.

في ذلك الوقت خرج الشقيق الأكبر لجول تشيتشك من البوابة، فشاهد الخصلتين وقال:

- لا بد أن فرسي قد لامس عرفه البوابة، فالتصقت بها هاتان الخصلتان.

وأخذ الشقيق الخصلتين، وقام بشدهما إلى كمانه بدلاً من الأوتار. فقالت له زوجته:

- سوف أعزف على الكمان وأقوم بالرقص على الأنغام.

وأخذت الزوجة الكمان، وبدأت ترقص بقدميها. وما إن لمست الأوتار بأصابعها، حتى أخذت الأوتار تشدو بصوت جول تشيتشك:

لا تعزفي موسيقى الرقص،

لأن ظهري يؤلمني.

ولا ترقصي بقدميك،

لأن رأسي يؤلمني!.

اعترت الدهشة زوجة الشقيق وقالت:

- يا للعجب! إن الكمان يغني بصوت آدمي! إنه يأمرني بألا أعزف موسيقى الرقص، ولا يسمح لي أن أرقص بقدمي!.

أخذ الشقيق الكمان بين يديه، وما إن لمس الأوتار حتى أخذ الكمان في الغناء بصوت جول تشيتشك:

لا تلمسني يا شقيقي لا تلمسني،

فإن رأسي يؤلمني.

لا تحرك الأوتار يا شقيقى،

فإن شعرى يؤلمنى!

وشجرة البريوز عند أطراف الغابة الفيحاء،

تجلس جول تشيتشك فوق قمتها البيضاء،

وتربض مصاصة الدماء الشريرة عند جذعها،

تحاول اقتلاع الشجرة من جذورها،

وذلك كى تقتل جول تشيتشك.

فتمهل يا شقيقى ولا تعزف على الكمان،

وأسرع إلى الغابة قبل فوات الأوان!.

لم يفكر الشقيق طويلاً. وأسرع بإحضار هراوة ضخمة. وقفز فوق فرسه منطلقًا به نحو أطراف الغابة.

كانت مصاصة الدماء قد انتزعت جذور شجرة البريوز. وبدأت الشجرة فى التمايل حتى أوشكت على السقوط.

اندفع الشقيق نحو العجوز مصاصة الدماء، وضربها بالهراوة الثقيلة ضربة هائلة. فسقطت مصاصة الدماء صريعة على الأرض دون أن يسعفها الوقت حتى للصراخ. وأنزل الشقيق جول تشيتشك من فوق الشجرة. وأجلسها فوق الفرس، وذهب بها إلى البيت حيث يوجد والدها وأمها.

فرحت الأم وفرح الأب. وعاشوا جميعًا معًا فى سعادة ووئام.

وقد كنت عندهم بالأمس، وعدت من زيارتهم اليوم، وذلك بعد أن شربت الشاى بالعسل، وشبعت من أكل الفطائر الشهية.

* * *

الفقير والتاجران

يحكى أنه فى قديم الزمان اضطر أحد الفقراء للسفر فى طريق بعيد لمصاحبة اثنين من التجار الأثرياء البخلاء. ومضى ثلاثتهم يسيرون طويلاً فى الطريق، حتى وصلوا إلى نزلٍ صغير. فدخلوا فناء النزل، وبدأ التاجران فى إعداد حساء العشاء. وعندما نضج الحساء فى القِدر، وضعوا فى منتصفه قطعة من الزبد. وقال التاجر الأول:

- من يريد أن يصبح عادلاً، فعليه السير فى طريق مستقيم على هذا النحو.

وأخذ يغمس ملعقته فى الحساء حتى يسيل الزبد إليها.

وقال التاجر الثانى:

- أما أنا فأظن أن المرء عليه السير على هذا النحو.

قال التاجر كلماته وأخذ يدفع الزبدة بملعقته ناحيته، ويحتسى مسرعًا بها.

نظر الفقير إلى التاجر الأول، ثم إلى الثانى وهو يبتسم ويضحك. وبعد ذلك وضع ملعقته داخل الحساء، وأخذ يقلب قطعة الزبد لأعلى ولأسفل، ثم قال:

- أما أنا فأظن أن الحياة تتبدل كل يوم، وخلال فترة قصيرة يمكنها أن تنقلب رأسًا على عقب على هذا النحو!.

ورفع بملعقته الحساء وبداخله قطعة الزبد وابتلعها.

وهكذا، لم يستطع التاجران البخيلان خداع الفقير.

وفى مساء اليوم التالى عرجوا على نزل آخر. وكان لدى التاجرين إوزة سمينة للعشاء. وقبل ذهابهم للنوم اتفق التاجران مع الفقير أن الإوزة سوف تصبح فى الصباح مِلكا لمن يرى أفضل منام أثناء الليل.

وعندما استيقظوا فى الصباح، بدأ كل منهم يقص ما شاهده فى منامه. فقال التاجر الأول:

ـ لقد رأيت نفسى فى المنام متلفحًا بعباءة خضراء، وعمامة بيضاء، ثم دخلت إلى الجامع.

وقال التاجر الثانى:

ـ أما أنا فشاهدت نفسى فى المنام وقد تحولت إلى بجعة تطير محلقة إلى أحد الأماكن.

وجاء دور الفقير ليحكى حلمه، فقال:

ـ لقد رأيت فى منامى أحدكما متلفحًا فى عباءة خضراء وعمامة بيضاء، ثم ذهب إلى الجامع. وبعد ذلك رأيت الثانى وقد تحول إلى بجعة. فتملكنى الخوف من أن تفسد الإوزة المطهية بعد رحيلكما، فقمت بالتهامها كلها!.

* * *

ساران ويومارت

يحكى أنه فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان عاش اثنان من الجيران فى قرية من قرى القوقاز. كان أحدهما يدعى ساران، والآخر يومارت.

وفى يوم من الأيام خرج الاثنان يجوبان الأرجاء البعيدة.

ظلا يسيران طوال اليوم. وفى المساء أصابهما الجوع، فجلسا يلتمسان الراحة وتناول الطعام.

قام يومارت بحل رباط جواله، وأخرج منه الفطائر ليأكل منها. أما ساران فأمسك برباط جواله قائلاً:

- لا يمكننى حل رباط جوالى، ويبدو أنى قد عقدته بقوة كبيرة. وسوف أضطر إلى مشاركتك طعامك!.

رد يومارت:

- بكل سرور يا رفيقى، تفضل وكل معى من الفطائر!.

أكل الاثنان حتى شبعا، ورقدا للنوم حتى الصباح. وبعدما استيقظا واصلا طريقهما. وسارا فى الطريق طويلاً طويلاً حتى أصابهم الجوع مرة أخرى. فتوقفا لتناول الطعام. وسأل ساران رفيقه:

- هل نأكل من فطائرك أم فطائرى أيها الرفيق؟.

- كما تريد.

- إذًا فلنأكل من فطائرك!.

- بكل سرور، فأنا لا أبخل بشىء على رفيقى أبدًا!.

وهكذا، أكل ساران من فطائر يومارت فى اليوم التالى، وظل محتفظًا بجواله دون أن يفكر حتى فى فتحه.

وفى اليوم الثالث فرغ جوال يومارت من الطعام، ففكر ساران فى نفسه: "سوف يطلب منى الآن مشاركتى فطائرى...".

وانتظر ساران حتى راح يومارت فى النوم، ثم تسلل تاركًا رفيقه، ورحل بمفرده.

وعندما استيقظ يومارت لم يجد رفيقه فى المكان. فسار فى الغابة بمفرده.

وظل يسير ويسير حتى وصل إلى بيت مهجور.

ودخل إلى البيت فلم يجد أحدًا بداخله. ونظر يومارت فشاهد طاولة عليها قطعًا من الخبز الأبيض. فابتهج يومارت، وأكل بعض الخبز حتى شبع، ثم رقد أسفل الطاولة وهو يفكر: "فلأنتظر هنا حتى أعرف سكان هذا البيت".

لم يطل انتظار الفتى، حتى انفتح الباب ودخل البيت الدُب والثعلب والفأر.

قام الوافدون بتقسيم الخبز بينهم، وأكلوا ثم بدؤوا حديثهم. فقال الفأر:

ـ فوق الفرن القائم فى هذا البيت توجد زلعة مملوءة بالقطع الفضية. وكلما قفزت من فوق الفرن جلجل رنين تلك القطعة.

هتف الثعلب يقول:

ـ أسفل شجرة البلوط القديمة التى ترتفع بالقرب من هذا البيت توجد سبيكة من الفضة بحجم رأس الخروف. ويبدو أن أحدًا ما قام بالحفر فى هذا المكان، ولم يصل إلى السبيكة.

صاح الدُب قائلاً:

ـ هذه أشياء بسيطة مقارنة بما أعرفه! فبالقرب من الطريق توجد سبيكة مدفونة من الذهب بحجم رأس الحصان. ويبدو أن أحدًا ما هناك قد حفر بحثًا عن السبيكة، لكنه لم يعثر عليها.

انتهى كل من الدُب والثعلب والفأر من الحديث حول الكنوز المدفونة، ثم راحوا فى النوم. وفى الصباح تفرق كل منهم إلى حال سبيله.

أما يومارت فتسلل من أسفل الطاولة، ونظر فوق الفرن، وشاهد الزلعة المملوءة بالفضة، فقال فى نفسه: "هذه الفضة لا يحتاجها أحد هنا، فلآخذها لنفسى". وأخذ الفتى زلعة الفضة، وانطلق نحو شجرة البلوط القديمة.

وأخذ يحفر أسفل الشجرة، حتى عثر على سبيكة الفضة بحجم رأس الخروف، ثم مضى مواصلاً طريقه.

وشاهد بالقرب من الطريق حفرة صغيرة، فأخذ يواصل الحفر بداخلها، حتى عثر بعد فترة قليلة على سبيكة ذهبية بحجم رأس الحصان.

وضع يومارت السبيكة الذهبية فى جواله مع الكنوز الأخرى. وسرعان ما شاهد شجرة عالية وقد ذبل العشب من حولها من وطء الأقدام عليه. ففكر يومارت: "فلأتسلق هذه الشجرة كى أعرف أولئك الذين يدوسون العشب حولها". وقام بإخفاء جواله خلف جذع كبير، ثم تسلق الشجرة حتى وصل إلى قمتها، واختبأ بين أغصانها.

عند حلول المساء اجتمع حول الشجرة عدد من الجان. وأخذ كل منهم يتباهى ويفخر بما فعله. وجلس أكبر الجان يستمع إليهم، ثم سأل قائلاً:

- أين الجن الأعمى؟ أحضره إلى هنا على وجه السرعة!.

وسرعان ما أحضروا الجن الأعمى. فسأله الجن الأكبر:

- ما الذى أخرك على هذا النحو؟.

- لقد أصيبت ابنة الأمير بمرض عضال. وها هى الآن قد أصبحت مريضة للغاية، ولا يستطيع أحد أن يشفيها من المرض إلا أنا!.

قال الجن الأكبر آمرًا:

- إذًا، قص علينا حول الوسيلة التى يمكن بها علاج ابنة الأمير!.

قال الأعمى:

- يوجد لدى الأمير بقرة سوداء يحبها كثيرًا من بين قطيعه. والوسيلة الوحيدة لشفاء ابنته، أن يقوم الأمير بذبح تلك البقرة، وإطعام لحمها لجميع سكان المدينة.

عند شروق الشمس تفرق الجان كل إلى سبيله. وهبط يومارت من أعلى الشجرة، وانطلق صوب المدينة. وعندما وصل أطراف المدينة دخل أحد البيوت. وألقى التحية على صاحبة البيت قائلاً:

- لقد جئت إليكم من بلاد بعيدة. وأريد أن تخبرونى بما يجرى هنا!.

ردت صاحبة البيت:

- إن الأحوال هنا سيئة للغاية، وذلك بعد أن مرضت الابنة الوحيدة لأميرنا. وقد احتار الأمير فى علاجها، وأعلن أنه سوف يمنح نصف مملكته لمن يستطيع علاج الابنة.

قال يومارت:

- سوف أذهب إلى الأمير، وأحاول علاج ابنته.

خرج يومارت إلى السوق واشترى هناك كتابًا قديمًا، وذلك كى يتخذ هيئة الحكيم المعالج. وبعد ذلك ذهب إلى قصر الأمير معلنًا:

- أنا الحكيم المعالج، فاسمحوا لى بمقابلة الأمير!.

أسرع الخدم باصطحابه إلى الأمير الذى سأله:

- هل يمكنك حقًا علاج ابنتى؟.

أجاب يومارت:

- نعم، يمكننى علاجها.

وفتح يومارت كتابه السميك متصنعًا القراءة فيه، ثم قال:

- أيها الأمير، لديك بقرة سوداء من بين قطيعك. وعليك أن تأمر بذبح هذه البقرة، وإطعام أهل المدينة من لحمها. وعندئذ سوف تشفى ابنتك.

أمر الأمير بتنفيذ ما نصحه به الحكيم. فقاموا بذبح البقرة السوداء، وأطعموا سكان المدينة من لحمها. وفى ذلك اليوم نفسه، نهضت ابنة الأمير من فراشها سليمة معافاة، كما

لو أنها لم تكن مريضة على الإطلاق. وقام الأمير بتنفيذ عهده، ومنح نصف مملكته إلى يومارت.

أصبح يومارت أشهر إنسان فى المدينة. وقام بافتتاح مدرسة حرفية لتعليم الحرف والمهن المختلفة للأطفال.

وذات يوم وصل إلى تلك المدينة ساران بعد طول ترحال. وتملكته الدهشة والذهول عندما تعرف على رفيقه بعد أن أصبح رجلاً شهيرًا مرموقًا فى المدينة. فذهب إليه وأخذ يسأل يومارت عن الوسيلة التى نجح بها فى الوصول إلى هذا المستوى الرفيع من الحياة.

قص عليه يومارت كل ما جرى معه بعد أن تركه ساران وفر هاربًا منه. واستمع ساران إلى حكاية يومارت. وغمر الحسد روحه. ولم يطل تفكيره فى الأمر حتى أسرع منطلقا نحو المنزل المهجور يبحث عنه. وعندما عثر على المنزل، دلف إلى الداخل، وشاهد قطعا من الخبز الأبيض فوق الطاولة. وبما أن ساران كان بخيلا إلى درجة الدناءة، فقد جمع كل قطع الخبز ودسها فى جواله، ثم اختبأ قابعا أسفل الطاولة.

عند حلول المساء حضر الفأر إلى المنزل، ومن خلفه دخل الثعلب، ثم جاء الدب. ونظروا إلى الطاولة وقالوا:

- أين اختفى خبزنا؟ ومن الذى التهمه؟.

صاح الثعلب:

- يبدو أن أحدا قد أتى إلى هنا.

هتف الدب:

- هيا أيها الفأر اذهب وابحث فى كل الأركان عن الغريب الذى دخل بيتنا.

نظر الفأر خلف الفرن فلم يجد أحدا. وعندئذ صاح الدب آمرا الفأر:

- والآن انظر أسفل الطاولة.

أسرع الفأر ينظر أسفل الطاولة، ثم قفز مباشرة فوق رأس الدب.

تملك الخوف ساران، فصرخ وقفز بدوره من أسفل الطاولة محاولا الفرار. فصرخ الدب مزمجرا:

- ها هو سارق خبزنا.

وهجم الوحشان على ساران حتى مزقاه إربا. وكان هذا جزاء له لبخله وحسده.

❋ ❋ ❋

حكايات شعبية من بشكيريا

أكيال البطل

جرت هذه الحكاية فى غابر الزمان. فقد كانت هناك قرية جبلية من قرى بشكيريا تقع عند سفح جبال الأورال القديمة. وعاش فى هذه القرية رجل فقير يدعى باتيرشاه مع زوجته. وكانا يعيشان فى ضنك وعوز. فلم يكن لديهما ماشية أو طيور. وكان الأثرياء فقط فى ذلك الزمان هم الذين يستطيعون زراعة القمح وتناول الخبز الذى كان شحيحًا للغاية. فعاش الرجل وزوجته حياة صعبة بائسة. وكان طعامهما من الأسماك التى يصيدانها والثمار التى يجمعانها.

كانت حياتهما قاسية فى الشتاء على وجه الخصوص، حيث إن الأمير لم يسمح بقطع الأخشاب وجمع الحطب، مما جعل الفقراء يعانون البرد. فكانوا يجمعون الحطب خلسة، ويشعلون به النار للتدفئة.

وذات يوم لم يكن لديهما حطب أثناء الشتاء البارد. فخرج باتيرشاه فى منتصف الليل مع زوجته إلى الغابة لقطع بعض الحطب. وفى الصباح التالى عرف الأمير بما فعلاه. فأمر بجلد الزوج مئة جلدة بالسوط، ثم قاموا بربطه مع زوجته، ونفيهما فى قلب جبال الأورال البعيدة. وكانت الحياة أصعب عليهما فى ذلك المكان الجديد. لكن الفرحة أتت عندما أنجبت الزوجة طفلاً جميلاً ذا شعر أشقر طويل. وأطلقا على ابنهما اسم أكيال البطل، والذى يعنى "البطل ذو العرف الأبيض". وأصبح الطفل ينمو مع مرور الساعات وليس مع مرور الأيام. وبعد مضى بضعة سنوات، أصبح أكيال البطل فتى يافعًا. وبدأ يخرج لصيد الطيور والطرائد ومساعدة والده. فعاشت الأسرة على نحو ميسور. وكان الأب والأم يحبان ابنهما حبا جما.

وعندما بلغ أكيال البطل الخامسة عشرة من عمره، مات والداه. وألمّ الحزن بالبطل. لكن حزنه لن يعيد الموتى ثانية. فحزم أمره على الخروج إلى بلاد الله خلق الله، والتعرف

على الحياة فى أرجاء الأرض (لم يكن الناس يسكنون الغابة فى تلك الوقت على الإطلاق).

فكر أكيال البطل فى نفسه: "ربما أتعرف على أُناس يمنحوننى النصائح الطيبة، ويعلموننى كيفية العيش والحياة".

حمل أكيال قوسه وسهامه، وربط خنجره الحاد حول خصره، وانطلق فى طريقه.

ظل أكيال يسير طويلاً، وعبر الجبال والغابات والأنهار، ثم توقف للراحة عند سفح جبل عالٍ.

جلس أكيال لفترة، ثم شاهد رجلاً يفعل شيئًا ما بكل قوته، فترتفع أعمدة الغبار حوله.

نهض أكيال وذهب إلى الرجل يسأله:

- ما الذى تفعله أيها الرجل هنا؟.

رد الرجل عليه:

- إنى أقوم بنقل حجارة هذه الجبال، واسمى تاو البطل. وأنا أعيش فى هذه الجبال منذ سنوات طويلة، لم أشاهد خلالها إنسانًا واحدًا. فمن تكون أيها الفتى؟.

- أنا أكيال البطل. وقد رحلت عن موطنى الذى ولدت وترعرت فيه، كى أجوب بلاد الله خلق الله، وأتعرف على الحياة فى هذا العالم.

قال تاو:

- فلتأخذنى معك.

- حسنًا، فلتذهب معى! وصحبتك سوف تسرى عنى.

مضى الاثنان يسيران عبر الجبال طويلاً دون أن يصادفهما أحد عدا الوحوش البرية.

وعندما وصلا إلى قلب الغابة سمعا فجأة صوت ضوضاء وفرقعة.

وسارا لفترة قصيرة، ثم شاهدا رجلاً يخلع الأشجار من جذورها، ويقوم بغرسها فى مكان آخر.

اقترب البطلان من الرجل وسألاه:

- ما الذى تفعله أيها الهمام؟.

رد الرجل قائلاً:

- اسمى عرمان البطل. وكما تريان، فأنا أقوم بنقل الأشجار كى أُفسح طريقًا فى الغابة الكثيفة، وأنتما! من تكونان؟.

رد أكيال:

- لقد خرجت أطوف العالم وأتعرف على الحياة، ثم قابلت تاو البطل الذى انضم إلىّ.

قال عرمان:

- خذانى معكما نرتحل معًا.

وانطلق الأبطال الثلاثة فى طريقهم. ومر عليهم يوم وآخر. وانقضت الأيام تتوالى ما بين الليل والصباح يومًا بعد الآخر.

وذات يوم، وبعد أن قطع الأبطال الثلاثة العديد من الجبال والغابات والأنهار، شاهدوا بيتًا خشبيا. ولم يكن هناك أحد حول البيت ولا بداخله. وكان هناك قطيع كبير من الأفراس البرية يرعى بالقرب من البيت. كما كانت هناك قرية قريبة، ولكنها مهجورة لا يوجد بها نفس آدمى واحد.

عندئذ صاح أكيال البطل:

- ليس علينا التفكير طويلاً فيما نفعله. فقم يا عرمان باصطياد أحد الأفراس وذبحه وطهى لحمه. أما أنا مع تاو فسوف نذهب نتفقد المكان حولنا.

بعد أن رحل الصديقان، قام عرمان بشحذ سكينه وخرج إلى قطيع الأفراس، حيث اختار منه فرسًا سمينًا قام بذبحه، ووضع لحمه فى قدر كبير ليطهيه داخل البيت.

وفجأة سمع صوت أحد يدق باب البيت. فصاح عرمان البطل:

- من بالباب؟.

تردد صوت من خلف الباب قائلاً:

. أنا ضيف عابر.

رد عرمان:

. ما دمت ضيفا فلتتفضل.

فتح عرمان الباب فوجد أمامه قزمًا عجوزًا صغير الطول طويل اللحية. وقال القزم:

. احملني إلى داخل البيت.

حمل عرمان القزم العجوز فوق يديه، ودخل به إلى البيت. فصاح العجوز:

. أجلسني في مكان مريح.

أجلس عرمان البطل القزم في أفضل مكان. فهتف العجوز:

. أرى لديك قدرًا مملوءًا باللحم، فأعطني بعضًا منه لآكل.

أخذ عرمان قطعة كبيرة من اللحم من داخل القدر، وأعطاها للعجوز.

ابتلع القزم العجوز قطعة اللحم بسرعة، ثم صاح:

. أعطني المزيد!.

رد عرمان:

. لدى رفاق قد خرجوا إلى الغابة، وهذا اللحم من نصيبهم عندما يعودون.

صاح العجوز بغضب:

. لا أريد سماع شيء، هيا أعطني اللحم بسرعة!.

شاهد العجوز أن عرمان لا يستمع إلى طلبه، فقفز من مكانه وانقض على إصبع البطل، وقام بغرسها بين الألواح الخشبية لأرضية البيت، ثم التهم كل اللحم من القدر واختفى من المكان.

انتزع عرمان البطل إصبعه من بين الخشب بصعوبة، حتى إن جلده انسلخ عن الإصبع. وأخذ يفكر: "ماذا أفعل الآن؟ وماذا أقول لرفاقى عند عودتهم؟ سوف يعودان جائعين وينبغى إحضار الطعام لإطعامهما".

لم يطل تفكيره، بل خرج مسرعًا وأمسك بفرس آخر، ثم قام بذبحه وأعدّ لحمه ثانية.

وسرعان ما عاد صديقاه. وصاح أكيال يسأل:

- هل أعددت اللحم؟.

رد عرمان:

- نعم، واللحم جاهز.

جلس الأصدقاء يتناولون الطعام. ولاحظ أكيال إصبع عرمان المجروح فسأله:

- ما الذى أصاب إصبعك؟

خجل عرمان البطل من أن يعترف بالأمر، ففكر وقال:

- لقد جرحته بالسكين عندما كنت أقطع اللحم.

أكل الرفاق حتى شبعوا من لحم الفرس السمين، ثم رقدوا للنوم.

فى الصباح قال أكيال لرفيقه تاو:

- سوف أخرج مع عرمان إلى الغابة، بينما تظل أنت بالبيت؛ وتعد لنا شيئًا نأكله.

خرج الرفيقان إلى الغابة. وأمسك تاو البطل بفرس من القطيع، ثم قام بذبحه، وأخذ يعد لحمه ويطهيه. وفجأة سمع صوت أحد يدق الباب بقوة. فصاح تاو:

- من بالباب؟.

تردد صوت من خلف الباب قائلاً:

- أنا ضيف عابر. افتح الباب.

رد تاو:

. ما دمت ضيفا فلتتفضل.

فتح تاو الباب فوجد أمامه قزمًا عجوزًا صغير الطول طويل اللحية. وقال تاو:

. ادخل أيها الجد، ولتحل ضيفًا علىّ.

. لا أستطيع الدخول بنفسى بل احملنى فوق يديك.

حمل تاو البطل العجوز فوق يديه، وأجلسه فى أفضل مكان. فهتف العجوز:

. أعطنى بعض الطعام لآكل.

أخذ تاو قطعة كبيرة من اللحم، وأعطاها للعجوز الذى ابتلعها وطلب المزيد، فرد تاو:

. لا أستطيع إعطاءك المزيد، فسوف يعود رفاقى قريبًا إلى البيت جائعين، وهذا اللحم من نصيبهما.

قفز القزم العجوز من مكانه وانقض على تاو البطل. ورفعه بيديه، وعلقه من أُذنه فى خطاف بالحائط، ثم التهم كل اللحم واختفى من المكان.

تمزقت أُذن تاو، وسقط من الخطاف على الأرض. وظل راقدًا على الأرض لفترة طويلة، ثم تذكر رفيقيه. فنهض مسرعًا إلى الخارج، حيث أمسك بفرس آخر. وقام بذبحه وطهى لحمه للمرة الثانية.

عاد أكيال البطل مع عرمان من الغابة. وجلس الجميع لتناول الطعام.

وعندما انتهوا من تناول الطعام. أخذ أكيال يحكى عن الأماكن التى شاهداها فى الغابة، ثم لاحظ أثناء حديثه أُذن تاو المجروحة، فسأله:

. ما الذى جرى لأُذنك؟

رد تاو البطل:

. عندما قمت باصطياد الفرس رفستنى بحوافرها، فأصابت أُذنى.

صاح أكيال قائلاً:

ـ ما الذى يحدث لكما أيها الرفيقان؟ أحدكما يقطع إصبعه، والآخر يقطع أُذنه! حسنا، سوف أظل غدًا فى البيت كى أعرف كل ما يجرى لكما. ولنرى ما الذى سوف يحدث معى.

فى الصباح التالى خرج الرفيقان إلى الغابة، بينما ظل أكيال بالبيت. وقام باصطياد فرس من القطيع، ثم سلخه وأخذ فى طهى لحمه.

فى ذلك الوقت دق باب البيت بقوة. فسأل أكيال:

ـ من بالباب؟.

تردد صوت من خلف الباب:

ـ أنا ضيف عابر.

فتح أكيال البطل الباب، فشاهد قزما عجوزًا قصير الطول طويل اللحية. ووقف الاثنان طويلاً يتطلع كل منهما إلى الآخر، حتى صاح العجوز فى النهاية:

ـ احملنى إلى داخل البيت!.

رد أكيال البطل:

ـ لقد جئت بنفسك إلى هنا، فادخل بنفسك واجلس بالداخل.

دخل العجوز إلى البيت، وجلس فى مقعد مريح، ثم صرخ على الفور قائلاً:

ـ أعطنى من هذا اللحم!.

رد أكيال فى هدوء:

ـ إن الضيف لدينا لا يحتاج إلى دعوته، فتقدم بنفسك وخذ ما تريد بيديك من اللحم.

صاح العجوز متوعدًا:

ـ كيف تجرؤ على مناقشة أوامرى! وهجم العجوز على أكيال البطل، لكن الأخير أمسك به بقوة، وربطه من ذقنه بالباب.

أخذ القزم العجوز يتلوى ويصرخ حتى استطاع فى النهاية أن يفلت بعد أن انقطعت ذقنه، وفر هاربًا.

أدرك أكيال البطل أن ذلك العجوز هو الذى جرح إصبع رفيقه، وقطع أُذن الآخر.

فى ذلك الوقت عاد عرمان وتاو إلى البيت. فعرض أمامهما أكيال ذقن العجوز وسألهما:

- أليس ذلك العجوز هو الذى هزمكما؟.

رد الرفيقان:

- نعم، إنه هو الذى هزمنا.

صاح أكيال البطل:

- بما أن الأمر سار على هذا النحو، فعلينا البحث عن ذلك العجوز ومعاقبته.

انتهى الأبطال من طعامهم وشرابهم، ثم حملوا أسلحتهم، ووضعوا ذقن العجوز داخل خُرج، وانطلقوا فى طريقهم.

سار الأبطال الثلاثة طويلاً، وعبروا الكثير من الأنهار والغابات. وعندما صعدوا قمة جبل عال، شاهدوا أحدًا يركض مسرعًا ليبتعد عنهم. فصاح أكيال البطل:

- أيها الأصدقاء! ها هو القزم العجوز يريد الفرار منا! فهيا نطارده.

ركض الأبطال الثلاثة نحو العجوز. لكن العجوز اختفى عند أعلى نقطة فى الجبل، كما لو أنه غاص فى باطن الأرض وابتلعته.

وعندما وصلوا إلى المكان الذى اختفى فيه العجوز شاهدوا فتحة كبيرة. فقال أكيال:

- إليكم ما سوف نفعله. عليكما البقاء هنا لحراسة المدخل، وسوف أهبط إلى أسفل هذه الحفرة للبحث عن العجوز.

وقاموا بصنع حبل طويل من ذقن القزم العجوز، ثم أمسك أكيال البطل بأحد طرفى الحبل، بينما أمسك رفيقاه بالطرف الآخر. وبدأ أكيال فى الهبوط لأسفل الحفرة العميقة.

هبط البطل إلى قاع الحفرة. وتلفت حوله فشاهد طريقًا عند طرف القاع. فأخذ يسير فى هذا الطريق لمدة طويلة، حتى لاحت له مدينة على مرمى البصر. وشاهد بيتًا عتيقًا متهدمًا

عند أطراف المدينة. فدخل إلى ذلك البيت حيث شاهد عجوزًا نحيفًا يجلس مع امرأة عجوزة نحيفة أيضًا. وكانت هيئتهما مخيفة للغاية. وأخذ البطل يسألهما عن السكان وأحوالهم. فتنهد العجوز بحسرة، ثم قال:

ـ هيا أيها الابن، أحضر لنا ماءً، فهم هنا لا يعطوننا الماء. وليس لدينا قطرة منه حتى ولو لإعداد الطعام. أما أنت فإنك ضيف، وسوف يسمحون لك بملء دلو من الماء.

حمل أكيال الدلو، وذهب إلى الطرف الآخر من المدينة لجلب الماء، حيث يجرى الماء فى مصب كبير للنهر.

وما إن هم أكيال بملء الماء، حتى سمع صوتًا عاليًا ينادى به:

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا؟ ومن أنت؟.

رد أكيال البطل:

ـ أنا ضيف عابر.

ـ بما أنك ضيف فيمكنك ملء دلو من الماء.

ملأ أكيال الدلو حتى قمته، ثم ذهب إلى بيت العجوز. وكان المارة ينظرون إليه بحسد عندما يشاهدونه حاملاً الماء فى ذلك الوقت.

حمل أكيال الماء إلى داخل البيت. فاندفع العجوز مع زوجته العجوزة نحو الدلو، وشربا كل الماء دون أن يتركا قطرة منه من شدة العطش.

عندئذ أدرك أكيال أن السكان فى هذه البقاع يعانون ليل نهار من قلة الماء. فأخذ سيفه البتار وحمل الدلو، ثم خرج من البيت. فهتف العجوز مناديًا به:

ـ إلى أين أنت ذاهب يا ولدى؟ لن يمنحك صاحب الماء ولا قطرة أخرى.

رد أكيال قائلاً:

ـ سوف أحصل على الماء، وأطرد صاحب الماء الشرير من هناك!.

وصل البطل إلى النهر وألقى بالدلو فى مياهه، ثم امتشق سيفه فى وضع الاستعداد.

وعندما بدأ يخرج الدلو، هجم عليه القزم العجوز من حيث لا يدرى. فصاح أكيال:

- إذًا، أنت هنا! إنى أبحث عنك منذ وقت طويل.

وضرب أكيال القزم بسيفه الحاد ضربة قوية أطاحت برأسه من فوق كتفيه.

سار أكيال البطل فى الطريق حاملاً الماء، ويصيح بكل من يصادفه:

- اذهبوا للحصول على الماء دون خوف! لقد صرعت القزم الشرير سيد الماء.

فرح السكان فرحة عارمة، وأسرعوا جميعًا لجلب الماء. واغترف الجميع من الماء وشربوا منه، وأعدوا طعامهم وملأوا خزاناتهم للاستحمام. وسرعان ما ذاع صيت أكيال البطل وشجاعته فى كل أرجاء المملكة.

قام أكيال الشجاع بوداع العجوز، وانطلق مواصلاً طريقه.

وسار فى المدينة يطوف شوارعها، حتى شاهد حشدًا من الناس يتجمعون فى الميدان. وكان المنادى يسير بينهم وهو يصيح:

- يعلن الملك أنه سوف يمنح كل ثروته لمن يستطيع تصويب سهمه ليقع فى خاتم الملك، ومن يفشل فى ذلك فسوف يجلد بالسياط!.

صاح أكيال البطل:

- حسنًا، سوف أجرب حظى.

وترك أكيال الميدان منطلقًا نحو قصر الملك.

وعندما شاهده الوزراء وغيرهم من علية القوم، أخذوا يسخرون منه وهم يشيرون إلى ملابسه الرثة. لكنه لم يستمع إليهم، بل حمل قوسه وجذب أوتاره، وصوب سهمه. وطار السهم مصفرًا فى الهواء، حتى وقع فى قلب الخاتم، ثم رشق فى حائط البلاط الملكى.

ساد الهرج والمرج وتعالت آهات الإعجاب، ثم قال الملك:

- كفى ضوضاء، وسوف ألتزم بكلمتى.

واصطحب الملك أكيال البطل إلى داخل قصره.

مر وقت طال أم قصر، حتى سمع أكيال أن هناك مسابقة يجرى الإعداد لها فى المملكة المجاورة. فحزم أمره وذهب إليها.

وصل أكيال إلى المدينة الكبرى بالمملكة، وسمع المنادى يعلن قائلاً:

- سوف يمنح الملك كل أملاكه إلى من يستطيع تصويب سهمه كى يقع فى ثقب الإبرة، ومن يفشل فى ذلك فسوف تقطع يداه من كفيه حتى كتفيه!.

هتف أكيال البطل:

- حسنًا، سوف أذهب لأجرب حظى.

وانطلق مسرعًا نحو قصر الملك.

بعد أن وصل إلى القصر الملكى، أخذ الوزراء وعلية القوم يسخرون منه. فقد كان أكيال مرتديًا ثيابه القديمة ذاتها، وذلك بعد أن وزع كل ثروته على الفقراء.

لم يستمع أكيال إلى عبارات السخرية التى يتحدثون بها، ولم يلق بالاً إليهم، بل شد قوسه وصوب سهمه، حتى طار وسقط فى ثقب الإبرة تمامًا.

صاح جميع الحضور من الدهشة، وأخذوا يدقون الأرض بأقدامهم، وساد الهرج والمرج. أما الملك فقال آمرًا:

- كفى ضوضاء، وسوف ألتزم بكلمتى.

ومنح الملك كل أملاكه إلى أكيال البطل.

مر وقت طال أم قصر، حتى سمع أكيال عن المسابقة الجديدة التى يجرى الإعداد لها فى المملكة المجاورة. فحزم أمره وانطلق إليها.

وعندما وصل إلى المدينة شاهد المنادى يجوب الشوارع معلنًا:

- يعلن ملكنا تحديه لكل من يرغب فى مصارعته! وسوف يمنح مملكته لمن يستطيع هزيمته. أما من يفشل فى ذلك فسوف يفقد رأسه!.

ذهب أكيال للمرة الثالثة كى يجرب حظه. ووصل إلى ساحة المدينة. وهناك اجتمع الوزراء وعلية القوم مرة أخرى، حيث أخذوا فى السخرية منه والاستهزاء به. لكنه لم يستمع إليهم، بل سار مباشرة نحو الملك قائلاً:

- إنك تدعو الأبطال لمصارعتك، وأود تجربة قوتى معك!.

رد الملك:

- حسنًا، ولكن ينبغى علىّ تحذيرك أيها الهُمام من المصير الأسود الذى ينتظرك، حيث إن العديد من الرؤوس قد طارت من قبل!.

أجاب أكيال البطل:

- هذا الأمر لا يخيفنى.

وهكذا، وقف الاثنان داخل دائرة من حشود الناس والمتفرجين، ثم بدأ الصراع بينهما. فقبض الملك الشاب على أكيال بكلتا يديه محاولاً إلقاءه على الأرض. لكن أكيال استطاع التملص منه، ورفع الملك بيديه، ثم ألقى به عاليًا عاليًا إلى أعلى. وبعد ذلك أمسك به قبل أن يسقط، ووضعه على الأرض.

أسقط فى يد الملك، ولم يستطع مقاومة أكيال واعترف به منتصرًا. وحصل أكيال البطل مرة أخرى على ثروة هائلة.

تذكر أكيال رفيقيه اللذين ظلا ينتظرانه عند مدخل الحفرة. ولم يفكر طويلاً، بل أسرع بحمل ما استطاع من الذهب والمال، وانطلق فى طريق العودة إلى رفيقيه.

ظل يسير طويلاً طويلاً حتى وصل إلى المكان الذى هبط إليه من الحفرة. ونظر فشاهد الحبل سليمًا. فربط به الكثير من الذهب والأحجار الكريمة، وطلب من رفيقيه جذب الحبل بما يحمله. وعندما رفع الصديقان الحبل وشاهدا كل تلك الثروة، فاضت عيناهما بالحسد والحقد حتى ارتجفت أياديهما. فقال عرمان البطل لرفيقه:

- لماذا نقسم هذا الثروة على ثلاثة، بينما يمكن تقسيمها على اثنين فقط؟.

رد تاو البطل:

- أنت محق فيما تقول.

وقاما بقطع الحبل الذى تسلقه أكيال لمسافة طويلة، فسقط البطل إلى أسفل مثل الصخرة.

جلس أكيال فوق قاع الحفرة يفكر: "ما الذى يمكننى فعله الآن؟" وظل جالسًا لفترة طويلة فى هم وحزن، ثم انطلق يسير على غير هدى.

ظل الفتى يهيم على وجهه فى الغابة الكثيفة المظلمة. وطال سيره فى قلب الغابة حتى سمع فجأة صوتًا فوقه لطائر يستغيث، وحفيف أجنحته يتردد فى الفضاء. ونظر فشاهد طائر الرخ واقفًا فوق الشجرة يصرخ بصوت عالٍ ويئن كما لو أنه يبكى. فصاح أكيال:

ـ ما الذى يجرى هنا يا ترى؟.

تسلق البطل الشجرة حتى وصل إلى قمتها، فشاهد تنينًا تسلل إلى عش طائر الرخ، ويوشك على التهام صغاره. فأسرع أكيال برفع سيفه، وانقض على التنين ومزقه إربًا صغيرة. فهتف طائر الرخ قائلاً:

ـ يا لك من رجل طيب شجاع، أخبرنى كيف يمكننى مكافأتك مقابل إنقاذك صغارى؟

رد أكيال:

ـ أريدك أن تحملنى وتطير بى إلى الأرض.

ـ يمكننى تلبية رغبتك بشرط أن تحضر لى الكثير من الطعام الذى أحتاجه للطريق. وعليك ملء جوالين أحدهما بطيور الزرزور، والآخر بالعصافير.

اصطاد أكيال عددا كبيرا من طيور الزرزور والعصافير، وملأ الجوالين بها، ثم جلس فوق ظهر طائر الرخ، وحلق الطائر به. أخذ الطائر يطير ويرتفع عاليًا، وكلما أدار رأسه ناحية اليمين، يقوم أكيال بإطعامه من طيور الزرزور. وعندما يدير رأسه ناحية اليسار، يطعمه أكيال بالعصافير.

وكلما ارتفع الطائر إلى أعلى، زاد الأمر صعوبة عليه. وكانت الصخور تتحطم وتتهاوى من خلفهما، وتشق أشعة الضوء طريقها نحوهما من قلب المملكة الواقعة تحت الأرض.

وأخيرًا وصلا إلى قمة الحفرة، وحط الطائر فوق قمة الجبل.

شكر أكيال طائر الرخ على صنيعه. ومضى كل منهما إلى سبيله. وظل البطل يسير فى طريقه حتى شاهد رفيقيه جالسين أسفل إحدى الأشجار، وهما يقتسمان الثروة بينهما. فصاح أكيال البطل:

- أيها الخائنان! هل حصلتما على ما يكفى من المال؟.

تملك الخوف من عرمان البطل وتاو البطل فى أول الأمر، ثم قاما بتقبيل طرف سيف أكيال، وقالا له:

- يمكنك قتلنا!.

لكن أكيال البطل قال:

- لن أقتلكما، فقد قمتما بقتل أنفسكما بما فعلتما. وقد عرف الناس الآن عن الحسد والحقد اللذين فى قلوبكما. أما الثروة التى أخذتماها منى، فسوف أوزعها على الفقراء.

أعاد الاثنان المال إلى أكيال البطل وقالا:

- سوف نسدد ديننا للناس على ما فعلنا. وسوف يقوم تاو بمنح الناس كل ما تحويه الجبال من ثروات، بينما يبذل عرمان كل قوته لتسوية الغابة وزرع الحدائق للناس.

عندئذ تركهما أكيال البطل، ثم انطلق إلى موطنه كى يقدم المزيد من الخير للناس.

* * *

العجوز الحكيم والملك الأحمق

يحكى أنه فى قديم الزمان عاش ملك شاب يحكم المدينة. وكان ذلك الملك يكره العجائز والمسنين، فأمر بقتلهم جميعًا. واستطاع فتى واحد شجاع إنقاذ والده العجوز، وإخفاءه تحت الأرض. ولم يمض وقت طويل حتى أعلن الملك الشاب الحرب على المملكة المجاورة له. وأخذ يجمع القوات ويحشدها للمعركة. وأدرك الفتى الهمام الذى قام بإخفاء والده، أن دوره قد حان للانضمام إلى قوات الملك. فذهب إلى مخبأ والده ليقوم بوداعه. وعندما عرف الوالد بالأمر ألقى إليه بنصائحه عبر هذه الكلمات:

- يا ولدى العزيز، إنكم سوف تنطلقون إلى الأراضى البعيدة النائية. وسوف تعانون هناك الجوع الشديد والحرمان، حتى يصل الأمر إلى اضطراركم لذبح كل الأفراس وأكل لحمها، بما فيها فرس قائد الجيش نفسه. وسوف تضطرون بعد ذلك- شئتم أم أبيتم- إلى التراجع ثانية. وفى طريق العودة سوف يقوم كل محارب بإلقاء اللجام والسرج الذى انتزعه من فوق الفرس قبل ذبحها، وذلك لثقل وزنهما. أما أنت فلا تلق بهما على الرغم من ثقل وزنهما. فسوف يظهر لكم فرس لا نظير له فى الجمال والروعة. ولن ينجح أحد فى الإمساك به ما دام لا يحمل فى يده لجامًا وسرجًا. وعندما يراك الفرس تحمل السرج واللجام، فسوف يتوقف أمامك ويحنى رأسه لك. وعندئذ تسرجه وتلجمه، وتذهب به إلى قائد الجيش. وسوف يقوم القائد بتقريبك إليه نظير عملك، وتصبح صديقه المقرب. والآن وداعًا، واذهب فى رعاية الله.

سارت الأمور كما تنبأ العجوز تمامًا. ونفذ كل مخزون الطعام لدى القوات أثناء الحملة، واضطر الجنود لذبح أفراسهم وأكل لحمها. وفى نهاية الأمر قاموا بذبح فرس قائد الجيش وأكلوا لحمه، ثم أخذوا يتراجعون ويعودون أدراجهم. وأخذ الجنود يلقون بالسروج والألجمة كى يخففوا من أحمالهم الثقيلة. ولم يبق سوى الفتى الشجاع الذى تذكر كلمات والده، وظل حاملاً السرج واللجام.

وفى طريق العودة ظهر أمام الجنود فرس رائع الجمال يركض بينهم. وحاول الجميع الإمساك بالفرس دون جدوى. وفى نهاية الأمر اقترب الفرس بنفسه من الفتى حامل السرج واللجام، وتوقف أمامه حانيًا رأسه. فقام الفتى بوضع السرج واللجام عليه، وساقه إلى قائد الجيوش. ومنذ ذلك الحين أصبح الفتى صديقًا مقربًا للقائد.

ذات يوم خرج الملك مع قواته يتريض عند شاطئ البحر. وشاهد الملك شيئًا يلمع ويتلألأ عند قاع البحر. فأمر جنوده بالحصول على ذلك الشىء اللامع من القاع. وغاص العديد من الجنود واحدًا بعد الآخر فى قلب الماء حتى غرقوا جميعًا.

وعندما اقترب الدور من الفتى الشجاع صديق القائد، أسرع بامتطاء فرسه وانطلق إلى البيت. وذهب إلى مخبأ والده تحت الأرض، وحكى له عن الأمر الذى يجرى عند شاطئ البحر. فاستمع العجوز إلى ابنه ثم قال:

- يا ولدى العزيز، توجد شجرة عالية ترتفع عند شاطئ البحر، ويوجد فوق قمة تلك الشجرة عش طير كبير، وبداخل ذلك العش توجد ماسة ضخمة. ينعكس بريقها فوق سطح مياه البحر. وعندما يحل الدور عليك لتغوص فى البحر، فاطلب من الملك قائلا: "مولاى الملك، بما أنى سوف أموت فى جميع الأحوال، فاسمح لى قبل ذلك أن أتسلق هذه الشجرة كى أتطلع من أعلاها وأشاهد قريتى الأم لآخر مرة". وسوف يسمح لك الملك بذلك. وعندئذ تأخذ الماسة من العش وتعطيها للملك.

عاد الفتى إلى شاطئ البحر. وعندما حل دوره للغطس فى الماء قال للملك:

- مولاى الملك، اسمح لى قبل ذلك أن أتسلق هذه الشجرة كى أتطلع من أعلاها وأشاهد قريتى الأم لآخر مرة.

أذن الملك للفتى. فتسلق الهمام الشجرة حتى وصل إلى العش. وأخذ الماسة منه، فانطفأ على الفور البريق اللامع من فوق سطح الماء. وهبط الفتى، وأعطى الماسة إلى الملك. فاعترت الدهشة الملك وقال:

- كيف عرفت بذلك الأمر؟ ومن أين أتتك كل هذه الحكمة؟ ففى أثناء الحرب استطعت الإمساك بالفرس وأعطيته لقائد الجيش. وها أنت الآن تمنحنى هذه الماسة الكبيرة!.

رد الفتى الهمام:

- مولاى الملك، أخشى أن أخبرك بالأمر، ويصعب علىّ ألا أخبرك به. ولكنى سوف ألتمس منك العطف والرحمة وأخبرك بالحقيقة. فقد قمت بإخفاء والدى العجوز عندما أمرت بقتل جميع العجائز والمسنين. وبعد ذلك أخذت النصح منه فى كل ما فعلت. ولو أنك يا مولاى ما أمرت بقتل جميع العجائز، لأصبح لدينا الكثير من النصائح والحكم الجيدة!.

بعد ذلك أمر الملك بإطلاق سراح العجوز من تحت الأرض. ودعاه إلى الحضور إليه، حيث قابله بالحفاوة والاحترام.

ومنذ ذلك الحين ألغى الملك أوامره القاسية بقتل العجائز. وأدرك أنه لا يستطيع فعل شىء بدون نصائحهم الحكيمة.



الدُب والنحل

يحكى أنه فى قديم الزمان، عندما كان البط يملأ البرك والبحيرات، وعندما كانت طيور العقعق بالمئات، عاش دُب له ذيل طويل منفوش مثل ذيل الثعلب.

كان ذلك الدُب يعشق العسل. ولا يمكنه العيش بدونه. ولا يفكر إلا فى الاستمتاع بتناوله.

شاهد الدُب خلية نحل فى تجويف الشجرة ففرح كثيرًا. وقام بتسلق الشجرة ونهب الخلية كى يقيم وليمة من العسل يستمتع بها. وحاول النحل لدغ الدُب بإبره، لكنه لم يستطع بسبب كثافة الوبر الذى يغطى جلد الدُب، حيث إن إبر النحل لم تكن طويلة بالقدر الكافى لتخترق كل ذلك الوبر. وكان أفراد النحل يتيهون ويضلون طريقهم فى ذلك الوبر الكثيف الطويل. أما الدُب فما كان عليه سوى أن يهبط من فوق الشجرة، ويبدأ فى حك جسمه وفركه بالأرض كى يهرس أفراد النحل. وبعد ذلك يتسلق الشجرة من جديد، ويقوم بجمع كل العسل فى راحة وهدوء دون أن يجد أحدًا يمنعه.

وذات يوم حضر رجل إلى الغابة، وشاهد الدُب جالسًا فوق الشجرة يأكل العسل، ويطرد أسراب النحل بذيله الطويل.

فكر الرجل: "أنت يا صاحب الساقين المقوستين! سوف أصعد إليك فوق الشجرة وأصرعك بهذه البلطة".

تسلق الرجل الشجرة ملوحًا ببلطته، ثم ضرب بها الدُب فلم يصبه بها، بل جاءت الضربة فوق ذيل الدُب فقطعته. ولم يعد للذيل المنفوش وجود. وخاف الدُب وقفز من فوق الشجرة هاربًا. ومنذ ذلك الحين ظل الدُب بدون ذيل حتى يومنا هذا.

نظر الرجل نحو خلية النحل وقام بإصلاح وضعها، وأعاد ألواح الخلية إلى مكانها، ثم عاد إلى بيته.

بدا الأمر للنحل مذهلاً وغريبًا. فذهبوا إلى النحلة الأم وسألوها عن السبب الذى جعل الرجل يترك العسل ولا يأكله.

لم تعرف النحلة الأم سبب ذلك الأمر، فقالت لأفراد النحل:

- حلقوا بسرعة حتى تدركوا ذلك الرجل، ثم اسألوه عن السبب الذى جعله يترك عسلنا ولا يأكله.

طار النحل حتى أدرك الرجل. وعندما سألوه عن السبب أجابهم قائلاً:

- لو أنى أكلت عسلكم فلن يبقى لديكم شىء تأكلونه أثناء الشتاء. وعندئذ سوف تموتون من الجوع، وأظل بدورى أنا الآخر دون عسل.

عاد النحل إلى خليته، وأخبروا النحلة الأم بكلمات الرجل. فقامت الأم بجمع النحل للتشاور. وقرروا جميعًا الذهاب إلى الرجل، وتقديم طلبهم إليه كى يحميهم من الدُب الشرير.

قال النحل للرجل:

- لو أنك استطعت حمايتنا من الدُب الشرير فسوف نشكرك على صنيعك، ونجمع لك الكثير من العسل.

رد الرجل:

- حسنًا، سوف أصنع لكم خلية تعيشون فيها، وتجمعون العسل بداخلها فى هدوء وسلام.

ومنذ ذلك الحين أصبح النحل يعيش بالقرب من الإنسان، ويطعمه بالعسل الشهى الحلو.

* * *

الدجاجة والصقر

كانت هناك دجاجة تصادق الصقر. وكان الصقر كثيرًا ما يذهب فى زيارة الدجاجة، ويقص عليها حول استمتاعه بالطيران والتحليق إلى أعالى السماء. ورغبت الدجاجة بدورها فى الطيران. لكنها لم تنجح فى التحليق بجناحيها أبعد من سور الحظيرة التى تعيش فيها.

بدأ الصقر فى تعليمها الطيران. ولم ينته من تلقينها أول درس، حتى نشب بينهما نزاع، وانفرط عقد الصداقة بينهما. وظل الدجاج حتى يومنا هذا لا يستطيع الطيران أعلى من سور القفص القصير.

أما الصداقة التى كانت بينهما فقد انفرط عقدها للسبب التالى:

كان الصقر يتمتع بطوق جميل يزين رقبته، وعُرف بديع يتوج رأسه. وكان الديك يحسده كثيرًا للطوق الجميل والعرف البديع. وكان يفكر فى نفسه: "أخ، لو كان لدى مثل ذلك العرف لأخذته لنفسي، ومنحت هذا الطوق لدجاجتى".

وذات مرة حل الصقر ضيفًا على الديك والدجاجة. وقاما بإطعامه فطائر اللحم الشهية. وبعد أن أكل الصقر الكثير من الطعام، راح يغط فى سبات عميق لفترة طويلة. فقام الديك بسرقة الطوق والعرف من الصقر أثناء نومه. وأعطى الديك الطوق لدجاجته، واحتفظ بالعرف لنفسه. ومن المعروف أن الديكة تحب الزهو والتفاخر. فوضع الديك العرف فوق رأسه، وخرج يتجول بين جيرانه متباهيًا بنفسه.

استيقظ الصقر من نومه وعاد إلى وعيه، فشاهد العرف قد اختفى من فوق رأسه، والطوق تبخر من حول رقبته. فما العمل؟ صرخ الصقر على الدجاجة:

- أعيدى إلى طوقى!.

لم تعد الدجاجة الطوق إلى الصقر؛ لأن الطوق قد أعجبها للغاية. ولم تدرك أن سرقة أشياء الغير أمر محظور. وثار بين الدجاجة والصقر نزاع وصل إلى حد الضرب.

غضب الصقر غضبًا شديدًا، وحاول انتزاع الطوق من الدجاجة بمخالبه. لكنه أصاب الخيط الذى انقطع، وانفرطت حبات اللؤلؤ متناثرة فوق الأرض. عندئذ صاح الصقر غاضبًا:

ـ حسنًا، من الواضح أن عقد صداقتنا قد انفرط إلى الأبد. لكنى لن أغفر لك هذا الأمر. وعندما تتذكريننى سوف تندمين على فعلتك!.

قال الصقر كلماته وحلق مبتعدًا فى الفضاء.

مر وقت طويل دون أن يظهر الصقر أثرًا.

وظهر لدى الدجاجة أفراخ صغيرة بعد أن خرجت من البيض. وذات يوم مشمس خرجت الدجاجة مع أفراخها إلى الفناء. وبدأت تنبش الأرض بأظافرها، وتلتقط بمناقيرها كل ما تقع عيونها عليه من يرقات وديدان وبذور. وفجأة، شاهدت الدجاجة الصقر وهو يحلق عاليًا فى السماء. وفرحت الدجاجة وصاحت تقول:

ـ ها هو صديقى القديم يحلق هنا! ويبدو أنه قد نسى أمر الطوق.

فى حقيقة الأمر أن الصقر لم ينس شيئًا، ولم يحلق فوق الدجاجة كى يعيد صداقته معها. وعندما شاهد الدجاجة مع أفراخها، هبط الصقر من السماء مثل الصخرة الهاوية، واختطف بمخالبه أحد أفراخها، ثم حلق مبتعدًا به فى السماء. وهكذا، بدأ انتقامه من الدجاجة والديك نظير الطوق والعرف اللذين سرقاه منه.

حزنت الدجاجة حزنًا كبيرًا. لكن الصقر لم يتركها فى حالها. وظل يخطف أفراخها كل عام.

أرادت الدجاجة التخلص من تلك المحنة، والبحث عن حبات اللؤلؤ المفقودة كى تعيد الطوق للصقر. فأصبحت تقوم مع أفراخها وديكها بنبش الأرض فى كل مكان تسير به. لكنها لم تنجح فى العثور على حبة لؤلؤ واحدة.

وذات مرة عثر الديك على حبة لؤلؤ، لكنه لم يعرها اهتمامًا ولم يهتم الديك بتلك الحبة، لأنه اكتفى بالعرف الجميل الذى يزين رأسه.

أما الدجاجة فقد ظلت منذ ذلك الحين تنبش الأرض بأظافرها ومنقارها بحثًا عن حبات اللؤلؤ المفقودة من الطوق. وتظل تبحث وتبحث دون أن تعثر على شىء.



الثعلب اليتيم

في يوم من أيام الربيع تقابل كل من الدُب والذئب والكلب والأرنب. وأخذوا يشكون لبعضهم البعض الأحوال السيئة التي عاشوها في فصل الشتاء، حيث البرد القارص وصعوبة الحصول على الطعام. وصاروا يتشاورون فيما بينهم. فقال الدُب:

- هيا بنا نعش معًا، كي تصبح الحياة أسهل علينا.

وافق الجميع على اقتراح الدُب. وقاموا ببناء بيت خشبي في الغابة، وبدؤوا يعيشون حياتهم معًا، حتى جاء يوم قال الدُب فيه:

- أيها الأصدقاء! لقد حان الوقت كي نستعد لفصل الشتاء. وينبغي علينا شراء بقرة، ويقوم الكلب برعيها، وذلك كي نجمع منها كمية من الزبد نخزنها في قدر لفصل الشتاء.

وافق الآخرون على رأي الدُب. وفي ذلك اليوم نفسه خرجوا إلى السوق، وباعوا هناك جلود الحيوانات التي قتلوها، واشتروا بالمال بقرة سمينة.

أصبح الكلب يخرج كل يوم لرعي البقرة في المراعي المتاخمة. وأخذ الذئب يقوم بإطعامها مساء كل يوم. وكان الأرنب يرشدهم إلى أفضل مواقع الحشائش لإطعام البقرة. أما الدُب فكان يتولى إدارة كل شئون البيت.

وهكذا، انقضت أيام الصيف وحل فصل الخريف. واستطاع الأصدقاء جمع كمية كبيرة من الزبد وضعوها في قدر كبير. عندئذ صاح الدُب:

- ينبغي علينا وضع قدر الزبد أسفل سقف البيت، وذلك حتى لا يراه أحد. وعند حلول الشتاء سوف نأخذ منه القليل بين الحين والآخر، ونستخدمه في تحمير البطاطس(*) وافق

(*) يتسم الزبد في تلك المناطق بالدسامة العالية، ويستخدم لتحمير البطاطس بدلاً من الزيت - المترجم.

الجميع مرة أخرى على اقتراح الدُب. وقاموا بحمل القدر المملوء بالزبد، وأخفوه أسفل سقف البيت.

وذات يوم جلس الأصدقاء فى المساء يشربون الشاى. وفجأة دق باب البيت، فأرسلوا الأرنب كى يفتح الباب.

نظر الأرنب فشاهد الثعلب يحمل إبريقًا بين مخالبه، ويقف وديعًا خلف الباب ورأسه منحنية لأسفل. وقال الثعلب بصوت خافت:

- مرحبًا أيها الأصدقاء الأعزاء! مساء الخير عليكم!.

رحب الأصدقاء بالضيف ودعوه لتناول الشاى.

جلس الثعلب إلى الطاولة، وبدأ الحديث فى هدوء وتواضع:

- إنى وحيد يتيم، وأرجو أن تضمونى لأسرتكم.

أجاب الدُب:

- حسنًا، سوف نتشاور اليوم فى أمر قبولك معنا فى أسرتنا، وعليك أن تأتى فى الغد كى تعرف الرد.

شكر الثعلب أصحاب البيت على ضيافتهم، ورحل ماضيًا فى سبيله.

تحدث الأصدقاء فيما بينهم وقرروا قائلين:

- مسكين هذا الثعلب الهادئ المتواضع، وعلينا قبوله فى أسرتنا.

فى صباح اليوم التالى جاء الثعلب. فأخبره الأصدقاء بقرار قبوله عضوا فى أسرتهم. وأصبح الثعلب يعيش معهم.

سلك الثعلب سلوكًا رقيقًا للغاية. فكان يلبى أوامر الجميع، ويحاول إرضاء الجميع بكل ما فى وسعه، بدءا من الدُب والذئب والكلب، ونهاية بالأرنب الصغير.

وسرعان ما عرف الثعلب بأمر قدر الزبد المخبأ أسفل السقف. وكان الثعلب يعشق الزبد! فقرر أن يأكل كل الزبد بمفرده. وأخذ يفكر فى وسيلة تمكنه من ذلك.

وأخيرًا توصل بمكره إلى الطريقة لتحقيق هدفه.

وفى مساء أحد الأيام قال الثعلب بأنه سوف يخرج لمراجعة مزلاج بوابة البيت، والتأكد من إحكام غلقها للباب. وبعد أن خرج من الباب، اقترب من شباك البيت ودق عليه مناديًا بصوت مصطنع:

- هل الثعلب اليتيم موجود بالبيت؟.

رد عليه الأصدقاء:

- نعم، إنه بالبيت، وسوف يعود الآن من الفناء.

- أخبره أن يحضر إلينا على الفور، وذلك كى يعطينا اسمًا لصغير الفهد الذى ولد منذ قليل.

ردوا عليه من داخل البيت:

- حسنًا، سوف نخبره.

عاد الثعلب إلى داخل البيت، فقال له الدُب:

- أيها الثعلب، لقد جاءوا فى طلبك كى تذهب إلى مولود الفهد الجديد وتعطيه اسمًا.

رد الثعلب:

- ما دام الأمر هكذا ينبغى علىّ الذهاب.

حزم الثعلب أمره وخرج من المنزل. وأخذ يدور حول البيت، ثم قفز إلى السقف، حيث عثر على قِدر الزبد ومضى يأكل منه. وأكل الثعلب حتى شبع، ثم استلقى للراحة بعض الوقت، وعاد بعد ذلك إلى البيت. وسأله الأصدقاء:

- ماذا قدموا إليك؟.

- لقد دعونى إلى تناول الإوز السمين والدجاج المسلوق والزبد الشهى.

ولعق الثعلب لسانه وهو يتحدث إليهم. وسأله الكلب بعد ذلك:

- وما الاسم الذى اخترته للمولود؟.

أجاب الثعلب:

- كوز الذرة.

وفى اليوم التالى أخبرهم الثعلب أن عليه الخروج لمنح اسم آخر لمولود جديد، ثم خرج متسللاً إلى سقف البيت. والتهم من الزبد حتى منتصف القدر. وعند عودته سألوه:

- أى اسم اخترته فى هذه المرة؟.

- القلب.

فى اليوم الثالث كرر الثعلب ما فعله، فتسلل إلى سقف البيت، وأكل كل ما تبقى من الزبد. وعاد إلى البيت فسأله الدُب:

- أيًا من الأسماء اخترت هذه المرة؟.

- الأثر.

بدأ الثلج فى الهطول، وأخذ الصقيع يزحف فى أرجاء الغابة.

وذات يوم صاح الدُب:

- أيها الأصدقاء! علينا إحضار بعض الزبد لقلى البطاطس.

هتف الآخرون بفرح:

- نعم، نعم، هيا بنا!.

قال الدُب:

- اذهب أيها الثعلب وأحضر لنا بعض الزبد.

خرج الجميع إلى الفناء. وبدأ الثعلب يتسلق الجدار كى يصل إلى أسفل السقف، لكنه سقط على الأرض متصنعًا عدم القدرة على تسلق الحائط. وصاح شاكيًا:

- إنه مرتفع للغاية ولا يمكننى الوصول إليه.

أسرع الكلب لمساعدة الثعلب وجعله يقف فوقه. واستطاع الثعلب تسلق السقف. وسمع الأصدقاء صوته يصيح أسفل السقف قائلاً:

ـ لا يوجد هنا أى زبد! ولا أرى سوى قدر فارغ.

لم يصدق أحد كلمات الثعلب. وعندئذ ألقى الثعلب إليهم بالقِدر. والتفوا جميعًا ينظرون إلى القِدر، ووجدوه فارغًا تمامًا. وزمجر الدُب غاضبًا:

ـ لم يأت إلينا أحد غريب طوال هذه الفترة. فمن ذلك الوغد الذى التهم الزبد؟ هيا بنا نعثر على ذلك المجرم!.

وظلوا جميعًا يتجادلون لفترة طويلة حول وسيلة العثور على السارق، حتى صاح الدُب:

ـ هيا بنا نشعل حلقة كبيرة من النار، ونجلس حولها جميعًا وسوف يسيل الزبد من جسد السارق بفعل الحرارة، فنتعرف إليه فى الحال.

فعل الأصدقاء ما اقترحه الدُب وأشعلوا النار.

وسرعان ما سرى الدفء فى أجسامهم، فراحوا فى النوم، وذلك لأنه كان أول أيام الشتاء البارد. وكان الدُب هو أعمقهم نومًا.

وظل الثعلب مستيقظًا بمفرده. وشاهد الزبد يسيل من كل أجزاء جسمه. فأصابه الخوف من افتضاح أمره، والعقاب الذى ينتظره بعد ذلك. فقرر إلقاء الذنب على الدُب. وأخذ يمسح الزبد من فوق جسمه، ويدهن به فراء الدُب النائم.

وعندما استيقظ الأصدقاء شاهدوا أن جلودهم كلها جافة عدا فراء الدُب الذى اكتسى بالزبد. فصرخوا قائلين:

ـ ها هو الذى أكل الزبد!.

وأرادوا معاقبة الدُب على ما فعله، لكنه أشار إليهم قائلاً:

ـ لا تتعجلوا الأمر! فهناك خدعة ينبغى الكشف عنها، وعلينا إشعال المزيد من النار، وإخضاع الجميع للتجربة مرة أخرى.

وافق الجميع عدا الثعلب الذى طالب بعدم إشعال المزيد من النار كى لا تشتد الحرارة ويصبح الجو خانقًا.

لكن الأصدقاء أشعلوا المزيد من النار ملتفين حولها. وبحكم عادته الشتوية راح الدُب في سبات عميق مرة أخرى. أما الذئب والكلب والأرنب فتصنعوا النوم. وبدأ الزبد يسيل ويسيل من جلد الثعلب ثانية.

وانتظر الثعلب حتى ينعس الأصدقاء، ثم بدأ يمسح الزبد من فوق جسمه ويدهن به فراء الدُب. وشاهد كل من الذئب والأرنب والكلب ذلك الأمر، فهتفوا صارخين وهم ينقضون على الثعلب:

ـ ها هو اللص الحقيقى الذى خدعنا بهدوئه ومكره!.

استيقظ الدُب على صوت الضوضاء والجلبة حوله. وحكوا له عن حقيقة الأمر. لكن الثعلب أخذ يصيح:

ـ إنى مظلوم ولم آكل الزبد!.

عندئذ هجم الجميع على الثعلب، وربطوه بالحبال، ثم وضعوه بالقرب من النار وخاصة منطقة الذيل والحوافر. فأخذ الزبد يسيل منه ويتساقط فى قلب النار.

بعد ذلك صاحوا بالثعلب:

ـ هيا اغرب عن وجهنا الآن! ولا ترينا وجهك القبيح مرة أخرى. فليس لك مكان داخل أسرتنا الحميمة!.

حمل الثعلب إبريقه، وأسرع بالفرار إلى حيث لا تبصره عين.

* * *

الغريران(*)

يحكى أنه فى قديم الزمان عاش الغرير مع زوجته الغريرة. وكانا يأكلان الفئران التى يصطادانها. وذات يوم عندما كانا يطاردان الفئران فى الحقل، شاهدا جملاً. فقال الغرير لزوجته:

- هيا بنا أيتها العجوز نصيد هذا الجمل بدلاً من الفئران.

ردت الغريرة:

- لقد حل بنا التعب بعد مطاردتنا للفئران، كما حل التعب بالفئران أيضًا، وليس من الحكمة أن نترك الفئران ونطارد الجمل الذى لم يحل به التعب بعد. وقد قال الأسلاف: "بيضة اليوم أثمن من دجاجة الغد"، أو كما يقال: "عصفور باليد أفضل من عشرة فوق الشجرة". ولو أن هذا الأمر صحيح، فلما علينا التنازل عن الفئران؟.

أجاب الغرير على كلمات زوجته:

- عندما يتقدم الجمل نحونا من تلقاء نفسه، فلن أضطر لمطاردة الفئران.

قال الغرير كلماته وذهب فى مواجهة الجمل. أما الغريرة فلم تبق معه، بل قامت باصطياد بعض الفئران المتعبة والتهمتهم، ثم استلقت للراحة والنوم. ولم ينجح الغرير فى اصطياد شىء. وعندما أصابه الجوع عاد إلى البيت وسقط بجوار زوجته الغريرة.

سألته الغريرة:

- هل اصطدت الجمل؟.

(*) الغرير: باللاتينية Meles حيوان من الثدييات يشبه السنجاب يعيش فى مناطق الغابات فى شرق وشمال آسيا، ويصل وزنه إلى حوالى ٢٤ كجم - المترجم.

تحدث الغرير بالكاد من شدة التعب قائلاً:

- لا، لم أستطع اصطياده.

- ألم أخبرك من قبل بألا تترك الفئران! عليك دائمًا تذكر كلمات الأسلاف: بيضة اليوم أثمن من دجاجة الغد.

* * *

حكايات شعبية من الشيشان

تيمار

يحكي أن رجلا يدعى تيمار أصابه العجز حتى انحنى ظهره وفقد نور بصره.

وخرج ابنه الأكبر للبحث عن دواء للوالد ليشفى من مرضه. وظل يسير لفترة طالت أم قصرت حتى وصل إلى بقعة يكسوها الثلج الأحمر. فصاح قائلاً: "يا لها من معجزة! لم أر من قبل مثل هذا الثلج الأحمر".

وعاد الابن الأكبر إلى البيت حاملاً معه بعض الثلج الأحمر، وآملا أن يعالج به والده.

سأله الوالد:

- هل أحضرت لى الدواء؟.

أجاب الابن الأكبر:

- نعم، لقد أحضرت لك ثلجًا أحمر ليس له نظير فى العالم.

لم يرض الوالد عن ذلك الثلج، وأشاح بوجهه فى حزن.

وخرج الابن الثانى للبحث عن الدواء. وظل يسير لفترة طالت أم قصرت، وعبر المكان الذى يكسوه الثلج الأحمر، حتى وصل إلى أرض ينمو بها العشب الأبيض. أخذ الابن الأوسط بعض العشب، وعاد به إلى البيت وهو يفكر فى نفسه: "إن هذا العشب الأبيض ليس له مثيل فى العالم كله، وسوف يُشفى والدى".

سأل الوالد ابنه الأوسط:

- ما الذى أحضرته لعلاجي؟.

- لقد أحضرت إليك عشبًا أبيض ليس له مثيل فى العالم.

ظل الوالد غير راض، وأشاح بوجهه فى حزن.

عندئذ استعد الابن الأصغر للخروج والبحث عن الدواء. وظل يعد نفسه لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وقال له والده إن عليه القفز بالحصان عبر الحاجز الصخرى وذلك كى يسمح له بالخروج والبحث عن الدواء.

امتطى الابن الأصغر الحصان الأبيض، وقفز به عبر الحاجز الصخرى ثلاث مرات. فباركه الوالد، وتمنى له طريقًا مأمونًا، وأمره بألا يلتقط شيئا من على الطريق كى لا تسوء أحواله.

ظل الابن يسير على حصانه حتى انقضى النهار، وعبر الابن البقعة المكسوة بالثلج الأحمر أثناء الليل، ثم قطع الأرض التى يغطيها العشب الأبيض. وبعد ذلك شاهد ريشة ذهبية ملقاة على الطريق. فتوقف بحصانه والتقط الريشه الذهبية. وعندئذ قال الحصان له:

ـ لقد خالفت أوامر والدك. فقد طلب منك ألا تأخذ شيئًا من على الطريق.

لكن الابن احتفظ بالريشة وأخفاها بين طيات ملابسه، ثم واصل طريقه.

سار الابن طويلاً طويلاً حتى شاهد على الطريق بكرة ملفوفة بالخيوط ذهبية.

توقف الفتى بحصانه، والتقط بكرة الخيوط الذهبية، فصاح الحصان ثانية:

ـ لقد خالفت أوامر والدك مرة أخرى. ألم يحذرك ألا تأخذ شيئًا من على الطريق؟ إن بكرة الخيوط الذهبية هذه سوف تجلب لك الأسى.

لم يستمع الابن الأصغر لكلمات الحصان، واحتفظ بالبكرة.

وعند غروب الشمس وصل الفتى إلى أطراف إحدى القرى. وصادف رجلاً يرعى الأبقار. فسأله الابن الأصغر:

ـ من فى هذه القرية يعد رجلاً مرموقًا يستقبل الضيوف الغرباء؟.

أشار الراعى للفتى نحو أبراج عالية يعيش بها الأمير الذى يستقبل الضيوف، ويبجله الناس. فانطلق الفتى نحو بيت الأمير. وبعد التعرف على الضيف وسؤاله، حل موعد

صلاة العشاء. وعندما انتهى الابن من صلاته، سقطت الريشة الذهبية من ملابسه وهو يهم بالوقوف. فأمسك الأمير بالريشة، وطلب من الفتى أن يحضر له الطائر الذى يكسو جسمه هذا الريش الذهبى، وإلا فسوف يقتله شر قتلة. ورد الفتى بأن عليه التشاور مع حصانه قبل أن يجيب على طلب الأمير. وتركه الأمير للتشاور مع الحصان، فذهب الفتى إلى حصانه وحكى له عن طلب الأمير. فقال له الحصان:

- اطلب من الأمير أن يحضر لك جوالاً صغيرًا مملوءًا بحبات الذرة، وطعامًا شهيا خفيفًا للطريق.

أحضر الأمير إلى الفتى كل ما طلبه. وفى اليوم التالى خرج الابن الأصغر إلى الطريق.

وظل يسير على حصانه حتى وصل إلى منطقة نائية. وتوقف الحصان عند أعلى الجبل وقال للفتى:

- لو رميت ببصرك نحو الأعالى فسوف تشاهد هيكلا كبيرا يرتكز إلى السماء. فانظر بعينك نحو هذا الشىء الذى يشبه قبعة الفراء، هل تراه؟.

رد الابن الأصغر:

- نعم، نعم إنى أراه.

- هذا هو الطائر الذى يطلبه الأمير. وسوف أحاول استدراجه إلى هنا، بينما عليك الاستعداد للعب معه. وعندما يسألك الطائر: "من أى قرية جئت؟"، تجيب عليه: "لقد جئت من القرية التى يعيش فيها تيمار". وعندما يسألك: "وكيف أحوال تيمار وصحته؟"، فترد عليه: "لقد انحنى ظهر تيمار وفقد نور عينيه". ولو سألك الطائر حول حصان تيمار، فأخبره بأن الهِرم لو أصاب السيد، فإن الحصان لا يشيخ أبدًا مهما حدث، ويظل يرعى العشب فى الحقول والغابات. ولن يسألك الطائر حول شىء آخر، بل سوف يهبط من أعالى الجبال كى يسبح فى مياه النهر وينظف ريشه. وعندئذ عليك نثر حبات الذرة حول جسمك وأنت واقف عند شاطئ النهر.

فعل الابن الأصغر مع الطائر كل ما قيل له.

هبط الطائر يستحم فى النهر. وبعد ذلك خرج إلى الشاطئ يلتقط حبات الذرة. فأسرع الفتى نحوه وأمسك به. وحاول الطائر التملص والفكاك من بين يديه دون جدوى.

عندئذ سأله الطائر:

- هل أنت تيمار بشحمه ولحمه؟.

رد الفتى على الطائر بأنه الابن الثالث لتيمار. وأخذ الطائر يتوسل قائلاً:

- ينبغى علىّ اللحاق بموعد صلاة العشاء، وتنظيف ريشى جيدًا قبل ذلك، فأرجوك أن تتركنى.

ترك الفتى الطائر. الذى قام بتنظيف ريشه، ثم حط جالسًا فوق كتفه.

وهكذا، وصل الفتى عند حلول المساء إلى قرية الأمير حاملاً الطائر فوق كتفه.

وعندما بدأ الفتى فى الصلاة وقعت بكرة الخيط الذهبية من طيات ملابسه. فأمسك الأمير بها وهتف قائلاً:

- لن يمكننى العيش بدون الفتاة التى لفت هذا الخيط حول البكرة.

حكى الفتى للحصان عن طلب الأمير. فقال له الحصان: "اطلب من الأمير أن يعد لنا طعامًا خفيفًا شهيا للطريق". وفى اليوم التالى انطلق الفتى على حصانه للبحث عن الفتاة.

وظل يسير لفترة طالت أم قصرت، حتى وصل إلى أرض بعيدة نائية.

قال الحصان للابن الأصغر:

- هل ترى هذه الجبال العالية؟ هناك برج ليس له مدخل ولا مخرج. وفوق هذا البرج تجلس الفتاة التى لفت الخيط الذهبى حول البكرة. وسوف تبدأ البكرة بالتدحرج وينحل الخيط عنها من تلقاء نفسه. وعندئذ عليك أن تتبع الخيط. وسوف تسألك الفتاة: "كيف أحوال تيمار؟"، فتجيب عليها: "لقد انحنى ظهر تيمار وفقد نور عينيه". وعندما تسألك

الفتاة حول حصان تيمار فأخبرها بأن الهرم لو أصاب السيد، فإن الحصان لا يشيخ أبدًا مهما حدث، ويرعى العشب فى الحقول والغابات. وسوف تسعد الفتاة بسماع هذه الأخبار وتقول لك: "لقد كنت أخشى الهبوط من البرج بسبب تيمار، ولهذا بقيت هنا طوال كل هذه الفترة". وبعد ذلك سوف تقول: "أود العزف على الهارمونيكا فى الشرفة السفلية لو أنك درت بحصانك حول البرج عدة مرات". وعليك أن تجيب قائلاً: "سوف ألبى رغبتك وأريح نفسك، على الرغم من أنى أتعجل الذهاب". وبعد ذلك در ثلاث مرات حول البرج، وفى المرة الرابعة سوف ألمس الشرفة بقائمتى الأماميتين، فتقوم أنت بالإمساك بالفتاة أثناء ذلك.

انطلق ابن تيمار نحو الفتاة التى سألته:

- من أين جئت أيها الفتى؟.

- جئت من القرية التى يعيش فيها تيمار.

وعندما سألته الفتاة عن أحوال تيمار أجابها الابن:

- إن تيمار يعانى المرض الشديد. وقد انحنى ظهره وفقد بصره.

سألت الفتاة:

- وكيف حال حصانه؟.

- لقد هرم السيد، أما الحصان فهو لا يشيخ أبدًا مهما حدث، ويرعى العشب فى الحقول والغابات.

فرحت الفتاة لسماع هذه الأخبار. وأخذت الفتاة فى العزف على الهارمونيكا بالشرفة السفلية. وطلبت من الابن الأصغر أن يدور حول البرج بحصانه عدة دورات.

قام الفتى بالدوران ثلاث مرات، وفى المرة الرابعة رفع الحصان قائمتيه الأماميتين ولمس بهما الشرفة. فأمسك الفتى بالفتاة التى أخذت تضربه بيديها محاولة الإفلات منه. لكنه قبض عليها بقوة فسألته:

- هل أنت تيمار بشحمه ولحمه؟.

ـ أنا لست تيمار، بل ابنه الثالث.

عندئذ قالت الفتاة:

ـ لقد أقسمت أن أصبح زوجة لمن ينتزعنى من هذه الشرفة.

حمل الفتى الفتاة، وذهب بها إلى الأمير.

وعندما حضر الأمير إلى الفتاة قالت له:

ـ لن تلمسنى حتى تستحم فى حليب أفراس النهر. وحينئذ سوف يحق لك أن تأخذنى زوجة لك.

نادى الأمير على جميع أتباعه، وأمرهم بإحضار حليب أفراس النهر. ولم يستطع الناس الحصول على ذلك الحليب، وأخبروا الأمير أن الفتى الذى أحضر الطائر والفتاة هو الذى يستطيع إحضار حليب أفراس النهر.

طلب الأمير من الابن الأصغر أن يحضر له الحليب المطلوب. فأجابه الابن بأن عليه التشاور مع حصانه. وقال الحصان للابن:

ـ هذا ما كنت أخشاه منذ بداية الأمر. اطلب من الأمير أن يقوم بذبح ثلاثة جياد ويصنع من جلدها ثلاث قطع من الأغطية الجلدية. ويحضر لك بعض الصمغ.

بعد ذلك مضى الابن على حصانه، وظل يسير لفترة طالت أم قصرت حتى وصل إلى شاطئ البحر. وطلب الحصان من الفتى أن يحفر حفرتين كى يختبئ كل منهما فى حفرة منهما. وقام الابن الأصغر بلصق الأغطية الثلاث بالصمغ، وغطى بها الحصان. وأخذ الحصان يضرب المياه بحوافره ويصهل بصوت عال، ثم اختبأ ثانية فى الحفرة.

خرج فرس النهر من الماء. وأخذ يصهل وهو يسير على الشاطئ، ثم غاص فى مياه البحر ثانية.

سأل الحصان الفتى:

ـ كيف كان حال فرس النهر عندما خرج من الماء؟ وكيف أصبح حاله عندما غطس فى البحر؟.

- عندما خرج من البحر كان حول رقبته أنشوطة يتدلى منها حبل ذو ثلاث عقد، وعندما قفز إلى البحر انحلت عقدة من الثلاث.

قام الحصان للمرة الثانية بضرب الماء بقوائمه، ثم أخذ يصهل واختبأ فى الحفرة. ومثلما جرى فى السابق خرج فرس النهر من الماء وأخذ يسير على الشاطئ. وعندما لم ير شيئًا قفز فى مياه البحر من جديد. وعندئذ سأل الحصان الفتى:

- كيف كان حال فرس النهر عندما خرج من الماء؟ وكيف أصبح حاله عندما غطس فى البحر؟.

- عندما خرج من البحر كان حول رقبته أنشوطة يتدلى منها حبل ذو عقدتين، وعندما قفز إلى البحر انحلت عقدة منهما.

قام الحصان للمرة الثالثة بضرب الماء بقوائمه، ثم أخذ يصهل واختبأ فى الحفرة. ومثلما جرى من قبل خرج فرس النهر من الماء وأخذ يسير على الشاطئ. دون أى عقدة فى الأنشوطة، ثم قفز فى مياه البحر من جديد.

ضرب الحصان الماء بحوافره، وخرج إلى الأرض المكشوفة. فخرج فرس النهر من الماء، وبدأ فى العراك مع الحصان.

نزع فرس النهر الأغطية الجلدية من فوق الحصان. ونزع الحصان قطعًا من اللحم عن جسم فرس النهر. وهزم الحصان فرس النهر الذى استسلم له قائلاً:

- أنا سيد هذه الأرض وهذا البحر. وسوف ألبى لك ما تأمرنى به.

قال الحصان:

- أريدك أن تخرج كل أفراس البحر إلى الشاطئ.

أخرج الفرس جميع أفراس البحر إلى الشاطئ. وامتطى الابن الأصغر لتيمار حصانه، وساق جميع الأفراس إلى بيت الأمير. وهناك قاموا بجمع الحليب وغليه فى قدر كبير هائل الحجم. وطلب الأمير من الابن الأصغر أن يستحم أولاً فى الحليب المغلى، وبعد ذلك يلحق به الأمير عندما يبرد الحليب. فأجابه الفتى بأن عليه التشاور مع حصانه.

رد الحصان على الفتى قائلاً:

- قل للأمير: "سوف أستحم فى الحليب المغلى بشرط أن يقف حصانى بجوارى".

قال الفتى للأمير ما أخبره به الحصان.

أمر الأمير بإحضار الحصان بالقرب من الحليب المغلى. وقفز الفتى داخل القِدر المتلئ بالحليب المغلى. أما الحصان فنفث هواءً باردًا من منخريه، فجعل اللبن يبرد فى الحال. وعندما شاهد الأمير هذا الأمر، طلب أن يكون الحصان واقفًا بالقرب من القِدر عندما يغطس ليستحم فى الحليب. فخرج الفتى من القِدر، وقفز الأمير بداخله. وقام الحصان بنفث الهواء الساخن الملتهب نحو الحليب، وسخنه حتى مات الأمير.

استعد الابن الأصغر لتيمار للعودة إلى البيت. فأخذ الفتاة معه، وأجلس الطائر الذهبى فوق كتفه، وساق قطيع الأفراس أمامه، وانطلق فى طريقه. وظل الفتى يسير فى الطريق والنحول يصيبه. فسألته الفتاة:

- لديك الطائر الذهبى الذى لم يشاهده إنسان من قبل، وقطيع أفراس النهر، بالإضافة إلى أنا نفسى. فما الذى يجعلك تنحل؟.

- لقد خرجت من البيت للبحث عن دواء لأبى كى يشفيه من الأمراض. ولم أعثر حتى الآن على هذا الدواء، ولذلك يصيبنى النحول.

قال الطائر الذهبى الجالس على كتف الفتى:

- لو نزعت ريشة من جناحى الأيمن، وقمت بفركها على جسم والدك، فسوف يصبح أكثر شبابًا منك.

وصلوا جميعًا إلى البيت. فقام الابن الأصغر بنزع ريشة من الكتف الأيمن للطائر، ومسح بها عينى والده وظهره. فأصبح الوالد أكثر شبابًا من ابنه. وتملك الذهول الوالد وهو ينظر إلى الطائر الذى لم يستطع الإمساك به قط، وإلى الفتاة التى لم يمكنه الوصول إليها، وإلى قطيع الأفراس الذى كان يحلم به طوال العمر. وقال الوالد لابنه الأصغر:

. لقد تخطيت وفعلت ما لم أفعله، وتفوقت عليّ في كل شيء.

أعطى الابن لوالده الفتاة لتصبح زوجة له.

وجرت مراسم الزفاف لسبعة أيام وسبع ليالٍ. وامتدت الموائد الزاخرة بأشهى الأطعمة التى لم يذقها إنسان من قبل.

وقد كنت هناك حاضرًا بنفسى حيث قدمت التهانى، ثم عدت إلى بيتى.



حكاية الصياد والمردة

يحكى أنه فى قديم الزمان عاش رجل مع زوجته. كان الرجل يستيقظ فى صباح كل يوم. ويخرج مع زوجته إلى فناء البيت، ويضع بيضة فوق رأسها، ثم يصوب سلاحه نحو البيضة. كان الرعب يتملك الزوجة وتخشى أن تصيبها الرصاصة التى يطلقها الزوج، لكنها لم تعترف له بخوفها. وعندما شعرت الزوجة بسوء أحوالها، ذهبت إلى العرافة تلتمس النصح لديها. وحكت لها عن الأمر وما يفعله الزوج فى كل صباح. فسألتها العرافة:

- ما الذى يقوله لك بعد أن يطلق الرصاصة؟

- إنه يقول دائمًا: "يا لى من ماهر بارع! لا يوجد فى العالم صياد فى براعتى!".

- حسنًا، عندما ينطق زوجك غدًا بهذه الكلمات، أجيبى عليه قائلة: "هناك الكثير من الصيادين المهرة والبارعين أفضل منك، وعليك الخروج والطواف فى العالم للتعرف عليهم بدلاً من جلوسك فى البيت طوال الوقت".

كانت هذه نصيحة العرافة للزوجة.

فى اليوم التالى صوب الرجل سلاحه نحو البيضة، فقالت الزوجة له:

- هناك الكثير من الصيادين المهرة البارعين أفضل منك، ويمكنك التعرف إليهم لو أنك خرجت تطوف بلاد الله خلق الله.

رد الصياد:

- حسنًا، سوف أخرج كى أعرف لو أن هناك من هم أفضل منى بالفعل.

وانطلق الصياد فى طريقه. وبعد أن سار لفترة شاهد برجًا يعيش فيه سبعة من المردة مع أمهم. فذهب الصياد إلى هناك ونادى قائلاً:

. أيمكنكم استقبالى ضيفًا عليكم؟.

كانت أم المردة فى ذلك الوقت تخبز الفطائر من دقيق الذرة. ولم يكن أبناؤها بالبيت. فأجابت قائلة:

. بالطبع يمكنك أن تتفضل أيها الضيف. ولكن لو عرف أبنائى بقدومك فسوف يقتلونك. وعليك الاختباء أسفل طرف ثوبى كى لا يروك.

وقامت المرأة بإخفاء الضيف أسفل طرف ثوبها.

وبعد مضى بعض الوقت عاد المردة السبعة إلى البيت. وسألوا أمهم:

. نانا، هل جاء إلينا أحد يسأل عنا؟.

. سوف أخبركم لو أنكم قطعتم عهدا لى بألا تقتلوه.

قطع الأبناء عهدًا إلى الأم، فأخرجت الصياد من أسفل ثيابها. ونظر الأبناء إليه وأخذوا يقهقهون قائلين:

. نانا، هل هذا هو ضيفنا؟.

وأخذ المردة يتقاذفون الضيف بأياديهم.

وظلوا يلعبون بالصياد مثل الدمية. لكنهم لم يقتلوه للعهد الذى قطعوه لأمهم. وقرروا قتله فى الطريق عندما يخرج من بيتهم.

خرج الأبناء وجلسوا ينتظرون فى الطريق عند المكان الذى سوف يمر به الضيف الصياد. وفى ذلك الوقت قامت الأم بإطعام الضيف، وأشارت له إلى الطريق، ونصحته بالرحيل قبل عودة الأبناء. فأسرع الصياد بتسريج حصانه، وانطلق فى طريقه. وعندما شاهده المردة أخذوا يطاردونه على الطريق.

وصادف الصياد الهارب ماردًا يدعى جونشا. وكان المارد يحرث الأرض بسبعة خنازير برية ضخمة. وصاح الصياد مستغيثًا بالمارد:

. هناك سبعة مردة يريدون قتلى، فأنقذنى أرجوك!.

صرخ جونشا فى غضب قائلاً:

ـ اغرب عن هنا كى لا تخيف خنازيرى. كما أنك تفسد الأرض المحروثة!.

أخذ الصياد يتوسل مرة أخرى:

ـ هل أرضك المحروثة أثمن من حياتى؟.

عندئذ قام جونشا بحمل الصياد مع حصانه، ووضعهما داخل فمه فى مكان أحد أسنانه المخلوعة. وبعد ذلك وصل المردة السبعة وقالوا:

ـ أعد إلينا الضيف!.

ـ إن الضيف الذى يطلب مساعدتى لا يمكن أن أعطيه لكم. فارحلوا من هنا ولا تفسدوا أرضى المحروثة!.

رد المردة:

ـ لن نرحل من هنا حتى تعطينا الضيف!.

ووقفوا فوق أرضه المحروثة فى عناد. وعندئذ صرخ جونشا فى خنازيره البرية، فانقضت تهجم على المردة الذين فروا هاربين من الرعب. أما الصياد الجالس داخل فم جونشا فأخذ يفكر فى نفسه: "سوف أسأل المارد عن السبب الذى جعله يفقد هذا السن الهائل من فمه".

وبعد أن فر المردة هاربين، أخرج جونشا الصياد مع فرسه من مكان سنه المخلوعة من فمه. فسأله الصياد:

ـ أريدك أن تقص على من فضلك وتخبرنى حكاية فقدانك لهذا السن؟.

ـ إنى مشغول الآن بحرث الأرض ولا يمكننى التوقف وقص الحكاية عليك.

ـ سوف أنتظرك حتى المساء كى تحكى لى الحكاية.

ـ حسنًا، سوف أحكيها لك فى المساء. ويمكنك الذهاب إلى ذلك الخص، وانتظارى هناك.

ظل جونشا يحرث أرضه حتى المساء. وبعد غروب الشمس بدأ يقص حكايته على الضيف: "كان عددنا سبعة أشقاء، وكنت أضعف أشقائى. ولم تكن لدينا سوى شقيقة واحدة اختطفها المارد سارجان نو العين الواحدة. وانطلقنا نحن- الأشقاء السبعة- لإنقاذ شقيقتنا. وعبرنا سبعة جبال حتى وصلنا إلى بيت سارجان. وأحسن سارجان استقبالنا وأكرم وفادتنا، وأشعل النار لتدفئتنا. وبعد ذلك أحضر سيخًا قذرًا وضعه فى قلب النار حتى احمر السيخ من السخونة، ثم أمسك بنا واحدًا بعد الآخر ورشق السيخ فى أجسامنا. وبعد ذلك وضع السيخ مرة أخرى فوق النار ورقد بجانبه يستريح.

جاء موقعى من السيخ عند أقصى طرفه، ولم يخترق الطرف الحاد قلبى. فانتظرت حتى راح سارجان فى النوم وقفزت من السيخ، ثم نزعت أشقائى منه. وقمت بوضع السيخ مرة أخرى فى الجمر المشتعل. وغرسته فى عين سارجان الوحيدة، ولذت بالفرار وأنا أركض مسرعًا.

استيقظ سارجان من شدة الألم. وصرخ صرخة رهيبة زلزلت الأرض حولى، وأمسك بحجر فى حجم الجبل ألقاه فى أثرى. لكن الحجر وقع بالقرب منى. وخرجت منه شظية صخرية أصابتنى فى فكى، وخلعت سنى. وبعد ذلك قمت بدفن أشقائى فى مقبرة واحدة. وتركت سارجان يزأر مثل الوحش، وعدت إلى البيت دون أن أعثر على أثر لشقيقتى.

وفى نهاية حديثه قال جونشا:

.لكنك من سكان الجبال وليس الوديان، فعد أدراجك، وعش حياتك بعرق جبينك.



الأمير بيجالدى

خسر بيجالدى كل أملاكه وبيته وملابسه. ولم يبق له سوى ما ولدته به أمه. فخرج بيجالدى فى المساء إلى الغابة، حيث بنى له كوخا من الطين هناك. وأصبح يعيش بداخله، ويتناول طعامه من ثمار الأجاص البرية.

كان الثعلب يتجول أسفل شجرة الأجاص بجوار كوخ بيجالدى، ويصيد الفئران هناك. وأصبح الثعلب فى كل مرة يصادف فيها بيجالدى يعجز عن صيد الفئران، ويعود من حيث أتى بلا صيد ولا طريدة. وعندما تكرر الأمر كثيرًا حتى أرهق الثعلب، ذهب إلى بيجالدى وقال له:

.كنت أصيد الفئران دائمًا أسفل شجرة الأجاص. ولكنى فى الفترة الأخيرة أصادفك دائمًا، فأخشى أن تقتلنى، وأهرب دون صيد ولا طعام. والآن جئت أعرض عليك أن نعيش معًا، حيث إن الوحدة تبعث على الملل، ولو عشنا معًا فسوف تصبح حياتنا أكثر بهجة. فأقوم أنا بصيد الفئران لآكل منها، بينما تأكل أنت من ثمار الأجاص. وأساعدك فى كل شئون البيت. فما رأيك أن نعيش معًا؟.

وافق الأمير بيجالدى. وأصبح الاثنان يعيشان معًا.

مر وقت قصير، وجاء الثعلب يقول لبيجالدى:

.ينبغى أن نزوجك من ابنة الأمير.

.ما الذى تقوله أيها الثعلب الأحمق؟ وكيف يمكن أن تقبل ابنة الأمير الزواج من فقير مثلى يعيش فى هذا الكوخ الحقير؟.

لكن الثعلب لم يتراجع عن رأيه حتى أصاب بيجالدى الضجر منه، فقال له:

.حسنًا، فليكن ما تقول وافعل ما شئت.

ومنذ ذلك اليوم أخذ الثعلب يزور الأمراء الذين لديهم بنات حسان.

وذهب الثعلب إلى أحد أولئك الأمراء الأغنياء الذى كان يعيش مع ابنته الجميلة، وقال له:

- إن الأمير بيجالدى يريد قياس كمية الفضة التى يمتلكها، ويحتاج إلى مقياس خشبى. وقد أخبرونى أن لديك مثل هذا المقياس.

أعطى الأمير المقياس إلى الثعلب. وأخذ الثعلب يصيد الفئران بالمقياس الخشبى طوال اليوم. وفى المساء ذهب إلى الأمير. وأثناء سير الثعلب عثر على قطعة فضية كبيرة، فقام بتعليقها فى طرف المقياس. وأعاده إلى الأمير. وعندما شاهد الأمير المقياس تتدلى منه القطعة الفضية، صاح منابيًا الثعلب:

- لقد تركت مالاً هنا أيها الثعلب!.

استدار الثعلب قائلاً:

- إن أطفال الأمير بيجالدى يلهون بقطع الفضة بدلاً من الأحجار. فاحتفظ بهذه القطعة لنفسك.

قال الثعلب قوله، وركض مسرعا نحو الغابة.

بعد مرور بعض الوقت ذهب الثعلب إلى نفس الأمير مرة أخرى وقال له:

- أعطنى المقياس حتى المساء، فالأمير يريد قياس الفضة المتبقية لديه.

وكما جرى فى المرة الأولى، ظل الثعلب يصيد الفئران بالمقياس طوال اليوم. وعند حلول المساء انطلق فى طريقه إلى الأمير. وعثر الثعلب أثناء سيره على روبل(*). فقام برشقه داخل تجويف المقياس، وذهب إلى الأمير وأعطاه المقياس، وعندما رفع الأمير المقياس سقط الروبل، فقال له الثعلب:

(*) الروبل : هو العملة الروسية السائدة فى تلك البلاد لفترة زمنية طويلة - المترجم .

ـ احتفظ به لنفسك، فإن أطفال الأمير بيجالدى يمزقون الروبلات بدلاً من الأوراق، ويستخدمونها للتدفئة!.

مر وقت قصير ثم ذهب الثعلب ثانية إلى الأمير كى يستدرجه فى الحديث حول مسألة الخطوبة. وهتف قائلاً:

ـ إن الأمير بيجالدى رجل فى غاية الثراء، ولديه قصر من الذهب والفضة، وقطيع من الجياد لا حصر له، ويمتلك قطعانًا هائلة من الأغنام والأبقار. ويعرف الأمير أنك من الأثرياء، ويريد خطبة ابنتك.

رد الأمير:

ـ لو وافق كل من الأمير بيجالدى وابنتى على الزواج، فأنا لا أمانع.

أسرع الثعلب بالعودة إلى الغابة وتحدث إلى بيجالدى قائلاً:

ـ هيا استعد للذهاب معى بسرعة. فسوف أزوجك من ابنة الأمير.

صاح بيجالدى فى دهشة:

ـ هل فقدت عقلك؟ كيف يمكننى الذهاب إلى الأمير عاريًا؟ لقد وافقتك على الزواج فقط كى أتخلص من إلحاحك علىّ.

لكن الثعلب لم يتراجع عن طلبه. وذهب الاثنان إلى الأمير. كان بيجالدى يسير وقد غطى جسمه من الأمام ومن الخلف بعيدان الذرة. وأخذ الثعلب يلقن الأمير وينصحه أثناء سيرهما:

ـ استمع إلىّ يا بيجالدى، فسوف نضطر لقطع النهر أثناء الطريق. وعندما نصل إلى منتصفه فسوف أدفعك من فوق الجسر إلى الماء. وبعد أن تسقط فى الماء سوف أصرخ مناديًا: "أغيثونا! أنجدونا! إن الأمير بيجالدى الذى يريد الزواج من ابنة الأمير يغرق فى النهر! أنجدونا!" وعندئذ سوف يهرع الناس إلينا ويغطونك بالثياب من رأسك حتى أخمص قدميك.

سار الاثنان حتى وصلا إلى النهر. وعندما اقتربا من منتصف الجسر دفع الثعلب بيجالدى إلى الماء. وتظاهر الأخير بالغرق. أما الثعلب فأخذ يركض عند شاطئ النهر تارة إلى أسفل وتارة أخرى إلى أعلى مناديًا الناس للنجدة. فهرع الناس للمساعدة، وأخرجوا الغريق بيجالدى، ثم ألبسوه ثيابًا من رأسه حتى أخمص قدميه. وبعد ذلك واصل الثعلب مع الأمير طريقهما حتى خرجا من الغابة. وأثناء السير فى الطريق أخذ الثعلب يلقن الأمير قائلاً:

ـ إن قصر الأمير آية فى الروعة والثراء. وعليك ألا تبدى دهشتك وإعجابك بجمال القصر، وانظر إليه باستخفاف، وذلك كى لا تظهر فقرنا أمامهم. وعندما يقدمون لنا مختلف الأطعمة والأطباق الشهية، فلا تمد يديك المتسختين نحو الطعام. وسوف أخبرهم بأنك الابن الوحيد لوالديك. وقد كانا يطعمانك فى طفولتك بيد المربية. وسوف أقوم أنا بإطعامك.

وبعد تلك النصائح والإرشادات وصل الاثنان إلى قصر الأمير.

وعلى الرغم من تحذيرات الثعلب، فإن بيجالدى ظل ينظر بدهشة وذهول إلى داخل القصر وما يحتويه من أثاث فاخر. وقرر الثعلب أن يدارى خطأ بيجالدى، فقال له:

ـ ما الذى يجعلك تنظر بدهشة إلى قصرهم؟ لابد أن السبب فى دهشتك يعود إلى أن القصر ليس مبنيًا من الذهب والفضة. عليك ألا تندهش، حيث إن هناك بعض الناس الذين يمتلكون مثل هذه القصور المتواضعة.

أجاب بيجالدى:

ـ يبدو لى أن هذا القصر أقل فى المستوى بعض الشىء من قصرى الفاخر.

بعد ذلك اصطحبوا الضيوف إلى طاولة الطعام التى اكتست بشتى أنواع الأطباق الشهية. وأخذ الثعلب يطعم بيجالدى بيديه قائلاً:

ـ إن بيجالدى هو الابن الوحيد لوالديه، ولا يمكنه تناول الطعام بنفسه.

ودخل الثعلب فى حديث مع الأمير وزوجته حول ابنتهما. أما بيجالدى فأخذ يتحدث مع ابنة الأمير بمفرده. وهكذا، تمت خطبة ابنة الأمير إلى بيجالدى.

قال الأمير للثعلب:

ـ والآن يمكنكم الحضور مع أتباعكم لاصطحاب ابنتى.

تظاهر الثعلب بأنه سوف يعود إلى البيت مع الأمير. لكنهما بعد أن خرجا من القصر، عادا إلى الداخل ثانية، وقال الثعلب للأمير:

ـ لقد خطرت فكرة فى بالى أيها الأمير، وهى أن تجعل أتباعك يقومون بمرافقتنا، وذلك كى لا نضطر إلى الذهاب والعودة مرة أخرى.

رد الأمير:

ـ حسنًا، إنى لا أمانع.

اجتمع حشد كبير من الناس الذين ارتدوا أفضل الثياب وأجملها، ثم امتطوا أروع الجياد حاملين معهم الطبول والهارمونيكا. وجلس بيجالدى مع ابنة الأمير فى أجمل عربة تجرها الخيول. أما الثعلب فأخذ يركض فى المقدمة كى يتبعوه فى الطريق الصحيح. وأخذ حشد الفرسان من المرافقين يضربون الطبول، ويعزفون الموسيقى، ويطلقون الرصاص من بنادقهم فى صخب شديد احتفالاً بالعروسين.

كان الثعلب يسبقهم فى المقدمة عندما شاهد قطيعًا من الأغنام مع الراعى. فأسرع إلى الراعى وقال له:

ـ كيف أنجو بحياتى؟ وكيف تنجو بحياتك أيها الراعى؟ إن الباشا جورجور قادم فى الطريق، وهو لا يترك أحدًا يعيق سيره. ويقتل كل من يراه قريبًا ويطلق عليه الرصاص ببندقيته. ومن لم يمت برصاصه يدهسه فرسانه تحت سنابك خيولهم. وإن لم تصدقنى فاستمع إلى صوت حوافر الخيل القادمة نحوك.

أخذ الراعى يصغى حتى سمع طقطقة الخيل ودمدمة طلقات الرصاص وهى تقترب منه. فقال الراعى للثعلب:

ـ سوف يمكنك الاختباء فى أحد الجحور أيها الثعلب، أما أنا فلا أعرف ماذا أفعل!.

رد الثعلب:

ـ لو حاولت الاختباء من الباشا مع قطيع الغنم، فسوف يشاهدك وتحل نهايتك. ومن الأفضل لك أن تفر بمفردك وتختبئ فى هذه الغابة، بينما أقوم أنا برعاية الأغنام.

فر الراعى إلى الغابة. وبعد ذلك وصل الأمير بيجالدى مع الحشد المرافق له. فقال الثعلب لهم:

ـ لقد تركنا قطعان أغنام الأمير بيجالدى هنا عندما توجهنا إلى أميركم. فخذوا هذه الأغنام معكم إلى البيت من فضلكم.

ومضى الثعلب يركض فى مقدمة الموكب وهو يلوح بذيله. ووصل إلى مكان يرعى فيه قطيع من الأبقار مع الراعى. فأسرع الثعلب إلى الراعى، وأخبره بما قاله من قبل لراعى الأغنام السابق. فتملك الرعب من راعى الأبقار وفر هاربًا إلى الغابة.

وسرعان ما وصل الموكب المرافق للأمير، فقال لهم الثعلب:

ـ يمكنكم أن تسوقوا قطيع الأبقار هذا أيضًا إلى البيت.

واصل الثعلب ركضه فى مقدمة الموكب. وفى هذه المرة صادف قطيعًا من الجمال مع الراعى. فكرر الثعلب على مسامع الراعى ما قاله من قبل. وفر الراعى من الخوف تاركًا قطيع الجمال. وعندما وصل الموكب صاح الثعلب قائلاً:

ـ وهذا القطيع أيضًا يمكنكم اصطحابه إلى البيت.

واستمر الثعلب يسبقهم فى المقدمة، حتى وصل إلى قطيع من الجياد يحرسه الراعى. فأخذ الثعلب يصرخ ويولول:

ـ كيف أنجو بحياتى؟ وكيف تنجو بحياتك أيها الراعى؟ إن الباشا جورجور قادم فى الطريق ولا يترك أحدًا يعيق سيره. ويقتل كل من يراه قريبًا ويطلق عليه الرصاص ببندقيته.

أسرع الراعى بالفرار. وساق الفرسان المرافقون قطيع الجياد أمامهم، ثم سألوا الثعلب:

ـ أمازال الطريق طويلاً حتى نصل إلى بيت الأمير؟.

ـ لم يبق سوى القليل.

استمر الثعلب يسير فى مقدمة الجميع، بينما كان بيجالدى يفكر فى نفسه: "ياللعار الذى سوف يلحق بى عندما نصل إلى كوخى البائس!".

مر الموكب بجانب كوخ بيجالدى حتى عبره ومضى مواصلاً طريقه.

وفى إحدى البقاع الغريبة بالقرب من الكوخ كان هناك تنين ضخم استطاع الاستيلاء على ضيعة لأحد الأغنياء بها الكثير من القصور الذهبية. ورقد التنين أمام الضيعة لا يسمح لأحد بالدخول إليها.

أسرع الثعلب إلى التنين، وجلس أمامه وهو يولول قائلاً:

- كيف أنجو بحياتى؟ وكيف تنجو بحياتك أيها التنين؟ إن الباشا جورجور قادم على الطريق ولا يترك أحدًا يعيق سيره. ويقتل كل من يراه قريبًا ويطلق عليه الرصاص ببندقيته. ومن لم يمت برصاصه يدهسه فرسانه تحت سنابك خيولهم.

قال التنين:

- تعال هنا أيها الثعلب حتى أبتلعك فتكف عن الثرثرة.

رد الثعلب متصنعًا الذعر:

- يا لى من بائس حتى تبتلعنى، ولو لم تصدق كلامى فاستمع بنفسك إلى صوت حوافر الخيل.

رفع التنين رأسه ناظرًا نحو تلك الناحية التى أشار إليها الثعلب. فسمع طقطقة الخيل، وشاهد سحابات الغبار على البعد، فتملك الخوف منه وصاح:

- أنت صغير أيها الثعلب ويمكنك الاختباء داخل جحر بسهولة. أما أنا بحجمى الهائل هذا فأين يمكننى الاختباء؟.

أجاب الثعلب:

- لا يمكنك التراجع إلى الخلف لأنهم سوف يدركونك على الطريق، ومن الأفضل لك أيها التنين أن تقفز من مكانك إلى تلك الجبال التى يمكنها أن تخفيك عن أعين المطاردين.

عمل التنين بنصيحة الثعلب، وقفز قفزة هائلة خلف الجبال. وعندما سقط فوق الصخور ارتطم بصخرة منها ففقأت عينه.

عندئذ أسرع الثعلب إلى الضيعة، ودخل القصر الذهبى الكبير. وأخذ يغسل أرضية القصر بالماء ويمسحها بذيله حتى أصبحت جميع الحجرات نظيفة تمامًا. وبعد ذلك حمل الطبل وأخذ يدق عليه.

فى ذلك الوقت وصل الفرسان مع موكب العروسين. وأخذت الجياد تتعثر فى مشيتها فوق الأرضية الرخامية. وصاح الثعلب قائلاً:

ـ هيا، ضعوا قطعان الغنم والأبقار والجياد والجمال كلاً فى أماكنها.

وجرت مراسم الزفاف لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وبعد ذلك غادر الفرسان والحشود المرافقة للعروس، وعادوا إلى بيوتهم.

وطبقًا للعادات أطلقت زوجة بيجالدى على الثعلب اسم "الفتى الجميل".

عاش الثعلب فترة طويلة عند بيجالدى. وذات يوم فكر فى نفسه قائلاً: "لقد جعلت بيدى من هذا الفقير الجائع بيجالدى ثريا من الأغنياء، فيا ترى كيف سيكون سلوكه عندما أموت؟".

تصنع الثعلب الموت، وتمدد عند مدخل البوابة ساكنًا بلا حراك. وفى الصباح خرجت زوجة بيجالدى، فشاهدت الثعلب الميت عند عتبة باب القصر. وأسرعت إلى بيجالدى قائلة:

ـ أيها الأمير، لقد مات "الفتى الجميل".

صاح بيجالدى من داخل حجرته:

ـ وماذا فى الأمر لو أنه مات؟ احملى هذا الثعلب الكريه من ذيله، وألقى به فوق كومة القاذورات خارج القصر.

سمع الثعلب كلمات بيجالدى، فتملك الغضب منه وقال:

ـ إذًا، هذه هى وسيلتك للحزن علىّ بعد موتى! لقد جعلتك زوجًا لأجمل فتاة على وجه الأرض، وجعلتك أغنى رجل فى العالم بعدما كنت شحاذًا! والآن سوف أحضر التنين صاحب الضيعة الأصلى كى يتدبر أمره معك.

ركض الثعلب نحو الجبال التى اختبأ بها التنين، وأخذه من أذنه إلى قصر بيجالدى، ثم أخذ يصرخ عدة مرات قائلاً:

- هل تسمعنى يا بيجالدى؟.

لم يجب أحد بشىء من داخل القصر. فقد شاهد بيجالدى من النافذة التنين الضخم الذى أمسك به الثعلب من أذنه، فلم ينطق بكلمة وفكر فى نفسه: "سوف يلتهمنى هذا التنين لو أنى خرجت من هنا". لكن الثعلب استمر فى الصراخ والنداء، فخرج بيجالدى وقال:

- هاهاهاها! أهذا هو التنين الذى أخبرتنى عنه؟ هل تظن أنك تخيفنى بهذا التنين ذى العين الواحدة؟ انظر الآن لما سوف أفعله بهذا التنين الأعور لو تجرأ ودخل قصرى!.

دخل بيجالدى قصره بعد تلك الكلمات، وهو لا يعرف ما الذى سوف يحدث. وخاف التنين وتملك الرعب منه وقال للثعلب:

- ألهذا السبب أحضرتنى إلى هنا أيها الخبيث؟ أتريدهم أن يقتلونى أيها الثعلب؟!.

رفع التنين الثعلب فى الهواء، وقذف به بقوة حتى ارتطم بحائط القصر وهلك، وأسرع التنين بالفرار عائدًا إلى الجبال.

* * *

ألاعيب الزوجة

فى أحد الأيام ارتحل رجل فقير مع حصانه ومهر صغير. وأخذ المهر الصغير يركض خلف فارس يمتطى فرسًا خصيا. وصاح الفارس قائلاً:

- هذا المهر ملك لى. فقد وضعه فرسى.

قال الفقير:

- ينبغى علينا الذهاب إلى الأمير كى يحل هذا النزاع بيننا.

ذهب الاثنان إلى بيت الأمير، وسألوا زوجته عنه:

- هل الأمير بالبيت؟.

- لا، إنه ليس بالبيت. فى أى أمر تريدون الأمير؟.

- لقد جئنا ليحل النزاع بيننا حول ملكية هذا المهر. فهل هو ملك للفقير راكب الحصان أم ملك للفارس راكب الفرس الخصى؟.

ردت زوجة الأمير:

- إن رب البيت غائب. وقد رحل ليطفئ الحريق المشتعل فوق قمة جبل كازبك فى القوقاز.

تملكت الدهشة الفارس راكب الفرس الخصى وقال:

- يا للمعجزة! هل يمكن أن يشتعل حريق فوق قمة جبل كازبك؟.

أجابت زوجة الأمير:

- لا يوجد ما يدعو للدهشة فى أن يشتعل حريق فوق قمة الجبل. ولكن المدهش حقا أن يستطيع فرسك الخصى إنجاب مهر.

مر بعض الوقت وعاد الأمير إلى البيت، وسأل زوجته إن كان هناك أحد جاء فى غيابه. وأجابته الزوجة بأمر الفقير والفارس والنزاع بينهما وما أخبرتهما به. فصرخ الأمير غاضبًا فى وجهها:

- كم مرة أخبرتك ألا تدسى أنفك فى شئون الآخرين! هيا اجمعى كل ما تريدينه وارحلى عن بيتى. ولكن قبل رحيلك عليك إطعامى ووضعى بالفراش.

قامت الزوجة بإطعام الزوج. وانتظرت حتى راح فى النوم، فوضعته فى صندوق، وخرجت به إلى بيت أهلها.

وبعد مرور بعض الوقت استيقظ الأمير وسأل زوجته عما فعلته معه وعن سبب حملها له بعد مغادرة البيت. فأجابته:

- ألم تسمح لى بأخذ كل ما أريده من البيت؟ ها أنا قد أخذت أثمن وأغلى ما لدى.

قال الأمير مبتسمًا:

- لن يمكننى مجاراتك فى النقاش، ومن الأفضل أن نعود معًا إلى البيت.

وعاد الاثنان إلى بيتهما.

* * *

أنثى الوقواق

يحكى أنه فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان عاشت أنثى طائر الوقواق مع أفراخها الثلاثة. وذات يوم شعرت الأم بالمرض والتعب.

ويقال إنها لم تجد أحدًا يعد لها الطعام ويحضر لها الماء، ولم يهتم الصغار بأمهم.

وقالت الأم لأكبر أفراخها:

- أحضر لى ماءً فإنى عطشى وأريد الشرب.

أجاب الفرخ الأكبر قائلاً:

- إن الجو بارد فى الطريق ويصعب على الذهاب لجلب الماء.

وهكذا، رفض تلبية طلب أمه. ولم يحضر شقيقاه الآخران قطرة ماء واحدة للأم.

استجمعت الأنثى الأم آخر ما تبقى لديها من قوة، وطارت مغادرة العش، بينما أخذ أبناؤها الأفراخ ينادون خلفها صارخين:

- عودى عودى! وسوف نحضر لك الماء ونطعمك حتى تشبعين، ونساعدك فى كل الأمور.

لم تعد الأم. ومنذ ذلك الحين وأفرخ الوقواق لا تعرف أما لها، ولا يعرف الوالدان أطفالهم. وقد وصل الأمر إلى أن طيور الوقواق قد أصبحت تضع بيضها فى الأعشاش الغريبة.

* * *

الذئب والثعلب والديك

فى الغابات المهجورة الواقعة فوق أعالى الجبال، اجتمع ذات مرة الذئب والثعلب والديك، وقرروا بعد نصيحة الثعلب لهم أن يقيموا بيتًا وأسرة معًا. وسأل الذئب والديك:

- وكيف يمكننا القيام بهذا الأمر؟ وبما نبدأ؟.

رد الثعلب:

- سوف يخرج الذئب إلى الغابة ويحضر لنا الحطب. وسوف أقوم أنا بنفخ الدخان فى السماء، بينما يصيح الديك فى كل صباح. وهكذا سوف يتحدث الناس قائلين بأننا أقمنا بيتًا وأسرة.

فى اليوم التالى خرج الذئب إلى الغابة ليجمع الحطب. أما الثعلب فهجم على الديك وقطع ذيله.

عاد الذئب ونظر فوجد الديك جالسًا فوق شجرة وقد قُطع ذيله. فاعترت الدهشة الذئب وسأل الديك:

- ما الذى جرى لك؟ حكى الديك للذئب عما فعله الثعلب. فهجم الذئب على الثعلب وقطع ذيله المنفوش. وركض الثعلب بعيدًا وهو يصيح قائلاً:

- ما دام كل منا يقطع ذيل الآخر، فلن نبنى بيتًا ولا أسرة أبدا.

* * *

حكايات شعبية من إنجوشيا

جان تلج

كان ياما كان فتى همام يدعى جان تلج. وكان يعيش مع صديقين له، واشتهر ثلاثتهم بالشجاعة والإقدام. وذات يوم خرجوا يجوبون بلاد الله خلق الله يتقدمهم جان تلج.

مضى الأصدقاء في سيرهم حتى وجدوا أنفسهم في بقعة نائية ليس بها نفس يتردد. وبحثوا عن مكان يقضون فيه ليلتهم حتى شاهدوا حفرة في باطن الأرض. ونظروا إلى داخلها فوجدوها معتمة سوداء. فقال جان تلج:

ـ هيا بنا أيها الرفاق نبيت ليلتنا داخل هذه الحفرة.

رد عليه رفيقاه:

ـ من الخطر الهبوط إلى هذه الحفرة؛ لأننا لا نعرف ما بداخلها ولا نرى شيئًا من شدة عتمتها.

قال جان تلج:

ـ أنا لا أخشى الخطر، وسوف أهبط وأتقدمكما.

ومضى الفتى الشجاع يهبط إلى داخل الحفرة، ومن خلفه صديقاه.

ظلوا يسيرون طويلاً داخل الحفرة حتى شاهدوا ضوءا فاقتربوا منه. وهناك رأوا المارد إيشاب(*) راقدًا على الأرض. رفع المارد رأسه، ونظر إليهم بعيونه التسعة، واصطكت أسنانه قائلاً:

(*) إيشاب – في الملاحم الشعبية لبلاد إنجوشيا والشيشان هو المارد أو الوحش العملاق الذي لا جنس له. ويتمتع بتسع عيون وتسع أقدام وتسع أيدٍ – المترجم

ـ ما الذى أتى بكم إلى هنا؟.

تقدم جان تلج أمام المارد قائلاً فى شجاعة:

ـ أيها المارد العجوز! لقد جئنا كى نسفك دمك ونريقه.

رد المارد ساخرًا:

ـ ليس لديكم قوة كافية كى تريقوا دمى، بل أنا الذى سوف يشرب دماءكم مثلما شربت دم الناس أمثالكم.

قال المارد قوله وفتح بابًا من خلفه. ونظر الأصدقاء فشاهدوا خلف الباب ثلاثة وستين رأسًا آدميا. وقال المارد:

ـ هذه رؤوس الناس الذين شربت دماءهم. وقد كان من بينهم رجال أقوياء أشد بأسًا من صديقيك.

عندئذ صاح جان تلج ضاحكًا:

ـ لقد كنا نمزح معك، ولم نفكر فى إراقة دمك قط. ومن الأفضل أن تعد لنا طعامًا نأكله ومكانًا نبيت فيه.

قام المارد بذبح بقرة وسلق لحمها فى قِدر كبير. وقدم طعام العشاء للأصدقاء، ثم أعد لهم مكانًا للنوم.

رقد الأصدقاء للنوم. لكن جان تلج تظاهر بالنعاس، بينما ظل متيقظًا يستمع لما يجرى حوله. ولم يمض وقت طويل حتى سمع صوت حفيف يتردد بالقرب منه. فتسلل الفتى وفتح الباب ينظر خلفه. فشاهد المارد يشحذ سكينه فوق أسنانه.

أيقظ جان تلج رفيقيه فى هدوء. وشاهدا ما يفعله المارد، فتجمدا من الرعب والخوف. والتفت المارد نحوهم يسأل قائلاً:

ـ من منكم راح فى النوم ومن لم ينم بعد؟.

ـ أنا جان تلج، ولم أنم بعد.

ـ ولماذا لم تنم حتى الآن؟.

- إن النوم يجافينى بعد أن رأيت أمى فى المنام، وقد ذبحت لى ثورًا صغيرًا للعشاء، وقامت بسلقه فى قِدر كبير مملوء بالحليب الطازج.

أحضر المارد ثورًا صغيرًا، وقام بذبحه وسلقه فى الحليب الطازج، ثم أطعم جان تلج لحمه. كان جان تلج يحب الطعام. فأكل كل اللحم ورقد فى فراشه ثانية. وأخذ المارد يشحذ سكينه الكبير فوق أسنانه مرة أخرى وهو يسأل قائلاً:

- من منكم راح فى النوم ومن لم ينم بعد؟.

- أنا جان تلج، ولم أنم بعد.

- ولماذا لم تنم حتى الآن؟.

- إن النوم يجافينى بعد أن رأيت أمى فى المنام، فبعد أن ذبحت لى ثورًا صغيرًا للعشاء، قامت بسلق حساء الدقيق فى قِدر كبير مملوء بالحليب الطازج.

بدأ المارد فى سلق حساء الدقيق فى الحليب، وذلك فى قِدر هائل الحجم. وأخذ يقلبه بحوافره. بدأ الحساء فى الغليان حتى أخذ يفور فوق النار. ووقف المارد أمام القِدر منحنيا برأسه نحو الحساء. فتسلل جان تلج خلفه بحذر، ودفعه داخل الحساء المغلى.

أصيب المارد بالعمى من الحروق الشديدة التى أصابته. وأخذ يركض فى الحجرة وهو يزمجر من الألم ويطلق صراخًا مرعبًا. وأمسك جان تلج بسيفه، وانقض به على المارد حتى مزقه إربًا صغيرة.

بعد ذلك قام جان تلج بنثر دم المارد فوق جثث الثلاثة والستين رجلاً الذين قتلهم المارد، فبعثوا جميعًا إلى الحياة.

طرد جان تلج رفيقيه الجبانين، وترأس الثلاثة والستين رجلاً مواصلاً حربه ضد الأعداء.

* * *

هومبوت وزوجته

في زمن من الأزمنة عاش رجلان أحدهما يدعى بيبوت، والآخر هومبوت. وعلى الرغم من أن كلاً منهما عاش في مكان بعيد عن الآخر، فإنهما كانا صديقين حميمين. وكان هومبوت رجلاً جميل الطلعة. وعاش بيبوت مع زوجته وابنته. وفي أحد الأيام مرضت زوجته ثم ماتت. وظل يعيش بمفرده مع ابنته الوحيدة. وكان بيبوت الأرمل كثيرًا ما يتحدث مع ابنته وهي تبكي أمها:

ـ لا داعي للبكاء أيتها الابنة، فعندما تكبرين سوف أزوجك بصديقي هومبوت.

كفت الابنة عن البكاء. وكبرت حتى أصبحت فتاة بارعة الجمال.

في ذلك الوقت أرسل هومبوت إلى بيبوت يعلمه بمجيئه. ووصل مع أصدقائه إلى بيت صديقه.

دعا بيبوت عددًا من الناس، وأحضر الذبائح وأقام وليمة كبيرة. وجلسوا طويلاً يأكلون ويشربون ويمرحون. وشاهد هومبوت الفتاة الحسناء في بيت بيبوت، فوقع في غرامها، لكنه لم يعترف بذلك الأمر كما أعجبت الفتاة هي الأخرى بصديق والدها هومبوت. وبعد انتهاء الوليمة، غادر هومبوت البيت مع أصدقائه. وبعد رحيله سألت الفتاة والدها:

ـ أليس ذلك الرجل هو هومبوت الذي وعدتني بالزواج به عندما أكبر؟.

رد بيبوت:

ـ نعم، إنه هو هومبوت بعينه الذي حدثتك عنه في طفولتك. ولو جاء إليّ لخطبتك فسوف أزوجك به.

قابل هومبوت الفتاة عدة مرات لدى بعض الأصدقاء الآخرين، فاشتد حبه لها وغرامه بها. وعندما شعر بالحب الجارف نحوها أرسل الخُطاب إلى بيبوت ليخطبوا له

الفتاة. فوافق بيبوت على الفور. وفى المساء تمت خطبة الفتاة، وفى الصباح التالى جرت مراسم الزفاف.

وأصبح هومبوت زوجًا لابنة بيبوت.

كان لدى هومبوت خادمة فى بيته ترعى زوجته. وقررت الخادمة التخلص من الزوجة، كى تصبح زوجة لهومبوت بدلاً منها. وبعد مرور شهر على حياة الزوجين، غادر هومبوت البيت للقيام ببعض الأعمال. وظلت الزوجة بمفردها مع الخادمة فى البيت.

وذات يوم قالت الخادمة للزوجة:

- يوجد عند شاطئ البحر الأزرق لوح من الزهر يقوم هومبوت بغسل فرسه وتنظيفه عليه. فما رأيك أن نذهب للاستحمام هناك؟.

ردت الزوجة:

- لا، لن أذهب، فإنى أخجل من ذلك.

أخذت الخادمة تلح فى طلبها:

- أستحلفك بالله أن نذهب.

وافقت الزوجة الصغيرة تحت إلحاح الخادمة وخرجت معها.

وأخذت الاثنتان تستحمان على لوح الزهر عند شاطئ البحر الأزرق، حيث كان هومبوت يقوم بتنظيف فرسه بالماء. وقالت الخادمة:

- هيا اجلسى على طرف اللوح، وأديرى ظهرك لى كى أقوم بغسله.

جلست زوجة هومبوت كما طلبت منها الخادمة. فقامت الخادمة بدفعها إلى قلب البحر، ثم ارتدت ملابس الزوجة وعادت إلى البيت.

بعد مرور شهر عاد هومبوت. ولم ينتبه إلى من يتدبر شئون البيت، الخادمة كانت أم الزوجة. فقد ارتدت الخادمة ثياب زوجته، وقامت بتقليد مشيتها وصوتها.

وظن هومبوت أنها زوجته، فسألها عن الخادمة. وأجابت عليه:

- لقد رحلت ولن تأتى مرة أخرى.

- لم يفطن هومبوت إلى خداعها، وقال لها إنه سوف يعثر على خادمة أخرى.

وبعد مرور شهر خرج الرجل إلى البحر الأزرق كى يغسل فرسه بالماء. فشاهد عند اللوح الزهرى نبتة صغيرة نامية. فاعترته الدهشة وهو ينظر إليها. وبعد مرور شهر آخر كبرت النبتة حتى صارت شجيرة. فتملكت الدهشة هومبوت وهتف قائلاً:

- من أين أتت هذه الشجيرة؟.

ومر شهر ثالث، وكبرت الشجيرة حتى أصبحت بطول الرجل، ونمت فروعها وازدهرت. وعندما شاهدها هومبوت قال:

- يا للأفرع الجميلة لهذه الشجرة! يمكننى صنع بلالايكا(*) جيدة من هذه الفروع.

قام الرجل بقطع فرع من الشجرة، وذهب به إلى البيت، حيث صنع منه بلالايكا. كان هومبوت يعزف على آلته بين الحين والآخر. وعندما كان يتركها تبدأ البلالايكا فى الحديث بعبارة واحدة:

- شاكى شاك! الرأس الأصلع فى أحضان هومبوت! الرأس الأصلع فى أحضان هومبوت!

تملك الذهول هومبوت لهذه المعجزة. وعندما خرج من البيت للبحث عن خادمة تعمل لديه. وانتهزت الزوجة الخادمة الفرصة بعد أن اعتراها الخوف لما تقوم به البلالايكا، فأمسكت بالآلة وألقتها فى قلب النار. لكن الرماد المتبقى من البلالايكا أخذ يردد قائلاً:

- الرأس الأصلع فى أحضان هومبوت! الرأس الأصلع فى أحضان هومبوت!.

كان هناك بيت يقع بالقرب من بيت هومبوت تعيش به أرملة عجوز. فقامت الخادمة بجمع الرماد المتبقى من البلالايكا، وألقت به فى فناء بيت الأرملة العجوز. وبعد مضى فترة قصيرة نمت شجيرة شعير فى نفس مكان الرماد. وعندما شاهدتها الأرملة قامت بقطع سنابلها، وصنعت منها رغيفًا كبيرًا، ثم وضعت الرغيف فى صندوق قبل عودة ابنها.

(*) البلالايكا: من أشهر الآلات الوترية الشعبية فى روسيا والبلدان المتاخمة لها - المترجم.

وفى أحد الأماكن فى القرية استعدوا لإقامة حفل راقص. وأخبروا كثيرًا من الناس بذلك الأمر. وكان من بين المدعوين هومبوت وابن الأرملة العجوز. وقال الابن لأمه الأرملة:

- لا أستطيع الذهاب دون تناول الطعام، فأعطنى شيئًا آكله.

أجابت العجوز ابنها:

- لقد أخفيت رغيفًا داخل الصندوق، فاذهب وكل منه.

نظر الابن داخل الصندوق فوجد فتاة راقدة هناك. وكانت هى نفس الفتاة زوجة هومبوت التى ألقيت فى الماء. فصاح الابن:

- إنها معجزة يا أمى! فبدلاً من الرغيف توجد فتاة فى الصندوق، وهى مكسوة بالذهب والفضة.

صرخت الأم:

- لا تخبر أحدًا بما شاهدته.

أغلقت الأم الصندوق. ورد الابن:

- حسنًا، لن أخبر أحدًا.

رحل الابن فى طريقه إلى الحفل. وهناك سمع الناس يتجادلون حول الفتاة الأجمل الموجودة بالحفل. فلم يتمالك الابن نفسه وقال:

- لا توجد فتاة أجمل من الفتاة المكسوة بالذهب والفضة، والتى ترقد فى الصندوق لدينا بالبيت.

أرسل الحضور رجلين إلى الأرملة العجوز كى يشاهدا الفتاة. لكن العجوز صاحت قائلة:

- فليقطع لسان الكاذب الذى أخبركم عن هذا الأمر! عن أية فتاة تتحدثون؟ إنه مجرد زنار من الذهب والفضة.

عاد الرجلان أدراجهما. وأخبرا الجميع بما قالته العجوز. لكن ابن الأرملة صاح فى عناد:

- أقسم لكم أن هناك فتاة مكسوة بالذهب والفضة فى ذلك الصندوق.

قرر الجميع أن يبعثوا هومبوت إلى العجوز فى هذه المرة.

وصل هومبوت إلى بيت الأرملة العجوز، وأخبرها عن سبب وصوله. فقالت العجوز:

- إن الفتاة هى ابنتى، وقد أغلقت عليها الصندوق.

صرحت العجوز بما قالته وفى نيتها أن تزوج الفتاة من ابنها. لكن هومبوت طلب منها قائلاً:

- دعينى ألق نظرة واحدة عليها.

وافقت العجوز على طلبه، وفتحت الصندوق. وعندما نظر هومبوت إلى الفتاة فكر فى نفسه: "يا للشبه الكبير بينها وبين زوجتى".

أما الفتاة فقد تعرفت على زوجها.

أخذ هومبوت الفتاة وذهب بها إلى الحفل.

اعترت الدهشة والذهول الجميع لجمال الفتاة وحسنها، أما الخادمة فتعرفت عليها على الفور، وحاولت الاختباء والتوارى عن الناس. ونظر هومبوت إلى الفتاة التى بادلته النظرات. وأخذ الناس يسألونها:

- من أنت؟ ومن أين أتيت؟ احكى لنا قصتك!.

- لا أعرف ما الذى أحكيه لكم. فقد كبرت فى الصندوق المظلم ولا أدرك شيئًا ولا أعرف شيئًا، ومن الأفضل لى أن أسمع حديثكم.

أخذ الناس يلحون فى سؤالها:

- نستحلفك بالله أن تحكى لنا قصتك حتى تطمئن أرواحنا.

. حسنًا، سوف أحكى لكم حكاية من الخيال. فى زمن من الأزمنة عاش...

وحكت الفتاة للناس كل ما عرفناه عنها. وواصلت الفتاة قائلة:

. أنا هى تلك الفتاة التى حكيت لكم عنها، وهومبوت هو الذى حكيت عنه، وتلك هى الخادمة التى دفعتنى إلى قلب الماء.

أمسك هومبوت بالخادمة الشريرة، وذهب بها إلى شاطئ البحر، ودفعها إلى قلب الماء.

وعاش هومبوت طويلاً مع زوجته. وأنجب منها سبعة أبناء.

* * *

اختيار الفتاة

في يوم من الأيام تقدم لخطبة إحدى الفتيات رجلان أحدهما ثرى والآخر فقير. واحتارت الفتاة فى الاختيار بينهما. فارتدت ثياب الرجال، وأسرجت فرسها، وذهبت إلى فناء الرجل الثرى وقالت له وهى متنكرة:

- لقد جئت إليك من قرية بعيدة كى أذهب إلى الحرب. وأحتاج إلى رجل يرافقنى فى حملتى.

أجاب الثرى:

- لا يمكننى الذهاب معك.

عندئذ ذهبت الفتاة متنكرة إلى فناء بيت الفقير، وطلبت منه نفس الطلب، فوافق الرجل على الفور. وارتدى ثيابًا نظيفة مهندمة، واستعد للخروج معها. وسألت الفتاة الفقير أثناء الطريق:

- ما الذى جعلك ترتدى ثيابًا نظيفة قبل الخروج إلى الحرب؟.

- لأنه ليس معروفًا إن كنا سوف نظل أحياء عند عودتنا، ولذلك ارتديت الملابس النظيفة كى أتقبل الموت بصورة لائقة.

حينئذ كشفت الفتاة عن سرها وهويتها وقالت له:

- لقد أردت معرفة الأكثر رجولة وشجاعة بينكما. وقررت أن أقبل الزواج بك.

رد الفقير:

- لو أن الفتاة تريد الزواج بى بعد التأكد من شجاعتى، فإن كبريائى يمنعنى من الزواج بها.

* * *

فخذ الخروف

يحكى أنه فى سالف العصر والزمان عاش ثلاثة لصوص فى قرية جبلية واحدة، وقامت بينهم صداقة حميمة. كان أحدهم يدعى شاهسايت، والآخر شامران، والثالث شاهران. ولم تكن لديهم مهنة ولا حرفة يعرفونها سوى السرقة.

واستمر هذا الحال لفترة طالت أم قصرت، حتى فكر أكبرهم شاهسايت فى الزواج. وقال لصديقيه:

- لقد بلغت عمرا يتطلب الزواج والأطفال. كما أنى سئمت حياة السرقة واللصوصية وأريد الاستقرار.

مر بعض الوقت واشتاق شاهران وشامران لزيارة شاهسايت. وفى أحد الأيام الرائعة انطلق الصديقان لزيارته. ولم يكن شاهسايت موجودًا بالبيت فى ذلك اليوم. فخرجت إليهما زوجته وقابلتهما فى فناء البيت.

قام الصديقان بتحية الزوجة وسألاها عن الصحة والأحوال. وقامت هى بربط فرسيهما فى الفناء، ودعتهما إلى داخل البيت. ومضى الصديقان فى سؤالها:

- كيف تسير أحوال الحياة؟ وما الجديد لديكما من أخبار؟.

ردت الزوجة على أسئلة الضيفين. ودعتهما إلى تناول الطعام. فوضعت فوق الطاولة بعض الفطائر المسكرة، واللبن الرائب. وبدا الطعام بسيطًا متواضعًا للضيفين، خاصة عندما شاهدا فخذ خروف معلق فوق الفرن. وأخذ الاثنان فى تناول الطعام الشحيح وهما يرمقان الفخذ المعلق بعيونهما بين الحين والآخر. وبعد ذلك شكرا ربة البيت على الطعام، وغادر شامران وشاهران بيت شاهسايت. لكن الاثنين ظلا غير راضيين عن ضيافة الزوجة البخيلة. وقررا سرقة فخذ الخروف.

بعد غروب الشمس عاد شاهسايت من الغابة فى المساء، وربط عربته فى الفناء. ووضع الطعام والشراب لفرسه ودخل إلى البيت. وعندما وقع بصره على بقايا الفطائر فوق الطاولة، سأل زوجته:

- هل كان لدينا ضيوف اليوم؟.

ردت الزوجة:

- لقد جاء ضيفان، وقالا لى إنهما صديقاك شاهران وشامران.

- وماذا قدمت لهما من طعام؟.

- الفطائر الساخنة واللبن الرائب.

- ألم يتحدثا بشىء بعد ذلك؟.

- قال أحدهما: "أترى؟"، ورد الآخر: "مساء اليوم".

- إذًا، عليك إخفاء فخذ الخروف هذا فى مكان لا تصل إليه يد، وإلا فسوف يسرقانه. وإنى على يقين بأنهما سوف يعودان من أجله، ولن يستطيعان مقاومة مثل هذا الفخذ.

- حسنًا، حسنًا.

أسرعت الزوجة بوضع الفخذ فى صندوق أغلقته بالمفتاح. وربطت المفتاح بطرف سروالها.

وفى منتصف الليل، وعندما راح شاهسايت وزوجته فى النوم، وصل اللصان لسرقة الفخذ. وقاما بخلع قفل الباب. ودخلا يتسللان نحو الفرن. وبحثا هنا وهناك عن الفخذ فلم يعثرا على شىء. وتسلل شاهران على أطراف أصابعه بحذر مثل الهرة إلى فراش الزوجة، وهمس لها مقلدًا صوت شاهسايت:

- هل أخفيت الفخذ فى مكان أمين؟.

ردت الزوجة وهى ناعسة:

ـ يا إلهى، اتركنى أنم كما ينبغى أيها الرجل. فقد أخفيت الفخذ فى الصندوق، وربطت مفتاح الصندوق إلى سروالى.

أخذ شاهران المفتاح المربوط بسروال المرأة، وفتح الصندوق. وأخرج فخذ الخروف منه، ثم أسرع اللصان بمغادرة بيت صديقهما السابق.

لم يمض وقت طويل حتى استيقظ شاهسايت أثناء الليل وسأل زوجته:

ـ هل أخفيت الفخذ فى مكان أمين؟.

ـ كم مرة يمكنك سؤالى عن هذا الأمر أيها الرجل؟ ألم أخبرك أننى أخفيته داخل الصندوق، وربطت المفتاح بسروالى؟.

فكر شاهسايت فى نفسه: "لا بد أن هناك أمرا قد وقع، فإنى لم أسألها عن شىء من قبل". وأخبر شاهسايت زوجته بما يفكر فيه.

عندئذ نهض الاثنان مسرعين، وذهبا لتفحص الصندوق، فلم يجدا بداخله الفخذ.

أسرع شاهسايت بارتداء ملابسه. وانطلق إلى الخارج يطارد صديقيه اللصين. وعندما أدرك صديقيه، أخذ يسترق السمع لحديثهما. فسمع شاهران ممسكًا الفخذ بيديه يطلب من شامران:

ـ أمسك الفخذ بينما أذهب وأتفحص الطريق.

كان الليل حالك الظلمة، ولا يمكن للمرء أن يرى شيئًا حوله.

وبعد أن ابتعد شاهران، اقترب شاهسايت من شامران وطلب منه قائلاً:

ـ والآن أعطنى الفخذ.

وما إن أصبح الفخذ فى يدى شاهسايت، حتى لاذ بالفرار عائدًا إلى بيته. وعندما أدرك شاهران صديقه شامران قال له:

ـ والآن أعطنى الفخذ!.

سأل شامران فى دهشة:

- ما الذى تقوله؟ ألم أعطه لك؟.

أدرك اللصان أن شاهسايت قد خدعهما. فقررا المكر به والحصول على الفخذ مرة أخرى.

قام شامران بربط قميصه الداخلى حول رأسه كى يبدو مثل زوجة شاهسايت. وبعد ذلك انطلق مسرعًا فى الطريق حتى سبق شاهسايت إلى بيته. وجلس بالفناء ينتظر وصوله. ولم يمر وقت طويل حتى دخل شاهسايت الفناء سعيدًا فخورًا بنفسه. وأعطى الفخذ إلى شامران ظنًا منه أنه يعطيه لزوجته. وصاح قائلاً:

- والآن عليك إخفاء الفخذ فى مكان لا تصل إليه يد إنسان ولا جان.

دخل شاهسايت البيت، فشاهد زوجته جالسة فى حزن وهم، فصرخ قائلاً:

- ألم أشاهدك بالفناء منذ لحظة؟ أقسم بالله أنهما قد سرقا الفخذ ثانية.

قال شاهسايت قوله وأسرع فى مطاردة صديقيه مرة أخرى.

أدرك شاهسايت اللصين، وأخذ يسترق السمع لما يقولانه. وعرف أن الصديقين عازمان الذهاب إلى المقبرة الشمسية، وتقسيم الفخذ بينهما هناك.

وأسرع شاهسايت إلى المقبرة حتى وصلها قبلهما. ونزع ثيابه حتى أصبح عاريًا تمامًا، ورقد فوق المقبرة منتظرًا وصولهما. وسرعان ما وصل اللصان لتقسيم الغنيمة. وكانت هناك شمعة فوق نافذة المقبرة حملها اللصان واحتارا فى المكان الذى يضعانها فوقه. فاقترح شاهران على صديقه:

- هيا بنا نضع هذه الشمعة فوق جبين هذا المرحوم.

عندئذ قفز شاهسايت صارخًا:

- ألا يمكن للمرء أن يستريح حتى بعد موته؟.

تملك الرعب من شامران وشاهران، فهربا مسرعين من المقبرة تاركين الفخذ. أما شاهسايت فحمل الفخذ وعاد إلى البيت. وفى هذه المرة قام بتقطيع الفخذ إلى قطع صغيرة، وألقى بها فى القِدر المعلق فوق الفرن.

وجلس بالقرب من القِدر وهو يغلى، وأمر زوجته قائلاً:

ـ أعدى بسرعة فطائر الدقيق، وضعيها فى القِدر مع اللحم!.

وخرج الزوج ليؤدى الصلاة.

جاء شامران وشاهران إلى بيت شاهسايت يتلصصان لما يجرى، وذلك بعد أن أدركا أن الفخذ قد عاد إليه ثانية.

وتسلق الصديقان اللصان سقف البيت، ووضعا عصا طويلة عبر فتحة المدخنة، وأخرجا بها جميع قطع اللحم من القدر. كانت الزوجة فى هذا الوقت قد وضعت فطائر الدقيق فى القِدر المغلى. وعندما بدأت فى إخراج الفطائر لم تجد شيئًا من اللحم بالقدر. فسألت الزوجة زوجها:

ـ لا يوجد ولا قطعة لحم واحدة بالقِدر، وليس به سوى فطائر الدقيق!.

لم يصدق الزوج ما قالته الزوجة. وأخذ يتطلع فى القِدر بنفسه ليتأكد من اختفاء اللحم، ثم صاح قائلاً فى يأس:

ـ هنيئًا مريئًا لهما هذا الفخذ! لقد كان ينبغى عليك تقديمه إليهما فى المرة الأولى لزيارتهما!.

سمع اللصان الجالسان فوق سقف البيت ما قاله شاهسايت، فهبطا من فوق السقف إلى الحجرة. وجلسا مع صديقهما وزوجته كى يستمتعوا جميعًا بأكل اللحم.

❋ ❋ ❋

البرد والجوع والنوم

قام نزاع بين كل من الجوع والبرد والنوم. وقال الجوع:

- أنا الأقوى منكما!.

رد البرد:

- لا يا عزيزى، فأنا أقوى الجميع!.

صاح النوم:

- إنكما مخطئان، فليس هناك أقوى منى!.

عندئذ اقترح البرد قائلاً:

- هيا بنا نجرب حتى نعرف الأقوى منا.

سأل الجوع:

- وكيف يمكننا تجربة قوتنا؟.

رد النوم:

- أتريان هذا الفتى راعى الغنم؟ هيا بنا نخترق جسمه كى نعرف الأقوى بيننا.

قال البرد:

- حسنًا.

تقدم البرد واخترق جسم الفتى.

ازرق جسم الفتى من البرد وأخذ يرتجف، لكنه لم يطرف عينيه عن أغنامه وظل منتبهًا إليها.

عندئذ تقدم الجوع ليأخذ دوره فى المنافسة. فاخترق معدة الصبى، وأخذ يعصف بها ويعتصرها. لكن الصبى ظل منتبهًا لأغنامه.

حينئذ حل الدور على النوم كى يجرب قوته، وتسلل إلى جسم الصبى. فسقطت العصا من يد الراعى، وراح فى سبات عميق.

وهكذا، تأكدت قوة النوم وتفوقه على قرينيه.



عندما رقص شولدرج

كان ياما كان فتي يافع يعيش يدعى شولدرج. وكان يُكره جميع من يصادفهم على الرقص.

ضجر الناس بما يفعله الفتى، وقرروا تلقينه درسًا.

وعندما قابل الناس شولدرج صوبوا أسلحتهم نحوه، وهددوه قائلين:

. هيا ارقص حتى نرى موهبتك فى الرقص!.

رد شولدرج:

. حسنًا، يبدو أن دورى قد حل فى الرقص.

وأخذ شولدرج يرقص ويقفز ويدور أمام الناس.

ومنذ ذلك الحين جاء المثل القائل:

"عندما يُكرهونك على الرقص، فسوف يرقص شولدرج بدوره".

❊ ❊ ❊

جد الأرنب

يحكى أنه فى قديم الزمان، وبالقرب من النهر الكبير، عند الروضة المخضوضرة، وحيث تبدأ الجبال الشاهقة، وفى البقعة التى تغرب منها الشمس، عاش أنجال البرمائيات. وكان أبناء البرمائيات يصيدون الأسماك ويقومون بقطع الأخشاب ويشعلون منها حلقات النار. وبدون أوامرهم لم تكن حتى الطيور تخرج من أعشاشها وتطير. فقد كان أبناء البرمائيات يتمتعون بهذا القدر الكبير من المهارة.

وذات يوم أخرجوا من النهر حمارًا. وأخذوا يفكرون فى طبيعة هذا الحيوان. فجمع أبناء البرمائيات كل سكان المنطقة يتشاورون معهم: "هل يمكن أكل لحم هذا الحيوان أم لا؟".

قال صغار القوم:

- إن عينيه تشبه عينى الحصان، وربما يكون مهرًا صغيرًا.

رد الأكبر عمرًا من القوم:

- ما الذى تقولونه؟ وعن أى مهر تتحدثون؟ ألا ترون أذنى هذا الحيوان؟.

سأل صياد صغير:

- إذن، من هو الوحش الذى يشبه هذا الحيوان بأذنيه؟.

صاح أحد العجائز:

- كيف يطلقون عليك لقب الصياد وأنت لا تعرف هذا الأمر؟ إنه يشبه الأرنب.

- لو أنه يشبه الأرنب، فلا بد أنه جد الأرنب.

هتف رجل آخر:

- والأرنب يمكننا أكل لحمه!.

وافق الجميع واتفقوا فيما بينهم على هذا الرأى. وقرروا أن هذا الحيوان هو جد الأرنب. فقاموا بذبح الحمار، وألقوا بلحمه فى القدر.

ظل اللحم يغلى طويلاً فى القدر حتى جاع أبناء البرمائيات. فأخرجوا اللحم من القدر، وبدؤوا فى التهامه رغم أنه كان صلبا مثل الصخر.

ومنذ ذلك الحين وأبناء البرمائيات لا يتركون جد الأرنب عندما يصادفونه وهو يسبح فى الماء.



الصقر والغراب

عقد الصقر صداقة مع الغراب. وطار الاثنان فوق مكان نصب به الأمير فخًا بجوار ثور ميت، كى يصيد به الطيور. وقال الغراب للصقر:

.لقد أصابنى التعب، ولو لم تحضر لى قطعة من لحم ذلك الثور، فلن يمكننى الطيران لأكثر من ذلك.

حلق الصقر بالقرب من الثور الميت، وسقط فى الفخ. أما الغراب فلم يلق ببصره حتى نحو الصقر. وحلق بجناحيه مبتعدًا عنه.

أخرج الأمير الصقر من الفخ، ووضعه داخل قفص حديدى. وفى كل يوم كان هناك صقر آخر يطير نحو القفص، ويضربه بجناحيه وهو يصرخ. وأراد الأمير معرفة ما يفعله الصقر الزائر. فأحضر رجلاً يعرف لغة جميع الكائنات الحية كى يخبره عن الأمر.

استمع الرجل لصراخ الصقر الزائر وقال للأمير:

. إن الصقر الذى يضرب القفص بجناحيه يقول للجالس بداخله: "لو أنك صادقت صقرًا مثلك بدلاً من الغراب لما أمسك بك أحد. وأنت المذنب فيما جرى لك".

عندئذ، أطلق الأمير سراح الصقر من القفص.

* * *

الأكبر حجمًا

سمع الحمار ذات مرة أنهم يقومون بتوزيع الآذان على الجميع. فانطلق يسير فى الطريق البعيد. ولم يكن يعرف بالتحديد طبيعة الأذن وما تفعله، بل سمع عنها فقط.

وصل الحمار إلى المكان الذى يوزعون فيه الآذان، وصاح قائلاً:

- هل توزعون الآذان هنا؟.

ردوا عليه:

- نعم، هنا.

سأل الحمار:

- وما هى أنواع الآذان لديكم؟.

أجاب المسئول عن توزيع الآذان:

- يوجد كل ما ترغب فيه! فلدينا منها الكبيرة والصغيرة ومتوسطة الحجم.

- وكم تطلبون ثمنًا لها؟.

- إننا نمنحها مجانًا لمن يطلبها.

فكرة الحمار برهة فى نفسه: "لن أكون أحمق كى أطلب منهم أذنين صغيرتين. فما دامت بلا مقابل فسوف أطلب أكبر أذنين".

وصاح الحمار:

- أريدكم منحى أكبر أذنين لديكم.

منحوه أكبر أذنين وقالوا:

- وهكذا، حصل الحمار الفطن على أذنى الحصان!!.

* * *

الذئب والثعلب

ذات مرة جلس الثعلب يفكر فى نفسه قائلا: "ما هذا العبث الذى أقوم به؟ وما هذه الفرائس التى أصيدها؟ لماذا لا أفعل مثل الذئب الذى يخرج فيصيد خروفا أو بقرة أو ثورا؟ لا بد أن أكف عن مطاردة الدجاج وأنضم للذئب".

وفى ذلك الوقت ركض الذئب بالقرب منه، فسأله الثعلب:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الرفيق؟.

- إنى ذاهب لمطاردة الفرائس ذات القرون.

طلب الثعلب متوسلاً:

- خذنى معك أيها الذئب.

- وما الذى كنت تصيده أو تسرقه قبل ذلك؟.

- كنت أختطف الدجاج وأسرق الإوز، وأحيانًا الديكة.

رد الذئب:

- إذن، فأنت لا تصلح أن تكون رفيقًا لى أيها الثعلب، فقد اعتدت الطيور ذات الريش، أما أنا فلا أصيد سوى الحيوانات ذات القرون.

وتركه الذئب ومضى فى طريقه. فقرر الثعلب قائلاً فى نفسه:

"فلأذهب خلفه لأعرف كيف يصيد فرائسه السمينة".

وشاهد الاثنان ثورًا يرعى عند أطراف القرية، فصاح الذئب قائلاً للثعلب:

والآن انظر أيها الثعلب وتعلم منى كيفية الصيد.

وهجم الذئب على الثور الذى استدار نحوه مسرعًا، ونطحه بقرنيه نطحة هائلة.

شاهد الثعلب ما جرى لرفيقه وفكر فى نفسه: "لقد حصل رفيقى على حيوانه ذى القرنين بطريقته، ومن الأفضل لى أن أتابع مطاردتى لذوات الريش".

وفر الثعلب مبتعدًا عن المكان.

* * *

حكايات شعبية من جورجيا

الأشقاء التسعة

كان ياما كان رجل لديه تسعة أبناء. وكان أصغرهم يدعى بولات. وذات يوم طلب الأبناء من والدهم أن يزوجهم وقالوا:

- نريد أن نتزوج، ولكن عليك أن تعثر لنا على رجل لديه عدد من البنات مثل عددنا نحن الأشقاء، وإلا فلن نتزوج.

رد الوالد:

- إنى أرجو لكم السعادة أيها الأبناء الأعزاء، ولكنى أخشى ألا أنجح فى العثور على مثل هذا الرجل. وعلى أية حال فسوف أبحث وأساعدكم فى العثور عليه.

وانطلق الرجل فى طريقه، وظل يسير ويسير حتى وصل إلى بيت أحد العفاريت، فسأله قائلاً:

- كم لديك من البنات أيها العفريت؟.

رد العفريت:

- لدى ثمان بنات.

- إذن، لا يمكننى مصاهرتك.

واصل الرجل طريقه فى البحث. وظل يسير ويسير حتى وصل إلى عفريت آخر. فقال له:

- كم لديك من البنات أيها العفريت؟.

رد العفريت:

- لدى سبع بنات.

- إذن، لا يمكننى مصاهرتك.

انطلق الرجل مواصلاً طريقه، وظل يقطع الليل بالنهار حتى وصل إلى أحد الملوك. وعرف أن لديه ثمان بنات فى عمر الزواج، وجميعهن من الحسان الجميلات. ففكر الوالد: "ما العمل؟ لو أنى صاهرت هذا الملك فسوف يظل أحد أبنائى بلا زوجة، ولا يمكننى العثور على تسع شقيقات. فلأقم بخطبة الفتيات الثمانى وليكن ما يكن".

وأرسل الرجل خطابه إلى الملك.

وافق الملك وقام بتجهيز بناته للزواج، ومنحهن نصف مملكته بانة لهن. وأرسلهن إلى أزواجهن. ومضى الوالد يسير نحو البيت ومعه الثمانى فتيات بنات الملك. وعندما ساروا يعبرون الجسر، توقفوا عند منتصفه للراحة. وفجأة، قفز عفريت أحمر من أسفل الجسر، وقبض على الوالد ممسكًا به. ولم يتركه يتحرك للأمام أو للخلف. فصاح الوالد:

- من أنت؟ وماذا تريد؟.

- أنا العفريت الأحمر، وإن لم تقطع لى وعدًا بإرسال ابنك بولات إلىّ، فلن أسمح لك بالتحرك.

اضطر الوالد أن يقطع وعدًا للعفريت كى يتركه.

ومضى فى طريقه حزينًا مهمومًا لا ينطق بكلمة.

وعندما شاهد الأبناء والدهم خرجوا لمقابلته يتقدمهم ابنه بولات. وصاح الابن قائلاً:

- فليحفظك الرب أيها الوالد! لقد عدت بسلام وأحضرت معك الفتيات التسع.

لم يجب الوالد بشىء. فاعترت الدهشة بولات، وكرر ترحيبه بوالده:

- فليحفظك الرب أيها الوالد! لقد عدت بسلام وأحضرت معك الفتيات التسع.

ظل الوالد صامتًا لا يجيب ابنه.

تملك الحزن من بولات، فذهب إلى أمه يسألها:

- أريدك يا أمي أن تسألي والدى عن السبب الذى يجعله يرفض الحديث معى.

اصطحب الوالد الفتيات الثماني إلى داخل البيت. وسألته الأم:

- لماذا لا تتحدث مع بولات؟.

- يا ليتني فقدت أبنائى الثمانية ولم أر مثل هذا اليوم. فقد أمسك بى العفريت الأحمر فوق الجسر، وطلب مني رأس بولات كى يتركني ويفلتني من قبضته، ولهذا أشعر بالهم والحزن ولا أستطيع الحديث مع ابنى بولات.

كان بولات يقف بجوار الباب، وسمع حديث والده مع أمه. وبعد أن انتهى حديث الوالد، اندفع بولات نحو والده قائلاً:

- لا تحزن يا والدى العزيز ولا تخش على شيئًا. وسوف أذهب إلى العفريت ولن يمسنى بسوء.

حزم بولات أمره، وخرج منطلقًا إلى العفريت. وكان العفريت فى انتظاره فاغرًا فاه. وبعد أن شاهد الفتى فرح وابتهج كما لو أن أبواب السماء قد فتحت له. وصاح قائلاً:

- بولات، أريدك أن تذهب إلى...

قاطع بولات العفريت قائلاً:

- يا لك من وغد قذر! أنا لا أعرف شيئًا ولن أذهب إلى أى مكان. ولتدعنى أرتح أولاً وبعد ذلك ننظر فيما نفعله.

ترك العفريت بولات يستريح لبعض الوقت، ثم قال له ثانية:

- بولات، أريدك أن تذهب إلى الملك. فلديه ابنة أخرى هى أكثرهن جمالاً وحسنًا. وأريدك أن تحضرها إلى كى أتزوجها.

غادر بولات المكان، ثم توقف فى طريقه يفكر فيما سوف يفعله. وشاهد عجوزًا تسير بالقرب منه، فنادى عليها وحكى لها عن الأمر، ثم قال:

ـ هذه هى الحكاية أيتها الجدة، فأسدى لى معروفًا وأخبرينى عما أفعله.

ـ لقد ذهب الكثيرون إلى ذلك الملك لخطبة ابنته، ولم يعد أحد منهم على قيد الحياة. ولكن عليك ألا تخشى شيئًا، وافعل ما أقوله لك، وسوف تسير الأمور على ما يرام. سوف تقابل ثلاثة رجال فى طريقك، أحدهما يأكل كثيرًا، والآخر يشرب كثيرًا، والثالث يمكنه حمل كل الأشياء فوق ظهره. وعليك اصطحاب الثلاثة معك، حيث إنهم سوف يساعدونك فى مهمتك لدى الملك.

قام بولات بتوديع العجوز. ومضى مواصلاً طريقه حتى شاهد فى أحد الحقول رجلاً يلتهم أكوامًا من طين الأرض ويبتلعها، ثم يظل يصيح:

ـ يا لشدة الجوع الذى أشعر به، أريد طعامًا، أريد طعامًا!.

طلب بولات من الرجل الذهاب معه. ومضى الاثنان يسيران معًا.

طال سيرهما حتى شاهدا رجلاً يقف عند مصب النهر فاغرًا فاه يشرب الماء منه، ويظل مرددًا:

ـ يا للعطش الذى أشعر به، أريد شرب المزيد من الماء!.

طلب بولات من الرجل الذهاب معهما. ومضى ثلاثتهم يسيرون فى الطريق، حتى شاهدوا رجلاً يرفع الأحجار من الحقل ويضعها فوق ظهره، ثم يبحث عن أحجار أخرى مرددًا:

ـ أريد حمل المزيد من الأثقال!.

نادى بولات على الرجل كى ينضم إليهم. وسار الرجال الأربعة معًا.

وصلوا إلى الملك حيث طلب بولات منه أن يزوجه ابنته.

رد الملك:

ـ لو أكلتم تسع سلال من الخبز حتى المساء فسوف أزوجك ابنتى.

قال بولات لرفيقه النهم:

- لقد كنت تلتهم الطين من الأرض وتقول بأنك ما زلت جوعان وتريد المزيد، فأظهر لنا نهمك إلى الطعام الآن.

أحضروا تسع سلال من الخبز. فأطلق بولات رفيقه النهم كي يلتهم ما بها. وعند حلول المساء لم تتبق كسرة خبز واحدة.

أخبر بولات الملك بتنفيذ طلبه، وطلب ابنته زوجة له. فقال الملك:

- عليكم القيام بمهمة أخرى ولو نجحتم فى القيام بها فسوف أمنحك ابنتى. فعليك مع رفاقك شرب برميل كامل من الجعة.

طلب بولات من رفيقه الذى شرب المياه من مصب النهر القيام بالأمر. فانحنى شارب الماء برأسه نحو البرميل، وظل يتجرع ما بداخله من جعة، حتى لم يترك قطرة واحدة منها.

أخبر الفتى الملك بتنفيذ أمره. فاغتاظ الملك ولم يعجبه ما قام به بولات. ولم يرغب فى منحه ابنته. ففكر برهة ثم قال:

- إعطنى مهلة ثلاثة أيام، وسوف أمنحك ابنتى بعد انقضائها.

لم يوافق بولات على الأمر وصاح:

- عليك أن تمنحنى ابنتك الآن، وإن رفضت فسوف نأخذها عنوة.

وطلب بولات من رفيقه حامل الأحجار فوق ظهره قائلاً:

- لقد حان دورك لتقديم المساعدة، وعليك أن تحمل قصر الملك فوق ظهرك كى نسير به.

رفع الرجل القصر بأكمله فوق ظهره، وحمله ومضى يسير به بينما كان الملك وابنته جالسين فى القصر.

تملك الخوف من الملك وأصابه الذعر، فصاح على بولات:

- اتركنى وخذ ابنتى.

وافق بولات. ومنح الملك ابنته الكثير من النفيس والمال، ثم باركها وتركها تغادر القصر.

مضى بولات يسير وهو يفكر فى الوسيلة التى تجعله يحتفظ بالفتاة ولا يعطيها للعفريت. فذهب إلى العجوز التى صادفها من قبل، وطلب منها المساعدة والنصح فيما يفعله.

قالت العجوز:

- لا تجعل الفتاة تدخل بيت العفريت، بل أخبره بأنك أحضرت له الحسناء، وعليه الخروج والنظر إليها. وعندما يخرج عليك أن تسرع بإسقاط حجر الرحى المعلق فوق بابه على رأسه. ولو نجحت فى هذا الأمر فسوف تحتفظ بالفتاة.

فعل الفتى ما نصحته به العجوز، ووقف عند باب العفريت مناديًا:

- أنت أيها الوغد! لقد أحضرت إليك ابنة الملك، فاخرج كى تشاهدها!.

فرح العفريت وانطلق خارجًا ليشاهد الفتاة الحسناء. وما إن فتح بابه حتى أفلت بولات سلسلة حجر الرحى، فسقط الحجر الضخم فوق رأس العفريت وهشمه.

أخذ بولات كل ما يحتفظ به العفريت من ذهب ومال، وقسمه إلى أربعة أنصبة. وقام بتوزيع ثلاثة منها على رفاقه، ومنح العجوز نصيبه الرابع. واحتفظ لنفسه بالفتاة الحسناء وذهب بها إلى البيت. وفرح الجميع بعودة بولات، وأقاموا الأفراح وليالى الملاح لفترة طويلة.



الأرض تأخذ ما تملكه

كان ياما كان أرملة تعيش مع طفلها الوحيد. وكبر الطفل مع مرور الأيام، وشاهد الجميع مع آبائهم، بينما ظل هو الوحيد الذى لا يجد أبًا له. فسأل أمه:

- لماذا يوجد لدى الجميع آباء عداى؟.

قالت الأم:

- لقد مات أبوك يا ولدى.

- وما الذى تعنيه كلمة - مات؟ وهل هذا يعنى أنه لن يعود إلينا مرة أخرى؟.

ردت الأم:

- نعم، إنه لن يعود إلينا، ولكننا سوف نذهب جميعًا إلى المكان الذى سبقنا إليه.

قال الفتى:

- إنى لم أطلب الحياة من أحد، ولكن بما أن الحياة قد كتبت لى فلا أريد الموت. وسوف أخرج للبحث عن المكان الذى لا يموت فيه أحد.

ظلت الأم تتحدث طويلاً مع ابنها وترجوه عدم الخروج، لكن الابن لم يستمع إليها، وخرج يبحث عن ذلك المكان الذى لا يموت أحد فيه. وظل يطوف بلاد الله خلق الله، ويسأل فى كل مكان يصل إليه:

- هل الموت موجود هنا؟.

فيجيبون عليه:

- نعم، موجود.

تملك الحزن من الفتى بعد أن فشل فى العثور على مكان لا يوجد به الموت. وفى أحد الأيام كان يسير بين الحقول عندما شاهد آيلاً ذا قرنين متشعبين عاليين. وأعجب الفتى للغاية بقرنى الآيل. فسأله:

- ألا تعرف مكانًا لا يموت فيه أحد؟.

رد الآيل:

- لا يوجد مثل هذا المكان. ولكن ما دام ينمو قرناى حتى يصلا إلى السماء فلن أموت. وعندما يصلان إلى هناك فسوف يحل الموت بى. ولو أردت، فيمكنك البقاء معى، ولن يصيبك الموت ما دمت بقيت أنا على قيد الحياة.

- لا، فإنى أريد العيش إلى الأبد. ولو كنت أريد الموت ولو بعد حين، لبقيت فى موطنى الذى جئت منه، ومت هناك.

مضى الفتى مواصلاً طريقه. وقطع الحقول وكل السهول حتى وصل إلى جبل كبير. وشاهد غرابًا يجلس فوق صخرة من صخور الجبال، وينظف ريشه ويلقى بالزغب إلى أسفل، فيسقط زغبه داخل شق هائل عميق.

سأل الفتى الغراب:

- ألا تعرف مكانًا لا يعرف الموت طريقه إليه؟.

رد الغراب:

- لا، فسوف أعيش حتى يمتلئ هذا الشق بزغبى. وعندما يمتلئ تمامًا فسوف أموت وأفارق الدنيا. ويمكنك العيش معى طوال فترة حياتى.

نظر الفتى إلى الشق العميق، ثم هز رأسه قائلاً:

- لا، فإنى أريد العيش إلى الأبد. ولو كنت أريد الموت ولو بعد حين، لبقيت فى موطنى الذى جئت منه، ومت هناك.

مضى الفتى يقطع الطرق والوديان، حتى جاب الأرض كلها ووصل إلى البحر. وأخذ يسير على شاطئ البحر على غير هدى. ومر يوم ثم يومان دون أن يرى شيئًا. وفى اليوم

الثالث شاهد شيئًا يتلألأ على البعد. فاقترب نحوه ورأى قصرًا من البللور. دار الفتى حول القصر يبحث عن باب أو مدخل له دون جدوى. وظل لفترة طويلة يدور حوله حتى شاهد أخيرًا قطعة مستطيلة الشكل على جداره، فحزر أن هذه القطعة هى باب القصر. وأخذ يدفعها بكل قوته حتى انفتح الباب. ودلف الفتى إلى الداخل فشاهد امرأة رائعة الجمال تغار الشمس من حسنها لو شاهدتها، وهى راقدة فوق أريكة مطعمة بالذهب والجواهر. وأعجب الفتى بالمرأة الجميلة، كما أعجبت به بدورها. وسألها الفتى:

- أيتها الحسناء، إنى أريد الفرار من الموت. فهل تعرفين مكانًا لا يعرف الموت طريقه إليه؟.

أجابت المرأة:

- لا يوجد مثل هذا المكان فى العالم. فلماذا تبحث عنه هباءً وتضيع وقتك؟ من الأفضل لك أن تظل بجوارى هنا.

قال الفتى:

- أنا لا أبحث عنك، بل أبحث عن المكان الذى لا يموت فيه الناس، وإلا لبقيت فى موطنى ولم أغادره.

قالت المرأة:

- إن الأرض تأخذ ما تملكه عاجلاً أم آجلاً، وأنت نفسك لن ترغب فى الخلود. وهل لك أن تخبرنى كم أبلغ من العمر؟.

نظر الفتى إلى المرأة وجسمها اليانع، وتطلع إلى خديها المتوردتين بلون الأزهار وبشرتها الملساء الرقيقة، حتى إنه نسى أمر الموت. وقال:

- إن عمرك لا يتجاوز الخامسة عشرة.

ردت المرأة:

- لا يا عزيزى، فقد خلقت فى أول يوم لخلق العالم. ويطلقون على اسم "الحسناء". ولن يصيبنى العجز أبدًا، ولن يلحق الموت بى أبدًا. ويمكنك البقاء معى إلى الأبد، ولكنك لن ترغب فى ذلك مستقبلاً؛ لأن الأرض سوف تناديك كى تعود إليها.

أقسم الفتى للمرأة بأنه لن يرحل عنها أبدًا.

وظل الاثنان يعيشان معًا. ومرت السنون وتلاحقت مسرعة مثل ومض البرق. وتبدل الكثير على وجه الأرض. ومات الكثير والعديد وتحولوا إلى تراب، وولد الكثير والعديد بدلاً منهم. وتغيرت ملامح الأرض، لكن الفتى لم ينتبه لمرور الزمن. وظلت المرأة محتفظة بجمالها وحسنها، وظل الفتى محتفظًا بشبابه. وانقضت آلاف السنين. وشعر الفتى بالحنين إلى موطنه والرغبة فى زيارة معارفه، فقال للمرأة:

- أريد الذهاب لزيارة أمى وأقربائى.

ردت عليه:

- لم يبق منهم حتى ولا العظام فى الأرض.

قال الفتى:

- ما الذى تقولينه؟ لم يمض على وجودى هنا سوى ثلاثة أو أربعة أيام، فما الذى يمكن أن يحدث لهم فى هذه الفترة؟.

قالت المرأة:

- لقد أخبرتك من قبل أن الأرض سوف تسترجع ما تملكه. ولكن يمكنك الذهاب حتى لا يؤنبك ضميرك على ما فعلته.

وأعطت المرأة ثلاث تفاحات إلى الفتى، وأخبرته أن يأكلها عند الحاجة.

ودع الفتى المرأة وخرج فى طريقه. وظل يسير ويسير حتى وصل إلى الصخرة التى جلس فوقها الغراب سابقًا. ونظر الفتى فشاهد جميع الشقوق الضخمة وقد امتلأت بالزغب، بينما رقد الغراب فى مكانه ميتًا بعد أن جف جسمه وتيبس. وأظلمت الدنيا فى عينى الفتى، وأراد العودة إلى المرأة، لكن الأرض لم تسمح له بذلك، وظلت تدفعه للسير إلى الأمام.

مضى مواصلاً طريقه حتى شاهد الآيل واقفًا فى الحقل، وقد ارتفع قرناه إلى عنان السماء، بينما كان الآيل يعانى سكرات الموت. وأدرك الفتى أن الكثير من الوقت قد مر منذ

لحظة رحيله عن البيت. فأخذ يسير حتى وصل إلى موطنه. لكنه لم يجد هناك أحدًا من أقربائه أو معارفه. وسأل الناس عن أمه لكن أحدًا لم يسمع حتى عنها. وظل يتجول بمفرده لا يتعرف عليه أحد. وأخيرًا صادف عجوزًا حكى له عمن يبحث عنهم. فقال له العجوز:

. كما سمعت عن أجدادى وأجداد أجدادى، فإن هذه المرأة التى تسأل عنها قد عاشت بالفعل فى زمن ما من الأزمنة الغابرة. فكيف يمكن أن يكون ابنها على قيد الحياة؟.

وذاع أمر الفتى فى جميع بقاع الأرض. وظل الناس يتحدثون عنه، ويتطلعون إليه كما لو أنهم ينظرون إلى حيوان برى غريب.

أخذ الفتى يهيم على وجهه والحنين يعتصره. وذهب إلى البقعة التى كان بيته قائمًا بها فى أحد الأزمنة. فلم يشاهد سوى الأطلال وأمواج التراب. وتذكر الفتى أمه وطفولته ورفاقه، فعصف الحزن به. وعندئذ قرر أن يأكل من التفاح الذى أعطته له المرأة فى القصر البللورى. فأخرج تفاحة وأكلها. وفى لمح البصر نمت لديه لحية رمادية طويلة. وعندما أكل التفاحة الثانية تقوست ساقاه وانحنى ظهره، وسقط على الأرض بعد أن خارت قواه. ورقد لا يستطيع الحراك، وقد عجزت يداه وقدماه عن الحركة وتيبست. فنادى بالكاد على صبى عابر:

. اقترب منى أرجوك أيها الصبى، وأخرج من ملابسى التفاحة الأخيرة وأعطنى إياها.

أخرج الصبى العابر التفاحة، وأعطاها إليه. وبعد أن قضم منها قضمة واحدة مات على الفور. وقامت بدفنه قرى العالم كله.

❊ ❊ ❊

تشاكوتشا اليتيم

كان ياما كان رجل يعيش مع زوجته وابنه الصغير الذى يدعى تشاكوتشا.

سرعان ما ماتت أم تشاكوتشا. وبعد مرور فترة قصيرة تزوج والده من امرأة أخرى.

كانت زوجة الأب امرأة شريرة. فلم تطعم الصبى الصغير، ولم تعطه ثيابًا يرتديها. وظلت ترسله لجلب الماء. وكلما أحضره إليها تسكبه على الأرض وتطلب منه الذهاب مرة أخرى وهى تصرخ فى وجهه:

- إن هذا الماء عكر، فاذهب وأحضر ماءً نظيفًا رائقًا.

وهكذا، تظل تأمره بالخروج ذهابًا وإيابًا طوال الوقت.

وذات يوم كان الصبى يسير لإحضار الماء، فشاهد أفعيين تتعاركان. كانت إحداهن سوداء والأخرى حمراء. وكانت السوداء أقوى من الحمراء. فأخذت الأخيرة تحاول الفرار بينما تلاحقها الأفعى السوداء حتى أوشكت على إدراكها واللحاق بها.

اقتربت الأفعى الحمراء من تشاكوتشا، وتسللت مختفية داخل زلعته وهى تقول:

- عندما تحضر الأفعى السوداء، فأخبرها بأنى هربت خلف الجبال السبعة.

وصلت الأفعى السوداء إلى الفتى وسألته:

- ألم تر الأفعى الحمراء؟.

قال تشاكوتشا:

- نعم لقد رأيتها، وقد فرت خلف الجبال السبعة.

مضت الأفعى السوداء زاحفة خلف الجبال السبعة، أما الأفعى الحمراء فخرجت من الزلعة وقالت:

- خذ حرفشتى هذه أيها الفتى الطيب. وكلما تمنيت شيئًا عليك إخراجها وقول ما تتمناه. وسوف تتحقق أمنيتك على الفور.

وأعطت الحية الحرفشة إلى الصبى، وزحفت بعيدًا عن المكان.

ملأ الصبى الزلعة بالماء، ومضى يسير نحو البيت قائلاً:

- أتمنى أن يمتلئ صندوق زوجة أبى بالأقمشة حتى لا يمكن إغلاقه من كثرتها.

وصل تشاكوتشا إلى البيت. وشاهد الصندوق ممتلئا بالأقمشة حتى قمته. فصاح الصبى:

- أيتها الأم، أرجو منك أن تحيكى لى سروالاً وقميصًا.

غضبت المرأة وأرسلته لجلب الماء مرة أخرى قائلة:

- إن هذا الماء عكر. فاذهب وأحضر ماءً رائقًا!

خرج الصبى لجلب الماء، وصاح أثناء سيره قائلاً:

- أتمنى أن يمتلئ مطبخ زوجة أبى بالخبز من الأرض حتى السقف.

وعندما عاد إلى البيت شاهد المطبخ وقد امتلأ بالخبز حتى سقفه. فقال تشاكوتشا:

- أيتها الأم! أعطنى ولو كسرة من الخبز.

تملك الغضب زوجة الأب وصرخت فى وجهه:

- اذهب وأخرج الخنازير من زريبتها!.

أخرج الصبى الخنازير من الزريبة، ثم مضى يسير على غير هدى بعيدًا عن البيت.

ظل الصبى يسير لفترة طالت أم قصرت حتى وصل إلى إحدى القرى.

وهناك، أشفقوا على اليتيم، ووضعوا له الطعام والشراب. وبعد ذلك واصل الصبى طريقه.

وصل إلى قرية أخرى، فشاهد حسناء لا نظير لجمالها تحت الشمس. فصاح الصبى متمنيًا:

- أرجوا أن تلد هذه الحسناء ابنًا، وعندما أدخل إليه ينادى قائلاً: "هذا هو والدى".

وحدث ما تمناه الصبى. فوضعت الحسناء طفلاً.

اعترت الدهشة الجميع، وأخذوا يتساءلون حول والد هذا الابن. وبعد ذلك وصل تشاكوتشا. وما إن ظهر عند باب بيت الفتاة، حتى صاح الطفل:

- هذا هو والدى، إنه والدى.

غضب والد الحسناء وصرخ قائلاً:

- ارحلى مع هذا الزوج ما دمت قد اخترته!.

وطرد الوالد ابنته.

خرجت الحسناء تسير خلف تشاكوتشا.

وأخذ الصبى يسير دون أن يلتفت خلفه.

ومضت الحسناء تنادى عليه:

- تمهل فى سيرك، فأنا لا أستطيع اللحاق بك وأنا حاملة الطفل.

لم يتمهل تشاكوتشا، وظل يسير إلى الأمام والحسناء تتبعه مع طفلها.

سار الاثنان لفترة طويلة حتى انتصف النهار وأصبح الجو حارًا.

صاح تشاكوتشا متمنيًا:

- أرجو أن تظهر هنا شجرة الدردار المورقة، كى أستطيع الجلوس والتظلل بأغصانها.

وفى لمح البصر ظهرت شجرة الدردار مورفة الأغصان. فرقد تشاكوتشا مع زوجته تحت ظلها، وراحا فى النوم.

وفى الصباح تمنى تشاكوتشا قائلاً: "أتمنى أن يكون لدى فرس يسابق الريح، ويقطع الطريق الذى يستغرق عامًا فى لحظة".

وظهر فرس ليس له مثيل فى العالم. وأسرجه تشاكوتشا، ثم امتطاه مع زوجته وطفلها.

ومضى يسير على فرسه بجوار الحقول متمنيًا:

- أتمنى أن تصبح هذه الحقول ملكًا لى!.

وترجل عن الفرس متمنيًا:

- أتمنى أن تنمو فى هذا الحقل أشجار مثمرة، على أن يكون بعضها مزهرًا، والآخر مثمرًا، والثالث يانع الثمار.

ظهرت روضة ممتلئة بالأشجار بعضها مزهر، والآخر مثمر، والبعض الثالث يانع الثمار. بينما أخذ الخدم فى جمع الثمار اليانعة.

وذهب تشاكوتشا إلى حقل آخر، وقرر نفس الأمنية هناك، فتحققت على الفور.

وبعد ذلك تمنى لنفسه قصرًا جميلاً مع الخدم والحاشية، وتحققت رغبته.

وأقام عرسًا فاخرًا لا مثيل له. وعاش مع زوجته فى سعادة وهناء.

* * *

الملك ذو القرنين

يحكى أن أحد الملوك نما فوق رأسه قرنان. لكن أحدًا لم يعرف بهذا الأمر. ولم يظهر الملك لأحدٍ دون تاجه أبدًا.

كان الملك يقطع رؤوس الحلاقين الذين يقصون شعره، كى لا يخبروا أحدًا عن قرنيه وفضيحته. وجاء الدور على أحد الحلاقين الفقراء. وكان يعرف أن أحدًا لا يخرج حيا من قصر الملك بعد أن يقص شعره. فقام بوداع أهله واستعد للموت. وصل الحلاق البائس إلى القصر. وعندما بدأ فى حلاقة شعر الملك وشاهد القرنين، اعترته الدهشة. لكنه تصنع الهدوء ولم ينطق بكلمة. وأعجبَ الملك بسلوك الحلاق. وقرر عدم قتله وقال له:

- لو أنك أخبرت أحدًا عما رأيته، فسوف تطير رقبتك فى تلك اللحظة نفسها!.

ترك الملك الحلاق يغادر القصر. وعندما عاد الرجل إلى بيته، التف حوله الجميع يسألونه عن الوسيلة التى نجا بها من الموت. لكن الحلاق لم ينطق بكلمة خشية فقدان رأسه. وبدأ الحلاق يتورم وينتفخ تحت وطئة السر الذى يكتمه، والرغبة فى القول للناس بأن الملك لديه قرنان فوق رأسه. لكنه ظل صامتًا لا يتحدث حتى انتفخ بطنه وارتفع حتى وصل إلى ذقنه. ولم يعد بوسعه التحمل أكثر من ذلك بعد أن أوشك بطنه على الانفجار. فذهب الحلاق إلى حقل قصبٍ مغمور بالماء، وخلع عودًا منه، ثم تلفت حوله، وعندما لم يجد أحدًا بالقرب منه صرخ بكل قوته:

- إن ملكنا يحمل قرنين فوق رأسه!.

وظل يصرخ مرددًا تلك العبارة حتى شعر بالراحة، وهدأت بطنه وتقلصت، وعاد إلى عافيته.

وحدث ذات مرة أن سار أحد العابرين فى ذلك الحقل نفسه، وأخذ العود الذى قطعه الحلاق من قبل. وصنع منه نايًا يعزف عليه. فأخذ الناى يغنى مرددًا:

- إن ملكنا يحمل قرنين فوق رأسه!.

احتشد الناس والخلق. وعرف الجميع بفضيحة الملك، وأخذوا يضحكون ويسخرون منه، بينما ظل الناى يغنى مرددًا:

- إن ملكنا يحمل قرنين فوق رأسه!.

عرف الملك أن الناس تحتشد فى جميع الشوارع والميادين، وهم يتحدثون عن قرنيه. فتملك الغيظ من الملك وثار ثورة عارمة. وأمر بإحضار الحلاق. وقال له:

- لماذا أخبرت الجميع عن قرنى؟.

رد الحلاق متوسلاً:

- لا يا مولاى الملك، أنا لم أخبر أحدًا على الإطلاق.

- ولماذا يغنى الجميع مرددين أنى أحمل قرنين فوق رأسى؟.

- حسنًا، يمكنك إحضار ذلك الذى يعزف على الناى، ثم تأخذ الناى منه وتعزف عليه بنفسك. وعندئذ سوف تتحقق من صدق كلامى.

أمر الملك بإحضار الناى. وبعد أن أحضره حمله الملك ونفخ ليعزف عليه. فأخذ الناى يردد أمام الجميع: "إن ملكنا يحمل قرنين فوق رأسه!".

ثار الملك من شدة الغضب، لكنه لم يستطع معاقبة الحلاق، حيث إنه قد فضح نفسه بنفسه أمام الجميع.

وهكذا، استطاع الحلاق الفطن النجاة بحياته.

* * *

حكاية الذئب الذى طهر روحه

فى يوم من الأيام جلس الذئب يرتاح بعد أن أكل حتى شبع. واستلقى على جانبه مفكرًا فى نفسه: "إنى أرتكب الكثير من الذنوب طوال الوقت وأشعر بالخطيئة تعتصرنى. وينبغى على إنقاذ روحى. فلأذهب إلى هيروشليم لأصبح كاهنًا وتتطهر روحى".

بعد أن فكر الذئب فى ذلك الأمر، شرع فى تنفيذه على الفور. فدعا إلى الله، وانطلق مباشرة فى الطريق إلى هيروشليم.

وصادف الذئب فى طريقه عجلاً. فقال له:

- مرحبًا بك أيها العجل!.

رد العجل:

- مرحبًا بك أيها الذئب. إلى أين أنت ذاهب؟ وما الذى تنوى القيام به؟.

- لقد قررت أن أصبح كاهنًا. وها أنا ذاهب إلى هيروشليم كى أخلص روحى وأطهرها.

رد العجل:

- فلتصحبك السلامة.

ودع الذئب العجل، وسار مواصلاً طريقه حتى شاهد خروفين يرعيان فى المرعى. فصاح الذئب بهما:

- مرحبًا أيها الخروفان!.

- مرحبًا أيها الذئب، إلى أين أنت ذاهب؟.

- إنى ذاهب إلى هيروشليم أيها الخروفان، وذلك كى أصبح كاهنًا وأخلص روحى من الذنوب التى تراكمت علىّ، حتى أصبحت عبئًا ثقيلاً لا أستطيع تحمله.

صاح الخروفان:

ـ فليوفقك الله فى الطريق!.

لوح الذئب برأسه مودعًا الخروفين. ومضى يواصل طريقه.

سار الذئب حتى صادف حمارًا. وبعد أن عرف الحمار قصته، قام بمباركته وتمنى له الوصول بالسلامة.

ظل الذئب يسير طويلاً حتى وصل إلى مشارف هيروشليم. واستمر فى سيره نحو المدينة المقدسة حتى أصابه الجوع.

كانت هيروشليم تقع عند الماء، فتطلع الذئب نحوها من على الشاطئ. ونظر فشاهد العديد من الكنائس، وعددًا من الكهنة والرُهبان يسيرون هنا وهناك، ويتجولون جيئة وذهابًا حاملين الأقداح فى أياديهم. ففكر الذئب فى نفسه: "ما الذى أتى بى إلى هذا المكان؟ إنهم لن يقبلوا ذئبا مثلى فى الكنيسة. فهل فقدت عقلى حتى أترك العجل والخروفين ولم أقرب الحمار السمين كذلك؟". واستدار الذئب ومضى فى طريق البيت عائدًا أدراجه للبحث عن العجل والخروفين والحمار. وسار حتى صادف الحمار. فلم يقم بتحيته فى هذه المرة، بل مضى نحوه فاغرًا فاه واللُعاب يسيل منه. فاعترت الدهشة الحمار وقال:

ـ ألم تذهب إلى هيروشليم لتخليص روحك من الذنوب؟ ولماذا تريد التهامى الآن؟.

رد الذئب:

ـ عندما تصبح المعدة خاوية فليس هناك وقت للتفكير فى هيروشليم. واستعد للموت، فسوف ألتهمك الآن.

رد الحمار:

ـ حسنًا، يمكنك أن تأكلنى. لكن صاحبى سوف يصيبه البؤس والحزن، بعد أن أنفق على بالأمس ثمن الحدوات الجديدة التى وضعها فوق حوافرى. فأرجو منك أن تنزع حدواتى حتى لا يحزن صاحبى ويصبح مفلسًا.

أمسك الذئب الحدوات بأسنانه لانتزاعها، فقام الحمار برفسه فى وجهه بحوافره رفسة قوية أوقعت أسنانه. وفر الحمار هاربًا بعد أن تركه فى حالة يرثى لها.

التقط الذئب أنفاسه بالكاد، وأخذ يعوى قائلاً:

ـ يا لى من حداد فاشل! مالى بالحدوات ونزعها! ها أنا قد نلت ما أستحق!.

وانطلق الذئب يبحث عن الخروفين. وظل يسير حتى عثر عليهما فى المرعى. فوقف قبالتهما قائلاً:

ـ سوف ألتهمكما معًا الآن!.

أوقفه الخروفان قائلين:

ـ إن هذا المرعى يملكه صاحبان لنا. وقد قاما بتقسيمه وتقسيمنا بينهما. وأصبح كل منهما يمتلك نصف المرعى. لكن هذه المنطقة التى نقف بها لم يقوما بتقسيمها بعد. ولا نعرف المكان الفاصل الذى ينبغى أن يرعى كل منا فيه. فاصنع معروفًا وساعدنا فى تقسيمه، وبعد ذلك يمكنك التهامنا.

سأل الذئب:

ـ وكيف يمكننى تقسيم المكان؟ وهل تظنون أننى أعمل فى قياس الأرض؟.

ـ يمكنك الوقوف فى منتصف هذه البقعة، ثم نبتعد عنك بعض الشىء. وبعد ذلك نركض مسرعين نحوك، ومن يسبق الآخر منا يمكنه الرعى فى هذا المكان.

وقف الذئب فى منتصف البقعة. وركض نحوه الخروفان بكل سرعتهما، ثم نطحاه بكل قوتهما حتى كاد أن يهرسا الذئب المسكين. وسقط الذئب متأوهًا من شدة الألم، بينما فر الخروفان من المكان.

نهض الذئب بالكاد مستجمعًا شتات قواه. وأخذ يجر حوافره جرا يبحث عن العجل وهو يسب نفسه قائلاً:

ـ ما الذى يقحمنى فيما لا يعنينى؟ وهل أنا قياس الأراضى كى أفصل بين الخروفين بدلاً من تمزيق لحمهما على الفور؟.

أخيرًا، وصل الذئب الكاهن إلى العجل. فسار نحوه مباشرة وقال:

- سوف ألتهمك على الفور.

قال العجل:

- حسنًا، يمكنك التهامي. ولكنى أريد منك معروفًا قبل موتى. فأنا أحب الغناء بأنواعه والعزف. ويقولون إنك تغنى جيدًا. وأريدك أن تغنى شيئًا ما بصوتك العذب، ثم تأكلنى بعد ذلك.

وسار العجل مصطحبًا الذئب معه فوق الجبل. واستعد لسماع أغنية الذئب. فجلس الذئب وبدأ فى الغناء والعجل يستمع إليه ويستمع. وتصنع العجل النشوة بصوت الذئب وتسلل خلفه، ثم نطحه نطحة هائلة جعلته يتدحرج فوق الصخور إلى أسفل، بينما فر العجل إلى حيث لا تبصره عين.

استجمع الذئب ما بقى لديه من قوة. واستطاع الوصول إلى جحره بالكاد. وجلس يعوى من شدة الألم ويقول:

- ما الذى يقحمنى فى هذه الأمور؟ وما الذى جعلنى أفكر فى تخليص روحى؟ وهل أنا حداد كى أقوم بنزع حدوات الحمار؟ أم أنا قياس الأراضى لأقسم الحقل بين الخروفين؟ وهل يمكن لأحد أن يصدق أنى مغنى يطرب العجل لغنائى؟ أتمنى أن يوجد أحد يضربنى ضربًا مبرحًا حتى أنال ما أستحقه لحماقتى!.

كان هناك شيخ يختبئ من موظفى الكنيسة عند مدخل جحر الذئب. وسمع الرجل الذئب. فحمل هراوته، وانقض بها يضرب الذئب بكل قوته.

فر الذئب هاربًا وهو يفكر فى نفسه: "فى هذا العالم لا يستطيع المرء الحديث بحرية عند أعتاب بيته".

لقد عرف الشيخ هذه الحكاية من الذئب، ثم قام بسردها علىّ، وقمت أنا بدورى بسردها عليكم.

* * *

روبل واحد مقابل العمل

كان يا مكان رجل لديه ابن واحد كسول لا يحب العمل. وكان ابنه لا يريد فعل أي شيء ولا القيام بأي عمل. ولم يقدر على أن يكسب بعمله وعرقه ولا حتى خمسة كوبيكات(*). وظل الوالد يقوم بإطعامه ما دام استطاع ذلك. لكن العجز حل به وأصابه المرض ولم يستطع مساعدة ابنه. ورقد العجوز في فراشه، ونادى زوجته وقال لها:

- سوف أترك كل ما أملكه لأحد الغرباء، ولن أجعل ابني الكسول يرثني، حيث إنه عاطل فاشل لا يستطيع أن يكسب روبلاً واحدًا بعمله.

حزنت الأم لما قاله زوجها، ودافعت عن ابنها قائلة:

- كيف يمكنك القول إنه لا يستطيع كسب روبل بعمله؟.

أصر الزوج على رأيه قائلاً:

- لو أنه يستطيع ذلك فعليه الذهاب والعمل وكسب ولو روبلاً واحدًا. وعندئذ سوف أترك له كل ما أملك.

ردت الزوجة:

- حسنًا.

وذهبت الأم إلى ابنها، وأعطته روبلا وقالت له:

- اذهب إلى أي مكان وابق به حتى المساء، ثم عد في المساء وأعط هذا الروبل لوالدك، وأخبره بأنك كسبته بعملك.

(*) الكوبك: مثل القرش، هو أصغر وحدة لعملة الروبل الذي يتكون من مئة كوبك - المترجم.

فعل الابن ما قالته الأم. وعاد فى المساء حاملاً الروبل إلى والده، وقال له:

- لقد تعبت وكدحت مقابل هذا الروبل يا والدى.

أخذ الوالد الروبل، وتشممه برهة، ثم ألقى به فى المدفأة قائلاً:

- أنت لم تكسب هذا الروبل بعملك!.

ضحك الابن فى بلاهة وغادر حجرة والده. واضطرت الأم أن تعطى ابنها روبلا آخر، وقالت له:

- اذهب وتجول طوال اليوم أينما تشاء. وفى المساء اركض لأكثر من كيلومترين حتى يبتل جسمك من العرق، ثم اذهب لوالدك وأخبره بأنك قد كسبت هذا الروبل بعرقك.

فعل الابن ما قالته الأم. وأخذ يركض فى المساء حتى أصابه التعب وابتل جسمه من العرق. فأسرع إلى والده قائلاً:

- انظر إلىّ يا والدى. لقد ابتل كل جسمى من العرق بعد أن كدحت كى أكسب هذا الروبل.

أخذ الوالد الروبل، وتشممه برهة، ثم ألقى به فى المدفأة قائلاً:

- لا تكذب على يا بنى، فأنت لم تكسب هذا الروبل بعملك.

لم يكترث الابن لكل هذا الأمر. وابتسم فى بلادة مرة أخرى وخرج من الحجرة.

أدركت الأم سوء الأمر، فقالت لابنها:

- أرأيت يا ولدى! لن يمكنك خداع والدك. وعليك العمل بنفسك. فاذهب واعمل ولو مقابل ثلاثة كوبيكات فى اليوم، حتى تجمع روبلا خلال أسبوع. واذهب به إلى والدك، وسوف يصدقك.

استمع الابن لوالدته. وظل يعمل طوال أسبوع كامل. فيحضر أشياء للبعض، ويحمل أغراضًا وينقلها للآخرين، حتى جمع روبلا من عمله. وذهب به إلى والده.

أخذ الوالد الروبل، وتشممه برهة، ثم ألقى به فى المدفأة قائلاً:

- لا يا بنى، فأنت لم تكسب هذا الروبل بعملك.

لم يتحمل الابن ما فعله والده. وأسرع نحو المدفأة وأخرج الروبل من قلب النار بيديه العاريتين وهو يصرخ قائلاً:

- لقد ظلمتنى يا والدى! إنى عملت لأسبوع كامل حتى انحنى ظهرى كى أكسب هذا المال، فتقوم أنت بعد ذلك بإلقائه فى النار!.

حينئذ قال الوالد:

- إنى الآن أصدق أنك كسبت هذا الروبل بجهدك وعملك بعد أن تألم قلبك من أجله. فهل أدركت يا ولدى صعوبة كسب المال بالعمل؟ إنك سوف تظل شبعان بلا جوع عندما تعمل، وإن لم تعمل فسوف تموت جوعًا.

وبعد هذه الكلمات أوصى الوالد أن يرث ابنه كل ما يملك. ولم يمض وقت طويل حتى رحل إلى حيث لا يعود أحد.

* * *

حكاية الثعلب

ذات يوم جلس الثعلب أسفل شجرة. فسقطت ورقة شجر من أغصان الشجرة فوق ظهر الثعلب. قفز الثعلب وأخذ يركض مذعورًا حتى صادف الذئب الذى سأله:

- ما الذى جرى لك أيها الثعلب؟.

- ألا تدرى ما جرى؟ إن الأرض تتشقق وتنهار، والسماء تنطبق عليها!.

- ومن الذى أخبرك بهذا الأمر؟.

- لقد رأيت بعينى وسمعت بأذنى!.

ركض الثعلب والذئب خلفه قائلاً له:

- سوف أهرب معك!.

- إذن، اركض سريعًا!.

ظل الاثنان يركضان حتى قابلا الدُب الذى سألهما:

- إلى أين تركضان؟ وما الذى جرى أيها الذئب؟.

- ألا تدرى ما جرى؟ الأرض تنشق والسماء تنطبق عليها!.

- ومن أخبرك بذلك؟.

- الثعلب.

- ومن أخبرك بهذا الأمر أيها الثعلب؟.

ـ رأيت بعينى وسمعت بأذنى!.

ـ إذن، خذانى معكما!.

ـ فلتركض مسرعًا!.

ظلوا يركضون حتى قابلوا العنزة التى صاحت تسأل الدُب:

ـ ما الذى جرى أيها الدُب؟ إلى أين تركض؟.

ـ الأرض تنفلق والسماء تنطبق عليها!

ـ ومن قال هذا؟.

ـ الذئب.

ـ ومن أخبرك بهذا أيها الذئب؟.

ـ الثعلب.

ـ ومن قال لك هذا أيها الثعلب؟.

ـ رأيت بعينى وسمعت بأذنى!.

ـ خذونى معكم!.

ـ فلنركض بسرعة!.

ظلوا يركضون ويركضون حتى قابلوا الخروف والديك، فأخبراهما بالأمر، وانضم الخروف والديك إليهم.

ومضت القافلة تضم الثعلب والذئب والدُب والعنزة والخروف والديك.

وعند حلول المساء وصلوا إلى الطاحونة. وقرروا المبيت فيها. فدخلوا إليها وأخذ كل منه مكانه، حيث تقدمهم الثعلب أولاً، ثم الذئب، والدُب، والعنزة، والخروف. وجلس الديك فى آخر مكان بالطاحونة.

وقف الثعلب أمام الجميع قائلاً:

ـ أنا أكبركم سنًا، ثم يأتى الذئب، ومن بعده الدُب، ثم العنزة، والخروف، والديك هنا هو أصغرنا.

هجم الجميع على الديك. فمزقوا جسمه إربًا. وعندما انتهوا من التهامه وقف الثعلب يصيح ثانية:

ـ أنا أكبركم سنًا، ثم يأتى الذئب، ومن بعده الدُب، ثم العنزة، والخروف هنا هو أصغرنا.

هجم الجميع على الخروف. فمزقوا جسمه إربًا، والتهموا لحمه. ووضعوا دهنه داخل برميل. وعندما انتهوا من وليمتهم نهض الثعلب وبدأ يردد مرة أخرى:

ـ أنا أكبركم سنًا، ثم يأتى الذئب، ومن بعده الدُب، ثم العنزة هنا هى أصغرنا.

أمسكوا بالعنزة. فمزقوا جسمها إربًا. وأكلوا لحمها ووضعوا الدهن فى برميل.

ومن جديد نهض الثعلب يصيح:

ـ أنا أكبركم سنًا، ثم يأتى الذئب، ومن بعده الدُب هنا هو أصغرنا.

هجم الذئب والثعلب على الدُب، وبدأ الصراع بين كلٍّ منهما، وتدحرجوا على الأرض يجذب كل منهما الآخر، ولم يستطع الذئب والثعلب التغلب على الدُب.

طال الصراع مع الدُب حتى خارت قواه. وقتله الذئب والثعلب، وسلخوا جلده وسلقوا لحمه، وأخذوا دهنه ووضعوه فى البرميل. وامتلأ البرميل بالدهن حتى قمته.

وفر لحم الدُب الطعام للذئب والثعلب لأسبوع كامل. وعندما أكلا كل اللحم أراد الذئب تناول بعض الدهن فغضب الثعلب قائلاً:

ـ أنتم جميعًا يا معشر الذئاب تتسمون بالبخل والشراهة! عليك الصبر والانتظار، فإن الدهن كلما طالت فترة تخزينه يصبح أشهى، فلننتظر لأسبوع آخر ثم نأكل منه.

وافق الذئب بينما أخذ الثعلب يتسلل إلى البرميل كل مساء، ويلتهم من الدهن حتى الشبع تاركًا الذئب يكاد يموت جوعًا.

مر أسبوع كان الثعلب خلاله قد التهم كل الدهن. وصاح الذئب:

- فلنفتح البرميل ونأكل منه اليوم.

- حسنًا، ولكن يد الذئب دائمًا تجلب الحظ، فافتحه أنت.

تسلل الثعلب نحو كوة المخرج، بينما ذهب الذئب نحو البرميل وفتحه، فلم يجد بداخله شيئًا. ثار غضب الذئب وهجم على الثعلب، لكن الثعلب قفز من فتحة الطاحونة وفر هاربًا. ومضى الذئب يطارد الثعلب.

أخذ الثعلب يركض والذئب فى أثره، حتى وصل الاثنان إلى الغابة. واندفع الثعلب هاربا إلى قلب الغابة، وقفز واختبأ بين شجرتين، وانقض الذئب عليه، لكنه انحشر بين هاتين الشجرتين، ولم يستطع التحرك للأمام أو للخلف. فالتفت الثعلب نحوه، ونظر إلى الذئب المحشور، ومضى مواصلاً الركض حتى اختفى فى الغابة. وظل الذئب يحاول التملص والفكاك حتى نجح أخيرًا فى الخروج بجسمه من بين الشجرتين.

وذات مرة كان الذئب يجمع الحطب فى الغابة ويقطع الأغصنة. وشاهد الثعلب يركض بالقرب منه، فألقى ببلطته نحو الثعلب، فأصابت البلطة ذيله وقطعته. وفرح الذئب قائلاً: "والآن لن يمكنك الاختباء منى، وسوف أعثر عليك!".

ركض الثعلب مقطوع الذيل فقابل أصدقاءه من الثعالب، وصاح أحدهم قائلاً له:

- إن مظهرك الجديد يبدو أسمن، فكيف قمت بذلك؟.

- اقطعوا ذيولكم وسوف تصبحون أسمن مثلى.

- وكيف يمكننا قطع ذيولنا؟ أخبرنا عن الوسيلة للقيام بذلك.

- اذهبوا معى وسوف أعلمكم.

اصطحب الثعلب أصدقاءه نحو النهر، ووضعوا ذيولهم داخل الماء البارد، وظلوا على هذا الحال طوال ليلة الشتاء البارد. وفى الصباح كانت كل ذيول الثعالب قد تجمدت من شدة الصقيع، وانفصلت عن أجسامهم.

عرف الذئب بذلك الأمر فثار غضبه قائلاً:

- كيف يمكننى الآن التعرف على الثعلب المخادع؟.

فكر الذئب وفكر حتى واتته فكرة أن يمد جسرًا من الحبال حول النهر. وقال فى نفسه: "عندما تعبر الثعالب هذا الجسر، فسوف يتحملهم جميعًا، أما الثعلب المخادع فلن يتحمله الجسر لأنه أثقلهم وزنًا".

صار الأمر على هذا النحو. فعبرت جميع الثعالب الجسر. وعندما جاء ثعلبنا السمين وبدأ فى عبوره، تمزق الحبل من ثقل وزنه وسقط الثعلب فى الماء. فأسرع الذئب نحوه وأمسك به.

ذهب الذئب بالثعلب إلى البيت ووضع السكين حول رقبته. وعندما همّ بذبحه صاح الثعلب قائلاً:

- ررررر!.

سأل الذئب فى دهشة:

- ما الذى تصرخ به أيها الثعلب؟.

- لا شىء، هيا أيها الوغد الحقير اقتلنى على وجه السرعة!.

- لا، أخبرنى عما قلته أولاً!.

- لقد قلت بأننى أستطيع تجميلك حتى إن أحدًا فى العالم لن يصبح أجمل منك.

- وكيف يمكنك تجميلى؟.

- اتركنى وسوف أخبرك بالطريقة.

ترك الذئب الثعلب. فأمره الثعلب بأن يحضر بلطة ويضعها فى قلب النار حتى تحمر من السخونة. وفعل الذئب ما طلبه الثعلب. فحمل الثعلب البلطة وقال:

- عليك الآن أن ترقد، وسوف أمرر البلطة فوق رقبتك بينما تصيح مرددًا: "ررررر".

رقد الذئب. وحمل الثعلب البلطة وأخذ يمررها فوق رقبة الذئب، ثم قطع رأس الذئب بالبلطة.

واستولى الثعلب على كل ما يمتلكه الذئب.

ولو كان كل ما جرى ليس حقيقيا، فلن يضيرنا فى شيء أبدا.

* * *

حكايات شعبية من أبخازيا

الأشـقـاء الـثـلاثـة

كان ياما كان ثلاثة من الأشقاء يعيشون مع والدهم. وذات يوم جلس الأشقاء الثلاثة حول والدهم، فحكى لهم أن هناك بقرة يمتلكونها قد ضاعت منذ زمن طويل.

وعندما انتهى الوالد من حكايته قفز الابن الأكبر قائلاً:

. إن الذى استولى على بقرتنا قصير القامة.

وما إن أنهى عبارته، حتى نهض الشقيق الأوسط وصاح بدوره:

. لو أنه قصير القامة، فلا بد أن يكون أشقر الشعر.

وبعد أن قال عبارته، نهض الشقيق الأصغر وأضاف قائلاً:

. لو أنه أشقر وقصير الطول فلا بد أن عينيه زرقاوان.

عندئذ قال الوالد لأبنائه:

. حسنًا أيها الأبناء لو أنكم على حق فيما تحزرون، فلن يقف أمامكم شىء أبدًا!. فلتذهبوا فى طريقكم وليحفظكم الله.

وأعطاهم طعامًا للطريق، ثم تركهم يخرجون للبحث عن البقرة.

سار الأشقاء طويلاً طويلاً، وأخيرًا وفى مكان قريب فى الغابة شاهدوا فلاحًا يقطع الحطب. وكان الرجل على نفس الهيئة التى تحدثوا عنها. فصاح الشقيق الأكبر:

. ها هو الرجل الذى سرق بقرتنا! هيا نمسك به.

أمسك الأشقاء بالفلاح الذى سألهم:

- ما الذى تريدونه؟.

رد الأشقاء:

- لقد سرقت بقرتنا! فأعدها إلينا وإلا نقتلك.

أدرك الفلاح أن الأشقاء يمكنهم قتله، فصار يقنعهم بالذهاب إلى قاضى القرية.

ذهب الجميع إلى القاضى وحكوا له الأمر. لكن القاضى لم يستطع اتخاذ قرار، فقام بإخفاء ثمرة برتقال ووضعها خلسة أسفل القصعة، ثم نادى على الأشقاء وقال لهم:

- لن يمكننى حل قضيتكم إلا بعد أن تحزروا الشىء الموجود تحت القصعة، ولو نجحتم فى هذا فذلك يعنى أنكم تعرفتم بالفعل على سارق بقرتكم، وسوف تحصلون على بقرة أخرى إضافية باعتبارها نوعا من التعويض، وإن لم تحزروا الشىء فسوف آخذ منكم بقرة.

كان هذا ما أراده الأشقاء. فالتفوا حول الطاولة وصاح أكبرهم:

- إن الشىء الراقد تحت القصعة مستدير.

أضاف الشقيق الأوسط:

- بما إنه مستدير فلا بد أن يكون أصفر اللون.

وقال الأصغر:

- لو أنه مستدير وأصفر اللون، فإن هذا الشىء ما هو إلا برتقالة.

أعجب القاضى بما فعلوه، وأسقط الأمر فى يده. فأعطى الأشقاء البقرة، ومنحهم واحدة ثانية كما وعدهم. وعاد الأشقاء إلى بيتهم مع البقرتين.

* * *

المقايضـة

عثر عجوز فى فناء بيته على بعض حبوب القمح، فقال لزوجته:

. اجمعى هذه الحبوب أيتها العجوزة، ثم قومى بتحميرها على النار، واطحنيها فى المطحنة واصنعى منها طبقًا مملوءًا بالعصيدة. وسوف آخذ هذه العصيدة وأذهب بها إلى الأمير هدية له.

فعلت العجوزة ما طلبه الزوج. فحمل العجوز العصيدة وذهب بها إلى الأمير.

شاهد الأمير الهدية التى حملها إليه العجوز الفقير. فمنحه جوالاً صغيرًا مملوءًا بالذهب وقال له:

. تمتع بهذا المال ما دمت حيًّا.

فرح العجوز وخرج فى طريقه إلى البيت. وأثناء سيره توقف ليرتاح تحت ظل إحدى الأشجار. واقترب منه رجل على فرسه، وألقى عليه التحية وسأله:

. أيها العم، من أين أتيت؟ وإلى أين تذهب؟.

قص العجوز على الرجل ما جرى معه، وعن ذهابه إلى الأمير بالهدية، وحول إشفاق الأمير عليه ومنحه جوالاً مملوءًا بالذهب.

قال الفارس:

. إن جوال الذهب هذا سوف يرهقك بوزنه الكبير. ومن الأفضل لك أيها الجد أن تقايضنى به، وأمنحك مقابله حصانى هذا، وعندئذ يمكنك العودة إلى البيت بسرعة.

فكر العجوز فى نفسه: "إن هذا الفارس يقول الحقيقة".

أعطى العجوز الذهب للرجل وأخذ منه الحصان. وامتطى الحصان ومضى يسير به. لكن الفرس جمح بالعجوز، فلم يستطع التمسك بالسرج ووقع من فوقه. وجلس العجوز يتأوه ويتألم من أثر الوقعة. وفى هذا الوقت اقترب منه أحد الرعاة، وسأله:

ـ ماذا بك أيها الجد؟.

قص العجوز على الراعى كل ما جرى بالتفصيل. فقال الراعى له:

ـ من الأفضل لك أن تقايضنى بالفرس الجامح هذا حتى لا يتسبب فى قتلك، وأعطيك مقابله إحدى بقراتى.

وافق العجوز وأخذ البقرة، ومضى يسير بها نحو البيت. وفى الطريق قابل رجلاً يسوق خروفا أمامه. وسأله صاحب الخروف:

ـ من أين أتيت أيها الجد؟.

قص العجوز على الرجل حكايته. وعندئذ قال له صاحب الغنم:

ـ سوف تتعذب مع هذه البقرة وتتكبد العناء، ولن تصل بها إلى البيت فى جميع الأحوال. ولكن خروفى وديع ويمكننى مقايضتك به مقابل بقرتك.

ووافق العجوز على عرض الرجل. وأخذ الخروف ومضى فى طريقه.

وصادف العجوز أثناء سيره امرأة تحمل إوزة تحت إبطها. وسألته المرأة:

ـ إلى أين أنت ذاهب أيها الجد مع خروفك؟.

حكى العجوز للمرأة عما جرى معه أثناء الطريق. وعندئذ قالت المرأة له:

ـ إن هذا الخروف سوف يسبب لك العناء والتعب، ولن يمكنك الذهاب به إلى البيت فى جميع الأحوال لأنك عجوز مسن! ومن الأفضل لك أن تقايضنى به مقابل هذه الإوزة.

ومرة أخرى لم يرفض العجوز، وبادلها بالإوزة وذهب مواصلاً طريقه.

بعد ذلك صادف العجوز فتاة تحمل دجاجة. وقالت له الفتاة:

ـ لماذا ترهق نفسك بحمل هذه الإوزة الكبيرة؟ إنك رجل عجوز، ومن الأسهل عليك أن تحمل الدجاجة.

وافق العجوز من جديد، وأخذ الدجاجة مقابل الإوزة، ومضى فى طريقه.

وأثناء سيره قابل رجلاً يحمل نعلاً جديدًا تحت إبطيه. وقال له الرجل:

ـ إن هذه الدجاجة لن تنفعك أيها العجوز بعد أن سقطت جميع أسنانك. أليس من الأفضل لك أن تقايضنى بها مقابل هذا النعل؟.

وافق العجوز على طلب الرجل، وأخذ النعل ومضى فى طريقه. وبعد أن سار لفترة جلس تحت ظل شجرة وحاول أن ينتعل النعل فى قدميه، لكنه لم يكن مناسبًا له.

فى هذا الوقت اقترب منه بائع للأشياء الصغيرة الرخيصة، وسأله:

ـ ماذا بك أيها الجد؟ وأين كنت؟.

حكى العجوز للبائع عن حكايته وما جرى معه. فقال البائع:

ـ إن النعل لا يناسبك كما ترى أيها الجد، ومن الأفضل أن تقايضنى به وتأخذ هذه الإبرة مقابلاً له. وسوف تشكرك زوجتك العجوزة عليها.

فكر العجوز فى نفسه: "هذا البائع يقول الحقيقة". وقايض النعل بالإبرة، ثم رشقها فى طيات جلبابه القديم. وواصل سيره فى الطريق. وبعد فترة وجيزة توقف للراحة. وبعد أن نال كفايته نهض من جلسته، ولاحظ فجأة أنه قد فقد الإبرة. فأخذ يبحث عنها فى عجلة. وفى هذا الوقت اقترب منه أحد الأمراء وسأله:

ـ ما الذى تبحث عنه أيها الجد؟.

قص العجوز على الأمير حكايته من أولها حتى آخرها. فصاح الأمير فى دهشة:

- أووه! إنها الحماقة بعينها أن تفقد جوالاً مملوءًا بالذهب. وعندما تعرف زوجتك العجوزة بهذا الأمر، فلن تسمح لك بدخول البيت!.

رد العجوز:

- لن توبخنى زوجتى العجوزة على هذا الأمر، حتى لو كنت قد ضيعت هذه الثروة.

- كيف تظن أنها لن توبخك بعد أن فقدت هذه الثروة الكبيرة؟.

ومرة أخرى أصر العجوز قائلاً:

- لا، لن توبخنى أبدا!.

عرض الأمير على الرجل قائلاً:

- ما رأيك لو أقمنا بيننا رهانًا كالتالى: سوف أعطيك مئة ألف روبل لو أن زوجتك العجوز سامحتك ولم تغضب منك.

- حسنًا.

وانطلق العجوز مع الأمير إلى البيت.

وعندما وصلا إلى البيت ذهب العجوز إلى زوجته العجوزة، بينما اختبأ الأمير فى ركن من البيت يسترق السمع.

سأل العجوز زوجته:

- أما زلت على قيد الحياة؟.

ردت العجوزة:

- أنا ما زلت حية، فماذا عنك؟ ما الذى أعطوه لك هناك؟ وإلى أين ذهبت؟.

قصّ العجوز على زوجته حكايته مع الأمير الذى منحه جوالاً مملوءًا بالذهب، وحول مقايضته أثناء الطريق بالعديد من الأشياء، حتى انتهى أمره بالإبرة التى فقدها.

قالت العجوزة:

.لو أنك جئت بالذهب لكان وفر لنا الطعام حتى موتنا، ولكن بما أن الأمور مضت على هذا النحو فحمدًا لله على عودتك حيًّا معافى.

عندما سمع الأمير ما قالته الزوجة اعترته الدهشة، وذهب إلى العجوز ومنحه مئة ألف روبل.

واستطاع العجوز وزوجته توفير الطعام بهذا المال حتى موتهما.



الطائر المبرقش والفأر

كان الفأر يركض على الطريق عندما شاهد طائرا مبرقشا بين الشجيرات. فأخذ يشكو له حاله قائلا:

ـ لا يوجد مكان يمكننى الاحتماء به، فالهرر تطاردنى فى كل مكان، والبشر ينصبون لى الأفخاخ والمصايد، ولا يتركوننى أعيش فى هدوء.

أجاب الطائر المبرقش على الفأر:

ـ وحياتى أيضًا تسير مثلك. وعندما تشاهدنى الهرة تقفز نحوى وتريد التهامى، وكلما يرانى السنجاب يظل يطاردنى!.

عرض الفأر قائلاً:

ـ ما رأيك لو نعيش معًا؟.

ـ وأنا موافق.

اختار الاثنان لأنفسهما قطعة صغيرة من الأرض. وقررا أن يقوما بتنظيفها من الحشائش الطفيلية. وعندما شرعا فى العمل نظر الطائر المبرقش الذى لم يعتد العمل وقال كاذبًا:

ـ لقد كدت أنسى أن شقيقى سوف يتزوج، وعلى الذهاب لتهنئته. وسوف أضطر لتركك أيها الفأر كى تعمل بمفردك.

رد الفأر:

ـ حسنًا، اذهب وسوف أظل أعمل بمفردى.

حلق الطائر فى الغابة مغردًا. وظل يقفز من غصن إلى آخر، ويتابع عن بعد عمل الفأر. وعندما شاهد الطائر أن الفأر قد انتهى من العمل حلق عائدًا إليه. فقال له الفأر:

- ما الذى أخرك طويلاً أيها الطائر؟ لقد كدت أهلك من فرط التعب.

- لقد طال الاحتفال بزواج شقيقى، ولم أستطع ترك الضيوف ومغادرة الحفل.

وبعد تنظيف الأرض قاما بحرثها وغرس بذور الذرة بها. وعندما نمت أعواد الذرة، أخذا فى نزع الأعشاب والحشائش الضارة. وشعر الطائر المبرقش بصعوبة العمل فصاح قائلاً:

- لقد مات والدى، وينبغى على الذهاب لإلقاء نظرة الوداع عليه.

رد الفأر مواسيًا الطائر:

- حسنًا، فهذا الأمر يحدث مع الجميع! اذهب لوداع والدك.

حلق الطائر مرة أخرى إلى الغابة، حيث قضى وقته فى المرح والقفز فوق الأغصان، وهو يراقب عمل صديقه عن بعد.

وعندما أوشك الفأر على الانتهاء من نزع كل الأعشاب الضارة، حط الطائر بقربه لتقديم العون.

نظر الفأر إلى الطائر بغضب وقال:

- لقد أعيانى العمل، فأين كنت طوال هذه الفترة؟.

كذب الطائر مثل العادة وقال:

- لقد مرضت أمى بعد دفن والدى. ولهذا اضطررت للبقاء معها بعض الوقت.

نضج المحصول وأخذ الاثنان فى جمع الذرة وتقسيمها بينهما. وقام بينهما نزاع حول هذا الأمر. فقال الفأر:

- سوف يحصل على نصيب أكبر من عمل أكثر من الآخر.

لم يرغب الطائر المبرقش فى سماع هذه الكلمات. وطالب الفأر بالحصول على نصف الذرة. وتحول النزاع بينهما إلى شجار.

وفى هذا الوقت مر بعض الفرسان بالقرب منهما. فطلب الفأر والطائر من الفرسان أن يحكموا بينهما. وبعد سماع الحكاية قال الفرسان:

- عليكما أن تعلنا الحرب على بعضكما البعض، وليأخذ المنتصر كل المحصول لنفسه.

نادى الطائر المبرقش على جميع الطيور، ونادى الفأر على كل من يسير على أربع، وبدأت المعركة. وانتصر السائرون على أربع فى نهاية المعركة.

وهكذا كانت النتيجة: لا يحصل على شىء من لا يريد العمل.

❋ ❋ ❋

حكايات شعبية من أرمينيا

الحمل والذئب

كان ياما كان حمل صغير يعيش فى زريبته. وذات يوم تسلل الذئب إلى الزريبة وأمسك بالحمل. فخر الحمل أمام قدمي الذئب راجيًا:

- لقد وهبني الله لك! ويمكنك التهامي، ولكني أرجوك أن تحقق لى أمنيتى الأخيرة، وتعزف لى على الناى. فقد عرفت عن أجدادى أن الذئاب من أعظم العازفين على الناى.

أمسك الذئب بالناى وأخذ يعزف عليه ويعزف.

استيقظت الكلاب على صوت الناى، وهجمت على الذئب تعضه وتعقره فى أنحاء جسمه.

فر الذئب هاربًا من الزريبة، وأخذ يركض حتى وصل إلى التلة التى يعيش بها، ثم جلس وأخذ يبكى ويضرب نفسه قائلاً:

- إنى أستحق كل ما جرى لى! كيف يمكننى أن أكون عازفًا، بينما كنت دائمًا جزارًا ابن جزار.

* * *

الضفدع الطبيب

أخذ الضفدع جرنًا وعلبة دهان، وقام بتعليقهما حول رقبته، وسار يصيح مناديا:

. أنا العالم الطبيب، أعالج كل الأمراض وأعرف الدواء لكل داء.

وأتت إليه الحيوانات كى يقوم بعلاجها، ثم جاء الثعلب ونظر إلى الضفدع يتفحصه وقال:

. أنت أيها الضفدع، إن جسمك كله من رأسك حتى أخمص قدميك تغطيه القروح والأخرجة، فكيف يمكنك علاج الآخرين؟

* * *

الفصيل(*) والجحش

جلس الفصيل والجحش يبكيان ويقولان لوالديهما:

- الجوع يكاد يفتك بنا! لماذا يطعمون الخنزير الشعير ويلقمونه الطعام فى فمه طوال اليوم فى الوقت الذى يطردوننا فيه ولا يطعموننا!.

قال الوالدان:

- عليكما التحلى بالصبر، وسوف يأتى الوقت الذى لن تحسدوه فيه.

حل فصل الشتاء، وبدأ أصحاب البيت فى ذبح الخنازير. وسمع الفصيل والجحش أصوات صراخ الخنازير، فتملكهما الخوف وأسرعا إلى والديهما قائلين:

- لماذا يصرخون؟.

ذهب الوالدان مع الصغار وعرضا عليهما الجثث المسلوخة للخنازير. فرفع الفصيل والجحش حوافرهما وصاحا فى صوت واحد:

- انتبهوا وانظروا حولكم جيدًا لو أن هناك حبة واحدة من حبوب الشعير سقطت فى معلفنا! ولو كانت هناك حبة واحدة فأخرجوها على وجه السرعة.



(*) الفصيل هو صغير الجمل - المترجم.

النساج الحكيم

في يوم من الأيام، عندما كان الملك جالسًا على عرشه، جاء إليه مسافر رحالة من أقاصى الأرض. وقام الرجل برسم دائرة حول العرش، ثم وقف مبتعدًا فى صمت. لم يدرك الملك شيئًا مما فعله الرحالة الغريب. فنادى على أتباعه يسألهم، لكن أحدًا منهم لم يستطع تفسير الأمر. ووقع الملك فى حيرة وشعر بالخزى والعار من عدم وجود أحد فى بلاده يمكنه تفسير الأحجية وشرح معنى الخط الذى رسمه الرجل حول العرش. فأصدر أمره الحاسم بقتل جميع الحكماء فى البلاد إن لم ينجحوا فى حل هذا اللغز.

مضى أتباع الملك يبحثون عن الحكيم الذى يمكنه حل اللغز، حتى عثروا بالصدفة على بيت بالقرب من الجبل. وعندما دخلوا إليه شاهدوا حجرة بداخلها مهد يتأرجح، وذلك على الرغم من عدم وجود أحد بجانبه. ودخلوا حجرة أخرى، فشاهدوا فيها مهدًا آخر يتأرجح، ولم يكن هناك أحد من الناس بجواره. وصعدوا إلى سقف البيت فشاهدوا شعيرًا مغسولاً منثورًا، وبالقرب منه قصبة مغروسة فى الأرض تتأرجح وتطرد الطيور كى لا يلتقطوا حبات الشعير، وذلك على الرغم من عدم وجود ريح تدفع القصبة.

اعترت الدهشة أتباع الملك. فهبطوا إلى الحجرة السفلية. وهناك شاهدوا نساجًا ينسج خلف المغزل. وقد قام النساج بلدم خيط عند قاعدة المغزل والآخر عند اللُحمة، ووضع الخيط الثلث خلف المكوك اليدوى. وفى الوقت الذى عمل فيه على نسج الخيوط، كانت المهاد تتحرك وتتأرجح ومعها القصبة فوق السقف.

صاح الأتباع:

- إن هذا الصانع الماهر ليس أقل فطنة من الحكماء!.

حكى أتباع الملك للنساج حول الرجل الرحالة الذى رسم خطًا حول عرش الملك، ولم ينجح أحد فى إدراك ما يعنيه الرجل وما يريد قوله بهذا الخط، ثم عرضوا على النساج أن يذهب معهم ويحل هذا اللغز. وأضافوا قائلين:

- ولو نجحت فى حل اللغز، فسوف يجزل الملك لك العطاء.

فكر النساج لبعض الوقت، ثم نزع ركيزتى المغزل الخشبيتين، وحمل دجاجة وذهب مع الأتباع إلى الملك. وعندما وصل إلى القصر وشاهد الغريب الرحالة، ألقى النساج أمامه بالركيزتين الخشبيتين. ولما شاهد الرحالة هذا الأمر، أخرج من جيبه حفنة كبيرة من البذور، وألقى بها على الأرض. فأخذ النساج الدجاجة وألقى بها على الأرض. وأخذت الدجاجة فى التقاط البذور الملقاة بسرعة كبيرة. وبعد هذا انتعل الغريب نعله فى لمح البصر وخرج من القصر. وسأل الأتباع النساج:

- ما الذى أراد أن يخبرنا به الرحالة؟

- لقد أراد الرحالة أن يخبر ملكنا بأن ملكه يستعد للمجىء وحصار أرضنا، وأراد معرفة إن كان ملكنا سوف يستسلم له بالحسنى أم يخرج إليه بالجنود والجيوش. وقد ألقيت أمامه بالخشبتين، وذلك فيما يعنى القول: "إنكم أطفال بالنسبة إلينا، ومن الأفضل لكم أن تلهوا فى البيت بهذه العصى، وأن تكفوا عن التفكير فى القتال معنا". وعندما قام الرجل بنثر الحبوب، فذلك لأنه أراد إظهار الأعداد الغفيرة لقواته التى لا يفوقها أحد. وعندئذ ألقيت بالدجاجة كى أوضح له أن مقاتلاً واحدًا منا يستطيع تحطيم كل قواتكم.

قام الملك بتكريم النساج على فطنته، وأجزل له العطاء وأراد تنصيبه وزيرًا له، لكن النساج لم يقبل المنصب. واكتفى بأخذ القليل مقابل عمله، وعند وداع الملك قال له:

- أريد شيئًا واحدًا أيها الملك، وهو أن تدرك وجود أُناس من بين رعيتك أكثر ذكاءً وفطنة من وزرائك وحاشيتك، وأن تنظر من الآن فصاعدا إلى النساجين والإسكافيين باعتبارهم أناسًا محترمين.

* * *

الحرفة أثمن من الذهب

كان ياما كان ملك ثرى يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان كثيرًا ما يتسلل بعيدًا عن الوزراء والحاشية، ويتنكر فى ثياب فقيرة، ثم يخرج يطوف المدن والقرى، ويستمع لما يقوله الرعية عنه.

وذات يوم شاهد الملك فتاة بارعة الجمال حتى إن كل من يشاهدها يقول: لا أريد طعامًا ولا شرابًا، بل فقط أريد النظر إليها.

عاد الملك إلى قصره، وقال لوزرائه وحاشيته:

ـ فى القرية الفلانية تعيش فتاة حسناء لا نظير لجمالها فى العالم. فاذهبوا إليها وأخبروها أن الملك يريد الزواج بها.

انطلق الوزراء والحاشية إلى تلك القرية، حيث عثروا على بيت الفتاة، وانبهروا بدورهم من شدة جمالها الساحر. وأخبروا والد الفتاة وأمها عن رغبة الملك فى الزواج بابنتهم بعد انبهاره بحسنها.

كان والد الفتاة مزارعًا فقيرًا. ولم يصدق أن الملك يمنحه هذا الشرف بطلب ابنته للزواج. لكن أتباع الملك أكدوا للرجل على طلب الملك، وعندئذ قال لهم:

ـ نحن جميعًا رعايا الملك، وكل ما يأمر به واجب النفاذ.

وخاطب ابنته قائلاً:

ـ ابنتى العزيزة! لقد بعث الملك بوزرائه لخطبتك. فبما أجيب عليهم؟.

سألت الفتاة قائلة:

- وما المهنة التى يحترفها الملك؟.

- هل جُننت يا ابنتى؟! أى مهنة يمكن أن يعمل بها الملك؟ إنه يمتلك هذا العالم، وما يرغب فيه يفعله، وما نحن إلا مجرد خدم وأتباع له.

- لا يا والدى، فلا بد أن يمتلك زوجى حرفة يعمل بها، وإلا فلن أتزوج به.

عاد الوزراء والأتباع إلى الملك حاملين معهم رد الفتاة. واعترت الدهشة الملك، وأُسقط فى يده، وقرر أن يتعلم حرفة كى يلبى طلب الفتاة.

اختار الملك حرفة بسيطة كى يتعلمها، وهى غزل السجاد. وعندما تمكن من هذه الحرفة وأتقن أصولها، صنع الملك لعروسه سجادة رائعة الجمال. وقامت الفتاة بوداع والديها، وخرجت مع الوزراء والحاشية إلى قصر الملك.

أقام الملك الأفراح وليالى الملاح التى استمرت سبعة أيام بمناسبة زفافه. وتزوج الاثنان وعاشا فى سعادة وهناء.

ومرّ عام ثم عامان، وتنكر الملك مرة أخرى فى ثياب فقيرة. وخرج يطوف المدن والقرى ليعرف ما يقوله الناس عنه.

وذات يوم وقع الملك فى أيدى بعض اللصوص أثناء تجواله فى القرى. وعندما عرف اللصوص مهنته فى غزل السجاد، قرروا عدم قتله، وقاموا ببيعه إلى أحد التجار الأثرياء.

وضع التاجر الملك فى حجرة صغيرة مظلمة، وأحضر له صوفًا كى يقوم بنفسه وغزل سجادة منه. وصنع الملك سجادة فائقة الجمال ليس لها نظير فى العالم.

وعندما شاهدت زوجة التاجر هذه السجادة قالت لزوجها:

- فلتأمره بغزل سجادة كبيرة، ثم تذهب بها هدية إلى الملك، وسوف يجزل لك العطاء بعد ذلك.

ذهب التاجر إلى حجرة سجينه وقال له:

- أُريدك أن تصنع هدية للملك. وأن تغزل سجادة تليق به، ولا يكون لها نظير فى العالم بأسره، وأن يكون حجمها ومقاسها مطابقًا لقاعة قصر الملك، فلا تزيد أو تقل بشعرة واحدة، ولو لم تصنعها على هذا النحو، فسوف تطير رقبتك.

فرح الملك عندما سمع طلب التاجر، حيث إنه يعرف جيدًا طول قاعته وعرضها. وقام بغزل السجادة التى طلبها منه التاجر، ثم نقش عند طرفها بعض الكلمات التى يمكن لزوجته فقط أن تقرأها، وتدرك منها المحنة التى وقع فيها وتقوم بتحريره.

أعجب التاجر بعمل الملك، وحمل السجادة وخرج إلى القصر الملكى.

أخبر الوزراء الملكة عن الهدية التى أحضرها التاجر. فقامت الملكة بفرد السجادة، ورأت أنها مطابقة تمامًا لمساحة القاعة. فتملكتها الدهشة الشديدة، وأخذت تتفحص أقسام السجادة، حتى شاهدت عند طرفها بعض الكلمات. وعندما قرأتها أدركت المحنة التى وقع فيها زوجها، فامتقع وجهها من الحزن. فقد كان الملك سابقًا يطوف بالبلاد والعباد لأشهر وسنوات، ولم يخطر ببالها قط أن يحدث له ما جرى.

أمرت الملكة فى الحال بإحضار ذلك النساج الذى غزل السجادة، على أن يكون فى حال سليم معاف.

خرج الوزراء والحاشية مع التاجر إلى بيته. وعندما دخلوا الحجرة الصغيرة المظلمة، لم يتعرفوا إلى الملك بعد أن تبدلت هيئته. فذهبوا بالنساج إلى الحمام كى يستحم، ثم ألبسوه ثيابًا جديدة وذهبوا به إلى القصر الملكى. أما التاجر فأخذ ينصح النساج ويرشده عن السلوك الذى ينبغى اتباعه فى قصر الملك، وعن ضرورة ركوعه أمامه.

وما إن دخل الملك قاعة قصره، حتى ارتمت الملكة فى أحضانه، وأخذت تعانقه وتقبله. وقال الملك:

- حقًا ما يقولون يا زوجتى، إن الحرفة أثمن من الذهب.

وغمر ضياء الخير المكان هنا، ولفت عتمة الشر الأعداء.

❊ ❊ ❊

مد ساقيك بطول لحافك

ذات مرة طلب الملك أن يمثل أمامه جميع الخياطين فى البلاد، وأمر بحياكة لحاف له، على أن يطابق طوله تمامًا لا أقصر ولا أطول. ولم يستطع أحد من الخياطين تلبية رغبة الملك، فأمر بقطع رؤوسهم جميعًا.

بعد ذلك جاء إليه خياط آخر، وقال له:

ـ أيها الملك، سوف أخيط لك لحافًا يناسبك تمامًا، لا أطول ولا أقصر. وإن أمرت فسوف أشرع فى العمل فورًا.

رد الملك:

ـ حسنًا، ابدأ فى خياطته، ولكنى أحذرك مسبقًا بأن اللحاف لو خرج من يديك أطول أو أقصر فسوف آمر بقطع رقبتك!.

ـ حسنًا، وأنا أوافق.

بدأ الخياط فى العمل، وانتهى من حياكة اللحاف، وصنعه أقصر بعض الشىء عن عمد، ثم حمله ووضعه أمام الملك، بينما أخفى خلف مئذره سوطًا، وقال الخياط للملك:

ـ أيها الملك أطال الله عمرك، لقد أحضرت اللحاف الذى طلبته، ويمكنك أن تجربه الآن.

ـ حسنًا، سوف أجرب طوله.

رقد الملك فى فراشه، ووضع اللحاف فوقه، لكن أصابع قدميه ظلت عارية لا يصل إليها طرف اللحاف. عندئذ أخرج الخياط السوط من تحت مئذره، وضرب به على أصابع الملك. فسحب الملك ساقيه على الفور وأخفى أصابعه تحت اللحاف. فقال الخياط:

. فلتمد ساقيك بطول لحافك.

سمع الملك هذه الكلمات الحكيمة، ولم يقل شيئًا للخياط، بل أجزل له العطاء وتركه يمضى لحال سبيله.

وليس عبثًا أن تقول الحكمة الشعبية: "مد ساقيك بطول لحافك" .

* * *

العقل والقلب

ذات مرة وقع نزاع بين العقل والقلب. وأخذ القلب يؤكد أن الناس لا يمكنهم العيش بدونه، بينما أصر العقل على العكس من ذلك، وأن الناس لا يمكنهم العيش بدونه. لم يلجأ الاثنان إلى مساعدة القاضى كى يحل النزاع بينهما، بل قررا أن يحلاه كل بمفرده، ولا يتدخل أحدهما فى أمر الآخر. وبعد أن اتفقا معا على ذلك، قررا التجربة فى أحد الفلاحين.

كان الفلاح كعادته يحمل محراثه. وخرج به إلى الحقل. وعندما بدأ فى حرث أرضه انحشر المحراث فى شق بالأرض. وانحنى الفلاح فوق الشق، فشاهد زلعة نحاسية مملوءة بالذهب داخل الشق.

فكر فى نفسه قائلاً: "ما الذى أفعله الآن؟ يمكننى صنع الكثير بهذا المال، وأن أصبح رجلاً ثريًا بين الناس".

فى الوقت نفسه جاءه خاطر فى عقله يقول: "وكيف يصبح الحال لو عرف اللصوص بهذا الكنز وحضروا من أجله؟ عندئذ سوف أندم عندما لا ينفع الندم بعد أن يقتلونى".

وبينما اختلطت هذه الأفكار فى عقله شاهد فجأه قاضى قضاة البلاد يمر بجواره فى الطريق. فقرر الفلاح فى نفسه: "من الأفضل لى أن أعطى هذا الذهب للقاضى، وأواصل حياتى وعملى فى هدوء".

أسرع الفلاح إلى القاضى، واصطحبه معه إلى حقله.

وهنا عاد إليه العقل مرة أخرى، وعندئذ أسرع الفلاح بإخفاء الزلعة خلف ظهره وقال للقاضى:

- أيها القاضى المبجل! أنت رجل عالم وأريدك أن تخبرنى عن شىء يؤرقنى.

رد القاضى:

ـ وما هو هذا الشيء؟

ـ أى هذين الثورين أفضل من الآخر؟.

سمع القاضى ما قاله الفلاح، فسبه فى قرارة نفسه، ورحل مغادرًا الحقل. وما إن غادر القاضى أرض الفلاح حتى غادر معه العقل.

وفكر الفلاح من جديد: "لماذا لم أعط الذهب للقاضى؟ وبماذا يفيدنى هذا الذهب لو احتفظت به؟".

ترك الفلاح عمله، وظل يفكر فى الأمر حتى حلول المساء، ثم شاهد القاضى يسير عائدًا من القرية.

أسرع الفلاح إليه، وصار يتوسل ويلح عليه كى يذهب معه إلى الحقل مرة أخرى.

أدرك القاضى بأن الفلاح يخفى سرًّا عنه، فذهب معه إلى الأرض. ولكن عقل الفلاح عاد إليه ثانية، فقال للقاضى:

ـ أتوسل إليك ألا تغضب منى، وتنظر إلى حقلى نظرة الرجل العالم! وأريدك أن تخبرنى عن شيء يؤرقنى، أيهما أفضل، تلك القطعة التى حرثتها بالأمس أم الأخرى التى حرثتها اليوم؟.

قرر القاضى أن الرجل قد فقد عقله، فضحك مقهقهًا ورحل عنه. ومع رحيل القاضى رحل عقل الفلاح. فصاح من شدة الغيظ:

ـ يا إلهى! لماذا لم أعط الذهب للقاضى؟ وأين وكيف يمكننى الاحتفاظ به؟.

لم يطل تفكيره طويلاً، وأخفى الزلعة بالذهب داخل كيس كان يضع به طعام الغداء. وحمل الكيس على ظهره، وذهب إلى بيته، وقال لزوجته:

ـ أسرعى يا زوجتى بربط الثورين، وضعى لهما العلف، وسوف أذهب أنا إلى القاضى.

شاهدت الزوجة الكيس الذى يحمله زوجها خلف ظهره، فقررت أن تعرف ما بداخله.

وقالت لزوجها:

ـ إن ربط الثيران ليس من عمل النساء، ولا يمكننى التعامل إلا مع الأغنام والأبقار. ومن الأفضل أن تذهب بهما إلى الزريبة بنفسك.

ترك الزوج الكيس فى الحجرة، وخرج مع الثورين إلى الحظيرة. فأسرعت الزوجة بإخراج الزلعة من داخل الكيس، وأخذت الذهب منها ووضعت بدلاً منه بعض الحجارة. وعاد الزوج من الزريبة، وأسرع بحمل الكيس، ومضى مباشرة إلى القاضى. وهناك قال له:

ـ لقد جئت إليك بهدية ثمينة، فتقبلها منى.

حلّ القاضى عقدة الكيس وشاهد ما بداخله، وكاد الفلاح أن يفقد صوابه. وثار غضب القاضى، وقرر أن يعاقبه فى هذه المرة. وأمر بوضع الفلاح فى الزنزانة، كما أمر اثنين من أتباعه بمرافقة الفلاح فى الزنزانة، ومعرفة كل ما يقول وما يفعل.

جلس الفلاح فى الزنزانة، وأخذ يهذى ويلوح بيديه مرددًا: الزلعة المملوءة بالذهب حجمها كان يصل إلى هذا الارتفاع، كما كانت مملوءة بالقطع الذهبية من قاعها إلى قمتها.

استمع الرجلان المرافقان للفلاح إلى ما قاله، وأخبرا القاضى حول الأمر، وحول إشاراته الغريبة بيديه، وحديثه غير المفهوم. فأمر القاضى باستدعاء الفلاح وسأله:

ـ أخبرنى عن السبب الذى جعلك تلوح بيديك، وما الذى تقوم بقياسه؟.

عاد العقل إلى الفلاح فى هذه اللحظة، فأجاب القاضى:

ـ لقد كنت أقيس طولك بيدى، من رأسك حتى رقبتك، ثم واصلت القياس إلى بطنك وطول ذقنك، وفكرت فى نفسى قائلاً: يا ترى أى من الاثنين أطول، أنت أم الجدى ذو اللحية الذى أحتفظ به فى زريبتى؟.

خرج القاضى عن طوره من شدة الغضب، وأمر بشنق الفلاح. وذهبوا به ليشنقوه، ولكن عندما وضعوا الحبل حول رقبته، وأرادوا إحكام عقدة الحبل، اعترض الرجل وتوسل إليهم قائلاً:

- توقفوا وسوف أخبركم بالحقيقة كاملة!.

ذهبوا بالفلاح مرة أخرى إلى القاضى الذى سأله:

- أخبرنى الحقيقة إذن، ما الذى كنت تقيسه فى الزنزانة؟.

رد الفلاح:

- ليس لدى شىء أقوله لك، وقد أخبرتهم بهذا حتى ينزعوا الحبل من حول رقبتى كى لا أموت، وهذه هى كل الحقيقة.

ضحك القاضى من هذه الكلمات وأطلق سراح الفلاح.

ندم العقل والقلب على فعلتهما، وتعهدا أن يعملا معًا منذ الآن، بعد أن أدركا أن الإنسان لا يصبح إنسانًا إلا بالعقل والقلب، أو بالقلب والعقل معا.

* * *

الثعبان والفقير

ذات مرة شاهد الملك فى منامه ثعلبًا معلقًا فوق طرف رأسه. فنهض مفزوعًا من فراشه، وأمر بحضور جميع الحكماء فى البلاد إلى قصره. وقص الملك عليهم الحلم الذى شاهده. وأمرهم بتفسير هذا الحلم.

ولكن أحدا من الحكماء لم يستطع تفسير حلم الملك.

فى ذلك الوقت خرج ثعبان من جحره وتسلل يزحف فى أحد الحقول، وشاهده رجل فقير. وقال له الثعبان:

- انتظر أيها الرفيق الإنسان، سوف أكشف لك عن تفسير حلم الملك، وذلك كى تذهب وتنقله إليه. وعندئذ سوف يمنحك الكثير من المال، ونقتسمه معًا مناصفة.

وافق الفقير قائلاً:

- حسنًا، أخبرنى عن الأمر، وسوف أقتسم معك المال الذى آخذه من الملك بمنتهى الأمانة.

قال الثعبان:

- اذهب إليه وأخبره التالى: "أيها الملك، إن الحلم الذى رأيته يعنى أن هذا العام ليس عامًا طيبًا، والخداع والمكر يهددانك. فعليك توخى الحذر وتوقع المكر والخداع من حاشيتك ووزرائك، ولا تثق حتى فى زوجتك ولا أبنائك، ولتبق عينيك مفتوحتين".

ذهب الفقير إلى الملك وفسر له حلمه، وحصل على الكثير من المال مقابل عمله. لكنه لم يسلك الطريق المعتاد للعودة إلى البيت، بل سلك طريقًا آخر كى لا يقابل الثعبان ويمنحه نصيبه من المال.

وبعد مرور بعض الوقت تراءى حلم آخر للملك، حيث شاهد فيه سيفًا معلقًا فوق طرف رأسه. فقفز من فراشه يصيح قائلاً:

ـ أحضروا لى على الفور ذلك الفقير، وذلك كى يفسر لى هذا الحلم أيضًا!.

أسرع أتباع الملك إلى الفقير وأخبروه بطلب الملك أن يذهب إليه. فخرج الفقير إلى الطريق نحو القصر. وأثناء سيره صادف الثعبان الذى أطلق صفيرًا مناديًا عليه:

ـ انتظر أيها الرفيق الإنسان، واستمع لما أقوله لك.

توقف الفقير أمام الثعبان وهو فى حالة من الخجل والحرج، وقال الثعبان له:

ـ اذهب إلى الملك وقل له: "أيها الملك المبجل، إن تفسير حلمك يعنى أن هذا العام سوف يصبح عامًا لسفك الدماء، وعليك الاستعداد مسبقًا لخوض الحرب. وسوف تنتصر فى هذه الحرب، فعليك ألا تخشاها!".

قال الفقير:

ـ حسنًا، سوف أخبره كما شرحت لى، وسوف أعطيك نصيبك من المال.

قال الثعبان:

ـ اذهب فى رعاية الله! على الرغم من أنك سلكت سلوكًا سيئًا ولم تف بوعدك وتعطينى نصيبى فى المرة السابقة.

ذهب الفقير إلى الملك، وفسر له حلمه. فقال له الملك:

ـ بما أن البلاد سوف تخوض الحرب، فسوف أمنحك سيفًا ينفعك فى حال مصادفتك للأعداء.

امتشق الفقير السيف الممنوح له، وامتطى فرسًا منحه له الملك أيضًا، وألقى على ظهره بخرج مملوء بالذهب من الملك، ومضى فى طريقه إلى البيت.

خرج الثعبان زاحفًا فى الحقل لمقابلة الفقير، وسأله:

ـ كيف الحال أيها الرفيق الإنسان؟ هل أحضرت لى نصيبى من المال؟.

رفع الفقير السيف الملكى وهوى به على الثعبان كى يقتله. لكنه أخطأه ولم يقطع سوى طرف نيله فقط. وأسرع الثعبان بالفرار زاحفًا نحو جحره.

مر عام كامل بعد هذا الأمر. وجرى كل شىء كما قال الثعبان. فوقعت حرب دموية انتصر فيها الملك على أعدائه. وشاهد الملك فى منامه حلمًا آخر. ورأى ذئبًا وحَملاً يتأرجحان فوق طرف رأسه. فنهض الملك من فراشه وأمر بحضور الفقير إلى قصره.

مضى الفقير فى طريقه إلى القصر وهو يفكر: "يا لى من أحمق، لماذا أغضبت الثعبان وأردت قتله؟ لن يمكننى تفسير الحلم بدونه، وسوف أفقد رأسى بعد ذلك...". وسار الفقير فى الطريق لا ينظر حوله من شدة الحزن والهم. وفجأة شاهد أمامه الثعبان يزحف قائلاً:

- اذهب أيها الرفيق الإنسان إلى الملك وقل له: "إن تفسير حلمك يعنى أن العام المقبل هو عام السلم، وأن الحَمل يمكنه الرعى بجوار الذئب فى سلام وأمان".

وصل الفقير إلى الملك وفسر له الحلم، وحصل على الكثير من الهدايا. وخرج بكل الهدايا إلى جحر الثعبان، ثم نادى عليه قائلاً:

- أيها الثعبان، خذ لنفسك هذه الهدايا الملكية وانتظرنى هنا ريثما أذهب وأحضر إليك كل ما حصلت عليه من الملك كى نقتسمه بالأمانة.

ضحك الثعبان قائلاً:

- لا، لا! هنيئا لك كل ما حصلت عليه، فأنا لا أريد شيئًا منك!.

رد الفقير فى دهشة:

- لماذا لا تريد الحصول على نصيبك أيها الرفيق الثعبان؟ لقد كنت شريرًا معك وأنت ترد على بالخير دائمًا.

اذهب فى أمان الله، فالذنب هنا ليس ذنبك، وذلك لأن العام الأول كان عام المكر والخداع، وقد قمت بخداعى. والعام الثانى كان عام السيف وإراقة الدماء، وقد قمت بإراقة دمى. أما العام الثالث فهو عام السلم والأمان، وها أنت قد تصالحت معى. وهكذا يمكنك الذهاب فى أمان الله.

* * *

المرأة الشريرة

كان ياما كان فقير شحاذ يعيش في الدنيا. وكان لديه الكثير من القطع الذهبية التي خاطها في ثيابه الرثة وأخفاها بداخله. وذات يوم ذهب إلى المدينة حيث اختار ركنًا نائيًا، ثم تلفت حوله، وعندما لم ير أحدًا قرر في نفسه: "والآن يمكنني معرفة كمية الذهب التي لدي وإحصاءها". ولكن كانت هناك عجوز تراقب الشحاذ الفقير، وشاهدت الذهب الذي يحصيه داخل ثيابه، ثم يقوم بحياكة الثياب الرثة فوقه ويغطي بها القطع الذهبية مرة أخرى. وذهبت إليه بعد ذلك قائلة:

- مرحبًا يا زوجي العزيز، أين غبت عني طوال هذه الفترة الطويلة؟ وكيف يمكنك ترك زوجتك أيها الزوج؟.

رد الشحاذ:

- ما الذي تقولينه أيتها المرأة الشمطاء؟ وكيف يمكنك أن تكوني زوجة لي وليس لي ذرية!.

- لا أريد سماع هذا الهراء، فأنت زوجي.

طال الجدل واشتد النزاع بينهما، فذهبا معًا إلى القاضي. وقال القاضي للشحاذ:

- إني أتعجب من عنادك أيها الرجل، ما الذي يجعلك ترفض الاعتراف بزواجك بهذه المرأة؟ فلو أنك وافقت على كلامها فلن تضطر إلى التسول بعد ذلك، وسوف تقوم هي بالعمل وإطعامك.

انتهى الأمر وذهبت المرأة العجوزة مع الشحاذ إلى بيتها. وهناك قالت للشحاذ:

ـ أف أيها الزوج، ليتنى عميت وفقدت البصر حتى لا أرى ثيابك المتسخة القذرة! هيا انزعها كى أغسلها وتسير نظيفًا مهندمًا.

نزع الشحاذ ثيابه وأعطاها للعجوز. فأخذت الثياب وقامت بشقها وإخراج الذهب منها، ثم غسلتها وعلقتها فوق الحبل. وأسرعت بعد ذلك بالفرار من البيت.

ظل الشحاذ جالسًا منتظرًا عودتها، وعندما طال انتظاره فكر فى نفسه قائلاً: "فلأذهب وأبحث عن زوجتى العجوز". وعندئذ تذكر الذهب على الفور، وأسرع نحو ثيابه يفتشها. وعندما لم يجد أثرًا للذهب أدرك أن العجوز قد سرقته. وظل يبكى ويولول حظه المنكود طويلاً، ثم قرر أخيرًا الخروج والبحث عن العجوز.

فى ذلك الوقت وصلت العجوز مع الذهب المسروق إلى مدينة أخرى. وهناك أخذت تطوف الشوارع حتى توقفت عند نافذة لبيت أحد الأثرياء. ولم يكن بالبيت سوى ربة المنزل، بينما كان الزوج غائبًا فى مدينة أخرى. وكانت صاحبة البيت امرأة رائعة الحسن والجمال. ونظرت المرأة عبر النافذة وشاهدت العجوز، فصاحت عليها:

ـ ما الذى تفعلينه هنا يا جدتى؟.

ـ بارك الله فيك أيتها المحبوبة العزيزة، ما الذى يمكن أن تفعله عجوز مثلى؟ إنى وحيدة فى هذا العالم، وأتوسل إليك أن تمنحينى ركنًا يمكننى فيه أن أُريح جسمى! وسوف أظل فى خدمتك حتى نهاية عمرى لو منحتنى كسرة خبز.

أشفقت المرأة على العجوز وأخذتها إلى بيتها، ثم أطعمتها ومنحتها ركنًا بالبيت. وبعد مرور بضعة أيام أرسلت العجوز إلى السوق لشراء بعض الأغراض.

وفى السوق شاهدت العجوز تاجرًا ثريا، فنادى عليها وقال لها:

ـ أيتها الجدة إنى أذوب عشقًا فى ربة المنزل الذى تعملين به. وسوف أعطيك ما تريدين من المال لو استطعت ترتيب لقاء لى معها.

أجابت العجوز:

ـ أعطنى ثلاثمئة روبل، وسوف أرتب لك لقاءً معها مساء اليوم.

أعطى التاجر المال للعجوز التى أخذته ورحلت. وفى منتصف الليل وصل التاجر ودق باب البيت. فسمحت له العجوز بالدخول. ونادت ربة البيت على العجوز قائلة:

- من الذى سمحت له بدخول البيت؟.

- لا تخشى شيئًا يا عزيزتى، فإنه أحد أقربائى قد جاء من بلدتى ليقضى ليلته هنا، وسوف يرحل فى الصباح الباكر.

- لا يا جدتى، لا يمكننى السماح لأحد غريب أن يقضى ليلته فى بيتى.

لكن العجوز أخذت تتوسل وتلح فى السماح لقريبها المزعوم بقضاء الليل فى البيت. وعندئذ استسلمت المرأة وقالت:

- حسنًا، دعيه يبيت فى حجرتك.

اصطحبت العجوز التاجر إلى حجرتها. وبعد مرور بعض الوقت سألها التاجر:

- والآن، ما الذى سوف أفعله؟.

ردت العجوز:

- لقد حدثتها عنك بالفعل، وهى فى انتظارك الآن. فاذهب إليها.

ذهب التاجر إلى جناح المرأة.

فى ذلك الوقت أخذت العجوز الخبيثة ملابس التاجر وساعته وزناره، وحذاءه، وفرت هاربة من البيت.

دخل التاجر إلى جناح المرأة التى صرخت فى خوف:

- ما الذى تريده هنا؟.

- ألم تعطى موافقتك على حضورى؟ وها أنا قد حضرت.

- ومن الذى أخبرك أننى وافقت على حضورك؟.

- امرأتك العجوز، وذلك بعد أن أعطيتها ثلاثمئة روبل مقابل اصطحابى إليك.

- أخ أيتها الشمطاء الملعونة! كيف يمكن أن تقوم بهذه الفعلة الشنعاء؟!.

أسرعت المرأة تبحث عن العجوز فى البيت. لكن الوقت قد تأخر واختفت العجوز وتبخرت.

أخذت المرأة فى الصراخ، فأسرع الجيران إلى نجدتها. وعندما شاهد التاجر أن الأمور تسوء أكثر فأكثر فر مسرعًا من البيت.

فى الصباح استأجرت المرأة بعض الناس كى يطوفوا بالشوارع ويعلنوا عما فعلته العجوز. ووصل إلى المدينة للبحث عن العجوز الشحاذ الذى سرقته من قبل. وعندما عرف ما جرى فى المدينة حكى للمرأة ربة البيت عن سرقة العجوز له.

وأخيرًا وبعد بحث طويل، استطاعوا القبض على العجوز، وذهبوا بها إلى الملك. وذهب معها إلى الملك كل من المرأة والشحاذ والتاجر. وعندما مثلوا أمام الملك فى قصره، لاحظت العجوز نظرات الملك المليئة بالإعجاب نحو المرأة. فتسللت العجوز خلسة إلى الملك، وهمست إليه:

- لماذا تنظر مشدوهًا إلى المرأة أيها الملك؟.

رد الملك على العجوز:

- وكيف لى أن أخفى إعجابى بمثل هذه الحسناء، والتى لم أر فى حياتى جمالاً مثل جمالها.

- إنها ابنتى أيها الملك. فكم تعطينى لو أننى زوجتك منها؟.

- اطلبى ما تريدين!.

- أعطنى ثلاثمئة روبل.

ومنحها الملك ثلاثمئة روبل. فقالت له العجوز:

- ساعدنى أيها الملك للهروب من هنا دون أن يرانى أحد، وذلك حتى لا تشاهدنى ابنتى فتأخذ فى البكاء.

- اقفزى عبر هذه النافذة، ولن يشاهدك أحد.

وبعد اختفاء العجوز نادى الملك على المرأة الحسناء وقال لها:

- لقد منحتك أمك لى، وها أنت أصبحت ملكًا لى!.

- عن أى أم تتحدث؟ هل من المعقول أن تلك العجوز قد خدعتك أيضًا؟ لقد جئنا جميعًا لنشكوها إليك!.

ثار الملك ثورة عارمة من الغيظ عندما عرف حقيقة الأمر. وأمر بالقبض على العجوز مهما كلف الأمر. واستطاعوا الإمساك بالعجوز وذهبوا بها إلى الملك. وهناك قاموا بضربها ضربًا مبرحًا، حتى توقفت أنفاسها من شدة الضرب، وبعد ذلك أمر الملك بلف جسمها فى قطعة من اللباد، وإعطائها للبغالين كى يلقوا بها فى البحر.

وضع البغالون العجوز فوق البغل، وانطلقوا بها نحو البحر. وبالقرب من شاطئ البحر أفاقت العجوز، ورفعت رأسها وجلست على البغل. وتملك الذهول من البغالين. وقالت لهم العجوز:

- أسرعوا بالعودة إلى الملك، وقدموا له التهنئة وأخبروه بأن أمه قد عادت إلى الحياة، وأنها تريد منه إرسال أتباعه للعودة بها إليه.

أسرع البغالون بالعودة إلى الملك وأخبروه قائلين:

- نهنئك أيها الملك، فقد عادت أمك إلى الحياة، وتطلب منك أن ترسل لها أتباعك كى يحضروها إليك!.

صرخ الملك فى غضب:

- فليحل الدمار ببيوتكم! أسرعوا بالعودة، واقبضوا عليها وأحضروها إلى هنا!.

وعندما عادوا أدراجهم، لم يجدوا أثرًا للعجوز ولا للبغل. فقد تركت العجوز البغل، ومضت بالمركب إلى الشاطئ الآخر من البحر. وعاد البغالون إلى القصر بأيد خاوية. وسألهم الملك:

- أين العجوز؟.

ـ أيها الملك، لقد فرت العجوز فى المركب إلى البحر أثناء الوقت الذى ضيعناه فى الطريق.

قال الملك موجهًا حديثه إلى المرأة والشحاذ والتاجر:

ـ ما الذى يمكننى فعله لكم فى الوقت الذى خدعتنى فيه العجوز بهذه المزحة؟.

طأطأ الجميع رؤوسهم أمام الملك، وخرجوا من القصر. وتفرق كل منهم إلى حال سبيله.

* * *

الزهرة السحرية

يحكى أنه فى قديم الزمان عاش ملك فى قصر له حديقة من الزهور. وفى تلك الحديقة نمت شجيرة الزهرة السحرية. ومهما حاول الملك ومعهُ حراس الحدائق الملكية الحفاظ على هذه الزهرة، فإنهم لم يستطيعوا حمايتها. فما إن تبدأ فى التفتح حتى تهجم عليها دودة قاتلة. ومن عام لآخر ظل يتكرر نفس الأمر. ولم يستطع الملك الاستمتاع بزهرته السحرية. وذات يوم جاء إلى الملك بستانى شاب وقال له:

ـ لو أنك استأجرتنى للعمل لديك، فسوف أُحافظ لك على الزهرة من الدودة. وما إن تتفتح فسوف أقطفها فى الحال وأحضرها إليك.

قال الملك:

ـ أيها الفتى، لدى العديد من البستانيين فى حديقتى، ولم ينجح أحد منهم فى الحفاظ على الزهرة، ولن يمكنك القيام بهذا الأمر.

ـ سوف أنجح فى ذلك يا مولاى، ولو أخفقت فيمكنك قتلى.

ـ حسنًا، بما أنك واثق من أمرك فإنى لا أمانع.

حل الربيع، وأحضر البستانى الجديد قوسًا وسهامًا، وقبع أسفل شجيرة الزهرة لحراستها. وظل يحرسها ليوم، ثم يومين وثلاثة وأسبوع. وأخيرًا بدأت الزهرة تتفتح، ولكن فى هذا الوقت غالب النعاس الفتى. وفى ذلك الوقت تسللت الدودة لتلتهم الزهرة، ثم عادت أدراجها. واستيقظ البستانى ولم يجد للزهرة أثرًا. فذهب إلى الملك وقال له:

ـ لقد حرست شجيرة الزهرة ليل نهار لأسبوع كامل، وعندما بدأت الزهرة تتفتح غالبنى النوم والنعاس. وبعد أن فتحت عينى كانت الدودة قد التهمت الزهرة. وأرجو منك أن تسامحنى فى هذه المرة، وسوف أتدبر أمرى مع الدودة فى العام المقبل.

رد الملك:

- حسنًا، إن فعلة هذه الدودة لن تمر هباءً...

مر عام وحل الربيع. وظل البستانى يحرس الشجيرة مرة أخرى. وما إن بدأت الزهرة بالتفتح، حتى زحفت الدودة نحوها، وهم البستانى لإطلاق سهمه نحو الدودة. فظهر من حيث لا يدرى أحد بلبل محلق، والتقط الدودة بمنقاره وطار بها مبتعدًا. وظلت الزهرة سليمة بالكامل. ففرح البستانى وأسرع بقطفها، وذهب بها إلى الملك قائلاً له:

- لقد أحضرت إليك الزهرة يا مولاى. وعندما حاولت الدودة التهام الزهرة حط بلبل من حيث لا أدرى، والتقط الدودة وطار محلقًا بها.

- حسنًا، إن فعلة هذا البلبل لن تمر هباءً.

مر عام آخر، وحل فصل الربيع من جديد. وأخذ البستانى فى حراسة شجيرة الأزهار. وظل جالسًا أسفلها طوال الليل والنهار. وعندما بدأت الزهرة تتفتح، ظهرت الدودة من جديد تزحف نحوها وتريد التهام الزهرة، ومرة أخرى ظهر نفس البلبل السابق من حيث لا يدرى أحد، وأراد التقاط الدودة والفرار بها. ولكن فى لمح البصر قفز تنين من أسفل الشجيرة، وابتلع البلبل مع الدودة. وظلت الزهرة سليمة مرة أخرى. ففرح البستانى وقطف الزهرة، ثم حملها إلى الملك قائلاً له:

- أيها الملك المعظم، لقد حدث الآن مثلما جرى فى العام الماضى، فزحفت الدودة تريد التهام الزهرة، ثم حط البلبل من حيث لا أدرى يريد التقاط الدودة، وقفز تنين من أسفل الشجيرة وهجم على البلبل والدودة وابتلعهما معًا. وها هى الزهرة سليمة أحضرتها إليك.

- حسنًا، إن فعلة هذا التنين لن تمر هباءً.

مر عام آخر وحل فصل الربيع. وأخذ البستانى يحرس الزهرة مرة أخرى. وعندما حل موعد تفتح الزهرة، ظهرت الدودة من جديد تزحف نحو الزهرة، وحلق البلبل وهم بالتقاط الدودة، فقفز التنين من أسفل الشجيرة وابتلع البلبل والدودة.

جذب البستانى قوسه وأطلق سهمه نحو التنين، فسقط التنين غارقًا فى دمه ومات. وقطف البستانى الزهرة وحملها إلى الملك، وقال له:

- مولاى الملك، لقد ظهرت الدودة ثانية كى تلتهم الزهرة، ثم حلق البلبل يريد التقاط الدودة، وقفز التنين من أسفل الشجيرة وهجم على البلبل والدودة وابتلعهما دفعة واحدة. وعندما شاهدت هذا الأمر جذبت قوسى وأطلقت سهمى نحو التنين فقتلته فى مكانه.

قال الملك:

- حسنًا، إن فعلتك هذه لن تمر هباءً أيضا.

تملكت الدهشة البستانى وفكر فى نفسه: "ما هذا اللغز؟ ولماذا يردد الملك نفس هذه العبارة طوال الوقت؟".

ظل البستانى يفكر ويفكر، لكنه لم يصل إلى نتيجة لسؤاله. وفى نفس الوقت كان يخشى سؤال الملك حتى لا يغضبه. فقرر البستانى الانتظار حتى تتضح له الأمور مستقبلاً.

كان هناك حمام سباحة من المرمر داخل الحديقة، حيث كان الملك مع الملكة يستحمان فيه فى بعض الأحيان. وذات يوم تسلق البستانى إحدى الأشجار القريبة من الحمام، وذلك كى يقطف الثمار التى جفت من فوق الأغصان. وفجأة شاهد الملكة مع خادماتها، وقد أتت إلى الحمام للاستحمام. وتملك الهلع من البستانى وظل فوق الشجرة قائلاً فى نفسه: "فلأنتظر هنا حتى تنتهى الملكة من استحمامها، ثم أهبط من فوق الشجرة". وخلعت الملكة ثيابها وغطست فى مياه الحمام لتستحم، ثم خرجت من الماء وبدأت فى ارتداء ثيابها. وبينما كانت تنظر إلى أعلى شاهدت البستانى فوق الشجرة. فلم تنطق بكلمة واحدة، بل دخلت القصر وحكت للملك عن كل شىء قائلة:

- لقد ذهبت إلى حمام السباحة للاستحمام. وعندما انتهيت من الاستحمام وارتديت ملابسى، شاهدت فجأة البستانى جالسًا فوق الشجرة، وذلك يعنى أنه قد تسلقها مسبقًا كى يختلس النظر إلى وأنا أستحم.

بعد أن سمع الملك ما قالته الملكة تملكته ثورة من الغضب، وأخذ يزأر مثل الأسد تمامًا ويصرخ مناديًا:

- السيافون، السيافون، أين السيافون!.

حضر السيافون وركعوا أمام الملك قائلين:

- مولانا الملك، بما تأمرنا؟.

- أحضروا البستانى هنا على الفور، ثم اقطعوا رقبته!.

أحضر السيافون البستانى. وأدرك البستانى المصير الذى ينتظره فقال:

- اسمح لى يا مولاى أن أقول كلمتين فقط، ثم افعل بى ما شئت بعد ذلك.

- حسنًا، تحدث.

- هل تذكر عندما استأجرتنى فى العام الأول، وجئت إليك وحكيت لك عن التهام الدودة للزهرة، فقلت لى حينئذ: "حسنًا، إن فعلة هذه الدودة لن تمر هباءً". وفى العام الثانى ذهبت لحراسة الزهرة، وجئت إليك قائلاً: "حلق البلبل والتقط الدودة"، فقلت لى حينئذ: "حسنًا، إن فعلة هذا البلبل لن تمر هباءً"، وفى العام الثالث عندما جئت إليك وأخبرتك أن هناك تنينًا خرج من أسفل الشجيرة وابتلع البلبل والدودة معًا، فقلت لى مرة أخرى: "حسنًا، إن فعلته هذه لن تمر هباءً". وفى العام الرابع جئت إليك وقلت لك: "لقد قتلت التنين"، فأجبتنى: "حسنًا، إن فعلتك هذه أيضا لن تمر هباءً". وها قد حدث بالفعل، وتحققت كلماتك على الرغم من أنى لم أفعل ما يستحق لقطع رأسى. والآن أقطع لك يا مولاى إن ما سوف تفعله معى لن يمر هباءً.

استمع الملك لكلمات البستانى الحكيمة، وقرر العفو عنه.

* * *

حكايات شعبية من أذربيجان

ميليك محمد

كان ياما كان فى قديم الزمان ملك عظيم يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان لديه بستان رائع الجمال تنمو به شجرة تفاح. وفى كل ربيع كانت الشجرة تطرح ثمرة سحرية تزهر ليوم واحد، وفى اليوم الثانى تثمر، وفى اليوم الثالث تطرح ثمرة تفاح واحدة فقط. وكان كل من يتذوق ثمرتها الوحيدة يعود شابًا فى الخامسة عشرة من العمر.

وفى كل ربيع كان الملك يتجول فى بستانه مع طلوع الفجر، وذلك كى يمتع ناظريه بشجرته السحرية وبتفاحته الرائعة. ولكن من عام لآخر اختفت ثمرة التفاح من فوق شجرتها. فكان أحد ما يقطفها دائمًا.

وهكذا مرت الأعوام، حتى فقد الملك صبره أخيرًا. وعشية موعد قطف الثمرة طلب حضور ابنه الأكبر كى يمثل أمامه.

حضر الابن الأكبر وركع على الأرض أمام والده قائلاً:

- والدى المبجل، اطلب ما شئت وأنا طوع أوامرك!.

قال الملك:

- كيف يمكننى أن أكون سيد العالم، ولا أستطيع أكل تفاحة من بستانى؟ عليك أن تحرس شجرة التفاح فى هذه الليلة، ومهما كلف الأمر أمسك باللص الذى يسرق ثمرتى كى أعاقبه بما يستحق على فعلته.

قبل الابن الأكبر يدى والده، وخرج من مجلسه. وارتدى درعه وخوذته الحربية، وحمل قوسه وسهامه وخرج إلى البستان. وظل الأمير يحرس الشجرة طوال الليل. وعندما نضجت التفاحة فى مطلع الفجر تملك النعاس من الأمير وراح فى النوم.

وعندما استيقظ الأمير من نومه كانت التفاحة قد تم قطفها.

حزن الأمير حزنًا شديدًا، وعاد إلى داخل القصر مهمومًا.

وفى العام التالى نادى الملك على ابنه الأوسط وقال له:

- ولدى العزيز! أنا ملك العالم بأسره، ولا أريد أن أفقد تفاحتى الرائعة من بستانى فى كل عام. وعليك فى هذه المرة أن تحافظ على التفاحة، وتقبض على اللص مهما كلف الأمر، ثم تحضره إلى حتى يلقى جزاءه.

انحنى الابن الأوسط أمام الملك، وقبل يديه وخرج.

وفى المساء عندما حل الظلام وضع الأمير درعه وارتدى خوذته، وحمل قوسه وسهامه، وشحذ سيفه، ثم خرج إلى البستان.

ظل الأمير يدور حول الشجرة لحراستها لفترة طالت أم قصرت، ولكنه عند الفجر وعندما نضجت ثمرة التفاح غالبه نعاس قوى وراح فى النوم. وعندما استيقظ لم ير أثرًا للتفاحة فوق الشجرة. وهكذا، عاد الأمير إلى والده بأيد خاوية.

ولنتركه يتجرع أحزانه لبعض الوقت، ونحكى عن الابن الأصغر للملك، وهو ميليك محمد.

فى العام التالى ذهب الابن الأصغر للملك إلى والده، وسجد أمامه قائلاً:

- يا والدى! امنحنى فى هذه المرة الفرصة لحراسة شجرة التفاح.

أجابه الملك:

- ولدى العزيز! لقد قام شقيقاك الأكبران بحراسة شجرة التفاح من قبل، لكنهما لم ينجحا فى الإمساك باللص الذى يقطف التفاحة، ولن تنجح بدورك فى الإمساك به.

أخذ ميليك محمد يلح على والده أن يسمح له بحراسة الشجرة، حتى وافق الملك على طلبه أخيرًا.

عاد الفتى إلى حجرته سعيدًا مبتهجًا.

وفى المساء، وعندما غابت الشمس، ارتدى الفتى عدته من الدرع والخوذة، وحمل قوسه وسهامه وامتشق سيفه، وخرج إلى البستان.

ظل ميليك محمد يحرس الشجرة حتى منتصف الليل دون أن يشاهد شيئًا غير مألوف. وعندما بدأ النعاس يغالبه، أخرج سيفه من غمده، وجرح إصبعه به، ثم نثر الملح والفلفل فوق الجرح.

لم ينعس ميليك محمد من شدة الألم. ومع طلوع الفجر تردد صوت دوى مخيف. واختبأ الأمير خلف الشجرة، وبعد مرور فترة وجيزة لعلع البرق فى السماء، وارتفع هزيم الرعد مجلجلاً، ثم ظهر وحش مخيف الهيئة. ومضى يسير بخطوات ثقيلة نحو شجرة التفاح.

أدرك ميليك محمد على الفور أن هذا الوحش هو سارق التفاح.

وعندما اقترب الوحش من شجرة التفاح وهم بقطف التفاحة، هوى ميليك محمد بسيفه على الوحش، وضربه ضربة هائلة جعلت السيف ينكسر إلى قسمين من شدة الضربة. فاستدار الوحش المجروح وهو يزأر زئيرًا مرعبًا يصم الآذان، ثم فر هاربًا.

لم يفكر ميليك محمد طويلاً، وقطف ثمرة التفاح من فوق الشجرة، ثم وضعها فى طبق من الفضة غطاه بمفرش حريرى، وذهب بها إلى والده.

وعندما شاهد الملك تفاحته السحرية، تملكته الغبطة، وقبل ميليك محمد فى جبهته.

عندئذ قال ميليك محمد لوالده:

- اسمح لى يا والدى بالذهاب خلف الوحش المجروح، حتى أعثر عليه وأقتله.

لم يستطع الملك رفض طلب ابنه، بعدما أظهر الابن جسارته وشجاعته.

وأعد الملك قافلة كبيرة لتساعد الابن فى مهمته، وزوده بالجنود والعتاد، ثم بارك طريقه مع شقيقيه الأكبرين.

ومضى الابن الأصغر مع شقيقيه الأكبرين ومعهم القافلة فى السير يتبعون أثر الوحش الجريح، حتى وصلوا إلى بئر قادهم إليه أثر دماء الوحش.

كانت فتحة البئر مسدودة بحجر الرحى الضخم. وكان ينبغى إزاحة الحجر للهبوط فى البئر. فحاول الشقيق الأكبر زحزحته، لكنه لم يستطع تحريكه. وبعد ذلك جرب الشقيق الأوسط إزاحة الحجر الضخم، وظل يحاول ويحاول بلا جدوى. وعندما جاء الدور على ميليك محمد، قبض على الحجر بيديه، ودفعه بقوة إلى جانب البئر.

والآن لم يبق سوى الهبوط إلى داخل البئر. فصاح الشقيق الأكبر على شقيقيه:

- ينبغى عليكما أن تنزلانى إلى البئر أولاً.

وافق الجميع.

ربطوا حبلاً حول خصر الشقيق الأكبر، وبدأوا ينزلونه فى البئر. لكنه سرعان ما أخذ فى الصراخ:

- إنى أحترق! ارفعونى! إنى أحترق!.

أسرعوا بإخراج الفتى. واقترب من فتحة البئر الشقيق الأوسط. وعندما بدأوا فى إنزاله، أخذ يصرخ ويصيح بدوره:

- إنى أحترق! أخرجونى!.

أخرجوا الشقيق الأوسط، وحل الدور على ميليك محمد. فقال:

- أنزلونى إلى داخل البئر، ومهما صرخت وناديت "أخرجونى"، فلا تصغوا لكلماتى، ولا تكترثوا بما أقول.

وهكذا، أنزل الشقيقان ميليك محمد إلى داخل البئر، ولم يكترثا إلى صراخه ونداثه أن يخرجاه.

بعد مرور بعض الوقت شعر ميليك محمد بانخفاض الحرارة كلما هبط أكثر فأكثر. وفى نهاية الأمر وصل إلى قاع البئر.

حل الحبل من حول خصره وتلفت حوله، فشاهد طريقًا مضى يسير فيه.

قاده الطريق إلى أحد البيوت. فقام بتحطيم الباب ووجد نفسه فى حجرة فارغة. وفتح الباب الثانى، فوجد نفسه فى حجرة خاوية أيضًا. وهكذا، عبر ست حجرات فارغة لا يوجد بها شيء. وفى الحجرة السابعة شاهد فتاة رائعة الجمال تجلس على أريكة خشبية، وبالقرب منها كان الوحش نائمًا وقد وضع رأسه فوق قدميها.

وما إن شاهدت الحسناء ميليك محمد حتى صاحت به:

ـ أيها الفتى! من أنت ومن أين أتيت؟ انج بحياتك! إن الوحش جريح، وسوف يلتهمك عندما يستيقظ!.

أجاب ميليك محمد:

ـ لقد جئت هنا كى أقتل هذا الوحش فقط.

وأخرج سيفه من غمده، وأخذ يقطع به أصابع قدم الوحش. ففتح الوحش عينيه وصرخ على الفتاة الحسناء قائلاً:

ـ اطردى هذا الذباب الذى يزعجنى ويضايقنى!.

انتظر ميليك محمد برهة، ثم أخذ ينغز سيفه فى الوحش مرة أخرى.

صرخ الوحش غاضبًا:

ـ ألا ترين أن الذباب يضايقنى؟.

وفى المرة الثالثة، وعندما أخذ ميليك محمد يقطع أصابع الوحش بسيفه، قفز الوحش هائجًا وهو يزمجر:

ـ ألم أخبرك أن هذا الذباب يزعجنى؟.

فى ذلك الوقت قفز ميليك محمد على الوحش وأمسك به. وظل الاثنان يتصارعان لأربعين يومًا وأربعين ليلة، دون أن يستطيع أحد منهم هزيمة الآخر.

وأخيرًا خارت قواهما، وقال الوحش لميليك محمد:

- هيا بنا نأخذ قسطًا من النوم والراحة، وبعد ذلك نواصل العراك.

وافق ميليك محمد على طلب الوحش. ووضع الوحش رأسه على قدمي الفتاة، وراح في النوم.

عندئذ همست الحسناء لميليك محمد:

- أيها الفتى! هناك فوق الرف العلوى توجد قارورة صغيرة بداخلها روح الوحش. وعليك تحطيم هذه الزجاجة حتى تتغلب على الوحش.

أسرع ميليك محمد وقفز نحو الرف العلوى واختطف القارورة الصغيرة من فوقه وحطمها. فخرج من القارورة طائر صغير حلق فوق رأس ميليك، الذى استطاع الإمساك به بمهارة.

استيقظ الوحش من سباته، ونهض واقفًا على قدميه، وأخذ يتوسل إلى ميليك محمد:

- أتوسل إليك أيها الفتى أن تترك الطائر ولا تمسه بسوء. وسوف أحقق لك كل ما ترغب به فى العالم على ألا تقتل الطائر الذى تسكن روحى فى داخله.

رفض ميليك محمد قائلاً:

- إن هذا هو ما كنت أبحث عنه تمامًا.

وما إن أتم عبارته حتى قطع رأس الطائر.

سقط الوحش صريعا على الأرض التى ارتجت من سقطته، وفارقته روحه التى انتقلت إلى جهنم على الفور.

وقع ميليك محمد على الأرض من فرط التعب والإنهاك، ثم وضع رأسه على قدمى الحسناء وراح فى النوم. وعندما استيقظ من نومه ذهب إلى الحجرة التالية. وهناك شاهد ميليك محمد فتاة ثانية بدت أكثر جمالاً وحسنًا من الفتاة السابقة. وكان هناك وحش آخر أكثر قبحًا وبشاعة من الوحش السابق الذى قتله ميليك، وقد وضع الوحش رأسه على قدميها.

شاهدت الفتاة ميليك محمد فهتفت قائلة:

ـ إننى أشفق عليك أيها الفتى! فسوف يستيقظ هذا الوحش ويمزقك إربًا. فأسرع بالفرار من هنا.

قال ميليك محمد:

ـ لا تخشى شيئًا أيتها الحسناء، فسوف أقتله هو الآخر.

وأخرج الفتى سيفه من غمده، وبدأ يضرب به أصابع قدمى الوحش.

فتح الوحش عينيه وقال للفتاة:

ـ اطردى هذا الذباب الذى يزعجنى ويضايقنى!.

انتظر ميليك محمد بعض الوقت، ثم أخذ ينغز سيفه فى قدمى الوحش مرة أخرى.

صرخ الوحش غاضبًا:

ـ ألم أخبرك من قبل أن الذباب يضايقنى؟.

وفى المرة الثالثة، وعندما أخذ ميليك محمد يقطع أصابع الوحش بسيفه، قفز الوحش هائجا وهو يزأر بصوت مخيف:

ـ ألم أخبرك أن هذا الذباب يزعجنى؟.

وهنا، هجم ميليك محمد على الوحش وأمسك به. وظل الاثنان يتصارعان لأربعين يومًا وأربعين ليلة، دون أن يستطيع أحد منهم هزيمة الآخر.

وأخيرًا، راح الوحش فى النوم من فرط التعب.

واستغلت الحسناء هذه الفرصة، وهمست لميليك محمد قائلة:

ـ أيها الفتى، هناك فى تلك الخزانة توجد قارورة صغيرة بداخلها روح الوحش، وعليك تحطيم هذه الزجاجة كى تقتل الوحش.

أخرج ميليك محمد من الخزانة القارورة الصغيرة وقام بتحطيمها. فخرج منها طائر أمسك الفتى به وقطع رأسه. وفى نفس هذه اللحظة فاضت روح الوحش، وانطلقت فى طريقها إلى جهنم.

أخذ ميليك محمد قسطًا جيدًا من الراحة، ثم دخل إلى الحجرة الثالثة حيث شاهد فتاة ثالثة بدت أكثر جمالاً وروعة من الفتاتين السابقتين. وكانت تشبه وجه القمر فى اليوم الرابع عشر للشهر. وتمنى ميليك أن يظل يتغزل فى جمالها، حتى لو ظل بلا طعام ولا شراب.

وقع ميليك محمد فى غرام الفتاة منذ النظرة الأولى. كما وقعت الفتاة بدورها فى حب ميليك محمد. وصاحت الحسناء تقول له:

- أيها الفتى! إنى أشفق عليك! أسرع بالفرار من هنا! فسوف يعود الوحش ويلتهمك!.

لم يستمع ميليك محمد لنصيحة الفتاة، وجلس فوق البساط يتأملها. وفجأة، لمع البرق وارتفع هزيم الرعد، ودخل الوحش كما لو أن جبلا أطبق على المكان.

وفى الحال بدأت المعركة بين ميليك محمد والوحش. وظل الاثنان فى الصراع والعراك لأربعين يومًا وليلة.

وأخيرًا، وافق الاثنان على إيقاف العراك وأخذ قسط من الراحة. فارتمى الوحش فوق الفراش وراح فى نومٍ عميق.

عندئذ همست الحسناء إلى ميليك محمد:

- أيها الفتى، يوجد فى ذلك الصندوق قارورة صغيرة بداخلها روح الوحش، وعليك تحطيمها حتى تقتله.

رفع ميليك محمد الغطاء الثقيل للصندوق، وأخرج منه القارورة. وألقى بها على الأرض بقوة، ثم قطع رأس الطائر الذى خرج منها. فمات الوحش على الفور، وأسرعت روحه فى الطريق إلى جهنم.

بعد ذلك رقد ميليك محمد فوق البساط، ووضع رأسه على قدمى الحسناء، وراح فى النوم العميق.

وبعد أن نال كفايته من الراحة، سار مع الفتيات الثلاث فى طريق العودة. ووصلوا دون عناء إلى قاع البئر. وهنا أخذ ينادى على شقيقيه، ثم صار يتسلق الحبل المتدلى ويصعد مع الفتيات إلى أعلى. بدأ الشقيقان فى رفع الفتاة الحسناء الأولى، ثم رفعوا الفتاة الثانية، وعندما حل الدور على الفتاة الأخيرة سألت ميليك محمد قائلة:

ـ اصعد أنت فى البداية، وبعد ذلك ألحق بك، حيث إننى أخشى أن يحسدك شقيقاك عندما يشاهدون جمالى، ويقطعان الحبل فلا يمكنك الصعود.

وظلت الفتاة تلح فى طلبها على ميليك محمد، لكنه رفض وأصر على أن تصعد قبله.

عندئذ قالت له الحسناء:

ـ استمع إلى ما أقوله لك جيدًا يا ميليك محمد، لو قام شقيقاك بقطع الحبل، وتركاك تسقط ثانية فى قاع البئر، فسوف تشاهد خروفا أبيض وآخر أسود يتعاركان معًا وينطح كل منهما الآخر. وفى أثناء عراكهما عليك أن تحاول القفز فوق ظهر الخروف الأبيض، ولو نجحت فى القفز على ظهره فسوف تجد نفسك فى عالم الضياء. أما لو وقعت فوق ظهر الخروف الأسود فسوف تجد نفسك فى مملكة الظلام.

بعد ذلك رفع الشقيقان الحسناء إلى أعلى.

وعندما شاهد شقيقا ميليك محمد الفتاة طار لبهما من فرط جمالها، وقررا فيما بينهما:

"إن ميليك محمد هو شقيقنا الأصغر، وسوف يحصل بالطبع على الفتاة الأصغر ويأخذها زوجة له".

وغمر الحسد نفوسهما، فقاما بقطع الحبل، وسقط ميليك محمد فوق قاع البئر.

نهض الفتى من سقطته فوق القاع، وأخذ يفكر فى الفعلة الشريرة التى قام بها شقيقاه.

بعد مرور بعض الوقت شاهد الخروفين الأبيض والأسود يتعاركان فيما بينهما. وتذكر ميليك محمد نصيحة الحسناء له، فقفز فوق ظهر الخروف الأبيض. وقذف الخروف الأبيض بميليك محمد فوق ظهر الخروف الأسود، الذى ألقى به بدوره إلى مملكة الظلام.

مضى ميليك محمد يسير فى مملكة الظلام حتى وصل إلى إحدى الأشجار. وتوقف عندها كى ينال قسطًا من الراحة. وفجأة شاهد تنينًا يزحف عبر جزع الشجرة إلى أعلاها.

وعندما ارتفع التنين إلى أعلى الشجرة، تعالت أصوات استغاثة الأفرخ الصغيرة. فقد كان هناك عش لطائر الرخ(*) فوق الشجرة. وترك الطائر أفرخه التى ما إن بدأت فى النمو، حتى تسلل التنين إلى العش كى يلتهمها.

رفع ميليك محمد سيفه وهوى به على التنين فشطره نصفين، ثم رقد أسفل الشجرة وراح فى النوم.

ولنترك ميليك محمد نائمًا أسفل الشجرة، ونحكى عن طائر الرخ.

لقد طار طائر الرخ كى يحضر الطعام لأفراخه الصغيرة. وعندما حلق فى طريق العودة شاهد ميليك محمد أسفل الشجرة، وظنه ضمن الفرائس التى يطعمها لفراخه، فطار محلقًا وأمسك بمخالبه قطعة ضخمة من الصخر كى يلقى بها فوق ميليك محمد.

وعندما شاهدت الأفرخ هذا الأمر أخذت تصيح منادية فى صوت واحد:

-لقد أراد التنين التهامنا، فقتله هذا الفتى وأنقذنا منه!.

أفلت طائر الرخ الحجر الضخم من مخالبه بعيدًا عن الفتى. وفرد جناحه يغطى به وجه ميليك محمد النائم حتى يحميه من أشعة الشمس.

استيقظ ميليك محمد، وشاهد الطائر فتملكه الخوف. وعندئذ قال له الطائر:

- أيها الفتى الرائع! لا أدرى كيف وصلت إلى هنا، ولا أعرف أصلك، ولكن لا تخش منى شيئًا. فأنا منذ سنوات عديدة لم أستطع تربية صغارى من الطيور بسبب ذلك التنين المرعب. وها أنت قد أنقذت أطفالى من الموت. وسوف أحقق لك كل ما ترغب فيه مقابل صنيعك الطيب.

(*) الرخ - طائر خرافى فى الأساطير الفارسية، وهو ملك الطيور كلها - المترجم.

قص ميليك محمد على طائر الرخ كل ما جرى معه، ثم أضاف قائلاً:

- لا أريد شيئًا منك سوى أن تحملنى وتذهب بى إلى مملكة النور.

أجاب طائر الرخ:

- يمكننى الذهاب بك إلى مملكة النور بشرط أن تحضر لى لحم أربعين بقرة، وأربعين دلوًا من الماء.

فكر ميليك محمد فى الوسيلة التى يمكن الحصول بها على هذه الكمية الكبيرة من اللحم، والكمية الكبيرة من الماء.

لاحظ الطائر هذا الأمر فقال لميليك محمد:

- استمع إلىّ جيدًا يا ميليك محمد، فبالقرب من هنا تبدأ أملاك أحد الملوك. وهناك يرعى تنينًا يحجب النهر الذى يصب فى أملاك الملك. ويموت الناس من شدة العطش. وقد حاول الكثير من الفتيان الشجعان قتل التنين، لكن أحدًا منهم لم يعد إلى بيته قط. وقد مرت سبع سنوات والتنين يذيق الناس ويلات العذاب من العطش. فيضطرون فى كل يوم إلى التضحية بفتاة إلى التنين، ويلقون بها فى فمه، وبينما ينشغل التنين بالتهامها ينتهزون الفرصة ويحضرون الماء. وأنا أرى فيك شابًا جسورًا شجاعًا، ويمكنك تدبر الأمر مع التنين. وعليك أن تقتل التنين الشرير كى تخلص الناس من محنتهم، وسوف تحصل من الملك على أربعين بقرة وأربعين دلوًا من الماء. كما عليك أن تنزع ريشة من جناحى، وعندما تحضر اللحم والماء، ألق بالريشة فى قلب النار، وسوف أطير إليك فى الحال وأحملك إلى مملكة النور.

انتزع ميليك محمد ريشة من جناح طائر الرخ، ورشقها فى طيات ملابسه، ومضى يسير فى طريقه. ومر وقت طال أم قصر، حتى وصل أخيرًا إلى مملكة ذلك الملك. فتوقف عند أحد الأكواخ، حيث شاهد امرأة عجوزًا تقف أمامه. فسألها ميليك محمد:

- أيتها الجدة، هل تقبليننى ضيفًا عليك؟.

ردت العجوز:

- نعم، تفضل بكل الترحاب.

دخل ميليك محمد كوخ العجوز، حيث نال قسطًا من الراحة. وبعد ذلك تطلع إلى الشارع، فشاهد جميع العابرين فى ثياب سوداء. وسأل ميليك محمد العجوز:

- من الذى ينعونه أيتها الجدة؟.

ينبغى أن أخبرك يا ولدى وأعرفك جيدًا أن لدينا تنينًا يسكن هنا. وقد منع الوصول إلى الماء، وجعلنا نضطر إلى التضحية إليه. وفى كل يوم نلقى إلى جوف التنين بواحدة من فتياتنا. وننتهز فرصة انشغاله بالتهامها للحصول على الماء. والآن قد جاء الدور على الفتاة الوحيدة المتبقية، وهذه الفتاة هى ابنة الملك التى سوف يلقون بها غدًا فى جوف التنين.

فى الصباح عرف ميليك محمد مكان وجود التنين بالتفصيل وذهب إليه. وعندما وصل إلى مسكنه شاهد جميع الناس يرتدون السواد، ويحملون فوق أياديهم ابنة الملك.

وعندما استعد الحشد لإلقاء الفتاة فى جوف التنين، تقدم ميليك محمد إلى الأمام، وهوى بسيفه فى ضربة واحدة على التنين، حتى شقه إلى نصفين. وما إن شاهد الناس ما جرى حتى أسرعوا إلى الملك يزفون إليه الخبر، واصطحبوا معهم ميليك محمد فى موكب احتفالى.

قال الملك لميليك محمد:

- أيها الفتى، لقد قتل هذا التنين أفضل وأشجع الفتيان لدى. وها أنت قد أنقذت البلاد من هذه المحنة الكبيرة، وأنا أمنحك تاجى الملكى ومعه ابنتى أيضًا. فلتجلس على العرش لتصبح ملكًا على البلاد.

ركع ميليك محمد أمام الملك فى خشوع وقال له:

- أطال الله عمرك أيها الملك! أريدك فقط أن تعطينى لحم أربعين بقرة، وأربعين دلوًا من الماء كى أعود إلى مملكة النور.

أمر الملك بإعداد كل ما طلبه ميليك محمد على وجه السرعة.

وبعد ذلك قام ميليك محمد بوداع الملك متمنيًا له الحياة المديدة والمجد.

وعندما خرج ميليك محمد من القصر، أخرج ريشة طائر الرخ وألقى بها في النار. فظهر الطائر في الحال وحط بجانب الفتى. وقام الفتى بتعليق قطع اللحم على أحد جناحيه، ودلاء الماء على الجناح الآخر، ثم صعد فوق ظهر الطائر الذى ارتفع محلقًا به.

تطلع ميليك محمد إلى أسفل فشاهد الأرض كما لو أنه ينظر إليها عبر غربال. وظل طائر الرخ يرتفع أعلى فأعلى، وأخذ ميليك محمد ينظر مرة أخرى لأسفل، لكن الأرض لم تعد منظورة أمامه واختفت تمامًا. وعندما كان طائر الرخ يصيح قائلاً "جا"، يلقى إليه ميليك باللحم، وعندما يصيح "جو" يلقى إليه بالماء.

اقترب الطائر مسرعًا من مملكة النور. ولم يبق سوى مسافة قليلة للطيران، لكن ميليك محمد في هذا الوقت أسقط سهوًا آخر قطعة من اللحم. وعندما طلب الطائر اللحم لم يجد ميليك شيئًا يعطيه له.

عندئذ لم يفكر ميليك محمد طويلاً، بل رفع سيفه وقطع به قطعة لحم من فخذه وأعطاها للطائر.

أدرك طائر الرخ من مذاق اللحم أنه لحم آدمي، فلم يأكله بل أخفاه أسفل لسانه.

وأخيرًا وصل إلى مملكة النور، حيث ترك طائر الرخ ميليك محمد على الأرض وقال له:

- والآن يمكنك الذهاب.

وعندما انطلق ميليك محمد في طريقه، شاهده الطائر يلوح له بيديه، فسأله عما يريد. وأخبره ميليك محمد بأن آخر قطعة من اللحم أعطاها له قد اقتطعها من فخذه؛ لأنه أسقط سهوًا قطعة اللحم الأخيرة.

أخرج طائر الرخ على الفور قطعة اللحم من أسفل لسانه، ووضعها في المكان الذى اقتطعت منه فوق فخذ الفتى، ثم نثر لعابه فوق الجرح الذى التأم في الحال.

وترك طائر الرخ بعضًا من ريشه لميليك وقال له:

- عندما تقع في محنة أو تمر بأزمة، فعليك إحراق ريشة من ريشي، وسوف تجدني أمامك في الحال لتقديم العون.

حلق طائر الرخ مبتعدًا، بينما واصل ميليك محمد سيره فى الطريق إلى مدينته.

وعندما وصل إلى مدينته أخيرًا، دخل إلى دكان حياكة. وطلب ميليك محمد من صاحب الدكان قائلاً:

- أيها المعلم، خذنى للعمل لديك فى الدكان.

أعجب الخياط بميليك محمد، فوافق على إلحاقه بالعمل لديه. وهكذا، بدأ ميليك محمد العمل لدى الخياط، الذى صار يستعين به فى ترتيق الثياب القديمة وتجديدها.

وذات يوم جاء رسول من الملك إلى الخياط، وطلب حضوره إلى القصر. فقد أراد الملك أن يحيك له ثوب زفاف ابن الملك الأكبر. وأدرك الخياط على الفور أنه سوف يحصل على الربح الوفير والهدايا الثمينة. فأخذ مقصه وأسرع إلى القصر.

بعد خروج الخياط أغلق ميليك محمد الدكان، وخرج إلى الشارع، وألقى فى النار بريشة طائر الرخ. فظهر له الطائر فى الحال وسأله:

- أخبرنى، ما الذى جرى معك؟.

طلب ميليك محمد من الطائر:

- أريدك أن تحضر لى على الفور ثيابًا صفراء، وسيفًا، ودرعًا وخوذة، وفرسًا رهوانًا.

حلق طائر الرخ فى السماء، وفى لمح البصر ظهر كل ما طلبه ميليك محمد بجانبه على الأرض.

ارتدى ميليك محمد الملابس الجديدة وامتطى فرسه، وانطلق به نحو القصر يسابق الريح.

وشاهد فى الميدان الكثير من الجنود وحشدًا كبيرًا من الناس، كما شاهد الابن الأكبر للملك يسير بخيلاء فوق فرسٍ رائع الجمال. فقفز ميليك محمد مثل الصاعقة نحو الشقيق الأكبر، ورفع سيفه وهوى به على رأسه حتى قطعها.

ساد الهرج والمرج بين الجنود، وانهالت سهامهم على ميليك محمد، لكنه اختفى كما ظهر فى لمح البصر.

ترك ميليك محمد فرسه، وارتدى ثيابه القديمة وعاد إلى دكان الخياطة.

وسرعان ما عاد الخياط صاحب الدكان. وأخذ يبكى ويولول ويضرب رأسه بيديه.

سأله ميليك محمد:

- أيها المعلم، أمد الله فى عمرك، أخبرنى ما الذى جرى لك ولماذا تبكى؟.

حكى الخياط عن الفارس الذى ظهر فجأة أمام القصر ممتطيًا رهوانه، ومرتديًا ثيابه الصفراء، وعن قطعه رأس الابن الأكبر للملك أمام أعين الناس جميعًا، وحول مطاردة الجنود له، لكنهم لم يستطعوا اللحاق بالقاتل، وأنه لن يربح شيئًا الآن بعد أن طلبوا منه حياكة الكفن فقط. تصنع ميليك محمد الأسف على ابن الملك، وجلس فى مكانه ممسكًا بإبرة الحياكة ليواصل عمله.

وبعد مرور بعض الوقت، جاء رسول إلى الدكان وطلب من الخياط الذهاب إلى القصر لحياكة ثوب زفاف الابن الأوسط للملك.

فرح الخياط كثيرًا لما سوف يدره هذا العمل من ربح وفير، فحمل مقياسه وأسرع نحو القصر.

انتظر ميليك محمد قليلاً من الوقت، ثم أغلق الدكان وخرج إلى الشارع. وأخرج ريشة طائر الرخ وألقى بها فى النار، ووجد الطائر أمامه فى لمح البصر يسأله:

- كيف يمكننى مساعدتك؟.

طلب ميليك محمد من الطائر:

- أريدك أن تحضر لى ثيابًا حمراء، وسيفًا، ودرعًا وخوذة، وفرسًا رهوانًا أحمر بنفس لون الثياب.

وفى لمح البصر ظهر كل ما طلبه ميليك محمد بجانبه على الأرض.

ارتدى ميليك محمد الملابس الجديدة، وامتطى فرسه وانطلق به نحو القصر.

وشاهد فى الميدان الملك والجنود وحشدًا كبيرًا من الناس، كما شاهد الابن الأوسط يسير بخيلاء فوق فرسه.

قفز ميليك محمد نحو الشقيق الأوسط، ورفع سيفه وهوى به على رأسه حتى قطعها. وأخذ الجنود يطاردون ميليك محمد الذى تبخر من أمامهم فى لمح البصر.

ترك ميليك محمد فرسه، وارتدى ثيابه القديمة. ودخل دكان الخياطة ليقوم بعمله المعتاد.

بعد مرور بعض الوقت عاد الخياط يبكى ويندب حظه. فسأله ميليك محمد:

ـ أيها المعلم، ماذا جرى معك؟ لقد ذهبت إلى الملك وأنت فى حالة من الفرح والغبطة، فلماذا تعود باكيًا؟.

بدأ الخياط يقص على ميليك قائلاً:

ـ لقد ظهر من حيث لا ندرى فارس فى ثياب حمراء يمتطى فرسًا حمراء اللون. وعندما عبر الابن الثانى للملك جنوده، قفز الفارس المجهول نحوه، وقطع رأسه أمام عينى والده وجميع الناس. وقد كان هذا الابن هو الوحيد المتبقى من الأحياء لدى الملك. وانطلق الجنود فى مطاردة الفارس المجهول، لكنهم عادوا بخفى حنين. والآن لن أربح شيئًا، وبدلا من أن أخيط ثوب الزفاف للابن الثانى للملك، فسوف أخيط له الكفن بعد مقتله.

مر بعض الوقت. وذات يوم جلس الخياط مع ميليك محمد فى الدكان، عندما قال ميليك محمد فجأة للخياط:

ـ أيها المعلم، اذهب إلى الملك وأخبره بأنك عثرت على ابنه الأصغر ميليك محمد.

خاف الخياط وصاح بصوت مرتعد:

ـ هل فقدت عقلك؟ أتريد أن يثور غضب الملك علىّ ويقطع رأسى؟ وبماذا أجيبه لو أن الملك سألنى عن مكان ميليك محمد؟.

عندئذ، حكى ميليك محمد للخياط عن كل ما مر به من مغامرات.

فرح الخياط فرحًا كبيرًا، وقفز من مكانه دون أن ينتعل نعله مسرعًا نحو قصر الملك.

وعند بوابة القصر تعثر الخياط وسقط على الأرض، وذلك فى الوقت الذى وقف فيه الملك ينظر عبر نافذة القصر.

أمر الملك خدمه بإحضار الخياط إليه على الفور، والذى يبدو أنه يحمل أخبارًا مهمة.

أمسك الخدم بالخياط وذهبوا به إلى الملك. وخر الخياط ساجدًا على الأرض أمام الملك يقول:

- حياتى فداؤك أيها الملك المبجل صاحب العالم! فلتمنحنى مكافأة وسوف أخبرك عن مكان ابنك الأصغر ميليك محمد!.

كاد الملك أن يخرج عن شعوره عندما سمع هذا الأمر، وصاح قائلاً:

- لقد مات ميليك محمد فى البئر.

رد الخياط:

- يا ملك العالم! لن أخبرك شيئًا إن لم تمنحنى المكافأة.

عندئذ، وعد الملك أن يمنح الخياط ذهبًا يساوى وزنه.

حينئذ حكى الخياط للملك عن كل شىء جرى مع ميليك محمد. وأنهى حكايته قائلاً:

- وهو الآن موجود فى دكانى يعمل به مساعدًا لى.

أمر الملك وهو فى حالة من الفرح:

- لو أنك صادق فيما تقول فسوف أجزل لك العطاء فورًا!.

أحضروا للخياط كمًا هائلاً من الهدايا التى استطاع حملها إلى البيت بصعوبة.

وأسرع وزير الملك والحاشية لإحضار ميليك محمد.

وقاموا أولاً بأخذه إلى الحمام، ثم ألبسوه ثيابًا نظيفة وذهبوا به إلى القصر.

وعندما شاهد الملك ابنه الأصغر لم يستطع كبح جماح مشاعره من شدة الفرح.

وقص ميليك محمد على والده عن مسلك شقيقيه اللذين غدرا به، وعن قطعهما الحبل عمدًا وإلقائه فى قاع البئر للحصول على فتاته الحسناء.

قبل الملك ابنه فى جبهته، وأمر بإعداد مراسم الزفاف فى الحال.

أما الفتاة الكبرى فقد زوجوها بابن الوزير، وزوجوا الفتاة الثانية بابن أحد أفراد الحاشية، أما الحسناء أصغرهم وأجملهن فتزوجها ميليك محمد.

واستمرت الأفراح وليالى الملاح لأربعين يومًا وأربعين ليلة.

وعاش ميليك محمد مع زوجته حياة سعيدة.

وكان الاثنان يأكلان ويشربان ويستمتعان بالحياة.

وأرجو أن تأكلوا وتشربوا وتستمتعوا بالحياة بدوركم، وأن تحققوا كل ما تحلمون به.



الكلب بوزدار من شاه سيفين

كان ياما كان حاج ثرى يعيش فى مدينة شاه سيفين. وكان لديه الكثير من الذهب والفضة، والعديد من الأغنام والأبقار والجياد والخراف. وكانت قطعانه ترعى فى المروج الواسعة التى يمتلكها فى شاه سيفين. كما كان لديه كذلك كلب مخلص وراعٍ شجاع يحرس الأغنام ويصادق الجياد يدعى بوزدار. وكان الحاج يحب كلبه حبا جما ويعتنى به مثل قرة عينه.

وفى يوم من الأيام المظلمة، استيقظ الحاج من نومه، فوجد صديقه الكلب الوفى راقدًا عند قدميه بلا حراك بعد أن مات. فقد ابتلع الكلب عظمة حادة مزقت أحشاءه وتسببت فى موته.

غمر الحزن الحاج، وبكى كلبه الوفى الشجاع بالدموع المريرة.

ولكن لم تكف الدموع لمواساة الحاج، فأمر بتكفين جثة الكلب فى كفن أبيض، ودفنه بالطقوس اللازمة التى يدفنون بها المبجلين والمحترمين من الناس. وجعل الشيخ يقرأ القرآن على قبر الكلب لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وقام الحاج بإقامة تأبين لذكرى الكلب الوفى، وأخذ يطعم جميع الفقراء والمحتاجين ويوزع عليهم الحسنات لمدة سبعة أيام.

وصل هذا الأمر إلى الإمام الأكبر.

وتملك الفزع من الإمام الأكبر، وأخذ يهيل التراب فوق رأسه ويمزق ملابسه قائلاً:

ـ لقد دُنست معتقداتنا المقدسة، وخُرقت القوانين الإلهية! ويستحق الموت مئة ألف مرة أولئك الذين يقدمون على دفن جثة الكلب طبقًا للتقاليد الإسلامية، وقراءة القرآن فوق قبره!.

وامتطى الإمام فرسه، ومضى فى طريقه إلى الحاج كى ينزل به العقاب الذى يستحقه لما فعله من زندقة وخرق للأعراف. وعرف الحاج بوصول الإمام. فأمر فى الحال بجمع أفضل خمسين خروفا سمينا من قطيعه، ثم خرج بنفسه لمقابلة الإمام. وركع أمامه على الأرض مقبلاً طرف ثيابه، ثم قال له:

ـ أيها الإمام العظيم يا ركيزة عقيدتنا وشرفها! فليمت أهلى فداءً للتراب الذى تخطو عليه قدماك. فلتسمع مصيبة عبدك المخلص. لقد مات كلبى الوفى بوزدار المجيد، والذى كان يسكن قلبى ويحمى قطعانى ويرهب أعدائى! لقد كان مسلمًا حقيقيا يحترم ويبجل الشيوخ والأئمة وقد أوصى قبل موته بمنحك خمسين من أفضل الخراف السمينة. وها هى منحته لكم!.

صاح الإمام منبهرًا:

ـ أخ! بالله عليك لا تطلق عليه اسم كلب! بل أطلق عليه اسم الصديق والشقيق! ولنذهب

إلى قبره كى أقرأ القرآن على روح المرحوم بنفسى!.

❊ ❊ ❊

ثمرة الشمام الصفراء(*)

كان ياما كان فلاح لديه بستان صغير يزرع فيه ثمار الشمام. وها هى ثمار الشمام قد نضجت، وظهرت من بينها شمامة صفراء بلون الذهب، تفوح منها رائحة نفاذة طيبة، تُسكر الإنسان من قوة شذاها حتى لو كان يسير بعيدًا عنها.

قرر الفلاح الاحتفاظ بهذه الشمامة والذهاب بها إلى الأمير، آملا أن يجزل له العطاء مقابلها.

غير أن الأمور لم تمض كما توقع الفلاح.

ففى إحدى المرات خرج الأمير إلى الصيد، ومر بالقرب من بستان الفلاح. ونفذت إليه رائحة الشمامة المُسكرة. فترجل الأمير من فوق فرسه، ووقعت عيناه على الشمامة الصفراء بلون الذهب. فجلس بجانبها وأراد قطفها. لكنه لاحظ أنها لم تنضج تمامًا وتحتاج إلى يومين أو ثلاثة حتى تنضج تماما. فنادى على الفلاح وأمره قائلاً:

- عليك حراسة هذه الشمامة لثلاثة أيام، ثم إحضارها إلى فى اليوم الرابع.

أحنى الفلاح رأسه أمام الأمير ممتثلاً لأوامره، ثم امتطى الأمير فرسه وانطلق به.

أسرع الفلاح عائدًا إلى بيته وقال لابنه:

- يا ولدى العزيز، عليك حراسة الشمامة الصفراء طوال النهار، بينما أقوم بحراستها أثناء الليل، ولنظل نحرسها بالتوالى لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك أذهب بها إلى الأمير.

لنترك الفلاح المهموم بحراسة الشمامة، وأحكى لكم بعض الشىء عن ابنه على يار.

(*) فى تلك المناطق من آسيا تنمو ثمار الشمام باللون الأخضر الفاتح فى العادة، ونادرا ما تنمو باللون الأصفر - المترجم.

كان على يار يحلم بتذوق هذه الشمامة الرائعة، وعندما عرف بقرار والده إعطاءها للأمير، تملك الحزن الشديد منه. لكنه خرج إلى البستان، وأخذ فى حراسة الشمامة حتى مالت الشمس إلى الغروب، وجاء والده ليحل مكانه. وفى الصباح عاد والده من البستان، وبعث بابنه إلى هناك.

وهكذا، مر يومان وحل اليوم الأخير. وذهب على يار إلى البستان فى نوبة حراسة الشمامة الصفراء.

ولنتركه الآن فى حراسته، وأقص لكم بعض الشىء عن الأرنب ذى الأذنين السوداوين. كان هذا الأرنب يتضور جوعا عندما أخذ يتجول فى البستان، واختار الشمامة الصفراء من بين كل ثمار الشمام الأخرى، وذلك عندما شعر بأن هذه الشمامة لا نظير لها أبدًا. وهكذا، أخذ يحوم حولها يدفعه الجوع والنهم. وفجأة، شاهد على يار الأرنب ذا الأذنين السوداوين يحوم حول الشمامة الصفراء. فأمسك بحجر وقذفه نحوه. ففر الأرنب من أمامه. ونظر على يار إلى الشمامة فشاهد أن الأرنب قد قضمها فى عدة أماكن.

فكر على يار فى نفسه: "لم تعد الشمامة الآن صالحة للأمير ولا حتى للأرنب، ومن الأفضل أن ألتهمها بنفسى".

والتهم على يار الشمامة حتى آخرها، ثم ذهب إلى البيت وقال لوالده:

- أيها الوالد، لقد غفوت بعض الشىء، فتسلل الأرنب ذو الأذنين السوداوين إلى البستان، والتهم الشمامة الصفراء أثناء غفوتى.

أسرع الفلاح إلى البستان، ولم يجد أثرًا للشمامة. فانطلق إلى الأمير على عجل، وخر أمامه ساجدًا عند قدميه وقال:

- أيها الأمير الرحيم! لقد غفا ابنى ولم يلحظ الأرنب ذا الأذنين السوداوين، فتسلل الأرنب إلى البستان والتهم الشمامة الصفراء! وأتوسل إليك أن تغفر لى وألا تغضب منى.

ما إن سمع الأمير كلمات الفلاح، حتى ثار من شدة الغضب، وأمر بقطع رأس على يار.

ظل الفلاح يتوسل طويلاً إلى الأمير ويطلب الرحمة لابنه، حتى أمر الأمير بطرده من القصر. وقام أتباع الأمير بضرب الفلاح ضربًا مبرحًا، وطردوه خارج القصر.

عاد العجوز البائس إلى البيت بعد أن غطت الدماء رأسه، واكتسى وجهه بالكدمات من شدة الضرب.

اجتمع الجيران حول الفلاح يسألونه عما جرى.

قص الفلاح على جيرانه ما جرى مع الأمير. وعندما سمع على يار ما قيل حول استعداد الأمير لقتله، امتقع وجهه من شدة الخوف، وتسلل خارجًا من البيت، ثم ذهب إلى البستان. وجلس فى نفس المكان الذى نمت فيه الشمامة الصفراء، وأخذ يبكى بمرارة.

واقترب منه الأرنب ذو الأذنين السوداوين. وعندما أراد على يار أن يقتله، تحدث الأرنب بصوت آدمى:

- ما الذى يبكيك يا على يار؟.

رد على يار:

- لقد احتفظ والدى بالشمامة الصفراء كى يهديها إلى الأمير، ثم جئت أنت وأتلفتها. وقد غضب الأمير ويريد قتلى بسبب هذا الأمر. فكيف لى ألا أبكى وهذا المصير ينتظرنى؟

أخذ الأرنب يواسيه قائلاً:

- لا تخش شيئًا، فالأمير لن يقتلك. واليوم سوف أتسلل إلى أشجار العنب فى بستان الأمير، وآكل من عناقيد العنب ما يمكننى التهامه، وما يتبقى منها سوف أتلفه. وعندئذ سوف ينشغل الأمير بالعنب وينسى أمرك لبعض الوقت، ثم نفكر فى وسيله لتخليصك منه.

تسلل الأرنب فى المساء إلى أشجار العنب فى بستان الأمير، والتهم أفضل عناقيدها. وقام بقطف العناقيد الأخرى وألقى بها على الأرض، وأخذ يقضم قشر العنب ويتلف العناقيد المتبقية، ثم فر هاربًا.

فى الصباح شاهد البستانى ما جرى لعناقيد العنب، كما شاهد الأرنب الهارب ذا الأذنين السوداوين. فأسرع إلى الأمير وأبلغه بما جرى فى الحال.

جاء الأمير بنفسه إلى البستان، وشاهد عناقيد العنب الملقاة على الأرض. فثار غضبه وأمر قائلاً:

-على جميع الصيادين الانطلاق فورًا مع الكلاب، واقتفاء أثر جميع الأرانب وقتل كل من يصادفهم منها.

خرج الصيادون لاصطياد الأرانب، واصطادوا بعضًا منها، ثم عادوا قائلين:

-لم نعثر على ذلك الأرنب ذا الأذنين السوداوين الذى أتلف العنب.

وهنا، خرج الأمير عن طوره وصاح:

-سوف أخرج لأقتله بنفسى!.

وامتطى فرسه وخرج إلى الحقول. وظل الأمير يجوب الأراضى والسهول ليومين دون أن يعثر على الأرنب. وأخيرًا تملك التعب والإنهاك منه، فاقترب من إحدى أشجار الأيك(*)، وترجل من فوق فرسه، وجلس تحت ظلال الشجرة وراح فى النوم.

ولنترك الأمير فى نومه أسفل الشجرة، وأحكى لكم قليلاً عن الأرنب ذى الأذنين السوداوين.

عندما شاهد الأرنب الأمير نائمًا، أسرع إلى على يار وقال له:

-اذهب معى حيث أقوم بغرس مخالبى فى عينى الأمير، ثم تقبض على حفنة من الرمال وتنثرها على عينيه الجريحتين. وسوف يصيبه العمى فنتركه فى مكانه.

وهكذا، فعل على يار ما قاله الأرنب، ثم فر الاثنان إلى حال سبيلهما.

أصاب العمى الأمير فى عينيه، وظل وحيدًا بمفرده فى الحقل طوال الليل. فهجمت عليه الوحوش المفترسة والجوارح ومزقته إربًا.

وهكذا نجا على يار والأرنب من الموت، وخلصوا الناس من ظلم الأمير وشره.

* * *

(*) الأيك – هى الشجرة متشعبة الأغصان والفروع – المترجم.

حكايات شعبية كردية

ميرزا محمود

كان ياما كان فتى يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان يدعى ميرزا محمود. وذات يوم خرج يجوب الأرض حتى وصل إلى غابة كبيرة، وبنى له فيها كوخًا سكنه. وكان يخرج إلى الصيد، ويعيش بفضل الفرائس التى يصيدها.

وذات يوم صادف ثعلبًا فى الغابة، ففكر فى نفسه: "فلأصيد هذا الثعلب، وأسلخ فراءه لأمسح به قدمى فى البيت!". لكن الثعلب صاح متوسلاً:

- لا تقتلنى يا ميرزا محمود، فسوف أنفعك فى وقت من الأوقات. وخذنى معك إلى بيتك ويمكننى رعايته فى غيابك!.

لم يقتل ميرزا محمود الثعلب. واصطحبه معه إلى البيت. وبعد ذلك اصطاد فريستين، والتهم واحدة منهما وأعطى الأخرى للثعلب. وفى اليوم التالى خرج الثعلب يتجول فى الغابة، فصادف الذئب الذى صاح به:

- أيها الثعلب، إنى أريد التهامك.

قال الثعلب:

- وما الذى سوف تفعله بعد التهامى؟ إنك سوف تجوع بعد ذلك مرة أخرى، ومن الأفضل لك أن تذهب معى إلى بيت ميرزا محمود. وسوف يحضر لنا كل يوم الفرائس التى يصيدها!.

وافق الذئب. وذهب الاثنان إلى بيت ميرزا محمود. واستطاع ميرزا محمود أن يصيد فى هذا اليوم ثلاثة آيائل. وعندما عاد إلى البيت شاهد الذئب وقد انضم إليهما. فأطعم الجميع، ثم رقدوا للنوم بعد الطعام. وفى الصباح، خرج ميرزا محمود إلى الصيد. أما الثعلب فذهب يتجول فى الغابة. وفجأة صادفه الدُب هناك، فأمسك بالثعلب بين مخالبه وقال:

- سوف ألتهمك!.

- لو أنك التهمتنى فلن يشبعك لحمى في جميع الأحوال! ومن الأفضل لك أن تأتى معى إلى بيت ميرزا محمود الذى سوف يطعمك.

- حسنًا، فلنذهب إلى بيته، ولكنى أحذرك أن تخدعنى، وإلا فسوف ألتهمك.

فى ذلك اليوم استطاع ميرزا محمود أن يصيد أربعة آيائل. وفكر فى نفسه قائلاً: "لا بد أن بيتى قد امتلأ بالضيوف!". وعندما وصل إلى البيت شاهد الدُب جالسًا بالداخل. فقام بإطعام الجميع. وفى الصباح خرج ميرزا محمود للصيد مرة أخرى. وخرج الثعلب يتجول فى الغابة. وهناك صادفه الفهد الذى انقض عليه وهو يزأر قائلاً:

- سوف ألتهمك فى الحال.

قال الثعلب متوسلاً:

- لن يفيدك التهامى فى شىء أيها الفهد. فلتذهب معى إلى بيت ميرزا محمود الذى يقوم بإطعامى مع الذئب والدُب. وسوف يطعمك أنت الآخر.

وافق الفهد قائلاً:

- حسنًا، فلنذهب معًا.

ذهب الاثنان إلى البيت. وفى نفس هذا اليوم اصطاد ميرزا محمود خمسة غزلان. وفكر فى نفسه: "لا بد أن هناك أحدًا آخر قد جاء إلى البيت". وعندما وصل إلى البيت وشاهد الفهد جالسًا هناك، تأكد من صحة تفكيره. فقام بتوزيع الطعام على الجميع، ثم رقدوا للنوم.

خرج الثعلب فى الصباح إلى الغابة. وقابل هناك طائر الرخ الذى انقض على الثعلب، وأنشب مخالبه فى جسمه قائلاً:

- سوف ألتهمك أيها الثعلب!.

صاح الثعلب متوسلاً:

ـ لا تأكلنى، ومن الأفضل أن تذهب معى إلى ميرزا محمود الذى يطعمنى، كما يطعم الذئب والدُب والفهد. وسوف يطعمك بدورك!.

وافق الطائر قائلاً:

ـ حسنًا، فلنذهب إلى بيته.

وفى هذا اليوم اصطاد ميرزا محمود آيلين وأربعة غزلان. وفكر فى نفسه: "لا أظن أن هناك أحدًا آخر قد ظهر فى بيتى!".

وعندما وصل إلى البيت اعترته الدهشة عندما شاهد طائر الرخ يحط فى البيت. كان الطعام كافيًا للجميع، فأكلوا منه حتى الشبع ورقدوا للنوم. وفى الصباح، وعندما خرج ميرزا محمود للصيد، صاح الثعلب:

ـ أظن أن ميرزا محمود ليس خادمًا لنا فى نهاية الأمر. إنه يطعمنا طوال الوقت، وينبغى علينا مساعدته!.

هتفت الحيوانات فى صوت واحد:

ـ حقًا! ينبغى علينا مساعدته بالفعل، لكننا لا ندرى الوسيلة للقيام بذلك الأمر!.

قال الثعلب:

ـ أنا أعرف الوسيلة المناسبة، وهى أن نجد له عروسًا يتزوجها!.

وافقت الحيوانات قائلة:

ـ نعم، نعم! هيا نخرج إلى بلاد تشينماتشين، ونأخذ ابنة ملكها زوجة لميرزا محمود!.

وهتفت الحيوانات جميعًا فى صوت واحد:

ـ موافقون، موافقون!.

قرر الجميع أن يذهب إلى تشينماتشين كل من: الثعلب، والذئب، والدُب وطائر الرخ. أما الفهد فيظل فى البيت لحراسته.

وخرجوا فى مهمتهم عبر الطريق الذى قطعته بحيرة كبيرة. فحمل طائر الرخ الثعلب بين مخالبه، وعبر به البحيرة إلى الضفة الأخرى، ثم حمل من بعده الذئب فالدُّب. وبعد ذلك واصلوا طريقهم. فشاهدوا مزارعًا يحرث الأرض أمامهم. وعندما شاهد المزارع الحيوانات، تملك الخوف منه، فترك محراثه وفر هاربًا. كما خافت الثيران بدورها، وتملصت من المحراث، وركضت هاربة هى الأخرى. وعندئذ قال الثعلب للذئب والدُّب:

- سوف أربطكما إلى المحراث، وأحرث الأرض بكما. وعندما يشاهدنا الناس، فسوف يتجمعون حولنا، ثم تأتى ابنة الملك لتشاهد الأعجوبة التى نقوم بها، والحيوانات التى تحرث الأرض. وعندئذ يحط طائر الرخ ويختطف الفتاة ويطير بها، ونركض نحن خلفه!.

وهكذا، فعلوا ما قاله الثعلب. فتجمع الناس يشاهدون الثعلب والذئب والدُّب وهم يحرثون الأرض. وعندما عرفت بالأمر ابنة الملك، امتطت فرسها، وأسرعت به كى تشاهد تلك الأعجوبة. وعندما شاهدها الثعلب صاح مناديًا طائر الرخ:

- ها هى! أسرع وأمسك بها!.

انقض الطائر على الفتاة، وأمسك بها بين مخالبه، وارتفع محلقًا إلى أعالى السماء.

تركت الحيوانات المحراث، وأسرعت تركض خلف الطائر. وأخذ الناس يصيحون ويصرخون: "لقد خطفوا ابنة الملك! خطفوا ابنة الملك!". وأسرعوا يخبرون الملك بالأمر.

فى ذلك الوقت وصلت الحيوانات مع الفتاة إلى بيت ميرزا محمود. وفى هذا اليوم اصطاد ميرزا محمود سبعة غزلان. وقال فى نفسه: "لا بد أن هناك أحدًا آخر قد جاء فى بيتى!". وعندما وصل إلى البيت، خرجت الحيوانات لمقابلته، وأخذت ترقص حوله فى سعادة وسرور! فقام بتقسيم الفرائس عليها، وتبقى لديه غزالان. فسأل ميرزا محمود:

- من لم يحصل على نصيبه بعد؟.

لم تجبه الحيوانات بشىء. فدخل إلى البيت حيث شاهد فتاة رائعة الجمال مثل البدر تجلس بالداخل. ووقع ميرزا محمود فى غرام الفتاة ابنة الملك التى تدعى جوليزار من النظرة الأولى. كما وقعت الفتاة فى غرامه بدورها. وتزوج الاثنان، وعاشا فى سعادة.

ولنتركهما فى سعادتهما، ونذهب إلى الملك لنتعرف على أحواله.

نادى الملك على جميع المنجمين العجائز، وأمرهم بمعرفة مكان ابنته. فألقوا بالرمال السحرية ونثروها أمامهم، لكنهم لم يعرفوا شيئًا منها! وعندئذ سأل الملك:

- هل حضر جميع المنجمين إلى هنا؟.

ردوا عليه:

- لا، لقد ظلت عجوز واحدة تعيش فى المنطقة التى يغزلون فيها السلال والشباك.

أمر الملك:

- أحضروها فى الحال!.

جاءت المنجمة العجوز، وألقت رمالها ونثرتها ثم قالت:

- إن ابنتك موجودة لدى ميرزا محمود فى أرض الغابة البعيدة!.

قال الملك:

- حسنًا، لو استطعت أيتها العجوز أن تعيدى ابنتى، فسوف أمنحك ذهبًا يعادل وزنك!.

وافقت العجوز قائلة:

- حسنًا، سوف أحاول القيام بهذا.

أحضرت العجوز علبة فخارية كبيرة. وقامت بنقشها من الداخل برسومات لامعة، وغطت فتحتها بعوامة من جلد العجل، ثم وضعتها فى الماء وجلست تسبح فوقها. وأخذت ثعبانًا كبيرًا بدلاً من المجداف.

وظلت تسبح فوق العلبة حتى عبرت البحيرة إلى الضفة الأخرى. وهناك قامت بإخفاء العلبة بين الأحراش، ثم ذهبت إلى بيت ميرزا محمود. كانت جوليزار جالسة بالقرب من البيت. وعندما شاهدت العجوز تسير نحوها صاحت جوليزار قائلة:

- لا تقتربى منى، فإنى لا أحب العجائز!.

تنهدت العجوز متوسلة:

ـ أشفقى على أيتها الفتاة، فقد خرجت مع الحجاج وتخلفت عنهم بعد أن ضللت طريقى. فاسمحى لى بالمبيت لديك حتى يعودوا وأذهب معهم.

صاحت جوليزار:

ـ ارحلى عن هنا بسرعة، فلدى الكثير من الحيوانات فى البيت، وسوف يلتهمونك!.

خرجت العجوز إلى الطريق، وجلست على قارعته تنتظر عودة ميرزا محمود. وعندما عاد ميرزا محمود من صيده، شاهد العجوز جالسة على الطريق تبكى. فسألها:

ـ ما الذى حدث لك؟ ولماذا تبكين؟.

شكت العجوز قائلة:

ـ لقد تخلفت عن رفاقى، وضللت طريقى فى الغابة. وعندما ذهبت إلى بيتك طردتنى زوجتك.

ـ اذهبى معى ولا تخشى شيئًا. وسوف تقيمين لدى فى البيت طوال الوقت الذى ترغبين فيه!.

وعندما وصلا إلى البيت قال ميرزا محمود لزوجته جوليزار:

ـ سوف تعيش العجوز معنا، ولن تمس أحدا بسوء!.

ردت جوليزار:

ـ سوف تجلب لنا المصائب، وسوف تكتشف ذلك لاحقًا! ولكن بما أنك ترغب فى ذلك، فدعها تعش معنا!.

عاشت العجوز فى بيت ميرزا محمود. وفى الصباح الباكر نهضت من نومها وقامت بتنظيف الحجرة وإعداد طعام الإفطار. ووضعت الطعام للجميع، ثم نظفت الطاولة، وأخذت تعد طعام الغداء. وخرج ميرزا محمود للصيد، بينما ظلت جوليزار فى البيت مع العجوز. وأخذت العجوز تقص عليها الحكايات والأساطير التى مست أوتار قلبها. وقامت العجوز بغسل جميع أغطية الفراش وقالت لجوليزار:

ـ فلنذهب معًا يا ابنتى إلى البحيرة لشطف هذه الأغطية بالماء، وذلك حتى تسرى عنى أثناء الطريق!.

خرجت جوليزار مع العجوز وسارت معها. وعندما وصلتا إلى البحيرة، أخرجت العجوز العلبة وصاحت فى جوليزار:

ـ تعالى هنا بسرعة يا ابنتى! فهنا يوجد شىء يلمع فى هذه الحفرة، ولا أعرف إن كان ذهبًا أم فضة. وسوف تعرفين ماهيته لأنك ابنة الملك!.

أسرعت جوليزار إليها، فشاهدت شيئًا يلمع فى العمق. ولم تدرك أنها ليست حفرة، بل علبة كبيرة. فانحنت وأدخلت رأسها فى العلبة. وأسرعت العجوز بالقبض على قدميها، ودفعتها داخل العلبة. وبعد ذلك غطت فتحة العلبة بقطعة الجلد، ودفعت الصندوق إلى الماء، وجلست فوقه وأخذت تجدف به مسرعة. وعندما وصلت إلى البر الآخر، كان الملك بانتظارها مع حاشيته على الشاطئ. فصاحت العجوز:

ـ لقد أحضرت إليك ابنتك أيها الملك!.

فرح الملك ونادى على مسئول خزانة المال، وأمرة بمنح العجوز ذهبًا يساوى وزنها.

ولنترك الملك فى سعادته بعودة الابنة، ونذهب لنعرف ما يفعله ميرزا محمود.

استطاع ميرزا محمود أن يصيد ستة آيائل فى هذا اليوم. وفكر فى نفسه: "سوف تكفى هذه الطرائد لسكان بيتى". وذهب إلى بيته فلم يجد جوليزار هناك. وكانت الحيوانات تقف جميعًا فى انتظاره، لكن أحدًا منهم لم يستطع تفسير غياب زوجته. ورقد ميرزا محمود للنوم حزينًا مهمومًا. وعندئذ قال الثعلب لطائر الرخ:

ـ هيا بنا نعيد جوليزار إلى البيت! وسوف نفعل هذا على النحو التالى: تحملنى إلى سقف بيتها، ثم تطير نحو النافذة. وعندما تتعرف جوليزار عليك، فسوف تخرج إلى الشرفة، وتقوم أنت بالتقاطها، ثم تحملنى من فوق السقف ونعود جميعًا أدراجنا.

وافق طائر الرخ، وحمل الثعلب وحلق به نحو تشينماتشين. وأرجوا ألا أكون قد أطلت عليكم. وفى نفس الليلة أحضروا جوليزار إلى ميرزا محمود. وفرح كل من الزوج والزوجة، واندفعا يعانقان بعضهما البعض فى حب وشوق.

أما الملك فقد أعلن فى البلاد حالة الإنذار والخطر. واستدعى قواته للحرب ضد ميرزا محمود كى يستعيد ابنته.

استيقظ ميرزا محمود وجميع الحيوانات فى الصباح. ونظروا فشاهدوا حشودا كبيرة من قوات الملك تقترب نحوهم. فصاح الثعلب:

- إنى أعرف ما الذى ينبغى فعله. فسوف نذهب فى الحال إلى الغابة، وننادى جميع الثعالب، والذئاب، والدببة، والفهود والطيور. وعندئذ سوف نتمكن من هزيمة قوات الملك وطردها!.

خرجوا إلى الغابة، ونادوا جميع الحيوانات والطيور. وإن كان من الممكن إحصاء عدد النجوم فى السماء، فلم يكن ممكنًا إحصاء عدد الحيوانات والطيور التى اجتمعت ولبت النداء! وشاهد الجنود وصول الحيوانات بهذا العدد الهائل، فتملك الرعب منهم، ولم يجدوا سبيلاً للهروب، حيث إن الصراع مع الحيوانات أمر شديد الصعوبة. وقامت الطيور بخزق أعين الجنود بمناقيرها، وحطمت الدببة أجساد المحاربين بمخالبها، ونهشت الذئاب بطونهم. ولم يبق أحد منهم على قيد الحياة.

وعندما عرف الملك بهذا الأمر، قرر فى نفسه: "يبدو أن الحرب ضد ميرزا محمود هى حرب خاسرة! ولا ينبغى التضحية بقواتى هباءً، حتى لو كان الأمر من أجل ابنتى". وتوقف الملك عن إرسال قواته إلى الحرب.

وهكذا، نجح ميرزا محمود وجوليزار فى تحقيق رغبتهما. أما نحن فقد انتهينا من حكايتنا.



المنجم المزعوم

كان ياما كان عجوز يعيش مع زوجته العجوزة التى تُدعى جولى. وكانا يعيشان فى فقر وعوز شديدين. وذات يوم قال العجوز لزوجته:

- لقد ضاقت الحياة بنا، فما العمل كى نستطيع الحياة؟.

- أحضر ثياب المنجمين، واحمل أحد الكتب بين يديك، وطف بشوارع المدينة مدعيًا التنجيم. وهكذا، يمكننا توفير الطعام من خلال خداع الناس.

فعل العجوز ما قالته زوجته.

ومضى يطوف شوارع المدينة، فشاهد ابن الملك الصغير يلعب مع الأطفال لعبة البابكة(*). وتدحرجت بابكة ابن الملك وسقطت فى إحدى الحفر. وأخذ الأطفال يبحثون عنها. لكن الحفرة امتلأت بالتراب فغطت البابكة، ولم يعثر عليها الأطفال مهما حاولوا.

أخذ ابن الملك فى البكاء، وأسرع يشكو إلى أمه ضياع البابكة. وشاهد المنجم المزعوم المكان الذى سقطت بداخله بابكة ابن الملك. وعندما ذهبت زوجة الملك إلى المكان الذى لعب فيه الأطفال للبحث عن البابكة، شاهدت المنجم جالسًا هناك. فقالت له:

(*) البابكة – لعبة شعبية قديمة تنتشر فى روسيا فى العديد من مناطق القوقاز، ويلعبها فى الأسرة الأفراد الأعلى مقامًا واحترامًا. فيجمع اللاعبون قطع عظام الحيوانات الصغيرة النظيفة التى تسمى البابكة، ويحصل كل منهم على عدد منها (من ٣ – ١٠ قطع). وتوضع القطع عند منتصف أرض اللعب (من ٣٠ – ٤٠ مترًا) ويحدها خط محدد، وكذلك يحفرون بعض الحفر خلف القطع. ويحاول اللاعبون ضربها من فوق الجياد، ومن ينجح فى ضربها من المرة الأولى يحصل على أعلى النقاط – المترجم.

ـ لو أنك منجم حقيقى فعليك العثور على بابكة ابنى وإحضارها إلى فى القصر!.

رد المنجم:

ـ اذهبى إلى البيت، وبعد مرور ساعة من الآن سوف أحضر إليك بابكة ابنك.

عادت زوجة الملك إلى القصر. وقام المنجم بإخراج قطعة العظم من الحفرة، وذهب بها إلى زوجة الملك. فمنحته قطعة من الذهب مكافأة له. فعاد المنجم المزعوم إلى البيت وقال لزوجته جولى:

ـ لقد أحضرت اليوم ما يكفى لطعامنا، ولننتظر ما سوف يحمله لنا الغد!.

فى اليوم التالى ذهب المنجم المزعوم إلى بستان الملك. ونظر فشاهد ابنة الملك وابنة الوزير تلعبان باللآلئ. وأسقطت ابنة الملك لؤلؤة كبيرة سهوًا، فالتقطتها ابنة الوزير خلسة، وأخفتها فى طيات ثيابها. وشاهد المنجم المزعوم كل ما جرى دون أن يراه أحد منهن.

وأخبروا زوجة الملك بما جرى قائلين:

ـ لقد فقدت ابنتك لؤلؤة كبيرة.

بحثت زوجة الملك عن المنجم حتى عثرت عليه، وقالت له:

ـ أيها المنجم، لقد ضاعت لؤلؤة ابنتى، وأرجو منك العثور عليها!.

رد المنجم بثقة:

ـ عودى إلى بيتك، وسوف أحضرها إليك!.

ذهب المنجم إلى بيت الوزير وجلس عند عتبته. وعندما شاهد ابنة الوزير عائدة إلى البيت قال لها:

ـ أيتها الابنة! لماذا أخفيت لؤلؤة ابنة الملك فى طيات ملابسك؟ إن لم تعترفى بفعلتك فسوف أفضحك أمام الجميع!.

تملك الخوف ابنة الوزير، وأخرجت اللؤلؤة من ملابسها وأعطتها للمنجم المزعوم. فأخذ المنجم اللؤلؤة وذهب بها إلى زوجة الملك. ومنحته الزوجة بضع قطع ذهبية. وعاد المنجم المزعوم إلى بيته وقال لزوجته:

. جولى، لقد أحضرت اليوم بضع قطع ذهبية سوف تكفى لطعامنا وتدبير حياتنا. ولكنى أخشى أن يفتضح أمرى فى النهاية، وتنقلب المزحة التى أقوم بها ضدى!.

مع مرور الوقت ذاع صيت المنجم المزعوم، وسادت شهرته فى التنجيم كل أرجاء البلاد.

وذات يوم، تسلل سبعة لصوص إلى الخزانة الملكية، ونهبوا كل ما فيها من الذهب. فطلب الملك حضور المنجم المزعوم وقال له:

. أعطيك مهلة أربعًا وعشرين ساعة للعثور على ذهبى المسروق، وإلا فسوف أطيح برقبتك!.

ذهب المنجم إلى بيته وهو فى حالة من الحزن والكرب، وقال لزوجته:

. جولى، لقد طارت رأسى!.

كان اللصوص قد سمعوا بأمر المنجم. وفى منتصف الليل تسللوا إلى بيت المنجم، كى يسترقوا السمع لما يقوله.

. هيا نستمع لما يقوله المنجم عنا.

وتسلق اثنان من اللصوص سقف البيت، وأخذا يسترقان السمع عبر شقوق السقف.

كانت هناك حفرة أسفل عتبة بيت المنجم، وكان يحتفظ بسبعة كتاكيت فى فناء بيته. وتسلل اثنان من الكتاكيت عبر الحفرة إلى الحجرة. فصاح المنجم بزوجته:

. لقد وصل اثنان وتبقى خمسة!.

قفز اللصان من فوق السقف، وأسرعا إلى رفاقهما قائلين:

- إن هذا الرجل ساحر حقيقى! فما إن صعدنا إلى السقف حتى صاح قائلاً: "لقد وصل اثنان، وتبقى خمسة".

خاف اللصوص، وصعدوا جميعًا إلى سقف البيت. وفى هذا الوقت دخلت بقية الكتاكيت الخمسة الحجرة عبر الحفرة. فقال المنجم لزوجته:

- ها هم السبعة قد وصلوا!.

تملك الرعب من اللصوص، وقفزوا من فوق السقف. وذهبوا إلى المنجم متوسلين:

- نعم، نحن الذين سِرقنا الذهب من الملك. فساعدنا حتى لا يقتلنا الملك.

قال المنجم للصوص:

- لقد عرفت منذ الأمس بأمركم، ولم أكشف عنكم لأنى أشفقت على زوجاتكم وأبنائكم. فهيا أسرعوا بإحضار كل ما سرقتموه من الملك إلى بيتى، وارحلوا بعد ذلك. ولن أكشف أمركم إلى الملك.

أحضر اللصوص كل الذهب الذى سرقوه. وأعطى كل منهم بعض القطع الذهبية إلى المنجم قائلين له:

- لا تفضح أمرنا إلى الملك كما وعدتنا!.

ومع أول خيوط الفجر، أرسل الملك أتباعه إلى المنجم قائلين له:

- إن الملك يطلب حضورك إليه فى الحال.

رد المنجم:

- اذهبوا وأخبروا الملك كى يرسل إلى عربات الخيل، لتعيد إليه الذهب المسروق!.

أرسل الملك الجنود وعربات الخيل، ثم ذهب بنفسه إلى المنجم قائلاً:

- أيها المنجم، أخبرنى عن أسماء أولئك اللصوص.

رد المنجم:

- لا يمكننى الإفصاح عن أسمائهم أيها الملك، حيث إن الإله القدير لم يسمح لى بذلك.

عاد الملك بذهبه المسروق، ومنح المنجم جوالاً مملوءًا بالذهب مكافأة له.

وفى أحد الأيام كان المنجم عائدًا إلى بيته من الطاحونة. وكان طريق عودته يمتد بالقرب من قصر الملك. وكان الملك يقف مع زوجته فى شرفة القصر المطلة على الطريق. ونظرا فشاهدا المنجم. فقال الملك لزوجته:

. انظرى! ها هو المنجم يسير عائدًا من الطاحونة!.

كانت لحية المنجم قد طالها بعض الدقيق المطحون. فرفع يده ينفض الدقيق عن اللحية. وظن الملك وزوجته أن المنجم ينادى عليهما. فهبطا من الشرفة، وخرجا لمقابلة المنجم. وما إن هبطا منها، حتى انهارت الشرفة وتحطمت فوق الأرض. فهتف الملك مع زوجته فى صوت واحد:

. بارع أنت أيها المنجم! كيف تمكنت من معرفة انهيار الشرفة؟ لقد أنقذت حياتنا!.

منح الملك جوالين من الذهب للمنجم.

ذاع صيت المنجم أكثر مما سبق فى كل ربوع البلاد. وذات يوم قام ملك إحدى البلدان المجاورة بوضع التراب داخل زجاجة صغيرة، ثم وضع زهرة فى أعلاها. وأغلق الزجاجة، وبعث بها إلى ملك البلاد التى يعيش فيها المنجم.

وأحضروا الزجاجة إلى الملك وقالوا له:

. فلتدع منجمك يخبرك ما بداخل هذه الزجاجة!.

نادى الملك على المنجم وأمره قائلاً:

. عليك معرفة ما بداخل هذه الزجاجة، وإن لم تحزر ما بداخلها فسوف أقطع رقبتك!.

أخذ المنجم يصيح متنهدًا فى حسرة: "أخ، جولى، أخ، جولى!" (*).

وعندما فتحوا الزجاجة رأوا بداخلها ترابًا وزهرة. فصاح الملك:

(*) جولى – كلمة تعنى الزهرة باللغة الكردية، وهو نفس اسم زوجة المنجم –المترجم .

- يا لك من رجل ماهر أيها المنجم، وقد أصبت الحقيقة فيما قلت!.

وأمر الملك بمنح المنجم ذهبًا يساوى وزنه.

وفى اليوم التالى ذهب المنجم إلى الملك وقال له:

- أيها الملك، إنى لا أريد العمل منجمًا بعد ذلك. فقد توعدنى إلهى القدير أن يصيبنى بالعمى لو عدت إلى التنجيم. فأرجو منك أن تشفق على حتى لا أفقد بصرى.

سمح الملك له بترك التنجيم. وعاش المنجم مع زوجته فى رغد وسعادة.

* * *

الثعلب والديك والحمامة

ذات يوم قرر الثعلب أن يذهب إلى الحج. فذهب إلى القرية، وشاهد الدجاج وقد اجتمع فى حظيرته، وحوله يسير الديك فخورًا بنفسه متباهيًا بريشه. وما إن شاهد الدجاج الثعلب حتى أسرع بالفرار. أما الثعلب فصاح قائلاً للديك:

- ما الذى يخيفك أيها الرفيق؟ لقد أصبح السلم والسعادة يسودان العالم، ولم يعد للشر وجود، فها أنا أستعد للذهاب إلى الحج.

قال الديك:

- بما أنك ذاهب إلى الحج فخذنى معك.

مضى الاثنان يسيران معًا عبر الغابة، فشاهدتهما الحمامة واعترتها الدهشة، وقالت:

- أيها الرفيق الديك! ما هذا الذى أراه؟ أتسير مع الثعلب؟!.

ما إن فغر الثعلب فاه كى يتحدث، حتى قاطعه الديك ولم يدعه يتكلم وقال:

- ماذا بك أيتها الحمامة؟ ألم تعرفى أن السلم والسعادة يسودان العالم الآن؟ لقد اختفى الشر من الدنيا، وها أنا مع الثعلب نسير إلى الحج للتطهير من الذنوب.

قالت الحمامة:

- بما أن الأمر يسير على هذا النحو، فسوف أنضم إليكما.

مضى ثلاثتهم فى الطريق. وكان الثعلب يتقدمهم وخلفه يسير الديك ثم الحمامة. وعندما وصلوا إلى الغابة قادهم الثعلب إلى جحره وقال:

- فلنأخذ هنا قسطًا من الراحة حتى الصباح، ثم نستيقظ فى الغد ونواصل طريقنا.

دخلت الحمامة والديك إلى جحر الثعلب. وأغلق الثعلب المدخل وقال:

- أرجو منكما أيها الرفيقان ألا تحدثا ضوضاء، وذلك حتى أستطيع النوم فى هدوء حتى الصباح. ولنتفق على هذا الأمر: من يصدر ضوضاء ويزعجنا نقوم بالتهامه.

هبط الليل، وحل موعد صياح الديك مثل العادة. ولم يستطع الديك كبح جماح رغبته فى الصياح.

فنهض يخفق بجناحيه وأخذ يصيح: "كوكاريكو.. كوكاريكو".

وصاح الثعلب:

- أيها الرفيق، عليك أن تتذكر اتفاقنا!.

لكن الديك لم يستطع التوقف عن الصياح. فقبض الثعلب على رقبته والتهمه، ثم نظف فمه ورقد للنوم مرة أخرى.

أشرق الفجر وحل موعد سماع هديل الحمام. فأخذت الحمامة تدور حول نفسها وتهدل فى المكان. فصاح الثعلب بها:

- تذكرى أيتها الأخت اتفاقنا! لقد شاهدت بنفسك وبعينيك ما جرى لرفيقك الديك!.

لكن الحمامة لم تستطع كبح جماح رغبتها فى الهديل، وأخذت تهدل وتهدل. فأمسك الثعلب الحمامة بأسنانه، وأسرع خارجًا من جحره. وصاحت الحمامة:

- أخبرنى أيها الأخ الثعلب عن القبيلة التى تنتمى إليها، ثم التهمنى بعد ذلك!.

رد الثعلب:

- إنى أنتمى إلى قبيلة ماهامدى.

واضطر الثعلب لفتح فاه عندما نطق كلمة "ماهامدى"، فاستطاعت الحمامة القفز من فمه وحلقت مبتعدة عنه.

نظر الثعلب بحزن نحو الحمامة الطائرة وقال:

- يا للأسف!، ليتنى أخبرتها أننى من قبيلة "دسسنى!".



النعجة والذئب

في أحد أيام فصل الخريف شردت نعجة عن القطيع وضلت طريقها في الغابة. وأخذت تبحث عن مأوى لها في الوادي حتى عثرت على ملاذ يناسبها، وظلت تعيش به. وعندما حل الربيع وضعت النعجة حملاً. ولم تعد تسير في الغابة بمفردها، بل أصبح يرافقها حملها الصغير. وذات مرة، وعندما كانت ترعى العشب في روضة بالغابة، خرج إليها ذئب من بين الأحراش، وعوى قائلاً لها:

- من سمح لكما بالتجوال في أملاكي؟!.

اعترضت النعجة قائلة:

- ما هذا الذي تقوله؟ لقد قضيت الشتاء بطوله هنا، ولم أر ذئبًا واحدًا أثناء رعيي! فكيف أصبحت هذه الأماكن ملكًا لك على هذا النحو المفاجئ؟.

رد الذئب:

- لدي الشهود على أن هذه الأماكن تقع ضمن أملاكي!.

- ومن هم شهودك؟.

- الثعلب.

- حسنًا، أحضره كي يؤكد ما تقوله!.

أسرع الذئب إلى الثعلب، وأخذت النعجة تبحث عن أحد يصلح للشهادة في صالحها. وشاهدت الكلب فطلبت منه قائلة:

ـ إن الذئب يضايقنى، ويبحث عن ذريعة ليلتهم حملى الصغير، ويدعى قائلاً بأن كل الأماكن التى أرعى فيها هى أملاكه. وقد ذهب ليحضر الثعلب شاهدًا على ما يقوله. وأرجو منك أن تساعدنى، وتنصحنى بما أفعله.

قال الكلب:

ـ هيا اذهبا معى!.

وذهبوا جميعًا إلى الروضة التى ينتظر بها الذئب. وقال الكلب للنعجة:

ـ سوف أختبئ خلف هذه الشجيرات، وعليك إخبار الذئب بأنك لن تصدقيه ولن تصدقى الثعلب، حتى يقوم الاثنان بالقسم على ذلك بموطنهما. وقولى لهما بأنك قد جعلت هذه الشجيرات موطنًا لك. وعندئذ سوف يذهبون إلى هذه الشجيرات، ويبدأون فى القسم بها، وفى هذه اللحظة سوف أقتلهما!.

حضر الذئب والثعلب، وصاح الذئب قائلاً:

ـ حسنًا، ها هو شاهدى أمامك!.

قال الثعلب:

ـ نعم، إن ما يقوله هو الحق! فهذه الأملاك تعود للذئب.

قالت النعجة:

ـ إننى لا أصدقكما. فهذه الشجيرات الواقعة هناك هى موطنى وبيتى. فاذهبا وأقسما بموطنى على ما تقولانه، وعندئذ سوف أصدقكما، وأمنحكما حملى تأكلانه.

ذهب الثعلب نحو الشجيرات، ولمعت عينا الكلب من خلفها، فلاحظها الثعلب وصاح قائلاً:

ـ كلا، كلا، إن موطنك هذا موطن مقدس، ولا يمكننى أن أقسم به! فهذا يعد ذنبًا لا يغتفر. وسوف أرحل من هنا، وعليكما حل النزاع بينكما بمفردكما!.

قالت النعجة للذئب:

- إذاً، وكما ترى، فهذه ليست أملاكك على الإطلاق. فها هو الثعلب قد رفض أن يقسم بموطنى على ما تقوله!.

رد الذئب:

- إنه مجرد جبان رعديد، وسوف أذهب بنفسى وأقسم بموطنك!.

وذهب نحو الشجيرات، فقفز الكلب وانقض على الذئب. وأنشب مخالبه فى رقبته. فصرخ الذئب بصوت متحشرج:

- حقا، حقا! إن موطنك مكان مقدس كما قال الثعلب. وهو لا يقع ضمن أملاكى. وقد تعمدت الكذب كى ألتهم حملك الصغير!.

أطلق الكلب سراح الذئب. وفر الذئب وهو يجرجر حوافره بالكاد. وقام الكلب بمرافقة النعجة وحملها الصغير إلى بيتها عند راعى القطيع.

❋ ❋ ❋

المترجم فى سطور

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

- مواليد عام ١٩٥٧.
- تخرج فى كلية الآداب جامعة عين شمس.
- درس تاريخ الفن بجامعة موسكو فى الاتحاد السوفيتى.
- عضو اتحاد الكتاب المصرى.
- عضو نقابة المهن السينمائية (شعبة سيناريو).
- اختير مراقبا دوليا على الانتخابات البرلمانية فى أوزبكستان لعام ٢٠٠٩.

- ترجم من اللغة الروسية إلى العربية بعض الأعمال المهمة مثل:

محاكمة البريسترويكا، وأساطير شعبية من أوزبكستان (الجزء الأول والثانى)، والحكايات الشعبية الروسية، الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا (الجزء الأول والثانى)، دراسات فلسفية وتاريخية فى فن المقام، و"حيدر علييف" عن سلسلة سير العظماء، و"المصير الأسود للحديقة السوداء"، و"قيام الدولة الأرمينية فى القوقاز"، وغيرها من الدراسات التاريخية.

- كتب العديد من المسلسلات الدرامية والأعمال التليفزيونية للأطفال، والتى نالت الكثير من الجوائز.

التصحيح اللغوى : رجب عبد الوهاب
الإشراف الفنى : حسن كامل